

مصر وشرق الأدنى القديم

(١٠١)

تاريخ الشرق الأدنى القديم

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

اسناد تاريخ مصر و الشرق الأدنى القديم

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار المعرف - الجامعة
١٠ شارع ستيفن - الإسكندرية
الاسكندرية



والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع ، والله العزة ولسوله
وللمؤمنين •

« وما توفيقي الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب » •

دكتور

محمد بيومي مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

بولكلي رمل الاسكندرية { السادس من شوال عام ١٤١٠ هـ
الاول من مايو ١٩٩٠ م •

المجلة العامة لكتبة الاسكندرية
تم الاصدار : ١٩٩٠
رقم التسجيل : ١٩٩٠

مصر والشرق الأدنى القديم

(١٠)

تاريخ الشرق القديم

الأستاذ الدكتور
محمد بيومي مهران

استاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م

دار المعرفية الجامعية
٤ شارع ستير - الأنوارية
الاسكندرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

مولانا وسيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

«اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على

ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما

باركت على ابراهيم وآل ابراهيم في العالمين، انك حميد مجيد»

إهداء

الى من هو أعز على من نفسى ..

الى زينة الدنيا ، ودعوة الآخرة ..

الى ولدى : الحسين

أهدى هذه الدراسة

تقديم

تمثل مصر والعراق القديم مركزا الثقل السياسى والحضارى فى منطقة الشرق الادنى القديم حتى أننا نستطيع بدراسة تاريخها - وخاصة منذ الالف الثانية قبل الميلاد - التعرف على تاريخ المنطقة بأسرها ، ذلك أن الباحث فى تاريخ مصر فى عصورها الفرعونية ، ليتمكن أن يتعرف أهم الاحداث السياسية ، والتيارات الحضارية ، فى بلاد الشام وآسيا الصغرى ، فضلا عن الصلات السياسية والحضارية فى بلاد الرافدين ، وجزر شرقى البحر المتوسط .

ولعل الأمر يشبه ذلك الى حد كبير فى بلاد الرافدين ، ومن ثم فالباحث فى تاريخ العراق القديم إنما يمكنه كذلك أن يتعرف الصلات السياسية والحضارية - فى ايران وبلاد الشام وآسيا الصغرى ومصر ، فضلا عن بعض مناطق الخليج العربى ، والقبائل العربية - الظاعنة والمرتحلة - فى شمال شبه الجزيرة العربية .

وعلى أية حال ، فليس هناك الى سبيل من ريب فى أن العراق القديم ، إنما يحتل مكانة ممتازة ، بين مناطق الشرق الادنى القديم ، كما أنه لا يختلف عن غيره من بلاد تلك المنطقة ذات الحضارة العريقة ، فقد قامت فى بلاد الرافدين دول ، ونشأت فيها حضارات ، وأنزلت على أرضها رسالات ، واصطفى الله تعالى - جل جلاله - من بنيتها بعض أنبيائه ومرسله ، وأسهمت بنصيبها فيما قدمه هذا الشرق الحالك للانسانية من أياذ بيضاء .

ومن ثم فقد تأثرت بلاد الرافدين بحضارة تلك المنطقة ، وأثرت فيها ،
وارتبطت بها بعلاقات ، سادها الود أحيانا ، وسادها النفور أحيانا
أخرى ، وهكذا كان للعراق القديم علاقات بمصر ، وبلاد الشام وآسيا
الصغرى وإيران ، ومن ثم فتاريخه جزء من تاريخ الشرق الأدنى القديم ،
تعرض للغزو الأجنبي يوم تعرض هذا الشرق لهذا الغزو أو ذاك ، ونعم
بخيراته يوم أن كان أمر هذا الشرق في أيدي أبنائه ، ولاقى ما لاقى هذا
الشرق ، يوم أن كانت قوى أجنبية تتحكم في مصيره ، وتجنى خيراته ،
ومن ثم فليس عجبا أن كان التاريخ العراقي القديم متأثرا بتاريخ الشرق
الأدنى القديم ، ومؤثرا فيه .

وتقدم هذه الصفحات دراسة عامة لتاريخ العراق القديم وحضاراته ،
وأن نال الجانب التاريخي اهتمامها الأكبر ، ذلك لانه من الصعوبة بمكان
أن يتحدث كتاب في مثل هذا الحجم عن تاريخ العراق القديم وحضاراته ،
ومع ذلك فقد تحدثت عن كثير من الجوانب الحضارية - السياسية
والاجتماعية والعسكرية والتشريعية والدينية والمعمارية - .

على أنه من الجدير بالاشارة أننا لم نتعرض في الجانب الديني
للديانات السماوية ، وذلك لأمرين : الواحد : أننا أصدرنا من قبل كتابا
عن الرسائل السماوية في العراق القديم (١) ، والثاني : أننا سوف نتحدث
بالتفصيل عن الديانات البشرية والسماوية في كتاب قادم سوف نخصصه
لحضارة العراق القديم - ان شاء الله - .

(١) انظر : محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن
الكريم - الجزء الرابع - في العراق - بيروت ١٩٨٨م ، وقد تحدثنا
فيه عن :

- ١ - سيرة نوح عليه السلام ص ٩ - ١٠٢ .
- ٢ - سيرة ابراهيم الخليل عليه السلام ص ١٠٣ - ١٧٢ .
- ٣ - سيرة يونس عليه السلام ص ١٧٣ - ٢١٠ .

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع ، والله العزة ولسوله
وللمؤمنين .

« وما توفيقى الا بالله ، عليه توكلت واليه أنيب » .

دكتور

محمد بيومى مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

بولكلى رمل الاسكندرية { السادس من شوال عام ١٤١٠ هـ
الاول من مايو ١٩٩٠ م .

الباب الأول

عصور ما قبل التاريخ

الفصل الأول

في شمال العراق

يقسم المؤرخون عصور ما قبل التاريخ في العراق القديم الى
الاقسام التالية : ١ - العصر الحجري القديم ٢ - العصر الحجري
الاطوسط ٣ - العصر الحجري الحديث ٤ - العصر الحجري النحاسي •

(١) العصر الحجري القديم :

لعل من اللافت للنظر أن الآثار التي عثر عليها في العراق القديم
(ميزوبوتاميا)^(١) من العصر الحجري القديم (مرحلة جمع الطعام) إنما
أُتت من شمال العراق ، دون جنوبه ، ذلك لأن هذا الجنوب إنما كان
وقت ذاك مغطى بالامواه ، ربما حتى عصر حضارة العبيد - أي ربما
حتى أخريات الألف الخامسة قبل الميلاد - بل إن شمال العراق نفسه
لم يقدم لنا آثار ترجع الى ما قبل العصر الحجري القديم - في مرحلته
الاطوسطى - حيث عثر على عدد من المواقع التي تنتمي الى هذه المرحلة
في شمال شرق العراق •

ولعل أشهر هذه المواقع : بردة بالككة - على مبعدة ٢ ١/٢ كيلا شمال

(١) ميزوبوتاميا (Mesopotamia) : لفظ اغريقي ترجمه المؤرخون
العرب بمعنى «بلاد ما بين النهرين» أو «بين النهرين» ، ورغم دقة
الترجمة ، فإنها قاصرة غير شاملة ، ذلك لأن حضارة العراق القديم لم
تقتصر على ما بين النهرين ، وإنما امتدت الى ما حول النهرين أيضا ،
بل إن طائفة من أقدم المواقع الاثرية مثل العبيد وأريدو وأور وماري ،
قامت غرب الفرات ، وليس فيما بينه وبين الدجلة ، كما قامت اشنونا
وتل أسمر ونوزي شرق دجلة ، وليس فيما بينه وبين الفرات ، وقد فطن
الاغارقة أنفسهم الى قصور لفظ «ميزوبوتاميا» ، فأضاف بعضهم اليه
لفظ «بارابوتاميا» (Parapotamia) أي ما وراء النهرين أو ما حولهما ،
وهنا يحسن - فيما يرى أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح - أن نقول
«بلاد النهرين» ، هذا الى أن تعبير «بلاد الرافدين» أو «حضارة
الرافدين» لا يؤدي المعنى كاملا ، ذلك لأن روافد النهر تختلف عن النهر
ذاته فيما هو معروف (عبد العزيز صالح : الشرق الادنى - الجزء الاول -
مصر والعراق - القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٧١) •

شرق جمجمال — ومعظم انتاجه أدوات من الظران من الاسلحة ذات الحدين التى تتميز بطرف مدبب ، ومن المحكات ، وهناك موقعان آخران ، الواحد : فى «كهف هزارمرد» ، على مقربة من السليمانية ، والاخر : «كهف شانيدر» ، جنوب غرب بحيرة أرومية ، وقد أسفر التنقيب الاثرى بأرضية كهف شانيدر عن أربع طبقات أثرية متعاقبة ، يبلغ سمكها حوالى ١٥ مترا ، عثر فى أقدمها (ط D) على بقايا مواقد ، وعظام مهشمة لانسان نياندرتال ، أحدها لطفل ، ربما لم يكمل عامه الاول ، وأما الثلاثة الاخرى فكانوا لأشخاص بالغين^(٢) .

وهناك من مرحلة العصر الحجري القديم الاعلى بعض كهوف فى منطقة السليمانية ، لعل أهمها : «كهف زارزى» ، والذي تعبر صناعته الحجرية عن تفوق ملحوظ ووفرة وتنوع فى الانتاج من أزاميل ونصال مسننة ورؤوس سهام ، هذا فضلا عن صغر الحجم ، واشتمالها على بعض الاسلحة القزمية ، الامر الذى يدل على أن انتاج «كهف زارزى» انما يمثل أخريات مرحلة العصر الحجري القديم الاعلى^(٣) .

(٢) العصر الحجري الاوسط :

يمثل هذا العصر الحجري الاوسط فترة الانتقال بين العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث ، الذى عرف فيه الانسان الزراعة وبالتالي الاستقرار فى قرى ، هذا ويمثل العصر الحجري الاوسط انتاج «كهف شايندر» (ط B) وقرية «زاوى شمسى» — على مبعدة ٤ كيلا من كهف شايندر — فضلا عن بعض مواقع أخرى ، وخاصة «كريم شاهر» على مقربة من كركوك ، ولعل أهم مظاهر الانتاج الحضارى لهذا

2) R. S. Solecki, in Sumer, 8, 1952, P. 127-130, 137, 141, 9, 1953, P. 230-231, 13, 1957, P. 59-60, 14, 1958, P. 106-707.

وانظر : محمد عبد اللطيف : تاريخ العراق القديم — الاسكندرية ١٩٧٧ ص ٣٠ — ٣١ .

3) D.A.E. Garrod, Primitive Man in Egypt, Western Asia and Europe in Palaeolithic Times, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970, P. 86-87.

العصر ، إنما هي الأسلحة القزمية ، التي تعبر عن اقتصاد يعتمد على صيد الحيوان والأسماك والطيور •

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا الى أنه قد حدث في بداية الألف التاسعة قبل الميلاد ، تحول نحو الزراعة البرية ، واستئناس الحيوان ، كما يشير الى ذلك انتاج قرية «زاوى شمي» (ط B) إنما تخلو من انتاج الفخار ، وإن تضمن انتاجها الاجران وأحجار الجرش ومقابض المناجل ، وبقايا الحصر والسلال ، الأمر الذي قد يشير الى اقتصاد يعتمد على الزراعة البرية ، فيما يرجح البعض — وهي زراعة لم يمارسها القوم وقت ذاك كحرفة ، فضلاً عن الاعتماد على الزراعة البرية — على صيد واستئناس الحيوان ، كمصدر أساسي للغذاء ، ذلك لان الطبقة الاثرية (B) إنما قد احتوت على كثير من عظام الماعز والاغنام والغزلان ، فضلاً عن محار المواقع التي ربما كانت تمثل جزءاً من غذاء القوم وقت ذاك •

وعلى أية حال ، فرغم أن قرية «زاوى شمي» إنما تمثل منطقة استقرار مؤقت ، غير أنها تعد من أقدم مناطق الاستقرار في العراق القديم ، وتؤرخ بحوالي بداية الألف التاسعة قبل الميلاد ، ويشير انتاجها الحضاري الى الاتجاه نحو الزراعة والاستقرار، وهي أهم سمات العصر الحجري الأوسط ، ومن ثم فإن موقع «زاوى شمي» إنما يمثل هذا العصر في العراق القديم (٤) •

وأما المواقع الأخرى — كريم شاهر وملفعات وجرد شاي — فإن الموقع الاول (كريم شاهر) ، رغم أنه موضع استقرار موسمي — شأنه

(٤) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٣ - ٣٧ ، وكذا J. Mellaart, The Earliest Settlements in Western Asia from The End of The Fifth Millennium B. C., in CAH, 1, Part, I, Cambridge, 1970, P. 254-256.
J. Mellaart, Earliest Civilizations of The East, London, 1974, P. 19-21.

في ذلك شأن زاوى شسمى — فان مخلفاته الاثرية لا تتضمن بقايا واضحة للمنازل والاكواخ ، غير أنها تتميز بالمناجل الحادة من الطران ، والتي استخدمت على الارجح في حصد زراعة برية ، كما عثر فيها على تمثالين من الطين المحروق ، وأما موقع «ملفعات» ، فيما بين الموصل وأربيل ، فتكشف مخلفاته الاثرية — والتي تؤرخ بنهاية الالف السادسة قبل الميلاد — عن بقايا حيطان حجرية غير منتظمة الشكل لمساكن بيضاوية ، وقد عثر في بقاياها على عدة طبقات احتوت بقايا أثرية اغلبها تشبه في نوعيتها انتاج كريم شاهر الحضاري ، وأما موقع «جرد شاي» فلعله لا يضيف في انتاج المواقع السابقة جديداً^(٥) .

(٣) العصر الحجري الحديث

لعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا — وقبل الحديث عن العصر الحجري الحديث في العراق القديم ، والذي يتميز بمعرفة الزراعة ، وما تبع ذلك من اقامة المجتمعات المستقرة — أن نشير ، بادىء ذى بدء ، الى الجدل الذى قام بين العلماء ، حول «الموطن الاول للزراعة» ، فذهب فريق الى أن ذلك المكان انما كان في جنوبى غربى آسيا ، وبخاصة في جنوب سورية وفلسطين وميزوبوتاميا وغرب ايران^(٦) — على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنه مصر ، انما كانت هي الموطن الاول للزراعة ، ذلك لأن وادى النيل ، انما كان — دونما أى ريب — هو المكان الوحيد الذى نشأت فيه أول حضارة متميزة خارج منطقة غربى آسيا^(٧) .

وفي الواقع ، فانه على الرغم من صعوبة التوصل الى مكان وزمان نشأة الزراعة على وجهه اليقين ، ورغم أن ظروف الجفاف جعلت

5) J. Mellaart, in CAH, I, Part, I, P. 256-257.

R. S. Solecki, in Sumer, 13, 1957, P. 168-169.

وكذا

6) J. de Morgan, La Prehistoire Orientale, II, Paris, 1926, P. 76.

7) G. Clark, Prehistory of The World, Cambridge, 1962, P. 99.

المجتمعات التي تعيش نفس الظروف ، تستجيب استجابة تلقائية سريعة الى هذا الاكتشاف منذ بداية ظهوره ، ومن ثم فربما قد اكتشفت الزراعة في عدة مناطق في وقت واحد تقريبا — في وادي النيل ، وفي جنوب غربى آسيا — ويذهب بعض الباحثين الى أن جميع شعوب الشرق الادنى القديم والشرق الاقصى ، انما قد نسبت الى شخصيات خرافية في تاريخها ، شرف التوصل الى معرفة القمح⁽⁸⁾ .

وليس هناك من ريب في أن البيئة المصرية انما قد ساعدت على معرفة الزراعة ، فالنيل في فيضانه المنتظم ، واخصابه للتربة ، فضلا عن دور الشمس في البيئة المصرية ، كل ذلك قد ساعد على الوصول الى مرحلة الزراعة والاستقرار ، قبل أمم أخرى .

وفي الواقع أن أرض مصر انما قد انفردت بميزة خاصة ، ذلك أن فيضان النيل انما كان يأتي في أواخر الصيف وأوائل الخريف ، حتى اذا ما تقدم هذا الفصل الاخير في السنة ، بدأت مياه الفيضان تنحسر عن جوانب الوادى ودلتاه ، وهنا نلاحظ أن منتصف الخريف أو أواخره هو الوقت الملائم لزراعة نباتات الحبوب الشتوية ، وأهمها القمح والشعير ، وبعبارة أخرى ، كان الفيضان يأتي فيمد أرض مصر بالطمي والماء ، ثم ينحسر عنها في أصلح وقت لزراعة تلك النباتات ، حتى اذا ما زرعت ونبتت كان فصل الامطار الشتوية في مصر قد بدأ .

والظاهر أن تلك الامطار في العصر الحجري الحديث وما بعده أوفر منها الان ، فكانت تغذى النباتات وتمدها بسبل الحياة في أشهر الشتاء ، حتى اذا ما جاء آخر الربيع وأول الصيف ، وكانت نباتات الشتاء قد أكملت نموها ، انقطع المطر وحل فصل الحصاد ، وهكذا تكامل عنصران في مصر — هما عنصر الفيضان وعنصر الامطار الشتوية — وكان من

8) F. Hartman, L'Agriculture dans L'Ancienne Egypte, Paris, 1923, P. 48.

ثمرات ذلك التكامل أن أصبحت أرض النيل صالحة — كل الصلاحية —
لتكون مهذا من مهاد الزراعات الشتوية القديمة •

على أن التكامل بين عناصر البيئة الطبيعية في مصر لا يقف عند ذلك ،
فبعد أن يتم الحصاد ، يحل أول الصيف ، وهو فصل شديد الحرارة ،
فتجف التربة وتتشقق الأرض ، وتموت الحشائش الضارة ، والتي
تمتص خير الأرض ولا تفيد شيئاً ، ويؤدي التشقق الى تفتح التربة
ودخول غازات الهواء التي تجدد التربة ، حتى اذا ما جاء الفيضان من
جديد في آخر الصيف ، عاد فغطى الأرض وكساها بطبقة من الطمي ،
حتى ينحسر النهر ، ويجيء الانسان ليزرع الأرض من جديد •

وهكذا أصبحت دورة الطبيعة متكاملة العناصر والعوامل ، وتلك
ظاهرة لا نكاد نجدها في نهر آخر من أنهار العالم الكبرى ، بل تلك
ظاهرة ميزت أرض مصر منذ فجر التاريخ ، وربما كانت هي العامل
الاساسى ، فيما عرفناه من استمرار الحياة والحضارة وتجدهما في
أرض مصر على مر السنين^(٩) •

وعلى أية حال ، فلقد عثر في العراق القديم على موقعين يمثلان
العصر الحجري الحديث (جرمو — حسونه) والذي يقوم على الزراعة
والاستقرار ، وهي زراعة لا ريب في أنها بدأت في مساحة صغيرة ، ولكنها
تقوم بمهمة الاكتفاء الذاتى في الانتاج للزراع ، كما أنها زراعة متنقلة،
ولعلها أشبه — في مرحلة الاستقرار الدائم — بزراعة الفلاحين البدو .
ربما بسبب استنفاد خصوبة الأرض ، و عدم معرفة الانسان وقت ذاك
بالاسمدة ، وربما بسبب عدم معرفة الزراع بزراعة جزء من الأرض ،
ثم تركه بورا في السنة التالية^(١٠) ، وعلى أية حال ، فإن الموقعين اللذين
يمثلان هذا العصر ، انما هما جرمو وحسونة •

(٩) سليمان حزين : البيئة والانسان والحضارة في وادى النيل
الادنى — تاريخ الحضارة المصرية — القاهرة ١٩٦٢ ص ١٦ •
(١٠) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة — القسم الاول —
تاريخ العراق القديم — بغداد ١٩٥٥ ص ٤٠ — ٤١ •

(١) حضارة جرمو :

تقع «جرمو» على حافة واد عميق في سهل جمجمال في لواء كركوك (فوق وادي طوق جاي ، أحد روافد دجلة ، على مبعدة ٣٥ كيلا شرق كركوك) — أي خارج نطاق السهل الميزوبوتامي شرقا — وتبلغ مساحة قرية «جرمو» ما بين ثلاثة وأربعة أفدنة ، وقد كشف فيها عن ١٦ طبقة أثرية متتالية ، يؤرخ أقدمها بحوالي عام ٦٧٥٠ ق.م ، وان ذهب «كول» الى أنها تؤرخ ، فيما بين ٧٠٠٠ ، ٦٠٠٠ ق.م ، وتضم ما بين ٢٥،٢٠ منزلا ، ويقدر سكانها بحوالي ١٥٠ فردا ، وان قدرها «طه باقر» بحوالي ٥٠ بيتا ، تضم حوالي ٣٠٠ فردا (١١) .

هذا وقد اختلف الباحثون في أقدمية موقع جرمو ، فذهب فريق الى أنها تمثل أقدم قرية زراعية في العراق القديم ، وبمعنى آخر ، تمثل أول عهد الانسان بتعلم الزراعة ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنها موضع شك في نسبتها الى عصر بداية الزراعة ، بل وفي تمثيلها لمرحلة حضارية متميزة ، وأنها لا تعدو أن تكون مجرد قرية متخلفة ترجع الى أواخر العصور الحجرية أو ما بعدها ، وأن موقع تل حسونة انما يمثل في أولى طبقاته السفلى أول موقع زراعي في شمال العراق .

على أن الحفريات انما قد كشفت في الطبقات الاثرية الاولى — والتي تعرف بالمرحلة السابقة للصناعات الفخارية — على الادلة التي توضح توصل الانسان الى مرحلة الزراعة والاستقرار ، فقد عثر على حبوب القمح والشعير المتكرينة ، أحيانا انطباعات تلك الحبوب في الارضية الطينية للافران كما عثر على العديد من الادوات المتصلة بالعمل الزراعي ، كالمناجل والفؤوس الحادة الاطراف والاجران والمحاريث ،

(١١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٨ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٤١ ، ٤٢ ، وكذا
P. Mortensen, On The Chronology of Early Village Farming Communities in Northern Iraq, in Sumer, 18, 1962, P. 74-76.
وكذا S. Cole, The Neolithic Revolution, London, 1961, P. 48.

هذا فضلا عن استئناس الانسان للماعز والكلاب ، وربما الاغنام والخنازير كذلك ، ولعل هذا كله انما يشير الى أن موقع حضارة جرمو ، انما يعد مركزا رئيسيا في حضارة العصر الحجري الحديث ، هذا ويرجح البعض أن القواقع البحرية انما كانت تمثل جزءا من غذاء الانسان في جرمو ، حيث عثر على كمية كبيرة من أصداف هذه القواقع ضمن مخلفات القرية (١٢) .

هذا ولم تقدم لنا أنقاض القرية آثارا فخارية ، الا في الطبقات الخمس الاخيرة ، وربما يرجع ذلك الى أن الانسان في المراحل السابقة قد اكتفى بالالوانى الحجرية ، هذا فضلا عن أن ما عثر عليه من أوان فخارية ، في الطبقتين الخامسة والرابعة ، أفضل من تلك التى عثر عليها في الطبقات الاخيرة ، الاحداث عهدا ، وقد زينت هذه الالوانى بخطوط حمراء مائلة ، ونظرا لجودة الالوانى الفخارية المبكرة التى كشف عنها ، فانه ربما كان من الصعب اعتبارها انتاجا محليا خالصا ، هذا فضلا عن عدم وجود مثيلات لها في المنطقة ، مما يرجح القول بأنها مستوردة من الشرق ، وخاصة من «تبة جوران» ، جنوبى كرمنشاه في ايران ، حيث كشف هناك عن أنماط تشبه فخار جرمو الملون (١٣) .

هذا وقد بنى القوم منازلهم من كتل طينية ، أقيمت في بعض الاحايين فوق أسس من حجر ، وسويت حيطان المنازل بطبقة من طين ، كملاط ، كما نشرت طبقة طينية مماثلة فوق حزم من بوص غطيت بها

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٣ ، أحمد سليم : دراسات في تاريخ الشرق الادنى القديم - بيروت ١٩٨٩ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .
رشيد الناضورى : جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا - الجزء الاول - بيروت ١٩٧٧ ص ١٣١ - ١٣٢ ، وكذا

J. Mellaart, in CAH, I, Part, I, P. 257-258.

J. Mellaart, Earliest Civilizations, of The Near East, P. 48.

P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.

(١٣) أحمد سليم : دراسات في تاريخ ايران القديم وحضارتها - الجزء الاول - بيروت ١٩٨٨م ص ١١٨ .

أرضية المنزل ، أما السقف فكان من حزم البوص المغطاة بطبقة سميكة من الطين ، وكان تصميم المنزل على شكل المستطيل ، وبه عدد من الحجرات الصغيرة ، لا يتجاوز طول الواحدة منها أقدام ستة ، وقد عثر فيها على مواقع احتوى كثير منها على بعض الاواني^(١٤) .

وهناك ما يشير الى تطور الصناعة الحجرية بدرجة كبيرة في جرمو ، وقد عثر على أنواع من الرحي البسيطة التي قوامها حجران بسيطان ، وكذا الاطباق الفخارية التي استعملت لفرك الحبوب ، وأحيانا للعجن ، فضلا عن المحاريث البسيطة والمناجل المكونة من أسنان الصوان ، والادوات الصوانية ، ويرجح البعض أن الانسان عرف الغزل والحياكة ، كما تدل على ذلك أقراص المغازل الفخارية^(١٥) .

هذا وقد شاع استخدام الاسلحة القزمية المتعددة الاشكال ، وصنع العديد منها من حجر الاوبسيديون (الزجاج البركاني) ، ولعل استخدام الاوبسيديون في جرمو مما يركى امكانية الاتصال بمنطقة الاناضول ، كما أن العثور على بعض الاساور والخرز تبين الاتجاه الى بعض النواحي الكمالية في حياة انسان جرمو ، كما عثر على بعض المحكات الرقيقة التي استخدمت لطحن المغرة ، فضلا عن بعض الاواني الحجرية ورؤوس المقامع والاقرص المثقوبة والخواتم ، كما استخدم القوم العظم في صنع المخابز الابر وحبات العقود والدلايات^(١٦) .

هذا وقد نسب الى حضارة جرمو تماثيل طينية بدائية متواضعة

(١٤) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٨ - ٣٩ ، وكذا
P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.
J. Mellaart, Op. Cit., P. 258.

(١٥) طه باقر : المرجع السابق ص ٤٢

(١٦) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ١٣٣ ، محمد عبد اللطيف :
المرجع السابق ص ٣٩ - ٤٠ ، وكذا

R. S. Solecki, Op. Cit., P. 170-171.

J. Mellaart, Op. Cit., P. 259.

P. Mortensen, Op. Cii., P. 75.

وكذا

وكذا

لحيوانات ، ورجال ، ونساء جالسات ذوات أرداف غلاظ ، كما شكل القوم من الطين عددا من التماثيل الصغيرة لالهة الامومة ، فضلا عن بعض البكرات والمخاريط الطينية التي ربما كانت دمي للأطفال ، وقد مثلت الهة الامومة على شكل أنثى بدينة متضخمة الساقين ، تجلس القرفصاء ، وربما قد قدس فيها انسان العصر الحجري الحديث مظهر الخصوبة الذي أدرك أثره في حياته الزراعية المستقرة التي تعتمد على خصوبة التربة (١٧) .

بقيت الاشارة الى أن هناك من يذهب الى أن حضارة جرمو انما قد امتد تأثيرها الى ما وراء نهر دياللي ، فقد عثر على سطح بعض تلال مندلي على أدوات من الطران وحجر الاوبسيديان ، وكسرات آنية فخارية ، وأخرى تماثل انتاج جرمو (١٨) .

هذا وقد عثر على ما يشبه عضو الذكر ، مما دفع الى الظن بقيام لون من عبادة الجنس والرمز للخصوبة ، ويرجح بعض الباحثين أن لونا من ألوا التفكير الديني نشأ في هذه المرحلة بقيام عبادة للشمس التي قدست على هيئة معبودة (١٩) .

(٢) حضارة تل حسونة :

يقع تل حسونة في غرب نهر دجلة ، على مبعدة ٣٥ كيلا جنوبي الموصل ، ٨ كيلا شرقي قرية الشورة ، وهو موقع صغير (٢٠٠ × ١٥٠ مترا) يرتفع نحو سبعة أمتار عن السهل المجاور ، ويعد أقدم المواقع

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٣ ، محمد عبداللطيف : المرجع السابق ص ٤٠ ، وكذا

J. Mellaart, Op. Cit., P. 259.

P. Mortensen, Op. Cit., P. 75.

18) J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 52-53, 1969. P. 133.

(١٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الخامس - الاسكندرية ١٩٦٣ ص ٦٠ ، وكذا

G. Childe, New Light on The Most Ancient East, 1952, P. 59.

الحضارية من صميم السهل الميزوبوتامى ، ويعبر عن انتقال مركز الثقل الحضارى من المنطقة الشرقية الى هذا السهل ، ويرجح البعض أن أصحاب حضارة تل حسونة قد أفادوا من حضارة جرمو السابق . ونقلوا عنها فى البداية ، الامر الذى يبدو بوضوح فى تشابه الانتاج المبكر من فخار تل حسونة ، مع فخار جرمو الخشن ، وفى بناء منازل تل حسونة من الطين ، أسوة بما كان متبعاً فى جرمو .

هذا وقد كشف فى تل حسونة عن ١٧ طبقة أثرية ، أقدمها تلك التى تعلو الارض البكر مباشرة ، وتمثل بداية عصر حضارة حسونة ، وأما أحدثها فهى الطبقة (XV) من عصر حضارة العبيد ، كما كشف عن بعض المواقع الأخرى لهذه الحضارة ، وخاصة تل الصوان وسامراء وتل المطارنة (٢٠) .

ويمثل تل حسونة حضارة قرية مستقرة فى العصر الحجري الحديث ، ولم يعثر الاثاريون على أى معدن فى تل حسونة ، مما يدل على أن القوم وقت ذاك لم يصلوا بعد الى عصر استخدام النحاس والحجر ، وانما هم قوم يمثلون صميم العصر الحجري الحديث ، فقد تمكنوا من التوصل الى الزراعة ، وخاصة القمح ، كما استأنسوا بعض الحيوانات كالاعنام والماعز والخنازير (٢١) .

هذا وقد بنى القوم مساكنهم من الطين ، ومن أحجام مختلفة ، وكان المنزل فى الغالب الاعم يتكون من بعض الحجرات التى كانت تتجمع حول أو الى جانب فناء مكشوف يقع فيه غالباً فرن وجرار لتخزين الطعام والشراب فضلاً عن صوامع الغلال ، وغير ذلك مما تحتاجه الحياة

(٢٠) طه باقر : المرجع السابق ص ٦٠ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٤ ، وكذا

P. Mortensen, Op. Cit., P 35.

S. Lloyd and F. Safar, Tell-Hassuna, JNES, 4, 1945, P. 272.

(٢١) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ١٣٣ .

المنزلية ، هذا وقد أحرزت مبانى تل حسونة ، ابتداء من الطبقة الثانية مظاهر جديدة من التفوق ، كتزويد الحيطان بركائز للتدعيم من الداخل ، وربما تميزت مبانى الطبقة الثالثة بوجود ممرات تفصل فيما بينها ، وإن لم يستمر وجود هذه الفواصل في الطبقات التالية ، ولعل أفضل مجموعات مبانى تل حسونة ما كشف عنه في الطبقة الرابعة التى تقدم معالم واضحة للاقسام التى كان يتكون منها المنزل (٢٣) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن مبانى «تل الصوان» ، انما تقدم تطورا ملحوظا في تشييد المبانى ، فقد شيدت من قطع الاجر الكبيرة المستطيلة الشكل ، وطلبت الجدران من الداخل بطبقة من الطين ، ودفن القوم موتاهم أسفل أرضيات المنازل ، كما عمل القوم على تحصين الموقع ، وذلك بحفرة ذات ثلاثة أضلاع شيد بداخلها حائط ضخمة مزود بركائز ، وهى مثال فريد للتحصين في بلاد النهرين في هذا التاريخ المبكر .

هذاو قد دفن القوم موتاهم — كما أشرنا آنفا — في أسفل أرضيات المنازل ، فلقد عثر بين موقدين من المرحلة الاولى في الطبقة (Ia) على هيكل عظمى لانسان ، وبجواره جرة كبيرة ، ربما قد احتوت طعامه أو شرابه كما وجد قرب رأسه فأسان من الطران ، الامر الذى قد يشير الى اعتقاد القوم في حياة أخرى ، كما تضمنت بقايا المرحلة الثالثة جرة من الفخار الخشن احتوت هيكل عظميا لطفل ، وبجوارها جرة أخرى ربما كانت كذلك للطعام أو الماء (٢٣) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه قد كشف عن بقايا جثث للأطفال دفنوا في بعض الاوانى الفخارية وكان اتجاه رأس المتوفى نحو

(٢٢) عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٦ — ٤٨ ، وكذا
S. Liloyd and F. Safar, Op. Cit., 273.
23) F. El-Wailly and B. Abu es-Soof, in Sumer, 21, 1965, P. 18-21.
K. A. Al-Adami, in Sumer, 24, 1968, P. 58.

الشمال ، ويذهب أستاذنا الدكتور الناضوري الى أن وجود بقايا الهياكل العظمية للأطفال ، إنما يتصل بظاهرة التضحية البشرية لا بترضاء القوى الالهية ، وعلى رأسها الهة الامومة التي عبر عنها في شكل تماثيل صغيرة (٢٤) .

هذا وقد كشف اسفل مباني الطبقة (I) بتل الصوان عن جبانة ضخمة تضم أكثر من ١٣٠ قبرا ، حفرت أسفل أرضيات الحجرات فوق الارض البكر مباشرة ، وزودت جميعها تقريبا بالكثير من الانية المرمية المتعددة الاشكال والاحجام من الجرار والاكواب والأطباق ، وبعض قطع أخرى على هيئة عضو الذكر ، فضلا عن مجموعة كبيرة من التماثيل الصغيرة الجيدة الصنع ، التي في معظمها لالهة الامومة ، التي تمثل هنا غالبا واقفة (وكانت في حضارة جرمو تمثل جالسة القرفصاء) ، وقد زود بعضها بغطاء رأس من القار وعيون المحار ، هذا وقد اختلف الباحثون حول تماثيل الهات الامومة هذه ، فذهب فريق الى أنها كانت تودع في مدافن الذكور ، دون الاناث اللاتي قد أودعت في قبورهن قطعاً حجرية منحوتة على هيئة عضو الذكر ، خاصة وأن الحفائر لم تكشف عن الاثنين معا في قبر واحد ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن هذه التماثيل إنما تعبر عن الامومة الفعلية التي تضي حمايتها على الاطفال الذين تغلب هياكلهم العظمية في مدافن تل الصوان وتل حسونة، خاصة وقد عبرت أشكال تماثيل الهات الامومة عن اهتمام صانعيها بأبراز صفة الاخصاب فيهن ، حيث تمثلن غالبا ، وقد اتجهت أيديهن نحو بطونهن أو نحو أسفل أثدائهن (٢٥) .

هذا ويمثل فخار تل حسونة نماذج فخارية من أقدم ما عثر عليه في

(٢٤) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٢٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٤٩ - ٥١ وكذا

S. Liøyd and F. Safar, Op. Cit., P. 275.

J Mellaart, Op. Cit., P. 272.

Abu Al-Soof, (B.), in Sumer, 27, 1971, P. 5.

W. Yasin, in , Sumer, 26, 1970, figs, 39-42.

العراق القديم ، وقد كشفت الحفريات عن تطور مستمر للفخار في تل
 حسونة ، ففي بداية الطبقات ظهر الفخار العتيق ، والمصنوع من مادة
 طينية هشة غير نقية ، وتغلب عليها النوعية الخشنة ، ثم تظهر بعد ذلك
 الانواع المزينة باللون الاصفر أو القرمزي ، وقد زخرفت بحزوز في
 شكل تصميمات اتخذت في الغالب شكل سعف النخيل أو سنابل القمح ،
 ثم يلي ذلك ظهور الفخار المزين بالاشكال الحيوانية والمخطوط المتموجة ،
 وهو الفخار الذي يسمى «فخار سامراء» نسبة الى موقع سامراء — على
 الضفة اليسرى لنهر الدجلة ، وعلى مبعده حوالي ١٠٠ كيلا شمالي بغداد
 — والذي كان يظن من قبل أنه يمثل عصرا حضاريا مستقلا ، ولكنه يعتبر
 الان ضمن عصر حضارة حسونة ، الممتد على طول الطريق غربا بين نهر
 دجلة والبحر المتوسط ، اعتمادا على العثور على فخار حسونة في اقليم
 العمق ، وكذلك في مرسين (٢٦) .

وقد كشف أيضا عن كثير من الادوات الحجرية في تل حسونة وتل
 الصوان ، وتتضمن العديد من الاسلحة القرمزية ورؤوس السهام، وغيرها
 من الالات من الظران وحجر أوبسيديان ، فضلا عن الفؤوس الحجرية
 التي طليت بالقار ، والمناجل ذات الاسنان الظرانية ، والتي تكثر في تل
 حسونة (ط Ib) حيث يبدأ ظهور الابنية السكنية التي يظهر معها
 تشييد صوامع الغلال وأفران الخبيز ، وصناعة بعض تماثيل غير كاملة
 لالهات الامومة (التي تبدو متواضعة للغاية بالمقارنة بتماثيل تل
 الصوان) .

هذا وقد عثر في صوامع الغلال على القمح المتكربن ، وعلى كثير من
 كسرات الانية ، فضلا عن عظام الماعز والاغنام والحيوانات البرية
 كالغزلان والخنازير والارانب ، وقد استخدمت في التزيين بالخروز
 وصنع الثقوب التي تظهر بوضوح في حبات العقود والدلايات ، التي

26) S. Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 262, 266, 278-279, 286.
 T. Dabbagh, Hassuna Pottery, in Sumer, 21, 1965, P
 P. Mortensen, in Sumer, 18, 1962, P. 77-78.

تزين به القوم في مجتمعات حسونة والصوان والمطارة وتبة ياريم ، وقد انفردت الأخيرة بأقراص حجرية ذات حوز ، يمكن اعتبارها نوعا من الاختتام البدائية (٢٧) .

وقد تميز موقع تل الصوان بالعثور على بعض القطع النحاسية الصغيرة ، وان لم تكن انتاجا محليا ، كما كشف في الطبقة (VII) في «تبة ياريم» (أ) عن رقاقة صغيرة من النحاس لفت في شكل اسطوانة ، وعلى قطعتين نحاسيتين أخريين ، الامر الذي يشير الى استخدام القوم هنا الى النحاس منذ بداية عصر حسونة ، خاصة وقد كشف في «تبة ياريم» من نفس الطبقة ، عن أتون ضخمة شيد فوقه مبنى مقبى من الطين ، وهو أقدم نموذج من نوعه في بلاد النهرين ، وقد استخدم في احراق الانية النحاسية ، وربما في تليين صلابة قطع النحاس — التي ربما جلبت من ديار بكر — الامر الذي يساعد على تشكيلها (٢٨) .

بقيت الإشارة الى أن الانثربولوجيين لم يتوصلوا بعد الى جنس أصحاب تلك الحضارة ، رغم العثور — كما أشرنا من قبل — على جثث أطفال دفنت في أوان كبيرة من فخار ، هذا فضلا عن عدم الوصول حتى الآن الى رأى نهائى بشأن أولوية التوصل الى الاستقرار الكامل بين كل من مصر والعراق القديم ، أو بالاحرى بين حضارة الفيوم (أ) ومرمدة بنى سلامة من ناحية ، وبين عصر حضارة جرمو وتل حسونة من ناحية أخرى ، وإن كانت الظواهر حتى الآن تعطى لكل منهما أقدمية في بعض

-
- (٢٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٥٨ — ٦٠ ، وكذا N. Merpert and R. Munchajev, in Sumer, 25, 1969, P. 128-129.
S. Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 268-269.
K. J. Bradwood and Others, Mattarah, JNES, XI, 1952, P. 69.
R. M. Munchajev and N. Merpert, Excavations at Yarim Tepe, 1972, in Sumer, 29, 1973, P. 9.
(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق : ص ٦٠ — ٦١ .
K. A. Al-Adami, Op. Cit., P. 59.
R. M. Munchajev and N. Merpert, in Sumer, 27, 1971, P. 28, 29, 1973, P. 6-9.

النواحي ، وربما تكشف الحفائر مستقيلا عن رأى نهائى فى الموضوع ، ومع ذلك فنتائج الحفائر حتى الان تثبت توصل كل منها الى مرحلة الزراعة المستقرة ونشأة القرى ، فكلاهما أنتج المناجل الحجرية ، وتوصل الى الصناعات العظمية وصناعة الاجران والاسبطة فى الفيوم (أ) والحصير فى جرمو^(٢٩) .

(٤) العصر الحجرى النحاسى

(١) حضارة تل حلف :

يتميز هذا العصر بالتوصل الى معرفة واستخدام النحاس ، منذ حوالى منتصف الالف الخامسة قبل الميلاد ، ويتمثل فى عصر حضارة حلف ، نسبة الى تل حلف — ويقع فى أعلى نهر الخابور ، على مبعده ١٤٠ كيلا شمالى غربى «نينوى» ، وان لم يكن موقع تل حلف أفضل مواقع هذه الحضارة ، حيث كشف فيه عن شوارع مبلطة بالحجارة ، وقد أحيطت القرية بأسوار ، وقامت فيها مبان عامة كانت بمثابة المعابد الدينية ، مما يدل على تقدم فى الحياة الاجتماعية^(٣٠) .

وتشغل حضارة حلف الفترة منذ أواخر الالف السادسة ، وحتى أواخر الالف الخامسة قبل الميلاد ، وقد انتشر إنتاجها فى الشمال خاصة وفى مساحة واسعة تمتد من الزاب الأعلى وسفوح جبال زاغروس شرقا ، الى ما وراء الفرات غربا ، وإلى الحدود التركية وسفوح جبال طوروس شمالا ، وأما من ناحية الجنوب والجنوب الشرقى ، فكان من المعتقد أنها لم تتجاوز موقع سامراء ، غير أن الحفريات كشفت حديثا عن فخار حلف فى الطبقتين العلويتين فى تل الصوان ، وفى أعلى تل (Choga Mami) فى إقليم مندلى^(٣١) .

(٢٩) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ١٣٥ .

(٣٠) طه باقر : المرجع السابق ص ٦٣ .

(٣١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٦٣ ، وكذا

J. Mellaart, Op. Cit., P. 276-277.

T. Dabbagh, Op. Cit., P. 32.

J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 56, 25, 1969, P. 134.

هذا ويختلف المؤرخون في أصل حضارة حلف هذه ، فهناك وجه للنظر يذهب الى أن مركزها ربما كان في المنطقة الممتدة من الموصل شمال شرق العراق الى منطقة الخابور في شرق سورية ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنها ربما ترجع الى أصل أرميني ، على أن الاتجاه التقليدي انما يذهب الى أنها نشأت في تل حلف ذاتها ، على أساس أن الفخار المميز لتلك الحضارة انما قد بدأ العثور عليه هناك •

وعلى أية حال ، فان حضارة حلف هذه لم تتصل بصميم منطقة ايران ، وذلك لوجود الحواجز الطبيعية ، وخاصة جبال زاغروس التي عملت على منع حضارة حلف من دخول ايران ، كما أنها لم تمتد جنوبا في العراق القديم ، وذلك لأن تلك المنطقة لم تكن قد سكنت بعد ، ومن ثم فقد امتدت الى منطقة الموصل ، فضلا عن منطقة سنجار عبر نهر الخابور ، وفي منطقة جبل عبد العزيز ، كما امتدت غربا في سورية حتى منطقة العمق ورأس الثمرا ، بل وفي حدود الاناضول الجنوبية الشرقية (٣٢) •

هذا وتتميز حضارة حلف هذه بمظاهر حضارية جديدة ، وخاصة في العمارة والفخار والنحت على الحجر ، فضلا عن استخدام النحاس ، ومن ثم فقد اعتبرت في التقسيم التقليدي لعصور ما قبل التاريخ ، ممثلة للعصر الحجري النحاسي في العراق القديم ، وان كان الامر يحتاج الى اعادة نظر في هذا التقسيم ، في ضوء ما عثر عليه حديثا من مصنوعات نحاسية من عصر حضارة حسونة ، كما أشرنا من قبل •

وأيا ما كان الامر ، ففي مجال العمارة : سادت الابنية ذات التصميم الدائري ، والتي كُشف عنها في شمال العراق ، وهي عبارة عن مبان أساسها من حجر ، وحيطانها من طين ، في الاغلب الاعم ، وهي —

(٣٢) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ١٧١ ، وكذا
R. Munchajev and N. Merpert, in Sumer, 27, 1971. P. 30 29 1973 P. 10

على أية حال — تتكون من حجرة دائرية ، قطرها خمسة أمتار ونصف المتر ، يتصل بها ممر مستطيل ، وإن كانت أبنية «تل الأريجية» إنما تشير الى أنها قد ألحقت بها حجرات جانبية مستطيلة ، أصغر حجما ، دون وجود ممر أو فواصل بينهما ، كما تدل نفس بقايا أبنية تل الأريجية ، على أن البناء الاصلى — وهو الحجرة الدائرية — إنما كان لها سقف مقبب ، أما الحجرة الجانبية فقد كانت غير مسقوفة ، أو كان لها سقف مسطح أو «جمالون» (٣٣) .

وأما الفخار ، فقد تميز بألوانه وزيناته التي تمثل تفوقا صناعيا لأصحاب حضارة حلف ، وقد لون الفخار بألوان مختلفة ، منها البرتقالي والقرمزي والاحمر والبني والمصفر ، قد غطت الزينيات كل سطح الاناء الفخاري الخارجى بالنسبة للجرار ، أما الاطباق والسلاطين فقد غطت الزينيات فيها السطحين ، الداخلى والخارجى ، كما ضمت الزينة مجموعات مختلفة من الرسوم الهندسية ذات الاشكال المثلثة والمربعة وذات الخطوط المتعرجة والمستقيمة ، ومن الرسوم الفريدة على فخار حلف رسم مركبة على أنية فخارية ، قد توحى بأن القوم ربما قد اخترعوا وقت ذاك المركبات ذات العجلات ، كما استخدمت في التصميمات الزخرفية كذلك أوراق الزهور ورؤوس الثيران ، على أن الظاهرة المميزة إنما هي كثرة الاشكال الحية في الزينيات من اشكال بشرية وحيوانية ونباتية ، فضلا عن اشكال الطيور ، وقد تميزت الرسوم بوجود حركة كبيرة في المناظر (٣٤) .

هذا وقد أنتجت حضارة حلف عددا من الاوانى الحجرية ، ورؤوس المقامع والمغازل وغيرها ، مما يعبر عن تفوق في تشكيل المادة الحجرية ، الامر الذى يظهر بوضوح في أدوات الزينة التي شكلت من الحجر ، كما

33) J. Mellaart, Earliest Civilizations of The Near East, London, 1974, P. 122.

(٣٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣١ ، رشيد الناضورى : المرجع السابق : ص ١٧٠ .

استخدم القوم الطين في صناعة المسامير الملونة والخواتم ، فضلا عن تماثيل الهات الامومة التي اعتنى الفنان فيها بابرار مظهر الخصوبة المتضخم ، وذلك بتضخيم وطلاء ثدييها وساقها ، فضلا عن تمثيلها وهي تضم ذراعيها أسفل ثدييها ، هذا الى جانب انتاج بعض الاختمام التي استخدمت ، ربما لأول مرة ، في الطباعة على قطع من طين مجفف ، وأخيرا فلقد عثر على بعض المصنوعات النحاسية كالدبابيس والازاميل ، غير أن عددها انما كان محدودا ، رغم توفر النحاس في منطقة ديار بكر وملاطيا ، في شمال وشمال غرب حلف (٣٥) .

وأما عن مدافن القوم ، فقد كانت غالبا تحت أرضية مساكنهم ، وكان الميت يرقد على جنبه الايمن ، في وضع مقرفص ، بينما نتجه رأسه نحو الغرب ، هذا وقد احتوت المقابر على بعض المتاع الشخصي كالآنية الحجرية الصغيرة والاكواب والالوانى الفخارية وحبات العقود المرمرية ، فضلا عن دلايات من حجر ، زينت احداها بصور لطيور ورؤوس حيوانات (٣٦) .

(٣٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٦٩ - ٧١ ، وكذا

J. Mellaart, CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970, P. 277-278.

T. Dabbagh, Op. Cit., P. 23-26.

N. Merpert, in Sumer, 27, 1971, P. 20-21.

36) A. Parrot, Sumer, London, 1960, P. 48.

R. Munchajev and N. Merpert. in Sumer, 27, 1971, P. 31, 29, 1973, P. 14.

الفصل الثاني

في جنوب العراق

شهدت بلاد العراق في أواخر عهد حضارة حلف النشاط الحضاري في مناطقها الوسطى والجنوبية ، حتى ذهب البعض الى أن مركز الثقل الحضاري ، وربما السياسي ، قد انتقل من القسم الشمالي للسهل الميزوبوتامي الى القسم الجنوبي من هذا السهل ، حتى أن القسم الشمالي أصبح أكثر شبيها بتابع يدور في فلك الجنوب غالبا ، وحتى حلول الاموريين بأرض آشور في بداية الالف الثانية قبل الميلاد .

وقد ارتبط ذلك كله بتطور صناعي جديد ، وربما بتحركات شعوبية أو قبلية جديدة أيضا ، أما التطور الصناعي فهو معرفة معدن النحاس واستخدامه على نطاق ضيق ، جنبا الى جنب ، مع الادوات الحجرية ، فيما يعرف اصطلاحا باسم «العصر الحجري النحاسي» أو «عصر بداية المعادن» ، وفرقت الابحاث الاثرية بين ثلاث مراحل شهدها العراق في هذا العصر ، ونسبت كلا منها الى أقدم اماكن التي عثر فيها على مخلفاتها فسمتها بأسماء : حضارة العبيد ، وحضارة الوركاء ، وحضارة جمدة نصر ، وقد تعاقبت ثلاثتها في مواضعها من جنوب العراق الى وسطه على مسافات متفاوتة ، ولكنها تداخلت مع بعضها البعض في أزمنتها وخصص منتجاتها ، الى حد أن مال الرأي الحديث الى ادماج ثالثتها ، وهي جمدة نصر ، في حضارة الوركاء ، واعتبارها مرحلة أخيرة منها (١) .

غير أن الحفريات أثبتت منذ عام ١٩٤٦م وجود حضارتين أسبق عهدا من حضارة العبيد ، هما : حضارة أريدو ، وحضارة الحاج محمد (حجي محمد) ، ويرى بعض الباحثين في هاتين الحضارتين مرحلتين مبكرتين من عصر حضارة العبيد ، ومن ثم فهم يقسمون هذا العصر

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٤ .

الحضارى الى ثلاثة مراحل هى : العبيد «١» (حضارة أريدو) والعبيد «٢» (حضارة الحاج محمد) والعبيد «٣» (حضارة العبيد الصميمة)^(٢)، غير أن هناك وجه آخر للنظر يذهب أن لكل من هاتين الحضارتين (أريدو — الحاج محمد) إنتاجها المتميز عن حضارة العبيد ، فضلا عن تأثيره الواضح بحضارتي حسونه وحلف السابقتين ، بينما لا نكاد نلمس هذا التأثير في حضارة العبيد^(٣) .

(١) حضارة أريدو :

تقع أريدو — وهى أبو شهرين الحالية فى أقصى جنوب السهل الميزوبوتامى ، وعلى مبعدة ٢٤ كيلا جنوب غرب مدينة أور ، ٢٤٠ كيلا من الخليج العربى — وطبقا للتقاليد السومرية ، فإن أريدو أول المدن الخمس قبل الطوفان وأول مقر للملكية^(٤) ، وعلى أية حال ، فهناك من يرجح أنها كانت ميناء على احدى البحيرات الواسعة ، وكان لها اتصال بالخليج العربى عن طريق عدد من البحيرات^(٥) ، ومن ثم فقد احترق أهلها صيد السمك وقدموه كقربان للمعبود ، كما أن كثيرا من مساكن القوم انما كانت أكواخا من بوص ، هذا فضلا عن أن هناك نصا من عهد «شولجى» (٢٠٩٥ — ٢٠٤٨ ق م) — أحد ملوك أسرة أور الثالثة — يشير الى أن «أريدو» انما تقع على شاطئ البحر ، وهذا ما أثبتته الحفريات الاثرية هناك .

هذا وقد أسفرت نتائج الحفريات التى قامت بها مديرية الاثار العراقية فى الفترة (١٩٤٦ — ١٩٤٩م) فى المنطقة السكنية من «أريدو»

2) J. Oates, in Sumer, 22, 1966, P. 52, 58, 25, 1969, P. 135

3) S. Lloyd and F. Safar, in Sumer, 4, 1948, P. 124-125.

(٤) انظر

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 43

A. L. Oppenheim, The Sumerian King List, in ANET, 1966, P. 265.

5) M. Mallowan, The Development of Cities from Al-Ubaid to The End of Uruk, 5, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1971, P. 331

وانظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٤ — ٧٦ .

أن فخارها ينتمي الى عصر أربع حضارات (أريدو — الحاج محمد — العبيد — الوركاء) وأن أشكاله السائدة انما هي الأكواب والسلاطين ، وأحيانا الاطباق الكبيرة ، وقد تعددت ألوانها وزينت بتصميمات هندسية تكثر فيها الخطوط المستقيمة والمتعرجة والمثلثات والنقط ، بينما يندر وجود الاشكال الطبيعية الحية^(٦) .

وكانت منزل القرم أكواخا من بوص ، وبعضها من آجر ، وأما المباني الديزية فكانت بقاياها ، كما في أولى الطبقات ، أربعة حيطان من آجر ، شيدت فوق كثيب من رمل ، لعله أول تعبير عن المنصة المرتفعة التي يعلوها المعبد (الزاقورة) ، والتي سوف تصبح مظهر العبادة في العراق القديم منذ أيام العبيد وما بعدها ، هذا وقد كشفت الطبقات التالية في أريدو عن مبان مختلفة أكثر اتقانا ، تمثل المعبد القديم في العراق ، بما فيه من هياكل وموائد للقرابين^(٧) .

(٢) حضارة الحاج محمد :

يقع موقع حضارة الحاج محمد على على ضفاف الفرات ، على بعد ١٨ كيلا جنوب غرب الوركاء ، ويتميز بأدواته الفخارية العميقة ذات الجوانب المقوسة ، وقد زينت بخيوط مائلة ومتعرجة ومربعة ، هذا ويمثل فخار حضارة الحاج محمد تطورا لفخار حضارة أريدو ، وقد لون بنفس ألوانه (الاسود والبني والاحمر والاصفر) فضلا عن اللون القرمزي القاتم .

وهناك ما يشير الى أن فخار الحاج محمد انما قد تأثر بحضارة

6) A. Jawad, The Aridu Material and Implications, in Sumer, 30, 1974, P. 31-33.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 341

وكذا

A. Parrot, Op. Cit., P. 52-53.

وكذا

7) A. Parrot, Op. Cit., P. 52.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 332-339.

وكذا

H. Frankfort, The Art and The Architecture of The Ancient Orient, 1970, P. 18.

خلف ، أكثر من تأثره بحضارة أريبدو ، سواء أكان ذلك في الشكل أو الزينة أو الصناعة ، يبدو هذا واضحا في أواني «رأس العمياء» الذي امتدت إليه حضارة الحاج محمد ، حيث عثر على آنية فخارية تشبه تماما ذلك الطبق الذي يتوسطه رسم زهرة كبيرة ، والذي يميز حضارة حلف (٨) .

(٣) حضارة العبيد :

تتميز حضارة العبيد — وقد أخذت اسمها من تل يقع على مبعدة بضعة كيلو مترات الى الغرب من «الناصر» قرب أريبدو — تتميز بانتشارها في جنوب العراق وشماله ، ويمثلها في الجنوب : تل العبيد والوركاء ورأس العمياء وتل العقير وأريبدو وأور ولجش والحاج محمد ويمثلها في الشمال : تبة جاور أو تل الاربعية وجبل سنجار وتل البراك ونوزي وتل حسونة ونيروي وتل حلف ، وهذا يعنى أنها شملت كل أرض بابل جنوبا ، وكل أرض آشور وتخومها الشرقية والشمالية والغربية ، حتى حدود الخابور ، وقد أثبتت الدراسة المقارنة لحضارات العبيد الشمالية والجنوبية وجود تشابه واختلاف بين انتاج هاتين الحضارتين ، ولكنهما ينتميان أصلا الى حضارة واحدة ، سرعان ما تأثرت بالبيئة المحيطة بها ، فأعطتها شكلها المعين .

وهناك من الباحثين من يذهب الى أن حضارة العبيد ليست تطورا لغيرها من حضارات العراق القديم السابقة ، وانما هي حضارة مستوردة من الهضبة الايرانية ، جاء أصحابها من غرب ايران في أوائل الالف الرابعة قبل الميلاد ، أو قبلها بقليل ، وذلك اثر حدوث تغير مفاجيء أنشاع الجفاف في مواطنهم الاولى ، وقد عثر من مصنوعاتهم في «أريبدو» على فخار ملون ذي أرضية خضراء شديد الشبه بالفخار المميز لمصنوعات معاصريهم سكان أرض عيلام في جنوب غرب ايران ، وكان أولئك النازحون على معرفة بطريقة البناء باللبن في مواطنهم الجديدة تشجعت

(٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٥ - ٨٢ ، وكذا M. Mallowan, Op. Cit., P. 341-342, 366-367.

هجرة إيرانية أخرى من بنى عمومهم على النزوح الى ما يلي مواطنهم شمالا من بلاد النهرين ، ولو أنه ليس من الضروري أن نفترض أن المسرح قد خلا لهجرتهم حينذاك ، وانما لا يبعد أنه كانت تقابلها في الوقت نفسه هجرات سامية شقت طريقها من الغرب الى بلاد النهرين بالقتال السلمى حيناً ، وبالغزو القبلى حيناً آخر^(٩) .

هذا وقد كشف في شمال الجزيرة العربية أكثر من ثلاثين موقعا ، ينتمى الى حضارة العبيد ، فيها أربعة مواقع عبارة عن أماكن استقرار ، والباقي مناطق سطحية تحيط بالأربعة السابقة ، وتتوزع هذه المناطق على مساحة واسعة داخل المنطقة الشرقية ، وكذا على الساحل ، وتوجد الاولى في العروض الجنوبية ، بينما توجد الثانية في العروض الشمالية ، وان اتفقت جميعا في أن الفخار الملون — وكذا الادوات التى عثر عليها فيها — انما تتشابه جميعا مع مثيلاتها في منطقة العبيد^(١٠) .

وقد أدى ذلك كله الى أن يفترض «الدكتور عبد الله المصرى» وجود علاقات بين سكان شرق شبه الجزيرة العربية ، وسكان جنوب العراق من أولئك الذين كانوا يحترفون الصيد وجمع الغذاء ، وأن مجموعات بشرية من شرق الجزيرة العربية قد هاجرت الى السهل الفيضى القريب منهم ، وساهمت بذلك في ايجاد نوع من التفاعل الثقافى ، ومن ثم فقد كان هناك تبادل بين جنوب العراق وشمال شرق الجزيرة العربية في الادوات الحجرية والمنتجات البحرية ابان عصر العبيد ، وربما أدى هذا التبادل الى هجرات دورية من جانب الرعاة والصيادين أو جامعى الطعام ، وأن التطور الاقتصادى فى كل من المنطقتين (الصيد والجمع وصيد الاسماك فى شرق الجزيرة العربية — والزراعة فى جنوب العراق) قد ساعد على عملية التبادل المادى والحضارى بين الناحيتين^(١١) .

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٤ - ٣٧٥ .

10) Abdullah Hassan Masry, Prehistory in Northeastern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami, Florida, 1974, P. 1-11

11) Ibid., P. 16

وعلى أية حال ، فلقد كان من نتائج فحص مناطق الاستقرار التي تنتمي الى حضارة العبيد في شمال شرق الجزيرة العربية ، أن الجنوب قد سادت فيه حضارة العبيد المبكرة ، بينما سادت في الشمال نفس الحضارة في عصرها المتأخر ، وإن عثر في موقع وحيد — على مقربة من بلدة الهفوف — على فخار يشبه فخار العبيد المبكر ، كما أن الحضارات التي تعاقبت بعد ذلك في جنوب العراق — كالوركاء وما قبل الكتابة — لا أثر لها في تلك المواقع التي عثر فيها على حضارة العبيد في بلاد العرب (١٢) .

وطبقا لعلم الطبقات ، فإن العنصرين الحضاريين وجدا أنهما على علاقة مباشرة ومتتابة في موقع «عين قناص» في الداخل ، وفي جنوب غرب المنطقة الشرقية ، هذا فضلا عن أن تحليل الرواسب من هذا الموقع انما قد أمدنا بدليل مباشر على تواجد سكاني دوري في المنطقة في العصر الحجري .

وهكذا يمكننا أن نستنتج أن حركات سكانية وهجرات دورية حدثت على المدى الطويل تجاه الوادي الغربي في جنوب العراق ، وأكبر الظن أن مواطن الاستقرار التي تنتمي الى حضارة العبيد في بلاد العرب خاصة تلك التي تقع على طول الساحل ، قد تبادلت المواد الخام مع مثيلاتها في جنوب العراق ، فلقد كانت مواد التبادل هذه تتمثل في الاصداف واللآلئ والمنتجات البحرية الاخرى ، فضلا عن المواد الحجرية المنتجة من سواحل الجزيرة العربية ، كما أن وجود حجر الاوبسيديون في مواقع شبه الجزيرة العربية انما هو دليل على العلاقات بين هذه الاخيرة وبين الشمال عن طريق جنوب العراق (١٣) .

12) Ibid., P. 17-18.

وانظر : محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم — الرياض ١٩٧٧ ص ٢٠٤ — ٢٠٨ .

13) A. H. Masry, Op. Cit., P. 19.

ولعل من الالهية بـمكان الاشارة الى أن الفترة التي بدأت تتكون فيها المدن في العراق ، قد توافقت زمـنيا مع فترة اختفاء حضارة العبيد في الجزيرة العربية ، مما يحمل على الظن بأن هجرة كبيرة نـزحت الى العراق القديم في نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد ، وهذا يتفق مع ما افترضه لعلماء من أن تدفق السكان على سهول العراق انما كان حاسما في قيام المراكز المدنية هناك (١٤) .

وأخيرا فهناك وجه ثالث للنظر يذهب الى أن أصحاب حضارة العبيد انما أتوا من المنطقة الشمالية في العراق نفسه (بلاد الاشوريين فيما بعد) .

ولعل من الالهية بـمكان الاشارة الى أن حضارة العبيد انما كانت أول حضارة في العراق القديم تنتشر في الشمال والجنوب ، رغم كونها جنوبية الاصل ، هذا وقد ظهر انتاجها في كثير من المجالات ، مثل صناعة الاواني الفخارية الملونة والمزينة ، مما أدى الى انتشار أنواع راقية نسبيا من الفخار المرسوم ، ثم سرعان ما طغى انتاجها شيئا فشيئا على انتاج فخار حسونة الشمالي ، ووجدت بعض نماذجها في «سامراء» ، على نهر دجلة ، وبادغوص ، على نهر الفرات ، وفي نينوى وفي حسونة نفسها ، وهذا مما يعنى قيام المبادلات والاتصالات بين أهل الشمال وأهل الجنوب ، وقد بلغ من رقة بعض أواني هذا الفخار ما دفع بعض الاثاريين الى التعبير عنها باسم «أواني قشر البيض» .

وعبر مهرة الصناع حينذاك عن فنون عصرهم على أفضل انتاجهم من الاواني الفخارية ، فزينوا سطوحها الخارجية بأشكال تخطيطية متجانسة ، وبألوان حمراء وسمرراء ، واستغلوا بواطنها المتسعة لتصوير مجموعات تخطيطية أيضا يمكن أن تعتبر بعض نماذجها الراقية مفخرة لعصرها — ان صحت نسبتها اليه فعلا — فمن هذه المجموعات الراقية

14) Ibid., P. 20.

التي نقدمها على حذر : مجموعات صورت ست اناث يتوزعن على محيط دائرة تتطاير شعورهن داخلها ، وتحيط بها ست عقارب كبيرة توزعت هي الاخرى على المحيط الدائري لباطن الصفحة ، وليست أشكال النساء هنا غير خطوط تقريبية لا تزيد الرأس فيها عن بقعة سوداء ، ولا يزيد الساقان فيها عن خطين متجاورين ، ولكنها تميزت ، على الرغم من ذلك ، بتناسقها واستدارة خطوط الفخذين فيها والفصل بين الساقين ، وصحفة أخرى صورت فيها أربعة طيور طويلة الرقاب والاجنحة ، توزعت على أركان باطن الصفحة واتجهت نحو مركزها ، والنقط كل طائر منها سمكة بمنقاره ، واستغل الرسام الفراغات بين هذه الطيور ، فوزع حولها مجموعة أخرى من الاسماك في شكل دائرة ، ثم عبر عن مركز الدائرة في الصفحة بخطوط متقاطعة تكاد تقرب من هيئة الصليب المعقوف ، ولم يكن الصانع العبيدي أقل توفيقا في صحفة ثالثة فرسم فيها أربع مثلثات تلاقت رؤوسها على أطراف شكل معين ، واستغلها لتصوير أربع عنزات تصويرا تجريديا لطيفا بالنسبة لعصره (١٥) .

هذا وقد كشف عن كثير من الصناعات في مواقع العبيد الشمالية ، ومنها بعض الادوات النحاسية التي عثر عليها في «تبة جاورا» ، ومنها خاتم صغير وازميل من النحاس ، هذا وقد تميز القسم الشمالي لحضارة العبيد بانتاج أختام الطابع ، وقد عثر عليها في «تبة جاورا» ، وهي تتكون من أقراص بسيطة وأزرار ومربعات من الحجر المتعدد الانواع ، وتحمل هذه الاختام أو طبعتها من الطين رسوم بسيطة من خطوط مستقيمة أو متقاطعة ، كما تتضمن في بعض الاحايين ، أشكالا حيوانية (١٦) .

وكان من أهم انتاج حضارة العبيد الجنوبية ما كان يتصل بمهنتي صيد الاسماك والزراعة ، ومن ثم فقد انتج القوم مسامير منثنية من

(١٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٥ .

(١٦) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣٦ .

طين ، ويرجح البعض أن الغرض منها أن يعلق عليها الصياد صيده من السمك ، وربما شبكة جيدة ، وقد عثر على نماذج ملونة وغير ملونة لهذه المسامير في مواقع أريدو وتل العبيد وتل العقير ، وفي رأس العمياء ، وربما كان في رأس العمياء أدوات صحن بسبب رؤوسها الأكبر حجماً ، كما استخدم القوم المادة الطينية التي وفرتها البيئة المحلية ، وخاصة في الجنوب ، كبديل للآحجار الصلبة والمعادن التي افتقر إليها هذا الجنوب ، وذلك في صناعة الفؤوس والمناجل ، وقد كشف عن العديد من التأثيرات الطينية في الجنوب — كما في أريدو وتل العبيد وتل العقير (على مبعدة ٧٥ كيلاً جنوبى بغداد) — والتي كانت ، فيما يبدو ، ابتكاراً له أهميته العملية ، خاصة عندما تحرق الى درجة عالية لتصبح ذات حادة قاطعة ، فضلاً عن أنه يمكن استبدالها بسهولة حينما تكسر ، وقد ظهرت — لأول مرة — في أولى طبقات حضارة العبيد بموقع أريدو (ط ١٢) ، كما ظهر منها نماذج ملونة في (ط ٩) من نفس الموقع (١٧) .

وأما في مجال العمارة ، فقد شيدت منازل القوم في الشمال من الآجر ، وأما في الجنوب ، فقد استعمل الأهالى الآجر أحياناً ، والبوص والطين أحياناً أخرى ، وقد كشف في تل العقير عن منطقة استقرار من عصر العبيد تضم سبع طبقات ، وكانت في أقدمها (ط ٧) من جدائل البوص ، يليها بناء من الآجر ، وأما في الطبقات العليا من موقع العقير هذا ، فقد بنيت معظم المنازل من قطع الآجر الكبيرة المستطيلة والمتراصة ، وقد بلغ سمك حيطانها أحياناً قرابة المتر ، كما صفت على جانبى ممر أو حارة في صفين متقابلين (١٨) .

هذا وقد وجدت المنازل في «تبة جاورا» (تبة كورا) — وتقع على

17) V. G. Child, Op. Cit., P. 137-138.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 345, 359, 369.

H. Frankfort, Op. Cit., P. 47.

(١٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٩١ - ٩٣ ، وكذا

M. Mallowan, Op. Cit., P. 398.

S. Lioud and F. Safar, in JNES, 2, 1943, P. 137-139, 149.

مبعدة حوالي ٢٠ كيلا شمال مدينة الموصل — مع المعابد في منطقة واحدة ، وكلاهما — المنازل والمعابد — قد بنى بالآجر ، وان أقيم بعضها فوق أسس من حجر ، هذا ويضم موقع «تل الاربجية» — على مبعدة ٨ كيلا شمال شرق نينوى — منطقة سكنية في وسط الجبانة ، وقد كشفت الحفريات عن أربع طبقات من منازل طينية متواضعة ، وقد زودت معظم المنازل بالافران والالوعية الفخارية الكبيرة لخزن الحبوب والماء^(١٩) .

وأما عن مقابر القوم فقد كشفت الحفريات في جبانة أريدو أنها تضم ما لا يقل عن ألف مقبرة ، وتشير بعض الطبقات التي ترجع الى أخريات عصر العبيد الى أن الموتى انما كانوا يوضعون في صناديق من الآجر ، تدفن في باطن الارض ثم يهال عليها التراب وتغلق بالآجر أيضا ، هذا وقد وجدت بعض المدافن الجماعية في جبانة أريدو ، الامر الذي يستدعي بالضرورة اعادة فتح القبر ، بين حين وآخر ، ثم دفع الهياكل العظمية الاسبق ، وبالتالي تتأثر عظامها ، وقد زودت المقابر ببعض الاواني الفخارية التي تتصل بالطعام والشراب كالاطباق والفناجين ، الامر الذي قد يشير الى ايمان بالعالم الاخر ، كما زودت المقابر أيضا بعدد من تماثيل الالهات الامومة الصغيرة ، والتي كان لبعضها رؤوس تشبه رأس الضفدعة أو السحلية ، مما يشير الى تأثر الانسان في جنوب العراق التديم بيئته المستنقعية^(٢٠) .

هذا وقد اهتم القوم كثيرا بدور العبادة ، والتي يمثل بقاياها ما عثر عليه في موقعين رئيسيين ، «أريدو» في أقصى الجنوب ، و «تبة جاورا» في الشمال ، وفي «أريدو» نواجه ، ولأول مرة ، بمظهر معماري جديد ، يتمثل في بناء المعبد فوق تل صناعي ، وتؤدي بعض المنحدرات الى

19) N. Egami, in Sumer, 13, 1957, P. 6-8, 22. 1966, P. 2-5.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 398.

وكذا

20) A. Parrot, Op. Cit., P. 55.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 347, 352.

وكذا

S. Lloyd and F. Safar, Sumer, 4, 1948, P. 117.

وكذا

منصته (٢١) ، وهو تصميم قادر له أن يصبح علما على مباني السومريين الدينية فيما بعد ، وقد شاده القوم لمعبود كان ذا صلة بالمعبود «ايا» الذي اعتبره خلفاؤهم في العصور التاريخية ربا للمياه العذبة ، وتخيلاه مستقرا في أعماقها •

وعلى أية حال ، فلقد كان معبد اريدو هذا متواضعا يناسب عصره ، ويتكون من مقصورة بسيطة (بلغ اتساعها ١٢ × ١٥ قدما) كانت لها مشكاة لتمثال معبودها أو رمزه ، ومائدة لبنية للقرابين وضعت أمام هذه المشكاة ، وتجدد معبد اريدو ، وزاد اتساعه أكثر من مرة خلال عصر العبيد (٢٢) ، ودل تخطيطه في مراحله الناضجة على تطورات جديدة ، فشاده أصحابه من جديد فوق مسطح يؤدي اليه درج ، ويدعو الارتفاع بمثل هذا المعبد فوق المسطح ذي الدرج الى أكثر من فرض واحد ، فهو قد يعتبر مجرد تطور معماري محض في أسلوب بناء المعبد ، أو مجرد اجراء عملي محض للارتفاع بقاعدته عن مستوى الارض الرطبة المحيطة به ، أو يكون تعبيرا دينيا يدل على رغبة أصحابه في التسامي بمعبدهم ومعبودهم الى العلى ، أو يكون تعبيرا عن فكرة شعوبية تدل على أن أصحابه كانوا في بداية أمرهم من سكان المرتفعات الذين عبدوا آلهتهم — آلهة الربوات — فوق قمم جبالهم وهضابهم العالية، فلما تركوا ربواتهم واستقروا في سهول النهرين ، استعاضوا عنها بمسطحات صناعية من صنع أيديهم ، وليس هناك من سبيل الى ترجيح أحد هذه الفروض دون غيره بالنسبة لهذا العصر ، وان كنا سنلاحظ فيما بعد ، أن الفرض الاخير منها قد زكته شواهد متأخرة ظهرت في آثار أواخر بواكير العصر الكتابي، وفي آثار العصور السومرية وأساطيرها •

21) M. Mallowan, Op. Cit., P. 337.

(٢٢) انظر

A. Parrot, Op. Cit., P. 54.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 335-337.

وكذا

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, 1970, P. 19.

وأيا ما كان الامر ، فلقد زاد أصحاب معبد اريدو في محتويات مقصورته ، فأضاعوا مذبحا جديدا على مبعدة من مائدة القربان القديمة، وأحاطوا المقصورة بحجرات جانبية ، وشكلوا واجهة جدران المعبد الخارجية على هيئة مشكاوات رأسية مستطيلة بسيطة ، تعاقبت الواحدة منها بعد الاخرى على مسافات متساوية (٢٣) .

وأما في شمال العراق ، فقد كشف في موقع «تبة جاورا» عن معابد من عصر حضارة العبيد ، و التي يمكن أن تقسم الى قسمين ، الواحد : مبكر ، ويتضمن معابد ذات أشكال مستطيلة مبنية بالآجر ، وتشغل مساحة كبيرة ، وتشتمل على فناء تتوسطه مائدة قرابين ، فضلا عن معابد صممت على الشكل الدائري ، المأخوذ عن حضارة حلف ، والآخر : وهو القسم المتأخر زمنيا ، ويمثله ثلاثة معابد ، شيدت بحيث تواجه أركان كل منها الجهات الاربع الاصلية ، وقد زودت جدرانها بكثير من الركائز ، التي استخدمت كدعامات للجدران ، وقد طليت بعض جدران المعابد بلون أبيض (٢٤) .

(٤) حضارة الوركاء :

تنسب هذه الحضارة الى الوركاء — وتقع شرق الفرات ، قرب مركز السماوة ، وعلى مبعدة ١٢٨ كيلا شمال غربي أور — واسمها القديم «أوروك» (urk) ، وذكرتها التوراة باسم «أرك» ، ونسبت بناءها الى نمرود ، وتتمثل حضارتها في عدة مواقع أثرية في جنوب العراق ، مثل اريدو وأور ولجش وتل العقير ، كما انتشرت في مرحلتها المبكرة في شمال العراق في تبة جاورا ونيوى وتل جرای رش بمنطقة سنجار ، وهي ،

(٢٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٦ ، وانظر

H. Frankfort, Op. Cit., P. 2 F.

Sumer, 3, 1947, P. 84 F, 4, 1948, P. 115 F.

(٢٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ، محمد

عد اللطيف : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠ .

على أية حال ، الحضارة التالية لحضارة العبيد في العراق القديم (٢٥) .

هذا وقد اختلف الباحثون في جنسية أصحاب حضارة الوركاء ، وهن هم السومريون أم الساهيون ؟ فأما السومريون فقد دخلوا العراق في عصور ما قبل الاسرات بوجه عام ، وكان لهم دورهم الحضاري الهام والمتصل بكل من وادي السند وجنوب العراق ومصر في عصر ما قبل الاسرات الاخير .

وأما الساميون فقد سبق لهم الاستقرار أيضا في جنوب العراق ، وكانوا ذوي مكانة خاصة في عصر حضارة الوركاء ، على أساس أن هناك أوجه شبه بين فخار الوركاء والفخار السامي في المواقع السورية والفلسطينية ، وعلى أية حال ، فأكبر الظن أن السومريين والساميين ، فضلا عن عناصر أخرى — عيلامية وجيلاية متسللة من منطقة جبال زاغروس في غربي ايران — انما قد تواجدت في جنوب العراق في تلك الفترة ، غير أن السومريين انما كانوا أصحاب أولوية حضارية ، خاصة في عصر حضارة الوركاء ، وفي عصر حضارة جمدة نصر التالية لها (٢٦) .

هذا ويعد الفخار أهم انتاج عصر الوركاء المبكر ، وهو من أنواع مختلفة ، شكلا ولونا ، فمن ناحية اللون ، فان فخار الوركاء يسوده اللون الواحد ، الرمادي أو الاحمر المصقول كما أن منه الاسود المصقول ، والمزين بنماذج ملونة ، وان كان هذان النوعان الاخيران قليلين ، بل ان الفخار المزين لا يرد في غير الطبقات المبكرة من عصر حضارة الوركاء ، وذلك في موقعي اريدو والوركاء ، ويغلب تزينهما بالشرائط العريضة والاشكال الهندسية البسيطة ، وقد صنع الفخار

(٢٥) هناك من الباحثين من يفسم عصر حضارة الوركاء الى قسمين ، الواحد : الوركاء (١٢ - ٦) ويدخل في نطاق عصور ما قبل التاريخ ، والاخر : الوركاء (٥ - ٤) ويطلق عليه ، وكذا حضارة جمدة نصر (الوركاء ٢-٢) «عصر بواكير العصر الكتابي» (Proto-Literate Period) أو «عصر ما قبيل الكتابة» أو «العصر الشبيه بالكتابة» .
(٢٦) أحمد سليم : المرجع السابق، ص ٢٤١ .

الرمادى من طينة رمادية محمرة ، وهو جيد الاحتراق والصقل وتغطيه قشرة رمادية ، أما الفخار الاسود فأغلبه من طينة نقية حمراء ، وهو على درجة عالية من الاحتراق والصقل ، وتغطيه قشرة حمراء أو طلاء أحمر ، وقد خصصت لاحتراقه أفران كثيرة ، عثر على بقاياها في «أور» (تل المقبر) ، وتنسب الى هذه المرحلة معرفة عجلة الفخار في الطبقة (H) التي أدت الى التحول من الصناعة اليدوية الى الصناعة الآلية (٢٧) .

وهناك الفخار البسيط غير الملون ، وأكثره شيوعا الجرار والآنية ذات الصنابير ، وذات المقابض ، وذات الاذان (٢٨) ، هذا فضلا عن الفخار الذى سمي باسم «الآنية النذرية» وهى آنية خشنة مصنوعة باليد ، وتبدو فى شكل سلاطين تتسع عند الحافة المشطوفة ، وتضيق تدريجيا نحو القاعدة المسطحة ، الى غير ذلك من أنواع الفخار البسيط ، مثل الجرار الطويلة التى تتميز بضيق اتساع الاناء وقصر الرقبة ، فضلا عن الانية ذات الحواف المنثنية الى الخارج بشكل فوهات القوارير (٢٩) هذا وقد انتشر فخار الوركاء شمالا ، وكانت «نينوى» (تل قوينجق فى مدينة الموصل) أول المناطق الشمالية التى كشف فيها «مالوان» عن فخار الوركاء فى المجرى العميق الذى أجراه فى «تل قوينجق» ، كما عثر فى منطقة جبل سنجار على العديد من فخار الوركاء المصقول (٣٠) .

27) S. Lloyd, Uruk Pottery, A Comparative Study in Relation to Recent Finds at Eridu, in Sumer, 4, 1948, P. 44-48.

وكذا

B. Abu-Al-Soof Uruk Pottery from Eridu, Ur and Al-Ubaid, in Sumer, 29, 1973, P.

M. Malloman, Op. Cit., P. 355.

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١١٣ - ١١٤ ، وكذا S. Lloyd, Op. Cit., P. 44, 49.

29) M. Mallowan, Op. Cit., P. 402.

S. Lloyd, Op. Cit., P. 44-45, 49.

وكذا

30) Ibid, P. 401-404.

هذا وقد تميزت هذه المرحلة المبكرة بانتاج عدد أوفر من الادوات النحاسية فى جنوب بلاد النهرين ، وهى — وان كانت أدوات بسيطة مثل الازميل ورأس الحربه وخطاف صيد السمك والابرة — غير أنها أكثر وفرة ، بالمقارنة بانتاج المصنوعات النحاسية من عصر حضارة العبيد .

وأما القسم الشمالى من حضارة الوركاء هذه فكان متفوقا بدرجة كبيرة فى انتاج المصنوعات المعدنية التى لم تقتصر على النحاس ، وانما تضمنت أيضا الذهب والاحجار الكريمة وشبه الكريمة وغيرها ، والتى استخدمت فى أدوات الزينة ، ولعل أفضل ما يعبر عن ذلك ما كشف عنه حديثا فى «تل قالينج أغا» الذى احتوت قبوره من مرحلة حضارة الوركاء الكثير من القطع الذهبية الصغيرة المتنوعة الاشكال ، فضلا عن اعداد كثيرة من حبات العقود والقلائد من الذهب واللازود والعقيق والاحجار شبه الكريمة ، ولعل أروع ما كشف عنه مجموعات فى قبر امرأة غنية ، معظمها من خرز الذهب والاحجار الكريمة ، داخل جرة وجدت فوق رقبة الهيكل العظمى ، وهى عبارة عن قلادة تحتوى على سبع حلقات من الذهب ، وثمانى خرزات ذهبية كبيرة ، وأربع عشرة خرزة ذهبية متوسطة ، وأخرى أسطوانية ، ٣٤ خرزة ذهبية صغيرة ، ١٥ خرزة من المعقيق الاحمر ، ١٥ خرزة من حجر أزرق ، فضلا عن مجموعة من خرز الصدف (٣١) .

هذا ويرجع الى تلك المرحلة أقدم ما عثر عليه من طبوعات طينية لأختام الطابع فى الجنوب ، وهى لختم مربع يحمل شكلا لوعلى ذى قرون ، أسفل المنحدر الصاعد الى معبد الطبقة (١٠) فى زاقورة «أنو» فى الوركاء ، غير أن هذه الطبوعات المبكرة لا تعبر عن أى مدلول كتابى،

(٣١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ، ص ١٢٧-١٢٩، وكذا

V Child Op Cit., P. 149, 161.

M. Mallowan, Op. Cit., P. 361.

Abu-Al-Soof and Es-Siwani, in Sumer, 23, 1967, P. 72.

وانظر : شاه الصبوانى : مجموعة قبور تل قالينج أغا - اربيل - مجلة سومر - العدد ٢٧ لسنة ١٩٧١ ص ٤٧ - ٥١ .

الامر الذى سوف يظهر فى الجنوب فى المرحلة التالية (مرحلة ما قبيل الكتابة) ، ويذهب البعض الى أن بعض أختام هذه المرحلة الأخيرة فى موقعى الوركاء وخفاجى — والتي تحمل أشكال عجالات حربية — إنما تشير الى أن ابتكارا أقل تطورا لعربات ذات عجالات استخدمت فى النقل ، قد سبقها ، وأنه قد أتى من المرحلة السابقة فى الوركاء ، وأنه قد أحدث ثورة فى النقل (٣٢) .

وفى المرحلة الثانية من الوركاء ، بدأ التوصل الى بداية التعبير الكتابى ، الذى انفرد بتقديمه جنوب العراق ، وقد أدى بالتالى الى بداية العصر التاريخى ، هذا وقد بدأت الكتابة فى أول أمرها بسيطة مبدؤها تدوين الاشياء المادية المألوفة برسم صورها ، وهذا ما يدعى «بالكتابة الصورية» ، وقد أخذ القوم ألواح الطين للكتابة عليها ، وهى طرية بقلم من قصب أو خشب ، ورغم أن الطين ظل أهم مواد الكتابة فى جميع تاريخ العراق القديم ، غير أن الكتابة بقلم من قصب أو خشب سرعان ما تطورت الى كتابة على الاحجار أو المعادن ، بالنحت أو النقش ، كما تطور الشكل الصورى باستعمال علامات للتعبير عن المعانى المجردة ، وقد تحولت الكتابة الى علامات تنتهى بما يشبه المثلثات أو المسامير ، ومن هنا كانت تسميتها باسم «الكتابة المسمارية» (الاسفينية) ثم استخدمت مقاطع صوتية لكتابة الكلمات والجمل ، بعد تقسيمها الى مقاطع ، وقد وصلت الكتابة الى بداية المرحلة الصوتية فى أواخر عصر الكتابة ، كما أشرنا آنفا .

هذا وقد شهدت هذه المرحلة تطورات حضارية هامة ، وخاصة فى مجال العمارة الدينية ، التى تميزت بالمعابد الضخمة ، التى أقيمت فوق مساطب صناعية من عدة طبقات هى أصل «الزاقورات» التى وجد لها نموذج فى العقير ، وكانت العمارة تقوم من قبل على كوخ القصب الذى

(٣٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٢٧ — ١٢٨ ، وكذا M. Mallowan, Op. Cit., P. 361.
V. Child, Op. Cit., P. 149, 161.

ظل طويلا يمثل المسكن ، ثم استبدل بالنسبة للمعبود ببيت من اللبن يقوم على أساس من الحجر ، وقد استعيز عن هذا المبنى في الوركاء بحوش له جدران تزينها أعمدة وأنصاف أعمدة ، وبها زخارف في مخاريط فخارية مدهونة باللون الأحمر والأزرق والأبيض ، ويقوم بالقرب من مسكن المعبود برج ضخم هو «الزاقورة» (كبرج بابل المشهور ، وبرج أور المقير ، وبرج بورسبا المسمى الآن برس نمرود وبرج عقرقوف) ، وكان يعلو الزاقورة معبد صغير يشيد فوقها مثلث ، على جدرانه صور ملونة تمثل حيوانات ، وتعد هذه الصور أقدم صور جدارية ، هذا وكان يرقى الى قمة البرج بسلاسل لكل طبقة (٣٣) .

هذا وقد بدأ المجتمع الزراعى منذاً و آخر عصر الوركاء (أو منذ بواكير العصر الكتابي الجديد) يصنع بتصبغة مدنية ، فنشأت فيه بلدان أو مدن صغيرة ، تطورت عن القرى الكبيرة ، وامتازت عما يحيط بها من أراضي الزراعة والقرى العبادية ، باتساع عمرانها اتساعاً نسبياً ، وبأهمية معبدها وقصور حكامها ، وكفاية صناعاتها وفنانيها ، وباتساع مجالات الانتاج وفرص التشجيع فيها ، وإن ظل ذلك كله في حدود نسبية بطبيعة الحال (٣٤) .

(٥) حضارة جمدة نصر :

تنسب هذه الحضارة الى تل صغير ، على مقربة من مدينة «كيش» القديمة ، وقد عثر على نماذج لهذه الحضارة في الوركاء والعقير وتل أسمر وأور وشروباك وتل العبيد وتوبلياس ، ويميز هذه المرحلة تطور فن البناء والنحت والكتابة ، ويعد الشطر الثاني من هذه المرحلة الحضارية أقرب الى العهد التاريخي منه الى عهد ما قبل الاسرات ، وهو

(٣٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٦٦ - ٦٧ ، طه باقر :
المرجع السابق ص ٦٦ ، ٦٨ .
(٣٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٧ .

يقابل في مصر المرحلة الأخيرة من عصر جرزة ، وقيام مملكتي الصعيد والدلتا (٣٥) .

هذا وتتمثل العمارة الدينية لمرحلة جمدة نصر بشكل واضح في «المعبد الأبيض» الذي أقامه أصحابه لمعبودهم «آن» (أنو) إله السماء ، فوق تل صناعي يرتفع نحو ١٢ مترا عن مستوى السهل الممتد حوله ويشرف عليه ، وسوروا جوانب هذا التل بسور ذي مشكاوات ، واعتبروه — فيما يحتمل — بديلا عن أمثال سطح معبد اري-دو ، أو هم اعتبروه على الأرجح ، نموذجا لأصله الجبلي القديم ، و كان يؤدي إلى سطحه طريق صاعد ، ودرج طويل بقى جزء منه ، وتوسط المعبد الأبيض سفح التل ، واستكملت جدرانها هيئة المستطيل (٧٤ × ٥٠ قدما) وتشكلت على هيئة مشكاوات متتالية ، تتعاقب في كل منها عدة مستويات داخلية ، وقد بنيت باللبن كالعادة ، ودعمتها فلولق نخل قصيرة ، ثم كسيت بملاط أبيض ، وتوسطت المعبد مقصورته الرئيسية ، وتضمنت في داخلها عنصريها الرئيسيين ، وهما المذبح ومائدة القربان ، ولكن مذهبها تميز بأنه كان ذا درج ، وبلغ ارتفاعه نحو أربعة أقدام ، وجاور مائدة القربان فيها موقد منخفض نصف دائري ، وأحاطت بالمقصورة بضع حجرات فصلت بينها جدران ذات مشكاوات .

واستمر تل هذا المعبد باقيا حتى احتوته أسوار معبد «آن» (أنو) الكبير في العصور الهلينية ، أى بعد بداية البناء فوقه بنحو ثلاثين قرنا ، و قد يعنى ذلك أنه كان يرتبط بقداسة خاصة عند أهله أدت بهم إلى المحافظة عليه (٣٦) .

وهناك أيضا من مرحلة جمدة نصر بعض المباني الدينية المبكرة في تخوم أرض بابل شرقا ، وتتمثل في الطبقات الخمس المبكرة لمعبد إله

(٣٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٦٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٧٠ .

(٣٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٢ .

القمر «سن» في خفاجي ، وفي أقدم طبقات معبد الاله آنو في «تل أسمر» (اشنونا) ، ويتبين من الطبقة الاولى لمعبد سن في خفاجي أن مخططه يشبه الى حد ما المعبد الابيض في الوركاء ، ويمكن أن نطالع فيه السمات الاساسية للمعبد في جنوب العراق ، وهي الفناء المستطيل الذي يقع الهيكل في نهايته ، وتطل عليه حجرات جانبية ، غير أنه لم يبق فوق منصة عالية ، وأصبح — فيما تدل مباني الطبقة الخامسة — عبارة عن بيت لسكنى المعبود ، أسوة بمنازل البشر التي تجاوره .

وفي اشنونا كشف عن بقايا معبد «آنو» في طبقات يرجع أقدمها الى نهاية مرحلة جمدة نصر ، وهي لمزار صغير ذات تصميم مشوه ، ربما بسبب ضيق المساحة التي أقيم عليها بين منازل القوم ، وان كانت الطبقة التالية — وترجع الى بداية العصر التاريخي — تشير الى إعادة التخطيط على غرار معبد خفاجي ، ويذهب المرحوم الدكتور عبد اللطيف الى أن إقامة معابد خفاجي وشنونا بين المساكن ، وعدم تشييدها فوق منصة عالية ، ربما بسبب طبيعة الارض التي أقيمت فوقها المعابد ، وهي أكثر ارتفاعا ، وبمنجاة عن خطر الفيضان الذي تتعرض له عادة الارض الخفيضة في جنوب العراق ، هذا فضلا عن تفاوت مدى قوة العقيدة في المعبود بين أهل الجنوب وسكان التخوم الشرقية ، الامر الذي تشير اليه المباني الدينية بوضوح (٣٧) .

هذا ويتميز فخار جمدة نصر بأنه مصنوع على عجلة الفخار ، وهو جيد الاحراق والصقل ، ومن أحجام مختلفة ، وأغلب أنيته ذات شكل كروي منتفخ ، ولها قواعد مسطحة أو مقوسة ، وقد زودت فوهاتها في بعض الاحايين بسدادات من الطين ، قد شغلت زينتها الجزء العلوي من الاناء ، بما فيه الرقبة ، وذلك بأشكال هندسية سوداء وحمراء فوق

(٣٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٧ ، أنتلون مورتجات : الفن في العراق القديم — نريحة عيسى سليمان وسليم التكريني — بغداد ١٩٧٥ ص ٦٩ - ٧١ ، وكذا

H. Frankfort, Op. Cit., P. 23.

أرضية فاتحة اللون ، أما باقى الاناء فلا تتجاوز زينته طلاؤه بلون أحمر أو مائل الى الحمرة (٣٨) .

وقد انتشر فخار جمدة نصر في جنوب العراق ، في أور والوركاء وكيش وتل العقير ، وفي التخوم الشرقية في خفاجى وتل أسمر ، كما امتد الى منطقة كركوك ، وربما امتداده - عن طريق التجارة على الأرجح - الى آفاق أبعد في الشمال ، ذلك لأن أقدم فخار نينوى انما يشبه فخار جمدة نصر ، في تزيينها بأشكال هندسية ، وتلون بلون أحمر أو بنى قائم فوق أرضية فاتحة ، وربما انطبق هذا على موقع «تبة جاورا» ، وربما موقع تلوث الثلاثات وتل البراك ، وان قد ساد العراق الشمالي في أخريات عصر جمدة نصر ، وبداية العصر التاريخي في الجنوب ، فخار نينوى (٣٩) .

هذا وقد قدم عصر جمدة نصر كثيرا من نماذج النحت على الحجر ، والتي تلقى بعضها من أضواء على الفكر الدينى والسياسى المبكر في العراق القديم في أخريات عصور ما قبل التاريخ والانتقال الى بداية العصور التاريخية ، ومن هذه النماذج وأمتعها ، ما أطلق عليه «الاناء النذرى» ، وهو آنية أسطوانية من المرمر ، محفوظة الآن في المتحف العراقى في بغداد ، وقد قسمت سطوحها الى ثلاثة صفوف ، وظهرت المعبودة «انانا» في صفها الاعلى ينسدل غطاء رأسها على ظهرها وكتفيها ، وتتدثر بثوب طويل أو ثيال واسع ، وتجمع بيسراها مجامع ثوبها ، بينما ترفع يمينها لتبارك بها سلة فاكهة قدمها اليها أحد كهنتها العراة ، وتلاها

(٣٨) فرج بصمة جى : بحث في الفخار - صناعته وأنواعه في العراق القديم - مجلة سومر ، العدد ٢١ لسنة ١٩٦٥ ص ٢٤ - ٢٥ ، وكذا S Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 151.

H. Frankfort, The Last Predynastic Period in Babylonia, CAH. I, Part 2, Cambridge, 1973, P. 81.

(٣٩) فرج بصمة جى : المرجع السابق ص ٢٤ - ٢٦ . وكذا Abu-Al-Soof, in Sumer, 23, 1967, P. 210, 30, 1974, P. 6-8.

وانظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٤٨ - ١٤٩ .

تصوير رمز معبدها (النباتى ؟) ومجموعات الهدايا الفاخرة التى قدمت اليه ، ثم رجل وامرأة بملابس طويلة ، وشعر مرسى طويل (أو غطاء رأس طويل) يصعدان مسطحى المعبد المسورين ، وشغل الصف الثانى من نقوش الانية عدد من الكهنة العراة حاملى القرايين ، بينما صورت فى صفها الثالث مجموعة كباش ونعاج ونباتات ، وعبرت صور الكباش فيها عن الانواع الشائعة فى عصرها ، فمنها كباش أفقية القرون ، ومنها مرتفعة القرون ، وكلها كباش قصيرة الذبول ذات طيات سميكة تحت رقابها وفى مقدمات صدرها ، ولا تزال نقوش هذه الانية تعتبر خير نقوش أوانى عصرها ، بل ولم يعثر بعد على ما يدانى نقوشها فى آثار عدة قرون تالية لها من الالف الثالث قبل الميلاد^(٤٠) .

وهناك لوحة «صيد الاسود» ، وهى من حجر الجرانيت الاسود ، وقد تحطم طرفاها العلوى والسفلى ، وتضم اللوحة منظرين ، الواحد وهو الاسفل ، يصور فيه الفنان مقاتلا ، يجذب وتر قوسه الكبير ، ليطلق سهمها على أسد سبق أن أصابته سهامه ، وأسفل هذا الاسد يوجد أسد آخر صرخته سهام هذا المقاتل ، هذا الى أن هناك خلف هذا المقاتل أسدا ثالثا صرع بهذه السهام ، ويمثل هذا المقاتل بالزى والسمات المميزة للاحاكم أو البطل ، فهو يرتدى زيا كاسيا يصل الى أسفل الركبة ، ويشد خصره حزام عريض ، وله لحية كثيفة وشعر غزير ربط بالشريط الذى يشبه العقال ، ويدور حول الرأس فوق الجبين ، وأما المنظر الثانى ، وهو الاعلى ، فيصور نفس المقاتل ، على الأرجح فهو يمثل بنفس الزى والسمات المميزة ، ويمسك برمح طويل يتأهب لغرسه فى عنق أسد يثب نحوه مهاجما .

ويذهب «هنرى فرانكفورت» الى أن المادة التى صنع منها لوح صيد الاسود هى الجرانيت ، وقد جلبت الى الوركاء من منطقة خارجية ، لافتقار جنوب العراق الى هذا النوع من الحجر ، ولكنه يتساءل عن

(٤٠) عبد العزيز صالح المرجع السابق ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .

الهدف من تسجيل صيد الاسود ، وهل هو لتخليد ذكرى الصراع مع البيئة في جنوب العراق ، وتهيئة للاستقرار ، ثم التطور الى مرحلة المدنية ؟ فضلا عن جهود طبقة الحكام الاوائل ، ذلك لأنه صور المقاتل في اللوحة بزي وسمات الحاكم أو البطل ، والذين أراد الفنان أن يعبر عن بأسهم في مواجهة الحيوانات الضارية ، وكفاحهم الشاق في سبيل تأمين الحياة في بيئتهم ، وان لم ينجح ناقش اللوح في تصوير النسب الجسمية السليمة لهذين الرجلين (وربما نفس الرجل المقاتل) ، وان نجح الى حد ما في التعبير عن حركة أذرعهما خلال اطلاق القوس وتصويب الرمح ، وصورهما بأنف أقتنى بعض الشيء^(٤١) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى ازدياد مجالات الصلات الخارجية في عصر جمدة نصر في هذه الفترة ، والتي امتدت حتى مصر وبلاد السند ، وأكبر الظن أن الطريق البحري انما كان هو الطريق الذي استخدم في تلك الصلات ، ولعل الايام تكشف لنا في المستقبل عن آثار المحطات الحضارية التي كان على السفن أن تتوقف عندها في سواحل عمان وحضرموت والبحر الاحمر .

على أنه من الجدير بالاشارة الى أن هناك من هذه الفترة مؤثرات حضارية من العراق القديم ، لم يكشف بعض عن مؤثرات مصرية في بلاد النهرين تنتهي الى نفس الفترة ، ويعمل البعض ذلك بسبب صعوبة الملاحة من البحر الاحمر الى البحر الابيض بسبب التيارات البحرية الشديدة في منطقة باب المندب ، غير أن الصلات المصرية البشرية الحامية ، فضلا عن الجوانب الحضارية مع شرق أفريقيا ، وخاصة مناطق الصومال ، في طلب البخورا للازم للطقوس الدينية المصرية ، انما

(٤١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٥٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٠ ، وكذا

H. Frankfort, The Last Predynastic Period in Babylonia, CAH, I, Part, 2, P. 87-88.

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, P. 33-34.

تؤكد قدم تلك الصلات التي استخدمت فيها الطرق البرية والبحرية ، هذا الى جانب أن حقيقة الاتصال بالصومال انما ينطبق أيضا على تلك المحطات الساحلية في شرق وجنوب شبه الجزيرة العربية ، فضلا عن سواحل البحر الاحمر ، للوصول الى حل نهائي للمشكلة^(٤٢) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى تلك الصلات التي كانت بين مصر وجنوب العراق فيما قبل عصر التأسيس وأثنائه ، فلقد أشار كثير من الباحثين الى وجود صلات تجارية وحضارية بين البلدين ، اعتمادا على مجموعة الاوانى الفخارية ذات الصنابير المائلة ، فضلا عن ذات الآذان المثلثة في المستجدة والبدارى ، بمحافظة أسيوط ، والتي تنتمي الى حضارة جمدة نصر ، هذا الى جانب الاختتام الاسطوانية الاربعة التي عثر عليها في «جرزة» بمحافظة الجيزة ، وفي نجع الدير بمحافظة سوهاج ، والتي تنتمي الى حضارتى الوركاء وجمدة نصر في العراق القديم^(٤٣) .

(٤٢) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢١٥ .

(٤٣) رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢١٠ - ٢١١ ، وكذا

H. Kantor, Further Evidence for Early Mesopotamian Relations With Egypt, JNES, XI, P. 239 F.

I.E.S. Edwards, CAH, I, Part, II, 1971, P. 42-43.

H. Frankfort, Op. Cit., P. 101

الباب الثاني

السومريون

الفصل الأول

قصة الطوفان

(١) تقديـم :

من المعروف أن بداية العصر التاريخي في مصر ، انما تختلف عنها في العراق القديم ، ذلك لأن بداية التاريخ المصري القديم انما كانت منذ توحيد مملكتي الصعيد والدلتا في دولة واحدة ، ذلك لأن المصادر المصرية انما قد اعتبرت الملك «نعرمر» (عما - مينا) على رأس الاسرة الاولى المصرية ، فهو - كما تصوره آثاره - قد لبس التاج الابيض لمصر العليا (الصعيد) على أحد وجهي لوحته المشهورة (لوحة نارمر) ، بينما نراه على الوجه الآخر - وكذا على رأس دهبوس له نفس الاهمية - يضع على رأسه التاج الاحمر لمصر السفلى (الدلتا) ، ومن الواضح أنه أول ملك يفعل ذلك في تاريخ مصر كله (١) .

وهكذا بدأ العصر التاريخي في مصر (حوالي عام ٣٢٠٠ ق.م) ، ذلك لأن مصر انما كانت قد بدأت تعرف الكتابة ، وأخذت تسجل حوادثها المختلفة على آثارها ، ومن ثم فقد أصبح اعتمادها الاكبر على ما خلفه المصريون القدامى أنفسهم مسطرا على آثارهم (٢) .

على أن الامر في العراق انما هو جـد مختلف ، حيث يبدأ العصر التاريخي بحادث الطوفان المشهور ، ومن المعروف أن حوادث الطوفانات أو الفيضانات الكبيرة في العراق القديم ، انما كانت من أهم وأخطر المحوادث التي تعتبر بمثابة البداية للعصر التاريخي في بلاد النهرين .

وفي الواقع فان حادث الانتقال الى العصر التاريخي في كل من مصر

1) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 403-404.

وكذا

J. E. Quibell, Hierakonpolis, I, 1900, Pl. XXIX, P. 10, II, 1902, P. 43.

(٢) محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨

ص ٣٣٣ .

والعراق انما يعبر عن أصول المفاهيم السومرية من ناحية ، والمصرية من ناحية أخرى ، فقد كانت عملية النقلة الى بداية العصر التاريخي في العراق القديم عملية بيئية بحثية ، وغير مطمئنة للانسان ومصيره ، مما أدى الى اعتبار هذه الحقبة عمادا تدور حوله الحضارة العراقية القديمة، بينما كان حادث الوحدة السياسية في بداية التاريخ المصري القديم ، مؤكدة لاستقرار الانسان واطمئنانه ، فضلا عن توطيد كيانه السياسي ، وتكوين وتشكيل مدنيته على ذلك المفهوم الواضح طوال العصور الفرعونية •

على أن هناك ظاهرة مشتركة بين مصر والعراق في مرحلة الانتقال الى العصر التاريخي ، وأعنى بذلك التوصل الى التعبير بالرموز ، فالكتابة وسيلة اتصال بين الافراد والجماعات في كافة المعاملات التجارية والخاصة ، فضلا عن تحرير الوثائق الحكومية وتنظيم شئون الدولة ، وقد توصل الانسان في كل من مصر والعراق الى هذه الظاهرة الفكرية الهامة ، واختراع الكتابة الصورية ، الهيروغليفية في مصر ، والمسمارية السومرية في العراق القديم^(٣) •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن قصص الطوفان الكبير الذي أهلك البشرية ، انما تكاد تنتشر انتشارا واسعا في جميع أنحاء العالم منذ زمن جد طويل ، وهكذا انتشرت الروايات عن الطوفان في كثير من مجتمعات الشرق الادنى القديم ، وفي الهند وبورما والصين والملايو وأستراليا وجزر المحيط الهادى ، وفي مجتمعات الهندو الحمر^(٤) ، وطبقا لدراسة «جيمس فريزر» فقد انتشرت قصص الطوفان في قارات : آسيا وأستراليا وأمريكا الشمالية والوسطى والجنوبية — فيما قبل العهد الاوربي — ولكنها قليلة نسبيا في قارة أوربا ، وأقل منها

(٣) رشيد الناضورى : جنوب عربى آسيا وشمال افريقيا — الجزء الاول — بيروت — ١٩٧٧ ص ٢٢١ — ٢٢٢ •

(٤) E. Sollberger, The Flood, London, 1962, P. 11

• في أفريقيا^(٥)

على أن قصص الطوفان — رغم كثرتها وسعة انتشارها — فإنها تختلف فيما بينها اختلافا كبيرا ، فضلا عن أن قسما منها أساطير ، وضعت وضعاً لتفسير بعض العوارض الأرضية كالمخفضات الواسعة في البلاد التي وضعت فيها تلك الأساطير^(٦) ، هذا إلى جانب أنه ليست هناك رواية واحدة أصيلة عن الطوفان الكبير دونت في أفريقيا ، فمثلاً ليس هناك من أثر لهذه القصة في الأدب المصري القديم — وهو دونما ريب أهم الأدب الأفريقية وأكثرها أصالة دون منازع — •

وأما رواية الطوفان في «غينيا الشمالية» فهي أسطورة أكثر منها قصة ، اختلطت فيها الخرافات بالمعجزات ، حتى بات من الصعب علينا مقارنتها بغيرها من قصص الطوفان ، فضلاً عن أنها نقلت إلينا عن طريق المبشرين الأوروبيين ، حتى أصبحنا غير قادرين على أرجاعها إلى أصول غينية أو أوربية ، أضف إلى ذلك أن هناك رواية أخرى يزعم أصحابها أن الرجال قد تحولوا — بعد الطوفان — إلى قرود ، كما تحولت النساء إلى سحالي ، وأن ذيل القرد هو بندقية الرجل ، الأمر الذي يدل بوضوح على مدى التأثير الأوربي الحديث في هذه الأسطورة الأفريقية عن الطوفان ، كما أن الروايات التي اكتشفها الكتاب الألمان عن الطوفان الكبير بين سكان أفريقيا الشرقية ، ليست سوى روايات مختلفة لقصة الطوفان في الكتاب المقدس ، والتي تسربت إلى هؤلاء البدائيين عن طريق المبشرين من النصارى^(٧) •

ومن البدهي أننا لن نناقش هنا كل القصص والأساطير التي دارت

(٥) جيمس فريزر : الفلكلور في العهد القديم — ترجمة نبيلة إبراهيم ومراجعة حسن ظاظا — القاهرة ١٩٧٢ ص ٩١ — ٢١٩ •
(٦) طه باقر : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة — بغداد ١٩٥٥ ص ٤٦٠ •
(٧) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٢٠١ — ٢٠٢ •

حول الطوفان الكبير الذي أغرق العالم وقت ذاك ، ولكننا سوف نقتصر على دراسة قصة الطوفان في المصادر السومرية والبابلية في روايات ثلاث رئيسية تتشابه في خطوطها العامة ، وفي كثير من تفاصيلها ، وأول تلك الروايات نسخة مدونة في السومرية يسمى بطلها «زيوسدرا» الذي أنقذ البشرية من الفناء أثناء الطوفان العظيم ، الذي عم الأرض جميعها. فيما يعتقد الاقدمون ، وجاءت الثانية في ملحمة «جلجاميش» ، حيث قام بطلها المسمى «أوتتا بشتم» ببناء سفينة ضخمة حمل فيها ما استطاع من بشر وطير ومتاع .

ويذهب «جيمس فريزر» الى أن قصة الطوفان السومرية انما تتفق في ملامحها الاساسية ، مع قصة الطوفان البابلية ، كما جاءت في ملحمة جلجاميش التي تتميز عن أختها السومرية بطولها وكثرة حوادثها ، ففي كلتا القصتين قرر اله كبير أن يهلك الجنس البشري عن طريق اغراق الأرض بالامطار ، وفي كليتهما حذر اله آخر رجلا من حدوث الكارثة ، ومن ثم فقد أنقذ هذا الرجل ومن معه عن طريق سفينة أمر ببنائها ، وفي كلتا الحالتين بلغ الفيضان ذروته في اليوم السابع ، وفي كلتا الحكايتين قدم الانسان أضحيته للالهة بعد أن انتهى الطوفان ، ثم رفعت الهة بعد ذلك الى مصافها .

أما الاختلاف الجوهرى الوحيد بين الروايتين ، فيتمثل في اسم البطل في كل منهما ، فهو «زيو سودرا» (Ziusudra) في الرواية السومرية ، وهو «أوتنابيشتم» (Utnapishtim) في الرواية السامية ، وأما الرواية الثالثة فهي قصة «أتراخاسيس» (Atrahasis) نسبة الى اسم الرجل الذي يقوم بدور مشابه لنظيره «زيوسودرا» و «أوتنابيشتم»^(٨) ، ولنتحدث الان عن هذه القصص التي دارت حول

(٨) فاضل عبد الواحد على : الادب - من كتاب حضارة العراقيين - الجزء الاول - بغداد ١٩٨٥ ص ٣٦٠ - ٣٣١ ، جيمس فريزر : الفلكلور في العهد القديم ص ١٠٥ .

الطوفان في العراق القديم :

أولا : قصة الطوفان السومرية

كان الناس يعتقدون حتى أخريات القرن الماضي أن التوراة هي أقدم مصدر لقصة الطوفان^(٩) ، غير أن الاكتشافات الحديثة قد أثبتت أن ذلك مجرد وهم ، حيث عثر في عام ١٨٥٣م على نسخة من رواية الطوفان البابلية ، وفي الفترة فيما بين عامي ١٨٨٩م ، ١٩٠٠م ، كشفت أول بعثة أمريكية قامت بالحفر في العراق عن اللوح الطيني الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان في مدينة «نبيور» (نفر) ، وكان «أرنو بوبل» أول من قام بنشرها في عام ١٩١٤م ، ثم تبعه آخرون ، وإن كانت ترجمة «بوبل» هي الأساس الذي ما يزال يعتمد عليه الباحثون^(١٠) .

هذا ويبدو من طابع الكتابة التي كتبت بها القصة السومرية أنها ترجع إلى عهد الملك البابلي الشهير «حمورابي» (١٧٢٨ – ١٦٨٦ ق م) ، وإن كان من المؤكد أن القصة نفسها إنما ترجع إلى عهد أقدم من ذلك بكثير، ذلك لأنه في هذا الوقت الذي كتب فيه اللوح لم يكن هناك وجود للسومريين ، بوصفهم عنصرا مستقلا ، فقد كانوا قد ذابوا في الشعب السامي ، هذا فضلا عن أن لغتهم كانت من قبل قد أصبحت لغة ميتة، على الرغم من أن الكهنة والكتاب الساميين كانوا ما يزالون يدرسون الأدب القديم والنصوص المقدسة عند القوم ، والمحفوظة في ثنايا تلك

(٩) قدم الباحث دراسة مفصلة عن قصة الطوفان : انظر :
(محمد بيومي مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة - الرياض
١٩٧٥) .

(١٠) انظر :

Arno Poebel, in PBS, V, 1914.

PES, IV, P. 9-70.

وكذا

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 42-44.

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P. 97-98.

L. W. King, Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition, 1913.

T. Jacobsen, in AS, 11, P. 58-59.

الاداب ، ويعيدون كتابتها ، ومن ثم فان الكشف عن رواية قصة الطوفان السومرية انما يدعو الى افتراض أنها انما ترجع الى زمن سبق احتلال الساميين لوادي الفرات ، وأن هؤلاء الساميين انما قد أخذوا هذه القصة ، فيما يبدو ، عن السومريين بعد هجرتهم الى وادي الفرات (١١) .

هذا وتتضمن قصة الطوفان السومرية عدة وقائع هامة ، يتعلق أول ما يمكن قراءته من سطورها بخلق الانسان والنبات والحيوان ، وبأصل الملكية السماوى ، فضلا عن خمس مدن ترجع الى ما قبل الطوفان ، ومن أسف أنه من بين اللوحات التى تتناول القصة لم تبق سوى لوحه واحدة ، وحتى هذه لم يبق منها سوى ثلثها الاخير ، وقد فقدت مقدمة النص ونهايته ، ومن ثم فهو نص غامض فى أكثر نواحيه ، وعلى أية حال ، فان النص انما يتكون فى جملة من ثلاثمائة سطر ، لم يعثر منها الا على حوالى المائة ، ورغم ذلك فانها تقدم لنا الخطوط الرئيسية للنص .

وعلى أية حال ، فبعد ٣٧ سطر ، نلتقى بمعبود يشير الى أنه سوف ينقذ البشر من الهلاك ، وأن الانسان سوف يبنى المدن والمعابد ، ويلى ذلك ثلاثة أسطر غامضة ، ربما كانت تتضمن ما سوف يبذله المعبود فى هذا السبيل ، ثم الحديث عن خلق الانسان والحيوان ، وربما النبات ثم ٣٧ سطر ضائعة نعرف بعدها أن الملكية هبطت من السماء ، وأن خمس مدائن قد أسست ، ثم ٣٧ سطر ضائعة ربما تشير الى اصرار الالهة على الاتيان بالفيضان وتدمير البشر ، وحين يصبح النص مقروءا نجد بعض الالهة غير راضين ، وتجتاحهم التعاسة بسبب القرار القسائى ، ثم نلتقى ببطل القصة «زيوسودرا» الذى يوصف بالتقوى ، وبأنه ملك يخاف الاله ، وينكب على خدمته فى تواضع وحتسوع ، ويطلب النظر الى المكان المقدس ، وهو يقيم بجوار حائط

(١١) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٣ .

يستمتع منه الى صوت معبوده «أنكى» الذى أخبره بالقرار الذى اتخذه
مجمع الالهة بارسال الطوفان «لاهلك بذرة الجنس البشرى» •

ولعل من المؤكد أن ما يلى ذلك تعليمات مسهبة الى «زيوسودرا»
ببناء سفينة هائلة لينقذ نفسه من الهلاك ، غير أن هذا كله ناقص لوجود
كسر كبير فى اللوحة ، بما كان يشغل • ٤ سطرًا ، ومن ثم فنحن ننتقل
فجأة من موضوع تحذير الاله للانسان الى موضوع الطوفان ، فيصف
اللوحة العاصفة والامطار ، وقد ثارت جميعا ، ثم تستمر الرواية فتقول
«وبعد أن هبت العاصفة الممطرة على الارض سبعة أيام وسبع ليال ،
يكتسح الفيضان فيها الارض ، ويدفع الفلك قدما على المياه المضطربة ،
ثم يظهر بعد ذلك اله الشمس «أوتو» وهو يسكب الضوء على السماء
والارض ، وعندما تخرق أشعة الشمس السفينة ، يرى «زيوسودرا»
نور ربه ، ويعلم بصفحه ، يخرج من الفلك ويسجد للرب مضجيا له
بفحل وثاة» •

ويلى ذلك كسر يشغل ٣٩ سطرًا ، ثم تصف الاسطر الباقية كيف
نفث الاله روح الخلود فى «زيوسودرا» مستقرا بأرض دلمون ، حيث
تشرق الشمس ، أى حيث القوة القاهرة للموت ، دلمون التى هى مركز
المخلق فى الاساطير السومرية ، جنة الخلد ، «أرض دلمون مكان طاهر ،
أرض دلمون مكان مقدس ، ثم يوصف «زيوسودرا» بعد ذلك بأنه
«الشخص الذى حافظ على سلامة الجنس البشرى» •

ويحتمل من سياق لوح صغير أى «زيوسودرا» كان قد تلقى الحكمة
عن أبيه «شورباك» بن «وبار — توتو» أحد ملوك ما قبل الطوفان ، وقد
كرر فى وصايا لولده أن يتقبل نصائحه ، وأن يعمل بها ، وأن لا يحيد
عنها (١٢) •

(١٢) صمويل نوح كريم : أساطير العالم القديم — ترجمة أحمد
عبد الحميد ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة ١٩٧٤ ص ٩٧ ،

ولعل سائلا يتساءل : أين دلمون هذه التي تحدثت عنها قصة الطوفان السومرية ؟

في الواقع أن العلماء مختلفون حول موقع «دلمون» السومرية هذه ، فذهب فريق الى أنها في الجهة الجنوبية الغربية من بلاد فارس (أى الجزء الشرقى من ساحل الخليج العربى) ، على أن هناك وجهها آخر للنظر يذهب الى أنها منطقة وادى السند ، بينما يذهب وجه ثالث للنظر الى أنها سهول العراق الكائنة الى جنوب بابل ، بل ان هناك وجهها رابعا للنظر يذهب الى أنها فى القسم الشرقى من شبه جزيرة العرب ، فى المنطقة فيما بين «مجان» و «بيت نيسافو» ♦

على أن جمهرة المؤرخين انما يتفقون — أو يكادون — على أن موقع «دلمون» انما هو جزيرة البحرين الحالية ، أو جزيرة البحرين والساحل المقابل لها (١٣) ♦

صموئيل نوح كريم : من ألواح سومر : ترجمة طه باقر ، ومراجعة أحمد فخرى — القاهرة ١٩٥٧ ص ٢٥٢ — ٢٥٩ ، جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٥ ، رشيد الناضورى : المرجع السابق ص ٢٢٢ — ٢٢٤ ، محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة — الرياض ١٩٧٥ ص ٣٨٥ — ٣٨٨ ، محمد عبث القادر : قصة الطوفان فى أدب بلاد الرافدين — القاهرة ١٩٦٥ ص ١١٠ — ١١٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٩ ، وكذا

E. O. James Mythes et Rites dans le Proche-Orient Ancien, Paris, 1950, P. 247.

J. Mougayrol et J. M. Aynard, La Mesopotamie, Paris, 1965, P. 58-59.

W. G. Lambert, Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1960, P. 92 11.

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1960, P. 42-44.

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P. 97 F.

S. Langdon, Semitic Mythology, 1930. P. 206-208.

(١٣) محمد دبيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٩٠ ، جون الدر . الاحبار تتكلم — ترجمة عزت زكى ص ٣٠ ، وكذا

J. Finegan, Light from The Ancient Past, Princeton, 1969, P. 32.

P. B. Cornwall, On The Location of Dilmun, in BASOR, 103, 1946, P. 3-11.

=

وسؤال البداهة الان : هل هناك من الادلة من الادلة اثريسة في العراق ما يثبت قصة الطوفان السومرية هذه ؟

ليس هناك من ريب — بعد الاكتشافات الحديثة — أن هذه الادلة الاثرية قد وجدت ، فاقدر عشر «سير ليونارد وولي»^(١٤) في حفائره في خرائب «أور» — وهى تل المقير الحالية على مقربة من محطة القطار في الناصرية ، وعلى مبعدة ١٦ كيلا شرقى نهر الفرات ، ١٩٠ كيلا شمال مدينة البصرة الحالية — وذلك في عام ١٩٢٩م على طبقة من الغرين السميكة والرواسب الخالية من الاثار ، فيما بين ٦٩ مترا ، ٢٥ مترا ، فوق مستوى سطح البحر ، وقد اعتبر ذلك دليلا ماديا على الطوفان السومري ، نظرا لكثافة تلك الطبقة الغرينية ، وتوافقها الزمنى الى حد كبير مع النصوص السومرية ، هذا الى جانب أن تلك الطبقة الغرينية انما تقع فوق آثار تنتمى الى عصر حضارة العبيد ، والتي تمثل عصر ما قبل الاسرات الاولى في جنوب العراق .

هذا وقد اتجه «وولي» بعد ذلك الى الحفر في موقع بعيد عن «أور» بحوالى ٣٠٠ ياردة من ناحية الشمال الغربى للبحث عن مدى امتداد تلك الطبقة الغرينية ، وكانت نتيجة الحفر ايجابية ، مما أدى الى القول بوجهة النظر المشهورة في ارتباط تلك الطبقة الغرينية السميكة بالطوفان الذى ذكرته الكتب المقدسة^(١٥) .

S. N. Kramer, Dilmun, The Land of The Living, in BASOR, 96, 1944, P. 18-28.

S. N. Kramer, The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Paradise Land Expedition, Philadelphia, 1964, P. 45.

F. Hommel, Grundris, I, P. 250.

14) C. L. Woolley, Ur of The Chaldees, London, 1950, P. 22-29.

C. L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 26-36.

(١٥) وردت قصة طوفان نوح عليه السلام في التوراة في سفر التكوين في الاصحاحات من ٦ الى ٩ ، وفي القرآن الكريم في سورة الاعراف (٥٩ - ٦٤) ويونس (٧١ - ٧٣) وهود (٢٥ - ٤٩) والانبياء (٧٦ - ٧٧)

على أن أستاذنا الدكتور الناضوري انما يرى أنه لا ينبغي الجزم بصورة حاسمة في هذا الشأن ، ذلك لأن جنوب العراق القديم قد واجه الكثير من الفيضانات والطوفان ، فهناك أدلة غرينية على فيضان أو طوفان كبير في «شوروباك» (فارة) يرجع الى نهاية عصر جمدة نصر ، وآخر في «كيش» (تل الاحيمر) ، وهكذا بات من الصعب علينا المقارنة بين تلك الطوفانات ، وأيها هو الذي يتفق مع قائمة الملوك السومرية ، ولعل فيضان «شوروباك» أكثر قربا منها على أساس أن تلك القائمة قد أشارت الى المدينة الاخيرة ، كآخر مدينة قبل حدوث الطوفان ، ولكن في نفس الوقت علينا ألا نستبعد كلية طوفان أور ، ذي الطبقة السميكة للغاية ، أضف الى ذلك ان عدم العثور على الطبقة الغرينية الموازية في كافة المدن السومرية انما يدفع الى الاتجاه باحتمال كون الطبقة الغرينية التي عثر عليها «وولي» في أور ، انما هي مجرد ترسيب محلي ، ليس له الصفة الشاملة (١٦) .

وهناك من الادلة أيضا على حدوث طوفان قائمة الملوك السومرية ، والمكتوبة بالخط المسماري بعد عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد (١٧) ، أو في فترة لا تتأخر كثيرا عن منتصف عهد أسرة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) ، وربما قبيل عهد «أوتو حيجال» من أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق.م) (١٨) ، وان كان يبدو أنها نسخت عن قوائم

والمؤمنون (٢٣ - ٣٠) والشعراء (١٠٥ - ١٢٢) والعنكبوت (١٤ - ١٥) والصفات (٧٥ - ٨٢) والقمر (٩ - ١٧) ثم سورة نوح ، فضلا عن ذكره في مواضع متفرقة من القرآن الكريم (انظر : محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية في القرآن الكريم - الجزء الرابع - بيروت ١٩٨٨ ص ٧٣ - ١٠١) .

(١٦) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ٢٢٥ - ٢٢٦ ، تقى الدباغ : حضارة العراق - الجزء الاول - بغداد ١٩٨٥ ص ١٤٠ ، وكذا H. W. F. Saggs, The Greatness That was Babylon, London, 1962, P. 34-35.

J. Finegan, Op. Cit., P. 24.

17) S. L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 14.

18) CAH, I, Part, 2, P. 998, (Chronological Table of The Sumerian Period).

قديمة ، ربما ترجع الى أخريات العهد الاكدي (٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق م) ، وعلى أية حال ، فانها تتضمن معلومات تاريخية ترجع الى بداية العصر التاريخي في العراق القديم ، وربما ترجع الى أقدم من ذلك (١٩) .

وتبدأ قائمة الملوك السومرية بقولها : «عندما أنزلت الملكية من السماء أصبحت أريدو مقرا للملكية» ثم تذكر القائمة ثمانية ملوك حكموا قبل الطوفان في خمس مدن هي : أريدو ، و «بادتبييرا» (نل المدائن قرب تلالو) و «لارك» (الوركاء) و «سييار» و «شوروباك» ، وأن هؤلاء الملوك قد حكموا ٢٤/٢٠٠ سنة ، وأن آخرهم كان «وبار - توتو» ، أنه قد حكم في مدينة «شوروباك» لمدة ١٨٦٠٠ سنة ، ثم جاء من بعدهم الطوفان الذي أغرق الأرض ، وبعد زوال الطوفان هبطت الملكية من السماء ثانية ، وأصبحت كيش مقرا للملكية ، ثم تعود القائمة مرة أخرى الى ذكر أسماء المدن التي حكمت العراق القديم بعد ذلك (٢٠) .

هذا ورغم الأرقام الاسطورية التي تقدمها قائمة الملوك السومرية كفترة لحكم ملوكها ، حتى بات من الصعب علينا أن نعرف منها متى انتهى العصر الاسطوري ، ومتى بدأ العصر التاريخي ؟ ، رغم ذلك ، فإن الوثيقة ، دونما ريب ، انما تحمل بين طياتها كثيرا من المعلومات التاريخية الصحيحة ، ومع ذلك ، فما يهمنا هنا وفي الدرجة الاولى ، أن الوثيقة انما تتحدث بوضوح عن طوفان يفصل بين فترتي حكم ، الواحدة

19) J. Finegan, Op. Cit., P. 29.

S. L. Woolley, Op. Cit., P. 14.

وكذا

(٢٠) انظر عن قائمة الملوك السومرية : (محمد عبد اللطيف : المرجع

السابق ص ٢٤٥ - ٢٥١ ، وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, 1970, P. 328-331.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 265-267.

وكذا

G. A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, P. 346 F.

J. Finegan, Op. Cit., P. 29-30.

S. L. Woolley, Op. Cit., P. 249-253.

T. Jacobsen, The Sumerian King List, Assyrian Studies, 11, 1939.

سابقة له ، والثانية تالية له ، تبدأ بنزول الملكية مرة ثانية من السماء الى كيش ثم الوركاء ، ثم أور ، ولعل في هذا دليلا واضحا على أن قائمة الملوك السومرية انما تعتبر حادث الطوفان الخطير ، بمثابة كسر في عملية استمرار تاريخ العراق القديم ، و من ثم فهو حد فاصل بين عصور ما قبل التاريخ والعصر التاريخي .

ولعل مما تجدر الإشارة اليه أن الادلة الاثرية التي عثر عليها في طبقات مدينتي أريدو والوكاء لتثبت حقيقة ما نصت عليه وثيقة قائمة الملوك السومرية ، من حيث انتقال السيادة السياسية في جنوب العراق بين تلك المدن (٢١) .

هذا ويعتبر «سير ليونارد وولي» هذا الطوفان — موضوع الحديث، طوفانا كبيرا مروعا ، لا مثيل له في أى عصر لاحق من تاريخ العراق القديم ، ومن ثم فقد ظل عالقا بأذهان الاجيال التالية ، ومعروفا لديهم باسم «الطوفان» صحيح أن هناك في أور ، وفي مواضع أخرى من بلاد النهرين ، ادلة على فيضانات مؤقتة ومحلية ، حدثت في أوقات مختلفة من تاريخ العراق القديم ، وفي بعض الاحيان لم تكن أكثر من نتيجة لأمطار هطلت في منطقة محدودة ، ولكنه صحيح كذلك أن الطوفان الذى وضع نهاية لحضارة العبيد ، ما يتفق في توقيته مع التاريخ السومري الذى وصل الينا عن طريق التقاليد ، وأنه بعينه الطوفان الذى تحدثت عنه قائمة الملوك السومرية ، وهو الطوفان الذى روته التوراة في سفر التكوين .

على أنه يجب أن لا يفهم أن القصة السومرية صحيحة بحذافيرها ، صحيح أن الخلفية حقيقة تاريخية ، ولكنه صحيح كذلك أن التفاصيل قد زخرفها المؤلف السومري — وكذا فعل صاحبه العبرى — ببيانات وأوصاف تتفق وهدف كل منهما من كتابتها ، فمثلا تقول التوراة أن الماء

(٢١) رشيد الناضورى : المرجح السابق ص ٢٤٧ .

قد ارفع ٢٦ قدما، وهذا — فيما يبدو — صحيح الى حيد كبير كما أن القصة السومرية تصف انسان ما قبل الطوفان بأنه كان يعيش في أكواح من بوص ، وهذا أمر قد أثبتته الحفائر في العبيد وفي أور ، وأن نوحا — في رواية التوراة — قد بنى فلكه من خشب خفيف لا ينفذ منه الماء، ولا يؤثر فيه ، وأنه قد طلاه من داخل ومن خارج ، وهو أمر قد أثبتته الحفائر (٢٢) .

وهناك من الادلة أيضا ما حدثنا عنه «سيرليونارد وولى» من أنه قد وجد في «أور» أسفل طبقة المباني السومرية ، طبقة طينية مليئة بقدور من الفخار الملون ، وقد اختلطت بها أدوات من صوان وزجاج بركاني ، وكان سمك هذه الطبقة حوالي ٣ أمتار تقريبا ، أسفل المباني الطينية التي يمكن تأريخها بحوالي عام ٢٧٠٠ ق.م ، وأن أور قد عاشت أسفل هذه الطبقة في عصر ما قبل الطوفان ، ولم تجر حتى الآن حفائر على نطاق واسع في هذه المنطقة ، وكل ما أمكن اثباته هو وجود مدينة قبل الطوفان ، وأن الفخار الملون قد اختفى .

ويذهب «وولى» الى أن السبب في اختفاء هذا الفخار الملون الذي كان منتشرا في بلاد الوافدين قبل الطوفان اختفاء تاما ، مرة واحدة ، هو أن الطوفان قد قضى تماما على سكان هذه البلاد ، وحتى من بقى منهم حيا ، فقد فقد القدرة على الانتاج ، فجاء شعب جديد ، هم السومريون ، الى تلك البلاد الخالية ، وأسسوا حضارة جديدة ، وكان فخارهم مصنوعا على دولاب الفخار ، بدلا من الفخار المصنوع باليد ، الذي كان سائدا في عصور ما قبل الطوفان ، كما استعملوا الادوات المعدنية ، بدلا من الصوان (٢٣) .

ولعل سائلا يتساءل : هل كان الطوفان السومري هذا طوفانا عاما أغرق الدنيا كلها ؟ أم كان مقصورا على جنوب العراق ؟

22) Sir Leonard Woolley, Excavations At Ur, London, 1963, P. 34-36.
(٢٣) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٦ - ٩٧ .

والرأى عند «سير ليفنارد وولى» بأن هذا الطوفان لم يكن طوفانا عابثا عم الكون بأسره^(٢٤)، وإنما كان مقصورا على الحوض الأسفل لنهرى الدجلة والفرات ، وأنه قد أغرق المنطقة الصالحة للسكنى هناك بين الجبال والصحراء — والتى كانت بالنسبة للسكان الذين يعيشون فيها بمثابة العالم كله — وأن المساحة التى شملها الطوفان ربما كانت (٤٠٠ ميلا طولا ، ١٠٠ ميلا عرضا) وأن الغالبية العظمى من السكان قد أغرقهم الطوفان ، وأن القوم قد رأوا أن هذه الكارثة بمثابة عقاب من الاله بسبب آثام الناس وخطاياهم ، وأن قلة نادرة قد نجت ، وأن رأس هذه القلة قد نظر اليه كبطل للقصة ، وهو هنا «زيوسودرا»^(٢٥) .

ثانياً : قصة الطوفان البابلية

وفى الواقع أن قصة الطوفان البابلية ليست قصة واحدة ، وإنما ثلاثة ، الواحدة : ملحمة جلجاميش ، والثانية : قصة بيروسوس ، والثالثة : قصة اتراخاسيس .

(١) ملحمة جلجاميش :

لقد ظل العالم لا يعرف شيئاً عن قصة الطوفان البابلية ، الا من خلال رواية «بيروسوس» التى كتبت باللغة اليونانية فى القرن الثالث قبل الميلاد ، الى أن عثر «رسام» H. Rassam فى عام ١٨٥٣ م على نسخة من رواية الطوفان البابلية فى مكتبة الملك «أشور باينبال» (٦٦٨

(٢٤) ترى جمهرة الباحثين أن جميع الطوفانات — السومرية والبابلية ، فضلا عن طوفان نوح عليه السلام ، الذى جاء ذكره فى التوراة والقرآن العظيم ، إنما كانت خاصة ، ولم تكن عامة ، كانت فى جنوب العراق فحسب (انظر : محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة — الرياض ١٩٧٥ ص ٤٣٦ — ٤٥١ ، دراسات تاريخية من القرآن الكريم — الجزء الرابع — فى العراق — بيروت ١٩٨٨ ص ٨٣ — (١٠١) .

25) S. L. Woolley, Op. Cit., P. 36.

وكذا W. Keller, The Bible As History, London, 1967, P. 50-51.

— ٦٢٦ ق.م) في العاصمة الاشورية «نينوى» ، ترجع الى القرن السابع قبل الميلاد .

وفي الثالث من ديسمبر عام ١٨٧٢م ، أعلن «سيدنى سميث» نجاحه في جمع القطع المتناثرة من «ملحمة جلجاميش» بعضها الى بعض ، مكتوبة في اثني عشر نشيدا ، أو بالاحرى لوحا ، ومحتوية على قصة الطوفان في لوحها الحادي عشر (٢٦) .

وأما «جلجاميش» هذا ، فهو أحد الملوك الذين ورد اسمهم في ثبت ملوك أسرة الوركاء الاولى ، التي لا نعرف عنها سوى أسماء ملوكها ، وقد صار بعضهم — مثل جلجاميش — موضوعا لقصص وملاحم شعرية ، ويرجح العلماء أن هؤلاء الملوك قد حكموا في العراق — في مدينة الوركاء — قبل عصور فجر الاسرات أو في بدايته (٢٧) ، على أننا نستطيع أن نعين تاريخا تقريبا لعهد جلجاميش عن طريق قطعة من المرمر محفوظة الان في المتحف العراقي ببغداد — وان كانت مجهولة الاصل — كتب عليها «مى — براج سى» ملك كيش ، وقد ثبت أنه الملك الثانى والعشرون من أسرة كيش الذى حارب ضد جلجاميش — خامس ملوك الوركاء — كما تحدثنا أسطورة جلجاميش وأجا السومرية (٢٨) .

ويذهب «جورج روكس» الى أن «مى — براج سى» هو أقدم حاكم سومرى معروف لنا ، واذا ما اعتبرنا أن «سرجون الاكدي» كان يعيش في الفترة (٢٣٧٠ — ٢٣١٥ ق.م) ، فانه من الممكن تقدير تاريخ حكم «مى — براج سى» بحوالى عام ٢٧٠٠ ق.م ، كما يمكن اعتبار ذلك التاريخ بداية العصر التاريخى في العراق القديم ، ومن ثم فان

(٢٦) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٦ — ٩٧ ، وكذا M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, P. 371.

(٢٧) طه باقر : المرجع السابق ص ٤٥٩ .

(٢٨) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم — الجبرء السادس ص ٢٦٥ — ٢٦٧ ، وكذا

S. N. Kramer, ANET, P. 44-47.

جلجا ميش انما كان يعيش بعد هذا التاريخ بفترة ليست بعيدة على
آية حال (٢٩) •

هذا ويمكن تلخيص ملحمة جلجاميش في السطور التالية ، والتي
يؤلف خبر الطوفان جزءا منها : —

تبدأ قصة الطوفان ، بعد أن ينتهي جلجاميش من قصته ، التي فقد
في أخرياتها صديقه «أنكيدو» ، ذلك أن جلجاميش كان ملكا حكيما واسع
المعرفة ، شجاعا جريئا ، ولكنه كان ظالما مستبدا ، ومن ثم فإن الالهة
قد خلقت له «أنكيدو» ليدفع عن الناس ظلمه ، غير أن الصراع بينهما
لم يحسم في مصلحة واحد منهما ضدا لآخر ، ومن ثم فقد تم الصلح
بينهما ، وقام الاثنان بمغامرات كثيرة ، ثم مات «أنكيدو» فجأة ، فحزن
جلجاميش لفقده ، ثم أسلمه الحزن الى المرض ، وظل خائفا يترقب
مصيره المحتوم ، وإن كان في الوقت نفسه بدأ يفكر في وسيلة يتقن بها
غائلة الموت ، وهكذا هداه تفكيره الى البحث عن جده «أوتنابيشتم» بن
(وبار — توتو) ليسأله عن كيفية امكان أن يكون الانسان الفاني مخلدا ،
فقد كان على يقين من أن «أوتنابيشتم» على علم بهذا الامر ، ذلك لان
الالهة قد رفعتة الى مصافها ، وجعلته يسكن بعيدا في مكان ما ، متمتعا
بنعمة الخلود •

ويتحمل جلجاميش من أجل تحقيق بغيته هذه رحلة مضمينة خطيرة ،
يلتقى في أثناءها برجل وامرأة في شكل شعبانين يحرسان جبلا ، فضلا عن
اختراقه طريقا مفرعا مظلما لم تطأه قدما انسان من قبل ، ثم يعبر بحرا
مترامى الاطراف ، وأخيرا يلتقى باحدى الالهات فيطلب منها أن تدله
على مكان جده «أوتنابيشتم» ولكنها — وقد علمت هدفه — تسدى اليه

(٢٩) محمد أبو المحاسن عصفور : معالم تاريخ الشرق الادنى القديم
ص ٣٤٩ — ٣٥٠ ، وكذا

Sir Leonard Woolley, Op. Cit., P. 14.

George Roux, Ancient Irag, 1980, P. 119-120.

النصح قائلة : الى أين تسعى يا جلجاميش ، ان الحياة التى تبغى لن تجدها ، ذلك لان الالهة لما خلقت البشر جعلت الموت من نصيبهم . واستأثرت هى وحدها بالخلود ، لتكون مبتهجا ليل نهار ، ولتجعل كل يوم من حياتك يوم فرح وحبور ودلل الطفل الذى يمسك بيدك ، أدخل السرور الى قلب المرأة التى فى أحضانك . . . فهذا هو نصيب البشر ، ومع ذلك فان جلجاميش يصر على سؤاله ، فلا تجد الالهة الا أن تجيبه الى ما يريد .

ويلتقى جلجاميش بجده «أوتنا بيشتم» فيطرح سؤاله عن كيفية تحقيق الانسان للخلود ، وهنا يجيبه «أوتنا بيشتم» : هل بنينا بيتا يقوم الى الابد ؟ هل عقدنا عهدا على أن نستمر الى ابد الابد ؟ لم يكن هناك خلود منذ القدم ، ما أعظم الشبه بين الميت والنائم ، ألا تظهر على وجهيهما هية الموت ؟ ، وهكذا مصير السيد والعبد حتى ينتهى أجلهما فى هذه الدنيا .

وحين يتعجب جلجاميش من هذه الاجابة من شخص كان هو نفسه انسانا فانيا ، ثم أصبح مخلدا فيما بعد ، كان على «أوتنا بيشتم» أن يشرح له كيف استطاع هو نفسه أن يهرب من المصير المحتوم لكل انسان فقص عليه قصة الطوفان الكبير التى تجرى على النحو التالى :

قال أوتنا بيشتم لجلجاميش : سوف أكشف لك يا جلجاميش عما خفى من الامر ، سوف أخبرك بسر الالهة ، «شوروباك» مدينة أنت تعرفها على ضفاف الفرات ، و هى مدينة قديمة قدم الالهة التى أتت بها ، عندما انتوت الالهة احداث الطوفان ، كان من بينهم «آنسو» أبوهم ، و«انليل» الشجاع ، مستشارهم ، و«نينورتا» مساعدهم ، و«اينوجى» مفتش القرع ، وكان حاضرا معهم «نينجيكو — أيا» والذى أعاد قولهم الى كوخ القصب (ربما يعنى مسكن أوتنا بيشتم) : يا كوخ القصب ، يا حائط ، يا حائط ، اصغ يا كوخ القصب، استمع يا حائط ، يا رجل شوروباك ، يا ابن «وبار — توتو» .

اهدم هذا البيت وابن فلكا ، دع الاملاك وانقذ حياتك ، اهجر المتاع
ودع الروح حية وأحمل على ظهر الفلك بذرة كل شيء حتى ، والفلك التى
ستبنيها ستكون أبعادها حسب هذا المقياس ، عرضها مثل طولها ، واجعل
سقفها كسقف الايسو (العالم السفلى) ، ففهمت وقلت لمولاي «ايا» :
نعم يا مولاي ، ان ما تأمر به يشرفنى أن انفسذه ، لكن بـم الجيب
المدينة : الناس والشيوخ *

ففتح «ايا» فاه ، وأجاب خادمه قائلاً ، لى أنا : قل لهم : علمت
أن الليل يعاديني ، ومن ثم فلا أستطيع أن أقيم في مدينتكم ، أو أضع
قدمي في أملاك انليل ، ومن ثم فسوف أنزل الى الاعماق ، وأسكن مع
مولاي «ايا» ، وأما أنتم فسوف ينزل عليكم مطرا مدرارا خير
الطيور وأندر الاسماك ، وسوف تمتلئ الارض بمحاصيل كثيرة ووفيرة ،
ومع انبثاق الفجر تجمعت الارض من حوالى (النص مهشم)
..... وحمل الصغار القار ، وجاء البالغون بكل ما احتجنا اليه *

وفي اليوم الخامس أقيمت هيكلها (أى السفينة) ، وكانت أرضيتها
فدانا كاملا ، وكان ارتفاع كل حائط من حوائطها ١٢٠ ذراعا ، وطول كل
ضلع من السطح ١٢٠ ذراعا ، وبنيت هيكل جوانبها وربطتها الى بعضها ،
وجعلت فيها ستة أسطح ، قسمتها الى سبعة طوابق ، وقسمت أرضيتها
تسعة أجزاء ، ودققت سدادات المياه بها ، وجهازتها بما نحتاج اليه من
المؤون ، وصببت في الفرن ست سار (الसार = ٨٠٠ جالون) من القار ،
كما صببت كذلك ثلاثة سار من الاسفلت ، وثلاثة سار من الزيت ، نقله
حاملو السلال ، فضلا عن سار من الزيت استهلكته القلطة ، كما خزن
الملاح سارين من الزيت ، وذبحت ثيرانا للناس ، ونحرت ماشية كل
يوم ، وأعطيت العمال عصير فواكه ، ونبيذا أحمر ، وآخر أبيض ، وكأنه
مياه النهر ، ليشرّبوا وكأنهم في عيد رأس السنة ، وفتحت
الدهون ، لوضعها في يدي *

وأكمل الفلك في اليوم السابع ، وكان انزاله الى الماء بالغ الشقة ،

حتى أنهم اضطروا الى دفع اللواح الارضية من أعلى ومن أسفل ،
حتى أمكن انزال ثلثي هيكله الى الماء ، وحملتها بكل ما عندي ، حملتها
بكل ما لدى من فضة ، حملتها بكل ما لدى من ذهب ، حملتها بكل
ما أهلك من الكائنات الحية ، وكل عائلتي وذوي قرباي ، أركبتهم الفلك ،
وكذا حيوان الحقل ووحوشه ، وكل الصناع أركبتهم معي .

وقد حدد لي «شمس» (شماس) وقتا معيننا ، عندما ينزل الموكل
بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ، أصدع الى الفلك وأوصد بابه ، وجاء اليوم
الموعود ، وأنزل الموكل بالزوابع ليلا مطرا مهلكا ، وأخذت أرقب وجه
السما ، وكان منظر العاصفة مخيفا يثير الرعب ، فصعدت الى الفلك
وأوصدت بابه ، وعهدت الى النوتى «بوزور — أمورى» بقيادة الفلك ،
وبسدد جميع منافذه .

ومع انبثاق الفجر ، ظهرت في السماء غمامة سوداء ، وأرعد «أداد»
من داخلها . و تقدمها «شولات» و «هانيش» كنذير فوق التل والسهل ،
ونزع ايرجال (رجال اله العالم السفلى) الاعمدة (أى الاعمدة الخاصة
بسدد العالم) ، وجاءت «نينورتا» وجعلت السدود تفيض ، وحمل
«أنوناكى» المشاعل ، وجعلوا الارض تشتعل نارا ، ووصل الذعر من
«أداد» الى عنان السماء ، فأحال النور الى ظلمة ، وانصدعت الارض
الواسعة ، وكأنها جرة ، وهبت عاصفة الجنوب يوما كاملا بسرعة عنيفة
حتى أخفت الجبال ، وحلت بالناس وكأنها حرب ، فلا يرى الاخ أخاه ،
ولم يعد الناس يعرفون من في السماء .

وخشى الالهة الطوفان ، فأجفلوا وصعدوا الى سما «أنو» (أعلى
سما في النظرية العالمية عند الاكديين) حيث ربضت كالكلاب على
الاسوار الخارجية ، وصرخت عشقار ، وكأنها امرأة جاءها المخاض .
وناحت سيدة الالهة ذات الصوت الشجى بصوت عال : واحسرتاه ، لقد
تحولت الايام الخوالى الى طمى ، لأنى لعنت الناس فى مجمع الالهة ،
ولكن كيف ألعن الناس فى مجمع الالهة ، وأعلن حربا لفناء الناس ، بينما

أنا التي وهبتهم الحياة ، انهم يملأون البحر كبيض السمك ، وبكى آلهة «أنوناكى» معها ، وجلس الالهة جميعا يكون في ذلة ، وقد التصقت شفافهم بعضها ببعض ، واستمرت ريح الفيضان تهب ستة أيام وست ليال ، وعاصفة الجنوب تكتسح الارض •

وفي اليوم السابع سكنت عاصفة الجنوب عن الحرب التي شنتها ، وكأنها جيش من الخيالة ، وهذا البحر ، وسكنت العاصفة ، وتوقف الطوفان ، وتطلعت الى الجو ، فاذا السكون شامل ، واذا الناس وقد تحولوا الى طين ، واذا الارض قد تشققت وكأنها جرة ، ففتحت كوة وسقط الضوء على وجهي ، فجلست وبكيت وسالت دموعي على وجهي وتطلعت الى الدنيا في عرض البحر ، في كل من الاقاليم الاربعة عشر (الاثنى عشر) طلع نجم •

واستوت الفلك على جبل نيصير^(٣٠) ، وأمسك جبل نيصير بالفلك ولم يدعها تتحرك ، ويوم ، ثم يوم آخر ، وجبل نيصير يمسك بالسفين فلا

(٣٠) تصف النصوص البابلية القديمة جبل نيصير (نيزير) بأنه بين الدجلة والزاب الاسفل ، وحيث سلسلة جبال كردستان في شرق الدجلة ، وعلى أي حال ، فهو يمكن توحيدده بجبل بئر عمر جدرون
J. Finegan, Op. Cit., P. 35. وكذا
W. Kelled, Op. Cit., P. 57. وكذا
E. Speizer, AASOR, 8, P. 7, 17-18. وكذا

ولعل من الجدير بالاشارة الى أن المصادر الاسلامية تكاد تجمع على أن طوفان نوح عليه السلام انما بدأ وانتهى في العراق القديم ، فهناك رواية نذهب الى أن التنور انما كان بأرض الكوفة ، وأخرى تذهب الى أنه كان بأرض الجزيرة ، وثالثة تذهب الى أن سفينة نوح انما بدأت رحلتها من «عين وردة» و «عين وردة» هذه ، فيما يرى ياقوت ، انما هي رأس عين المدينة المشهورة في الجزيرة فاذا أضفنا الى ذلك ما جاء في القرآن الكريم من أن سفينة نوح قد استوت على الجودي - الجودي جبل يقع شرق جزيرة ابن عمر ، الى جانب دجلة عند الموصل وان كل هذه الاماكن الآنفة الذكر انما تقع في العراق ، فمن البدهى اذن أن رحلة سفينة نوح ، انما بدأت وانتهت في العراق (تاريخ الطبري ١٩٠/١ ، الكامل لابن الاثير ٧٠/١ ، الدابة والنهاية لابن كثير ٢١١/١) .

تستطيع حراكا ، ويوم خامس ، ثم يوم سادس ، وجبل نيصير يستمسك بالسفين فلا تستطيع حراكا ، فلما كان اليوم السابع أطلقت حمامه ، فذهبت وعادت وعز عليها أن تجد مكانا ظاهرا تحط عليه ، ثم أطلقت «سنونو» ، غير أنه عاد لم يكن ثمة مكان طاهر يحط عليه، ثم أطلقت غرابا فذهب ورأى الماء يتناقص فأكل وعب ودار ، ولم يعد ، ثم أطلقت الجميع الى الرياح الاربعة ، وضحيث وأرقت سكببة على قمة الجبل ، ونصبت ٤ أقذار ، وعلى صحاف قوائمها كومت القصب وخشب الارز والآس ، فشمت الالهة المرائحة الزكية ، وتكأكأت حول الاضاحى ، وعندما وصلت سيدة الالهة (عشتار) نزعَت المجوهرات العظيمة التى لا أنسى حقا عقدا اللآزورد الذى فى عنقى ، فسوف أذكر هذه الايام ولا أنساها ليتقدم الالهة الى القربان ، ما عدا «انليل» فانه لا يتقدم ، لأنه أحدث الطوفان دون روية ، وقاد شعبى الى التهلكة •

ولما جاء «انليل» ورأى الفلك عز عليه ذلك ، وامتلأ غضبا على آلهة «اجيجى» (الهة السماء) ، وقال : هل نجت روح ، ما كان لبشر أن يبقى ، ففتح «نينورتا» فاه ، وقال : من غير «ايا» يفسى الخطط ، فانه يا «انليل» الباسل ، يعلم كل شئ ، وفتح «ايا» فاه ، وقال لانليل البطل : أنت يا أحكم الالهة ، أيها البطل ، كيف تحدث الطوفان دون روية ، على الاثم وزر اثمه ، وعلى المعتدى وزر اعتدائه ، كن رحيمًا ، والا قطع ••••• كن صبورا ، والا أقصى •••••

- ليت أسدا هب وقلل من بنى الانسان ، بدلا من أن تأتى بالطوفان
- ليت ذئبا هب وقلل من بنى الانسان ، بدلا من احداث الطوفان
- ليت مجاعة هبت وقللت من بنى الانسان ، بدلا من احداث الطوفان
- ليت طاعونا هب وقلل من بنى الانسان ، بدن من احداث الطوفان

لست أنا الذى أفشيت سر الالهة العظام ، بل جعلت «أتراخاسيس» (حكيم الحكماء — اوتنابيشتم) يرى حلما كشف فيه سر الالهة ، فاقض فيه ما أنت قاض ، وعنئذ صعد انليل الى ظهر السفين ، وأمسك بيدي

وأخذنى الى ظهرها ، وأخذ زوجتى وجعلها تركع بجانبى ، ووقف بيننا ليباركنا ، وقال : لم يعد أوتنابيشتم بشرا ، وانما سيكون وهو وزوجه أشبه بنا معشر الارباب ، وعلى ذلك أخذونى وأسكنونى بعيدا عند مصاب الانهار ، ولكن أنت يا جلجاميش من يجمع لك مجمع الالهة ، ليهبوا لك الحياة الى الابد (٣١) .

(٢) قصة بيروسوس :

كان هناك فى النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد ، وابان حكم الغزاة السلوقيين ، وعلى أيام الملك «أنتيوخس الاول» (٢٨٠ - ٢٦١ ق.م) على وجه التحديد ، أحد كهنة المعبود «مردوك» البابلى ، يدعى «بيروسوس» (Berossos) قد كتب تاريخ العراق القديم ، منذ أول الخليقة والطوفان وحتى عهد الاسكندر المقدونى (٣٥٦ - ٣٢٣ ق.م) ، باللغة اليونانية فى ثلاثة أجزاء .

ومن أسف أن كتابات «بيروسوس» — شأنها فى ذلك شأن كتابات المؤرخ المصرى «مانيتو» (٣٢) (٣٢٣ - ٢٤٥ ق.م) — والتي تقدم وجهة

(٣١) محمد بيومى مهران : قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة ص ٣٩٥ - ٤٠١ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٨ - ١١٠ ط١ ، باقر : المرجع السابق ص ٤٦٧ - ٤٧٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٤٧ - ٣٥٩ ، جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٧ - ١٠١ .
S. Langdon, Semitic Mythology, 1931, P. 210-223.

T. Gray, Near Eastern Mythology, New York, 1969, P 47-60.

S. N. Kramer, The Deluge, in ANET, 1966, P. 42-44.

S. N. Kramer, Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944, P. 97-98.

T. Jacobsen, in Assyriological Studies, II, Chicago, 1932, P 58-59.

J. Finegan, Op. Cit., P. 33-36.

E. A. W. Budge, The Babylonian Story of The Deluge and The Epic of Gilgamesh, N. Y., 1920.

A. Heidel, The Gilgamesh Epic and Old Testament Parallels, 1949

E. Cambell Thompson, The Epic of Gilgamesh, 1930.

(٣٢) انظر عن المؤرخ المصرى «مانيتو» (محمد بيومى مهران :

مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٦٥ - ٦٨ ، وكذا

W. G. Waddle, Manetho, With an English Translation, Cambridge, London, 1940)

المنظر القومية ء تاريخ العراق القديم ، لم تصل اليها كاملة ، وكل ما وصلنا منها مقتطفات حفظها لنا المؤرخون المتأخرون من الاغارقة ، ومن حسن الحظ أن هذه المقتطفات كانت تحتوى على قصة الطوفان البابلية ، والتي تجرى أحداثها على النحو التالى : —

فى عهد الملك «أكسيوثروس» ، وفى ليلة ما ، رأى هذا الملك ، فيما يرى النائم ، أن الاله «كرونوس» يحذره من طوفان سوف يغمر الارض ، ويهلك الحرث والنسل ، فى اليوم الخامس عشر من شهر «دايسيوس» — وهو الشهر الثامن من السنة المقدونية — ومن ثم فان عليه أن يكتب تاريخ البشرية منذ بدايتها ، وأن يدفن ما يكتبه فى مدينة «سييار» (تل أبو حبة) بلد الشمس ، حتى لا يضيع فى طوفان سوف يدمر كل شىء . كما أمره أيضا أن يبني فلكا يآوى اليه .

ويسأل «أكسيوثروس» ربه عن المكان الذى يبحر اليه بفلكه هذا ، فاذا به يجيبه «الى الالهة ، ولكن بعد أن تصلى من أجل خير الناس» ، ويصدق الملك بالامر ، ويبني فلكا طوله مائة و ألف ياردة . وعرضه أربع مائة وأربعون ياردة ، يجمع فيه كل أقربائه وأصحابه ، ويختزن فيه زادا من اللحم والشراب ، فضلا عن الكائنات الحية من الطيور وذوات الاربع .

ويغرق الطوفان الارض ، وعندما ينحسر عنها يطلق الملك سراح بعض الطيور التى ما تلبث أن تعود اليه ثانية ، ثم يطلقها بعد أيام ، فاذا بها تعود وأرجلها ملوثة بالطين ، وفى المرة الثالثة لا تعود الطير الى الفلك ، ويعلم الملك أن المساء قد انحسر عن الارض ، وينظر من كوة فى السفين فىرى الشاطئ الذى يتجه اليه ، وهناك تستقر الفلك عند جبل ، حيث ينزل الملك وزوجه وابنته وقائد الدفة .

ويسجد الملك لربه شكرا ، ويقدم القرابين ، ثم يختفى هو ومن معه ، ويبحت الذين ما يزالون فى الفلك عن الملك ورفاقه ، ولكنهم لا يجدون

لهم أثرا ، وحين يجدون في البحث عن المختفين يسمعون صوتا يدوى في الهواء ، ويطلب منهم أن يتقوا الالهة ، ويكفوا عن البحث عن المختفين ، لأن الالهة قد اختارتهم لكي يسكنوا الى جوارها •

ثم يأمرهم نفس الصوت بالعودة الى بابل ، والبحث عن الكتابات المدفونة هناك ، وأن يوزعوها فيما بينهم ، كما أخبرهم الصوت أن الارض التي يقفون عليها ، انما هي أرض أرمنيا ، وهكذا عاد القوم — دون المختفين — الى بابل ، واستخرجوا الكتابات المدفونة في «سيبار» ، وشيدوا مدنا كثيرة ، وأعادوا الارض المقدسة وعمرها بابل بنسلهم (٣٣) •

(٣) قصة أتراخاسيس :

كُشف عن هذه القصة على لوح مهشم في مدينة «سيبار» أثناء عمليات الحفر التي قامت بها الحكومة التركية ، ويرجع تاريخه الى حوالي عام ١٩٦٦ قبل الميلاد ، وبطل القصة هنا هو «أتراخاسيس» (أترام خسيس) ، وهي تشير بوضوح الى أن الطوفان انما كان آخر سلاح تلجأ اليه الالهة للحد من تكاثر البشر ، بغية القضاء على صخبهم الذي صار يقض مضاجع الالهة ، ويسبب انزعاجها ، وكان انليل — اله الجو والرياح — هو الممرض على القيام بسلسلة من الاجراءات المتلاحقة لاهلاك البشر ، وقد استطاع انليل في المرة الاولى اقناع الالهة بانزال الامراض والابئة بين الناس في جميع أنحاء البلاد ، وفوضت الالهة «نمتار» للقيام بالمهمة ، وسرعان ما انتشر الوباء في انبلاد ، وأخذ يلتهم الناس التهاما ، وعنفذ استنجد «أتراخاسيس» بناله الحكمة «ايا» ليخلص الناس من هذه المحنة فأوصى «ايا» بأن يقوم الناس ببناء معبد للاله «نمتار» وأن يقدموا له الهدايا والنذور ، «وعنفذ سوف يرفع نمتار يده عنهم» •

(٣٣) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ٩٤ - ٩٥ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٤٠١ - ٤٠٣ •

غير أن الناس سرعان ما تكاثروا من جديد ، وتزايد ضجيجهم في البلاد ، ومن ثم فقد قرر انليل أن يرسل عليهم الجفاف والمجاعة ، فأصدر أوامره الى «أدد» أن يحبس المطر ، والى «أيا» أن يمنع تدفق المياه من الينابيع ، والى «نيسابا» الهة الحنطة «أن تمنع فيض ثدييها» ، كما أمر أن تهب الرياح لتلفح وجه الارض ، وأن تتلبد الغيوم ، ولكن دون أن تنهمر قطرة من مطر ، وهكذا حلت المجاعة سنوات ست .

على أن الاله «أيا» سرعان ما تأخذه الشفقة بالناس ، فيسمح بتدفق المياه من المحيط السفلى ، لارواء الارض وتخليص الناس من الجفاف ، الامر الذى كان سببا في غضب «انليل» ، وفي أن يصمم على أن تؤدي جميع الالهة القسم لارسال الطوفان الاعظم ، وتدمير ارض ، ومن عليها وما عليها ، غير أن اله الحكمة «أيا» الذى عرف بحبه للناس ، رفض أن يربط نفسه بالقسم ، بل وأنذر رجلا تقيا حكيما من سكان «شروباك» (فارة) بالاستعداد للحدث الخطير الذى بات يهدد أهل الارض جميعا . وتلقى رجل شروباك الامر بالطاعة ، وبدأ يحشد كل الطاقات لانجاز المهمة ، وبعد سبعة أيام استطاع أن يصنع السفينة التى أسماها «منقذة الحياة» ، ثم حملت بالبشر والحيوانات والمؤون .

وسرعان ما جاء الطوفان الهائل ، رعد يشق عنان السماء ، أعاصير مدمرة ، تعصف وتزمرجر ، «مثل نهيق حمار الوحش» ، فيضان عارم تخور مياهه ، كما يخور الثور ، وظلام دامس ودمار في كل مكان من الارض ، حتى أن الالهة نفسها تراجعت لهوله ، مذعورة الى أقصى السموات ، واستمرت الحال السيئة هكذا طوال سبعة أيام وسبع ليال ، قضى الطوفان فيها على كل من في الارض من مخلوقات «فأصبح الناس يملأون البحر ، كأنهم صغار السمك» .

غير أن هلاك الناس على هذا النحو ، انما كان سببا في ندم شديد ، وحزن عميق من الالهة ، وخاصة تلك التى عرفت بحبها للناس ، مثل

الاله «أيا» والالهة «عشتار» ، ثم هدأ البصر ، وسكنت العواصف ،
وانتهى الطوفان •

وعندما خرج رجل الطوفان من السفينة لأول مرة بعد أربعة عشر
يوما من دخوله ، سكب الماء المقدس على قمة الجبل ، وقدم القرابين
للآلهة ، الذين «تجمعوا حول مقدم القربان كالذباب» ، وبعد أن التهموا
القرابين ، وندموا على ارسال الطوفان ، منحوا رجل السفينة وزوجه
الخلود (٣٤) •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن رواية أخرى لقصة
الطوفان قديمة كل القدم ، اكتشفت في مدينة «نيبور» (٣٥) في أثناء
عمليات الحفر التي قامت بها جامعة بنسلفانيا الامريكية ، وقد دونت
هذه الرواية على كسرة من الفخار غير المحترق ، وقد ذهب الاستاذ
«هيلبرخت» — اعتمادا على أسلوب الرواية ، وعلى المكان الذي عثر
عليها فيه — الى أن هذه الرواية لم تدون الا بعد عام ٢١٠٠ قبل
الميلاد •

(٣٤) فاضل عبد الواحد على : الادب — من كتاب حضارة العراق —
الجزء الاول — بغداد ١٩٨٥ — ص ٣٢٠ — ٣٣٨ •

(٣٥) نيبور : تقع نيبور — وهي نمر الحالية — على مبعده ١٦٠ كيلا
جنوبي بغداد ، وفي منتصف المسافة تقريبا بين المدينتين القديمتين «كيش»
و «شورباك» ، وتعتبر نيبور من أهم المراكز الثقافية السومرية في العراق
القديم ، ورغم أنها لم تكن أبدا مقرا لآية سلطة سياسية ، فقد كانت أكبر
مدينة مقدسة ، وربما أكبر مركز ديني في بابل ، كما أن «انليل» اله
المدينة انما كان رئيس مجمع الآلهة البابلي ، هذا وقد أمدتنا الحفائر التي
أجراها عدد من المعاهد الامريكية منذ عام ١٨٨٩م ، بآلاف من اللوحات
المكتوبة والجذاذات التي صنف في الانف الثالثة والثانية قبل الميلاد ، والتي
تدل بوضوح على مدى انتشار الثقافة السومرية ، كما تغطي مراحل تاريخ
المدينة حتى العصر الفرثي ، (ليوأوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٥٠٠ —
٥٠١ ، وكذا

J. P. Peters, Nippur, in Excavations on The Euphrates, 2 Vols, 1897.

H. W. Hilprecht, The Excavations in Assyria and Babylonia, 1903, P.
289 F.

KFTS, P. 277.

هذا وقد أشارت الرواية الى أن الاله قد ظهر ليذيع نبأ حدوث
طوفان سوف يكتسح البشرية جمعاء وفي الحال ثم حذر من هذا
الطوفان شخصا بعينه ، وطلب منه أن يبني فلكا كبيرا ، ذا سقف قوى،
لينجو فيه بحياته ، كما أمره أن يأخذ معه في الفلك صنوفا من الحيوانات
الاليفة ومن طيور السماء(٣٦) .

(٣٦) جيمس فريزر : المرجع السابق ص ١٠٢ .

الفصل الثاني

السومريون

(١) تقديـم :

تقع بلاد سومر وأكد في الوادي الاسفل لنهرى دجلة والفرات ،
والى جنوبها وغربها تقع الصحراء الغربية والخليج العربى الذى كان
يمتد في أيام سومر المبكرة شمالى مجاورات أريدو ، وربما كان نهر دجلة
يكون أصلا حـدا طبيعيا من ناحية الشرق ، وهى الناحية التى كان من
الممكن التوسع من ناحيتها ، وربما كان الطمع فى التوسع نحو الشرق
كان السبب فى الصراع مع عيلام ، وأيا ما كان الامر ، فان مدى النفوذ
السومرى والاكدى انما كان يمتد الى المنحدرات السفلى للتلال
العيلامية ، ومن ثم فان المساحة التى كانت تشغلها سومر وأكد لم تكن
كبيرة •

وتتكون أرض سومر وأكد من سهل فيضى ، وتعتمد الحياة فى هذه
المنطقة على نهرى دجلة والفرات ، واللذين كانا يغيران مجراهما
باستمرار ، ولكن مجرى دجله — بسبب ضفافه العالية المتينة نسبيا —
أقل عرضة للتغيير من الفرات ، الذى يبدو تغيير مجراه واضحا فى
الأكوام التى تمثل المواقع القديمة للمدن ، والتى تمتد فعلا على مجارى
جافة الى شرق المجرى الحالى ، فالأكوام التى تمثل أبو حبة وتل
ابراهيم والاحيمر ونفر ، انما تمثل مواقع مدن سيبار وكوتا وكيش
ونيبور على التوالى ، وكلها تقع شرق النهر •

ومن ثم فانه مما تجدر ملاحظته أن مدن سومر وأكد ، انما كانت
تقع جميعا على ضفاف الفرات ، أو أحد أو بعض روافده ، وليست على
ضفاف الدجلة ، فيما عدا «أوبس» أبعد مدن أكد الى الشمال ، ويذهب
البعض الى أن ذلك انما يرجع الى أن جريان دجله سريع ، وأن ضفافه
عالية ، وأن هذين الامرين معا انما يشكلان عقبة تحول دون استثماره
فى الرى ، بنفس الدرجة التى يستثمر بها الفرات الذى ييسر ذلك الامر

بسبب ضفافه المنخفضة وسهولة وصول مياهه الى الارض المحيطة به مباشرة ، أو حتى عن طريق القنوات الصناعية ، هذا فضلا عن بطء جريان مياه النهر نسبيا في شهور الصيف •

ولم يكن هناك حد فاصل طبيعي بين سومر وأكد ، كالحدد الذي يفصلهما معا عن اقليم آشور وميزوبوتاميا في الشمال ، وكان النصف الشمالي الشرقي يحمل اسم «أكد» ، كما كان القسم الجنوبي الشرقي عند رأس الخليج العربي يعرف باسم «سومر» •

ولعل أول ظهور لاسمى سومر وأكد في النصوص العراقية القديمة انما يرجع الى عهد ملوك أور ، الذين أطلقوا على أنفسهم لقب «ملوك سومر وأكد» (Lugal Ki-en-gi Ki-uri) والذي ترجمه الاكديون الى لغتهم (Shar Mat Shumerim u Akkadim)

وفي عام ١٨٦٩م ذهب بعض الباحثين الى أن كلمة «أكد» في لقب «ملك سومر وأكد» انما تعنى تلك الاقوام التي تتكلم لغة سامية ، سواء أكانوا أكديين أم بابليين أم آشوريين ، بينما تدل كلمة «سومر» في اللقب ذاته على أولئك الذين تعود اليهم النصوص المدونة باللغة غير السامية •

ومع ذلك فالمعروف أنه منذ عصر موغل في القدم قد أطلق أهل الجنوب على بلادهم اسم «كلم» (Kalam) أى الارض ، وعرف حاكم البلاد باسم «ملك الارض» ، أما العالم خارج هذه البلاد فكان يعرف باسم «كوركور» ، وكان لقب الاله انليل «لوجال كور كورجى» أى ملك البلاد ، ويعنى العالم المسكون أو بمعنى أدق «البلاد الاجنبية» •

وانا لنلتقى في نصوص «أياناتوم» و «لوجال زاجيزى» و «أنشاج كوشانا» بلفظ «كى ان جى» الذى يعنى سومر أو شومر على الاصح ، وقد حرقت الكلمة الى «كنجى» ، وتعنى كذلك «البلاد» أو «الارض» ، ويقصد بها «شومر» (Shumer) •

وأما كلمة «أكد» أو «أكادو» (Akkadu) إنما هي النطق السامي لكلمة «أجاد» Agade وهو الاسم القديم للمدينة ، ويرجع اطلاق الاسم على القسم الشمالى الى فترة لاحقة بسبب تزايد سلطان المدينة فى عهد «شارجانى شارى» و «نارام سن»^(١) .

(٢) الموطن الاصلى للسومريين :

قام ، وما يزال ، جدل طويل بين العلماء حول جنس وموطن السومريين الاصلى ، ولعل السبب فى ذلك انما يرجع الى أن التمييز بين السومريين والاكديين وغيرهم من الاقوام التى سكنت جنوب العراق القديم ، انما يمكن أن يكون لغويا أكثر منه عرقيا ، بل ان هناك من يذهب الى أن الدراسات الانثربولوجية لبقايا الهياكل العظمية التى عثر عليها فى المقابر السومرية انما تشير الى عدم وجود ما يمكن تسميته بالعرق أو الجنس السومرى ، وانما هناك خليط يتمثل فى قوم ذوى رؤوس طويلة ، وهو ما يعرف بجنس البحر المتوسط ، وآخرين ذوى رؤوس مدورة ، وهو السائد فى أوروبا الوسطى وأرمينيا .

هذا الى أن الحفريات الاثرية فى المدن السومرية المختلفة قد أثبتت أن هذه الاقوام من سومريين وأكديين انما قد مارست جميعا أنظمة سياسية وأعرافا وعادات اجتماعية متشابهة ، فضلا عن معتقدات وطقوس دينية واتجاهات فنية متشابهة أيضا ، وبعبارة أخرى ، فقد كانوا جميعا جزءا من حضارة واحدة نشأت وازدهرت فى جنوب العراق ، تعرف اليوم باسم «الحضارة السومرية» ، ومن ثم فنحن نقصد بكلمة «سومرى» هؤلاء الذين كانوا يتكلمو اللغة السومرية ، ونقصد بكلمة «أكدى» تلك القبائل التى كانت تتكلم اللغة السامية ، وموطنها الاصلى شبه الجزيرة العربية .

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ٨٧/٥ - ٩٥ / ، أحمد سليم : المرجع السابق ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، فاضل عبد الواحد : السومريون والاكديون - كتاب العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ٦٣ - ٦٤ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٩٠ ،

على أن هذا الفاصل اللغوي لم يكن أبدا حلا لمشكلة أصل السومريين ، ذلك لأن اللغة السومرية انما هى لغة منفردة لا يمكن ارجاعها الى عائلة لغوية حية أو مندثرة ، وقد ذهب فرض حديث الى تقريبها الى مجموعة اللغات التى تأخذ بطريقة الالتصاق (Agglutination) — مثل المجموعة الآسيانية أو مجموعة الأورال طاي ، و التى منها اللغات الصينية والتركية والمجرية والفنلندية — وفيها تتكون الجملة الفعلية من عدة عناصر بعضها ملصق بالبعض الآخر ، فهناك أداة الجملة الفعلية التى تكون عادة فى المقدمة ، ثم جذر الفعل الذى يسبقه أو يلحق به ضمير الفاعل ، وهناك أدوات أخرى للدلالة على زمان ومكان حدوث الفعل ، ويتعبير آخر ، فان الجملة الفعلية عبارة عن كلمة مركبة من عدة مقاطع ، أما الاسم فتلصق به عدة أجزاء ، كضمائر الملكية وأدوات الإضافة وحروف الجر ، فضلا عن الاداة الدالة على الفاعل عندما يكون الفعل متعديا ، الأمر الذى يؤدى الى ظهور تغيرات صوتية بسبب هذا الالتصاق ، ومع ذلك ، ورغم أن الالتصاق صفة لغوية معروفة فى عدد من اللغات القديمة كالعلامية مثلا ، والاحديثة كالتركية مثلا ، فان اللغة السومرية ليس لها ما يشبهها من حيث المفردات والقواعد والنحو فى أية لغة أخرى ، ومن ثم فقد بقى أصل السومريين مشكلة مثيرة للجدل لم تستطع الدراسات اللغوية أو الأنثروبولوجية أو الأثرية حلها ، وإن كان المؤرخون يتفقون على أنهم جنس غير سامى ، وأن لغتهم غربية لا تشبه اللغات السامية ، ولا يعلم زمن مجيئهم الى بلاد النهرين ، وإن رأى البعض أن ذلك ربما كان فى فترة مبكرة من الألف الرابعة قبل الميلاد^(٢) .

وانطلاقا من كل هذا ، فهناك عدة آراء بشأن الموطن الأصلي للسومريين ، فهناك رأى يذهب أصحابه الى أن السومريين ربما جاءوا عن طريق البحر الى جنوب بلاد النهرين فى العصر السابق للوركاء ، أى فى عصر العبيد ، وأنهم سكنوا فى أول الأمر فى «دلمون» (البحرين) التى

(٢) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٦٥ - ٦٧ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٨٦ .

تحتل مكانة بارزة في التراث السومري ، ثم نزحوا بعد ذلك شمالا في اتجاه القسم الجنوبي من وادي الرافدين الذي عرف فيما بعد باسم «بلاد سومر» ، وذلك اعتمادا على العناصر الحضارية الجديدة التي تقترن عادة بوجود السومريين ، والتي ظهرت في عصر الوركاء ، كالاختام الاسطوانية والنحت ودولاب الفخار والكتابة •

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن السومريين بدو مما وراء القوقاز ، أو مما وراء قزوین ، اندفعوا على مناطق غرب ايران فيما يعاصر أيام العبيد ، وأوائل الوركاء ، ونجحوا في اقتباس حضارة بلاد النهرين التي امتدت منها عبر حدود ايران ، ثم استعانوا بما تعلموه منها ، وبخفة الحركة اليدوية ، في الاندفاع منذ الربع الاخير من الالف الرابع قبل الميلاد الى جنوب العراق وسيطروا عليه تدريجيا خلال فترة من فترات حضارة الوركاء ، وكان لما أشاعوه به من الاضطراب حينذاك أثر في بداية فترة ركود حضارى شملته ، وان يكن قد نشأ خلال هذه الفترة نفسها (حوالي القرن الثلاثين قبل الميلاد) عصر البطولة السومري الذي قام على المشجاعة الفردية للقادة السومريين ومحاولاتهم لتملك زمام السلطة في المدن المغلوبة على أمرها ، لا سيما وأنه لم تكن تنقطع اندفاعاتها على حدود العراق ، وعندما تمت الغلبة للسومريين وتم اندماجهم في السكان الاصليين الذين كانوا أرقى منهم بدا العصر الشبيه بالكتابي في العراق حوالي القرن التاسع والعشرين قبل الميلاد •

على أن هناك وجها ثالثا للنظر يذهب صاحبه (هروزني) Hrozný أن السومريين انما قدموا مهاجرين من آسيا الصغرى في موجتين من موجات الهجرة ، وهناك وجه رابع للنظر يذهب أصحابه الى أن السومريين قد قدموا الى العراق من المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية التي تحف به ، عن طريق أرمينيا وايران ، ولو أنه يمكن أن نستبعد أرمينيا أساسا من هذا الفرض ، على اعتبار أنه كان من المستبعد أن يهبط مهاجرون منها ، ويتجاوزوا المناطق الصالحة للاستيطان القريبة منها في شمال بلاد النهرين ، ليذهبوا بعيدا عنها ثم يستقروا في الاجزاء

الجنوبية التي كانت أطرافها لا تزال حينذاك وحشية الطابع تتطلب مجهودات كبيرة لتهدئتها وتيسير الانتفاع بها ، ومرة أخرى قد يتصل بهذا الأصل الجبلي المفترض ، وصله أسلاف السومريين المقترحة بمرتفعات ايران ، ما عرف من صلة بعض المعبودات السومرية بدنيا المرتفعات ، ثم ما اتت به اسطورتان للملك سسومرى يدعى «انمركار» اعتبرته القوائم السومرية المتأخرة ثانيا ملوك الاسرة الاولى في مدينة الوركاء (أوروك) بعد الطوفان •

وهناك وجه خامس للنظر يذهب أصحابه الى أن كثرة استخدام السومريين للمادة الحجرية ، وما حملته العديد من نماذج النحت على الحجر من مناظر تمثل الحاكم ذى السمات المميزة التي لا تتغير ، ومناظر الحروب التي لم تخل بأى حال من تمثيل هذا الحاكم ، ما يعبر عن أن هؤلاء السومريين انما كانوا شعبا جبليا مقاتلا ، فرض نفسه عن طريق الحروب ، وتسود البلاد ، أما عن المنطقة التي وفد منها هؤلاء السومريون فلم تكن التخوم الغربية لجنوب السهل الميزوبوتامى ، كما أنها لم تكن تخومه الشمالية ، و الا لشهد الشمال بداية التعبير الكتابي أسوة بالجنوب ، فضلا عن افتقار الشمال للاحجار ، ومن ثم فان الموطن الاصلى الذى وفد منه السومريون انما هو المنطقة الشمالية من التخوم الشرقية (جنوب دىالى) ، وهى منطقة متفوقة حضاريا ، وكثيرا ما كان لها صلاتها الحضارية بالسهل الميزوبوتامى ، فضلا عن طبيعتها الجبلية التي تتوفر فيها الاحجار ، والتي تضى على ساكنها صفة المقاتل ، بعكس الحال بالنسبة للبيئات الزراعية ، والتي يمثل النصف الجنوبى من التخوم الشرقية (سهل سوزيانا) واحدا منها ، وقد يؤكد هذا الموطن الاصلى أيضا كثرة ما قدمته مرحلة ما قبيل الكتابة من صناعة معدنية ، وخاصة النحاس الذى يمكن أن يكون مصدره المنطقة الجبلية الشرقية التي وفد منها السومريون ، وقد عرفت ، فيما يبدو ، تصنيع النحاس منذ عصر حضارة حسونة ، كما يشير الى ذلك انتاج تل الصوان •

وهناك وجه سادس للنظر (ربما يرتبط كثيرا بالرأى الاول) أن

السومريين هاجروا من منطقة تقع فيما بين شمال الهند وبين أفغانستان وبلوختان ، واستقروا حيناً من الدهر في غربى ايران ، ثم نزحوا منها الى بلاد النهرين ، عن طريق الخليج العربى وجزره البحرية ، اعتماداً على تشابه أوائل طرز الفخار السومرى القديم وزخارفه في بلاد النهرين ، مع نماذج الفخار القديمة التى انتشرت جنوباً حتى منطقة «خاربا» و «موهنجودارو» في سهل أكّد ، مما يوحى بروابط جنسية وحضارية بدائية قديمة بين أهل هذه النواحي الذين سبقوا الاجناس «الهندو - أوربية» في سكناها ، والذين يكفى أن يقال عنهم أنهم من الفروع المبكرة للسلاسل الاسيوية والاسيائية ، وذلك مع تقدير ما ألمحت اليه الاساطير السومرية من أن أصحابها الاوائل هاجروا من الجنوب عن طريق البحر في عصور كان الناس ما يزالون يسعون فيها على أربع ، واستقروا حيناً في جنة تلمون ثم نزحوا منها الى «كالاما» بالعراق ، لأمر لم تشر اليه الاسطورة .

وهناك وجه سابع للنظر يذهب أصحابه - من المؤرخين العراقيين - الى أن السومريين انما هم من الاقوام التى قطنت العراق في عصور ما قبل التاريخ ، وأن حضارتهم أصيلة في العراق ، بل ويمكن تسمية أهل حضارة العبيد بالسومريين ، على الرغم من أننا لا نعرف اللغة التى تكلم بها أهل حضارة العبيد ، صحيح أن هناك خصائص أو عناصر مميزة للحضارة السومرية ، غير أن هذا لا يعنى بالضرورة أن تلك العناصر جاء بها السومريون من خارج العراق ، بل انه من المنطق أن نفترض بأن هذه العناصر المميزة للحضارة السومرية التى نشاهدها في عصر الوركاء انما هى نتيجة وامتداد طبيعى لمدينت عصور ما قبل التاريخ الاخرى ، التى سبقت هذا العصر ، مثل حسونة وحلف في الشمال ، والعبيد في الجنوب .

وانطلاقاً من كل هذا ، فان أصحاب هذا الرأى الاخير ، يرون في السومريين امتداداً لأقوام عصور ما قبل التاريخ في بلاد النهرين ، وأنهم انحدروا من شمال العراق الى جنوبه ، واستوطنوا منطقة كانت على

الأرجح تعرف باسم «سومر» ، والتي عرف السومريون باسمها في العصور التاريخية *

غير أن أصحاب هذا الرأي صعب عليهم تعليل اختلاف لغة السومريين عن اللغات السامية ، وعندما أراد بعضهم أن يوازنوا بين هيئات أرباب العصر السومري ، ذوى اللحي الكثة والشعور الكثيفة والملابس الصوفية التي تقربهم الى هيئات الرعاة الساميين ، وبين جماهير السومريين حليقي اللحي والؤوس ، لم يزدوا الامر غير صعوبة ، واذا كان هناك ما يمكن توضيح رأيهم ، فهو اعتبار السومريين فرعاً من الجنس القوقازي يختلف عن الفرع السامي *

وهكذا يبدو واضحاً أن العلماء لم يتفقوا بعد على أى نهائى بشأن الموطن الاصلى للسومريين ، وأن الامر ما يزال فى مرحلة الفروض ، وبالمالى فما يزال موضوع السومريين ينتظر مزيداً من البحث والدراسة ، على أن الامر الذى لا شك فيه ان السومريين فى أوائل العصور التاريخية قد انتفعوا بالحضارات التى سبقتهم فى بواكير العصر الكتابى ، ثم طوروها الى ما يتفق مع مطالب عصرهم وأذواقه ، وكان أوضح ما ربط بينهم وبين أصحاب تلك الحضارات بروابط التطوير ، هى علامات الكتابة وأساليب البناء باللبن وأساليب النقوش (٣) *

(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٨٦ - ٣٨٩ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٦٨ - ١٦٩ ، أحمد فخرى : دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٢٨ - ٢٩ ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٦٥ - ٦٩ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠ ، أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٤٩ - ٢٥٢ وكذا

H. Frankfort, Archaeology and The Sumerian Problem, 1932, P. 18 F

H. Schmotel, Geschichte des alten Vorderasien, 1957, P. 3-4.

H. Schmotel, Das Land Sumer, 1956, P. 44-61.

S. H. Langdon, Sumerian Origins and Racial Characteristics, in Archaeologia, 1920, P. 154 F.

E. Speiser, The Sumerian Problem Reviewed, in HUC, 23, 1950-1951, P. 339 F.

=

بقيت الاشارة الى أن التاريخ الصحيح لوصول السومريين واستقرارهم في جنوب العراق القديم ، لا يزال موضع خلاف بين الباحثين ، فهناك من يذهب الى أن ذلك انما كان منذ بداية عصر حضارة العبيد ، أى حوالي عام ٤٠٠٠ ق.م ، على أن هناك من يذهب الى أنه كان عند نهاية الالف الرابع قبل الميلاد ، ومع ظهور الكتابة وان كان «سمويل كريمر» يذهب الى أن ظهور السومريين انما قد سبق ظهور الكتابة مباشرة ، غير أن الكتابة التصويرية البدائية انما قد نشأت في جنوب العراق ، بعد أن حتم ظهورها التطور الحضارى العام الذى ظهر في جنوب العراق من قبل ذلك التاريخ — سواء أكان ذلك قد تم على أيدي السومريين أو على أيدي جماعات أخرى — ونظراً لأن هذه لكذبة الاولى انما تعبر عن اللغة السومرية ، ومن ثم غان أصحابها لابد وأن يكونوا قد أتوا الى البلاد منذ زمن بعيد . ربما بعشرات السنين . وربما بمئات السنين ، قبل ظهور هذه الكتابة .

على أن هناك وجهاً ثالثاً للنظر يذهب أصحابه الى أن السومريين انما كانوا أول من سكن جنوب العراق . وتستند وجهة النظر هذه الى التشابه الحضارى بين حضارة العبيد ، وبين حضارتى أريدو والنج محمد ، السابقتين لها ، على أن هناك وجهاً رابعاً للنظر يذهب الى أن الهجرة السومرية انما كانت اثناء عصر حضارة العبيد — وليس في بدايته — أى فيما بين عامى ٤٠٠٠ ، ٣٥٠٠ قبل الميلاد^(٤) .

-
- S. N. Kramer, in JAOS, 63, 1952, P. 191 F.
S. N. Kramer, in AJA, 52, 1948, P. 156-164.
G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 85-89.
H. R. Hall, Op. Cit., P. 173.
Mackary, in JRAS, 1925, P. 697.
(٤) احمد سليم : المرجع السابق ص ٢٥٣ — ٢٥٤ . رشيد المضرى :
المرجع السابق ص ٢٥١ ، وكذا
H. Frankfort, Archaeology and The Sumerian Problem, Chicago, 1932, P. 21 F.
J. Oates, ur and Eridu, in Iraq, 26, 1960.
S. N. Kramer, in AJA, 52, 1948, P. 156-164

على أن الزميل الكريم المرحوم الدكتور محمد عبد اللطيف — طيب الله ثراه — انما يذهب الى أن السومريين انما قد ثبت وجودهم في جنوب العراق منذ بداية التعبير بالكتابة (الوركاء ٤) ، وبالتالي فقد وجدوا في جنوب العراق منذ بداية مرحلة ما قبيل الكتابة على الاقل (الوركاء ٥) وربما حلوا به في عصر حضارة الوركاء الاسبق ، كما يدل على ذلك انتاج حضارة هذا العصر من أساليب حضارية جديدة^(٥) .

(٣) دويلات المدن السومرية :

بدأ العصر التاريخي في جنوب بلاد النهرين ، عندما توصل القوم هناك الى الكتابة ، فضلا عن الطوفان الكبير الذي حدث في العراق القديم ، وقد تميزت بداية العصر التاريخي في بلاد النهرين بما يسمى «نظام حكومات المدن» التي كان لكل منها كيائها المستقل عن حكومات المدن الاخرى في جنوب العراق بسبب الانتقال الى مرحلة المدنية ، وهذا يعنى ببساطة أن القوم لم يستطيعوا في بداية العصر التاريخي أن يحققوا الوحدة السياسية للبلاد ، ومن ثم فقد اعتمدت الحياة السياسية على امارات المدن ودويلاتها فعلا — كما روت الاساطير — ودون أن تتطور الى نظام الدولة المركزية الكبيرة ، وترتب على ذلك أن تعاصرت دويلات وأسر حاكمة في كثير من مدن الجنوب العراقي ، وربما كان السبب في ذلك طبيعة هذا القسم الجنوبي من العراق القديم ، فلقد حالت المساحات الشاسعة من المستنقعات دون سهولة الاتصال فيما بين القرى والمدن ، الامر الذي أعاق تحقيق الوحدة السياسية .

والواقع أن ما نعرفه عن دويلات المدن هذه ، أضال من أن يستطيع أن يقدم صورة كاملة للحياة السياسية لكل منها ، بله نشأتها ، وربما لا يعدو أسماء ملوك تنتظم فيها أسرات سجل جداولها الكتبة السومريون أنفسهم في الالف الثاني ق.م ، في تعاقب زمني يشير الى مدة حكم الملك ، ثم الاسرة ، وقد قسمت هذه الجداول الى قسمين ، يفصلهما

(٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٦٨ .

حدث جد خطير ، هو «الطوفان» ، وتمثل فترة ما قبل الطوفان العصر الاسطوري ، وما بعد الطوفان انما يمثل العصر التاريخي^(٦) .

ومع ذلك فنستطيع أن نقدم صورة مقبولة عن المدينة السومرية ، والتي كانت تتكون من مدينة (وقد أطلق عليها في السومرية كلمة «أور — Ur » وفي الاكدية «ألو — alu ») ومجاوراتها من الاراضى التى قام سكان المدينة بزراعتها ، و أحيانا كانت حكومة المدينة تضم أكثر من مدينة واحدة ، فضلا عن عدد من القرى التى كانت تتبع المدينة الرئيسية ، مثل حكومة مدينة لجش التى كانت تضم أراضى «جرسو» و «لجش» و «نيناء»^(٧) .

هذا وكانت المدينة السومرية — وربما معظم المدن المتأخرة — تتكون من قسمين ، الاول : وهو المدينة الخاصة التى أطلق عليها في الاكدية «لبى ألى» (Libbi Ali) أو «قابلتى ألى» (Qabalti Ali) ، وهى مصطلحات تدل على القسم القديم للمدينة فحسب ، وتتمثل فى هذا الجزء الاقسام المسورة التى تحتوى على المعابد والقصر ومكاتب الموظفين التابعين للبلاد ، وعلى بيوت المواطنين ، وأما القسم الثانى فهو «الضاحية» ، وتقرأ فى السومرية «أور — بار — را» (ur-bar-ra) بمعنى «خارج المدينة» أى الضاحية التى تتجمع فيها البيوت والمزارع وحظائر الماشية ، وليست لدينا معلومات عن الحدود التى امتدت اليها هذه الضواحي ، كما لا نعرف ان كانت فيها أسوار ثانوية لحمايتها ، أو قواعد أمامية محصنة للحماية التى كانت تسمى «كيدانو» (Kidanu)^(٨) .

(٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٠ .

(٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٧٦ ، وكذا

I. Jacobsen, in Sumer, 25, 1969, P. 104-106.

C. J. Gadd, in CAH, I, Part, 2, Map. 6.

H. Frankfort, CAH, I, Part, 2, P. 92.

(٨) ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ١٤٠ — ١٤١

هذا وتقع المدينة الرئيسية في وسط حكومة المدينة ، ويتوسطها معبد
له المدينة — أو الاله الرئيسى لحكومة المدينة — وكان المعبد يمثل نواة
الحياة السياسية والاجتماعية ، كما كان صاحب الارضين في المدينة ، هذا
وكان يوجد بالمدينة الرئيسية — الى جانب معبد الاله الرئيسى — معابد
أخرى لمعبودات ذات صلة بهذا الاله الرئيسى ، وكان لهذه المعابد أملاكها
الضخمة ، مما يرجح أن معظم أراضي حكومات المدن في مطلع العصر
التاريخى انما كانت ملكا للالهة ، أسوة بما كان عليه الحال في عصور
ما قبل التاريخ ، وخاصة في مرحلة ما قبل الكتابة^(٩) .

وقد عبر الفكر السومرى أن الانسان انما خلق لخدمة الالهة ، وطبقا
لأسطورة سومرية ، فان الاله انليل انما قد شق قشرة الارض بفأس ،
ليخرج منها الناس ، كما يخرج النبات ، وأن الالهة قد أحاطت بانليل،
ثم سألته أن يجعل لها عبيدا من السومريين الذين يخرجون من الارض ،
وطبقا لأساطير أخرى ، فان الناس انما خلقوا ليكونوا عبيدا للالهة ،
وليزودوها بما تحتاجه من طعام وشراب^(١٠) ، ومن ثم فقد قامت
جماعات من البشر على الخدمة والعمل في معبد الاله الرئيسى لحكومة
المدينة وفي حقوله ، وقد أشرف عليهم جماعة من الملاحظين على رأسهم
أل «سانجا» ، وهو الرئيس الادارى لمعبد المدينة ، والمسئول عن شئون
معبد الاله وأملاكه ، فضلا عن الاعمال الزراعية وشق القنوات وإقامة
الجسور وتسييد الابنية وغيرها من الاعمال المتصلة بنشاط المعبد^(١١) .

على أن السلطة السياسية في حكومة المدينة انما كانت تقوم بها في

9) H. Frankfort, in Before Philosophy, (Penguin Books), 1954, P. 201.

10) H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951, P. 59.

وفي الترجمة العربية ص ٧٧ — ٧٨ .

(١١) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٧٧ ، وكذا

H. Frankfort, Op. Cit., P. 70-71.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 141.

H. Frankfort, in Before Philosophy, P. 202-204.

الأصل جمعية عمومية تضم كل الرجال الأحرار من مواطني حكومة المدينة — وربما اشترك النساء فيها أيضا — وكان لكبار السن ، وهم أرباب الأسر الكبيرة في المدينة ، مجلس خاص بهم ، كما يبدو أنه قد أسند إليهم التصرف في الشؤون اليومية العامة ، كما كانوا يتولون إرشاد الجمعية العمومية ، وأما رجال المدينة ، فهم على الأرجح ، جميع الرجال العاملين في مجتمع هذه المدينة ، والذين يحملون السلاح في حالة الحرب ، وقد ورد ذكر الجمعية العمومية ، وكبار السن في ألواح عصر ما قبل الكتابة ، ومن ثم فيمكن القول بأن التنظيم السياسي لحكومة المدينة ، إنما قد نشأ مع قيام المدن نفسها (١٢) .

وعلى أية حال ، فإن هذا التنظيم السياسي لحكومة المدينة السومرية إنما يمثل مرحلة هامة في تاريخ الفكر الإنساني ، لأنه يشهد بتواجد التفكير الديمقراطي في بداية العصر التاريخي ، وانتخاب الحاكم الذي يرأس حكومة المدينة بناء على قرارات الجمعية العمومية ، «اجتمعت كيش ، ورفعوا إلى الملكية «أبخور كيش» ، رجل من كيش» (١٣) ، وهكذا كان من حق الجمعية العمومية أن تفصل في المنازعات ، وأن تصدر القرارات الهامة — وخاصة قرارات الحرب — بل إن من حقها — إذا ما تطلبت الحاجة — أن تمنح السلطة العليا في البلاد (الملكية) لواحد من أعضائها (١٤) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة إلى أن رأس الحكومة في المدينة السومرية ، إنما كان يسمى «أنسى» ربما بمعنى «النائب» أو «الوكيل» ،

12) T. Jacobsen, Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia, in JNES, II, 1943, P. 165-166, 172.

H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, 1951, P. 68.

H. Frankfort, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 92.

(١٣) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ٢٥٢ ، وكذا

T. Jacobsen, Op. Cit., P. 165, No. 35.

H. Frankfort, Kingship and The Gods, Chicago, 1948, P. 118.

14) T. Jacobsen, Op. Cit., P. 172.

إشارة إلى وراثته عن معبود مدينته في حكم بلده وأهلها ، ومن ثم فقد ظلت الصبغة الدينية ألصق بهذا اللقب ، وترتب عليه أن انفسح المجال أمام كهنة الآلهة السومرية ، ليكون لهم شأن فعال في أوضاع دويلاتهم وسياساتها ، وظلت معابدهم تخطى بنصيب كبير من ثروات المدن وأرضها وضرائب أصحابها ، حتى أصبحت بأملاكها شبه وحدات اقتصادية وإدارية قائمة بذاتها ، ثم مال حكام المدن إلى تغليب الصبغة السياسية في سلطاتهم ، وتلقب كل منهم بلقب «لوجال» بمعنى الرجل العظيم ، وبما يرادف لقب «ملك»^(١٥) واتسعت سلطاتهم المدنية على حساب سلطان الكهان ، وإن ظلوا من الناحية الشكلية يعتبرون ممثلين لمعبوداتهم على الأرض ، ويدعون أنهم يصدرون في تصرفاتهم عن وحيهم ، لا سيما في فترات الحروب ، ثم تركوا لقب «انسي» لولاتهم الفرعيين ، وإن استعادوه لأنفسهم من حين لآخر ، ليؤكدوا صلاتهم بأربابهم وتواضعهم إزاءهم ، وظهرت لهذا التطور في سلطان الحكام السومريين أمثلة شرقية أخرى لاحقة لعصورهم ، فلقد بدأ الحكم في جنوب شبه الجزيرة العربية بنفس الصبغة ، وتلقب الحكام هناك بلقب «مكرب»^(١٦) ،

(١٥) يذهب الدكتور سامي الأحمد إلى أن الملك إنما كان حاكماً مستقلاً يدير أكثر من دويلة مدينة واحدة في وقت واحد ، قد يكون فيه «انسي» تابعاً للملك ، وإذا تجاوزت منطقة حكم الانسي ، ما وراء حدود مدينته ، واعترف به معبد أنليل في مدينته نيبور (نفر) فيحمل أنذاك لقب ملك ، ويحمل كل حاكم في مدينته تابعه للانسي لقب حاكم (كورنبتا) ، في وقت كانت فيه إدارة المعبد بيد موظفين يشرف عليهم الانسي ، وكان موظفي الدولة مسئولين أمام الانسي ، ومرتبطين به ويجمعون له الضرائب من القطعان والقوارب ومصايد الأسماك ورسوم الدفن والطلاق (سامي سعيد الأحمد : الإدارة ونظام الحكم - من كتاب حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ ص ٩) .

(١٦) ظهر لقب «مكرب» في العصر الأول من أدوار التاريخ السبيئي الأربعة ، وذلك في الفترة (٨٠٠ - ٦٥٠ ق م) ، وفيه حمل حكام سبأ لقب «مكرب» وهو لقب تغلب عليه الصفة الدينية ، وتقابله في العربية الفصحى (مكرب) وهو أمير كان يقوم بذبح القرابين للآلهة ، فضلاً عن دور الوساطة بين الآلهة والناس ، وربما كانت وظيفة المكرب هذه تشبه وظيفة «المزواد» عند المعينيين ، والقضاة عند بني إسرائيل ، ولقب «أيسى» و «أيشاكو»

=

ولقب «مزود» ، ثم انتقل هؤلاء وهؤلاء الى ألقاب الملوك ، وأكدوا بها الصبغة الدنيوية في حكمهم^(١٧) .

على أن أستاذنا الدكتور الناضوري انما يذهب الى أن إدارة الحكومة في المدن السومرية انما قد تركزت في عدد من المدنيين والدينيين ، فكان المسئول المدني يسمى «انسى» ، وكان مسئولا عن الشؤون الزراعية وما تتطلبه من مشروعات تتصل بعمليات الري ، وأما وظيفة «لوجال» Lugal ، بمعنى الرجل العظيم ، فكان مسئولا عن شؤون المدينة ، وخاصة عندما تتعرض لأخطار الحروب ، ثم سرعان ما تطورت هذه الوظيفة لتصبح أن شاغلها انما قد امتدت سلطاته الى أوسع من حكومة المدينة ، فأصبحت تعنى السيطرة على عدد من المدن المجاورة ، وأما الشؤون الدينية فقد أصبحت في يد موظف يدعى بالسومرية «ان» En بمعنى «سيد» كان يعيش في المعبد ، ويدير شؤونه الإدارية والاقتصادية غير أن تلك الوظيفة الدينية قد تطورت في المراحل الأخيرة من بداية عصر الاسرات السومرية ، واقتربت وظيفة آل «ان» من الجانب الدنيوى ، وانتقل صاحبها من المعبد الى القصر^(١٨) .

وأيا ما كان الامر ، وسواء أكان حاكم دويلة المدينة «انسى» أو «لوجال» ، فانه لم يصل الى الحكم بمقتضى حق الوراثة ، فقد كان مبدأ «الاختيار الالهى» أساسا للملكية في العراق القديم ، وإن كان هذا لا يعنى أبدا أن القوم لم يعرفوا مبدأ الوراثة ، بل ان تعاقب الابناء

عند السومريين ، وكل هذه الألقاب تعطى أصحابها صفة دينية في حكم بلادهم ، أو على الأقل ، إشارة الى القداسة التى يرتكزون اليها في ممارسة هذا الحكم ، دينيا ومدنيا ، ثم سرعان ما تطور لقب مكرب الى لقب ملك في العصر السبئى الثانى (٦٥٠ - ١١٥ ق م) ، كما تطور لقب «ايسى» الى لقب «لوجال» أو «ملك» (محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ص ٢٧١ - ٢٧٢ ، وكذا

J. Hastings, Dictionary of The Bible, 1936, P. 504.

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٠ - ٤٠١ .

(١٨) رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ٢٥٣ .

للإبقاء انما كان قائما منذ عصر الاسرات السومرية المبكر — كما تشير الى ذلك قائمة الملوك السومرية — ومع ذلك فلم يكن مبدأ الوراثة هو أساس الملكية ، وقد فسر نظام التعاقب بأنه من مظاهر رضى الالهة عن ملوك الاسرة التى يتعاقب أبناؤها على العرش ، على أن الملكية ، مع ذلك ، فقد بقيت مؤسسة تعترىها جميع ضروب المشاكل ، الامر الذى أدى الى أن تفشل فى أن تصبح أداة اتحاد ، كما كانت فى مصر الفرعونية^(١٩) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن التنظيم السياسى لدويلات المدن السومرية — سواء أكان فى شكل الجمعية العمومية أو الملكية — فقد كان انعكاسا لانكار القوم الدينية ، ذلك لأن الالهة السومرية انما كانت لها جمعيتها العمومية التى تضم كل الالهة — ذكورا واناثا — وكل له دوره الفعال فى مداولاتها ، وكان على رأس هذه الجمعية العمومية المعبود «أنو» — اله السماء وملك الالهة — الذى أودع أمامه الصولجان والتاج وعصا الراعى ، وقد كانت المعبودات السومرية تصور فى شكل انسانى ، وتحكمهم عواطف انسانية ويرتدون كالبشر زيا مجدولا ، ربما كان من جلد الغنم ، رغم أنه كان يمثل سمات حياة البداوة التى انتهت منذ زمن بعيد ، هذا فضلا عن أن الملكية — كما عبرت عنها اسطورة الطوفان وقائمة الملوك السومرية — انما قد أنزلت على البشر من السماء ، وهى انما تمثل تطورا تاليا للجمعية العمومية^(٢٠) .

وعلى أية حال ، فان قائمة الملوك السومرية — وكذا قصة الطوفان — انما تقدمان لنا قائمة بأسماء المدن التى قامت فيها الملكية الاولى ، لأول مرة ، فى جنوب العراق ، فتروى أنه بعد أن شكلت الالهة (أنو وانليل

19) H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, P. (9-7).

وفى الترجمة العربية ص ٩٤ — ٩٥

(٢٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٨٠ ، وكذا

T. Jacobsen, Op. Cit., P. 167-169.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 102.

S. N. Kramer, in ANET, P. 43.

E. A. Speiser, in ANET, P. 114.

وانكى و نمنخور ساج) ذوى الرؤوس السوداء^(٢١) ، وأوجدت الحيوان ،
وأكثر من النبات ، وبعد أن أنزلت الملكية من السماء ، قام الاله «أنو»
بتأسيس المدن الخمس في •• أماكن طاهرة ، ونادى أسمائها ، وعينها
كمراكز للعقائد الدينية ، وأولى هذه المدن هي «أريدو» ، والثانية
«بادتيايرا» ، والثالثة «لاراك» ، والرابعة «سيبار» ، والخامسة
«شوروباك»^(٢٢) •

هذا وتتقدم قائمة الملوك السومرية مدنا أخرى كانت مقرا للملكية في
عصر الاسرات المبكر ، بعد الطوفان ، مثل أور وأدب وأكشاك ومارى ،
فضلا عما أضافته الحفريات من مدن كان لها أهميتها السياسية أو
الدينية مثل لجش وأوما ونيبور وأشور^(٢٣) •

بقيت الإشارة الى أن مصدر الحكم الملكى انما كان أصلا في السماء ،
مما يشير ضمنا الى أن الالهة — طبقا لمعتقدات السومريين — انما كانت
هى التى تحكم البشر ، وأنها — بمقتضى هذا الحق — تفوض أو تختار
من بينهم من يمارس هذه السلطة على الأرض ، وهم الحكام والملوك
الدينون^(٢٤) ، وهذا يعنى — من ناحية أخرى — أن «الملكية» هى التى
أنزلت من السماء — وليس الملك — ومن ثم فلم ينظر الى الملك في العراق

(٢١) كان أصحاب الرؤوس السوداء يسكنون أرض سحر ، وهم
ليسوا ساميين ولا آريين ، ولغتهم ليست سامية أو «هندوأوربية» ، وربما
كانت كتابة الوركاء التصويرية سومرية ، ومن ثم فإن هؤلاء القوم ربما
كانوا في جنوب العراق القديم منذ الفترة الاخيرة من عصر الوركاء ، وربما
منذ فترة مبكرة من الالف الرابعة قبل الميلاد ، على أن تعبير «أصحاب
الرؤوس السوداء» ، وان كان يعنى السومريين ، فربما يعنى كذلك سكان
سومر وأكدمعا ، وربما يشير في هذا النص الى البشر عامة

H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, P. 235,
No. 2).

(J. Finegan, Op. Cit., P. 29

22) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 43.

(٢٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ١٨٥ •

(٢٤) / ٢٤ / فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٠ •

القديم كاله ، وانما كرائب عن الاله ، وان كانت قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام تشير الى تأليه الحكام في العراق القديم (٢٥) .

هذا وتشير قائمة الملوك السومرية الى ارقام خيالية حددتها كفترة حكم للملوك الثمانية الذين قالت عنهم أنهم حكموا قبل الطوفان ، حيث خصصت لهم فترة ٢٤١٢٠٠ سنة ، كما أعطت ملوك «كيش» ، والتي نزلت اليها الملكية — مرة ثانية — بعد الطوفان ، وعددهم ٢٣ ملكاً ، فترة حكم قدرها ٢٤٥١٠ سنة ، ثلاثة أشهر ، ثلاثة أيام ونصف يوم ، وأكبر الظن أن مثل هذه الارقام الخيالية كفتريات حكم ، انما تعكس فكرة شائعة عند أكثر الامم القديمة ، مؤداها : أن الانسان في قديم الزمان انما كان يتمتع بعمر طويل ، وصفات جسدية خارقة ، وربما أن جامع قائمة الملوك السومرية لم يكن في حوزته غير أسماء ثمانية ملوك من قبل الطوفان ، فاضطر الى تطويل فترة حكم كل منهم ، حتى يغطي الحقبة الزمنية التي تصورها طويلة جداً ، والتي تفصل ما بين ظهور أول سلالة حاكمة وبين حدوث الطوفان العظيم (٢٦) .

غير أن هذا التعليل لا ينطبق على ملوك ما بعد الطوفان ، بل اننا لو جمعنا ما ورد في قائمة الملوك السومرية (٢٧) عن سنى حكم الاسر الاربعة عشر ، والتي حكمت بعد الطوفان ، لوجدناه يتجاوز اثنين وعشرين ألف عام ، بينما تقدر الفترة الزمنية التي شغلها عصر الاسرات السومرية المبكر — متضمناً مرحلة ما قبل الطوفان — وكانت في حدود ٥٠٠ الى

(٢٥) انظر : محمد بيومي مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم — الجزء الرابع — بيروت ١٩٨٨ ص ١٤٧ — ١٥٦ .
(٢٦) فاضل عبد الواحد ص ٦٩ — ٧٠ .
(٢٧) انظر قائمة الملوك السومرية .
رشيد الناضوري : المرجع السابق ص ٢٤٦ — ٢٤٨ ، محمد عبداللطيف :
المرجع السابق ص ٢٤٥ — ٢٥١ ، وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 328-331.

A. L. Oppenheim, The Sumerian King List, in ANET, P. 265-266

CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998-999.

٧٠٠ عام ، وتؤرخ بدايتها بحوالى عام ٣٠٠ ق.م^(٢٨) ، ولعل السبب في هذه المبالغات أن قائمة الملوك السومرية اعتبرت هذه الاسر الحاكمة الاربعة عشر ، قد حكمت متعاقبة ، بينما هى فى الحقيقة كانت متعاصرة ،

وقد أثبتت بعض المصادر أن كثيرا من هذه الاسر الحاكمة انما كان يعاصر بعضها البعض الاخر .

(٤) أسرة لجش الاولى (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) :

قامت هذه الاسرة فى مدينة «لجش» - وهى الحبة الحالية على مبعده ٢٠ كيلا شمال شرق تلو - فى الفترة (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق.م) ولم ترد فى قائمة الملوك السومرية ، غير أن الاحفريات الحديثة قد كشفت عما خلفه ملوكها من تسجيلات كتابية عن تاريخها فى عصر الاسرات السومرية المبكرة ، وهكذا بدأت «لجش» تاريخها مع فجر الحضارة السومرية ، وظلت طوال تاريخها مدينة سومرية حتى انتهت فى فترة لا تبعد كثيرا عن قيام الاسرة البابلية الاولى (حوالى عام ١٨٩٤م) ، وقد ظلت منذ ذلك التاريخ مهجورة يخيم عليها النسيان حتى شغلها البارثيون فى القرن الثانى الميلادى^(٢٩) .

وكان «أورنانشة» (Urnanshe) أول ملك ارتقى عرش لجش باختيار احدى الالهات ، وان أشارت النقوش الى اثنين من ملوك لجش من أسلاف «أورنانشة» هما «ان خيجال» و «لوجال شاجنجر» ، غير أنهما لم يجاوزا مرتبة الحكام المحليين ، فضلا عن عدم وجود أية صلة تربطهما بالملك «أورنانشة» ، وعلى أية حال ، فربما كان اختيار «أورنانشة» كملك على لجش بسبب أعماله الخيرة ، حيث تسجل تشييده للمعابد وعمل التماثيل للمعبودات ، فضلا عن تجديد الكثير من دور

28) M. Mallowan, Op. Cit., P. 242.

(٢٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٣١ - ٢٣٤ ، وكذا CAH, I, Part, 2, P. 998 (Chronological Table of The Sumerian Period).

العبادة ، ومنها معبد نانشة ومصلى ننجرسو ومعبد أنكى ومعبد دموزى — أبو ، هذا الى جانب شق القنوات ، وتشبيد سور للمدينة ، كما تشير نقوشه الى أن سفن دلمون قد أحضرت له شحنات الخشب ، وهذه أقدم اشارة الى دلمون فى النقوش الميزوبوتامية ، فضلا عما تشير اليه من نفوذ خارجى لأورنانشة ، تجاوز نطاق أرض سومر نحو الجنوب ، وهناك فى مدينة أور لوح حجرى عليه صورة أورنانشة واسمه ، الامر الذى ربما يدل على أنه قد حكم هذه المدينة ، أو أخضعها لنفوذه^(٣٠) .

وجاء «أكورجال» (Akurgal) على عرش لجش بعد أبيه أورنانشة ، وهناك ما يشير الى أن الرجل قد واجهته بعض الصعاب فى بداية حكمه القصير ، مع «أوش» حاكم مدينة «أوما» (Umma) بسبب النزاع بين المدينتين على مناطق الحدود^(٣١) .

وخلف «أكورجال» ولده «اياناتوم» (Eannatum) الذى شغل فى بداية عهده بالاصلاحات الداخلية ، كشق القنوات ، وتشبيد بئر من الاجر فى معبد «ننجرسو» معبود لجش ، فضلا عن اعادة ما تهدم فى بلده على يد أهل أوما ، على أيام أبيه «أكورجال» ، وهكذا كان «اياناتوم» — كجده أورنانشة — بناء عظيما ، بقدر ما كان محاربا عظيما ، وتدل نقوشه على أنه خاض عدة معارك دامية ، على شاطئ نهر الكاربى (Carpe) قهر فيها العيلاميين فى الشرق ، كما خاض معارك أخرى ، أخضع فيها مدن أوما والوركاء وأور وكيش ومارى ، ومن ثم فقد أصبح أهمية شخصية فى عصره ، وارتفع بها شأن لجش الى درجة قد جعلها زعيمة المدن السومرية ، فضلا عن أن تهبه الالهة «انانا» ملكية كيش ، الى جانب عرش لجش^(٣٢) (Lagash) .

30) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 53, 303-309.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 116-117.

وكذا

G. Bibby, Looking for Dilmun, (Penguin Books), 1972, P. 63.

31) S. A. Kramer, Op. Cit., P. 53.

32) D. O. Edzard, in Sumer, 15, 1959, P. 23.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 309-310.

على أن أهم حروب «اينانتوم» انما كانت ضد مدينة «أوما» (تل خوخة) — وتقع على مبعدة ٣٠ كيلا شمال غرب لجش — بسبب النزاع على منطقة الحدود بين المدينتين ، وعلى قناة المياه التي كانت تغذى هذه المنطقة وتسمى «(فرع جرسو)» ، وهى قناة تبدأ عند المدينة القديمة «زابالام» شمالى أوما ، ثم تتجه نحو الجنوب الشرقى ، على مدى ٥٠ كيلا ، حتى تصل الى جرسو ، ثم تنتهى عند «نيننا» ، ويبدو أن الحدود كانت فى صالح لجش ، ومن ثم فقد رأت أوما أنها تجور على جزء من أراضيها ، ولهذا فقد كانوا كثيرا ما ينتهزون أية فرصة للاغارة على هذه الحدود ، والاستيلاء على الارض المتنازع عليها ، غير أن أهل لجش انما كانوا يتبرون هذه الارضين ملكا خاصا لمعبودهم «ننجرسو» ، وبالتالي فان الاستيلاء عليها انما هو بمثابة اهانة لربهم ننجرسو ، وعلى الملك — وهو نائب الاله — أن يثأر لكرامته (٣٣) .

وفى الواقع أن قصة الصراع بين لجش وأوما على موارد المياه وحدود الزراعة ، انما قد بدأت قبل ذلك ، عندما كانت مدينة كيش تمارس سلطانا وادحا على سومر فى أيام «مسليم» Mesilim الذى دانت له بالولاء لجش وغيرها من المدن فى جنوب العراق ، وفى خلال حكمه كان «لوجال — شاج — انجر» يشغل منصب «ايشاكو» لجش ، ويدين له بالولاء ، وهناك من عهده نص على رأس دبوس نذرى ضخم فى لجش يشير الى هدايا أرسلها «مسليم» الى ننجرسو (نين جرسو) رب لجش ، وربما شارك أيضا فى ترميم معبده الكبير ، وقد جاء فى النص «مسليم ملك كيش ، الذى بنى معبد ننجرسو ، قد أودع رأس هذا الدبوس ، حين كان لوجال شاج أنحور ، ايشاكو على لجش» .

وهكذا استطاع مسليم أن يقوم بدور الحكم بين أوما ولجش ، وربما كان ذلك بناء على رغبة الفريقين المتنازعين وقد أفلح — فيما يبدو —

33) T. Jacobsen, in Sumer, 25, 1969, P. 103-104.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 118.

وكذا

في وضع خط الحدود بين المدينتين ، وافق عليه الطرفان في معاهدة تضمنت ذلك الامر ، وصيغت بالصيغة الدينية ، فلقد كان «انليل» هو الذي أشرف على مؤتمر الصلح ، وقامت المعاهدة بناء على رغبته ، ولما كان لانليل من مكانة بين المعبودات الاخرى ، فقد نفذ «ننجرسو» أوامره ، وأما الملك «مسليم» فقد قام بالدور الذي رسمته له معبودته «كادي» ، ومن ثم فقد قام بتسجيل المعاهدة التي أملاها الالهة أنفسهم ، وهكذا نستطيع أن نخلص من ذلك بحقيقة عن مركز الملكية في هذه المرحلة مؤداها : أن الملك أو الحاكم (الايشاكو) انما كان وكيلا للمعبود ، أو وزيراً له ، يعرف شئون المدينة ويدبر أموراً طبقاً لرغبة الاله ، ومن ثم فإن اشهار الحرب انما كان يعنى حرباً بين المعبودات ، كما كان وضع الحدود انما يتم بناء على اتفاق المعبودات كذلك (٣٤) .

هذا — وطبقاً لما جاء في لوحة العقبان (٣٥) — فلقد قام «ايناتوم» بحملة على مدينة «أوما» فأوقع بها هزيمة منكرة وذلك بسبب اعتداء «أوما» على منطقة «جو ادين» (Gu - edin) والتي وصفت بأنها كانت اقطاعية خاصة للمعبود «ننجرسو» ، وبسبب رفع لوح الحدود الذي كان قد أقر هناك بين البلدين على يد «مسليم» ، ثم غزا سهل لجش ،

(٣٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٨ ، وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٢ ، وكذا G. A. Barton, The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, 1929, P. 2-3.
(٣٥) لوح العقبان (The Sttle of The Vultures) : لوح حجري أقامه «ايناتوم» عند الحدود القديمة بين لجش وأوما نخليداً لذكرى انتصاره على أوما ، وقد عثر عليه في حفائر لجش (تلو) ، وهو من الحجر الجيري ، وكسراته محفوظة حالياً في متحف اللوفر بباريس ، وقد سمى بلوح العقبان بسبب منظر مجموعة من العقبان أو النسور مثلت محلقة تحمل في أفواهها ومخالبها صرعى أوما وأشلاءهم ، أما مقاتلو لجش الذين لقوا حتفهم في ميدان القتال فقد صورت نقوش اللوح تكريمهم بدفنهم وتقديم القرابين لهم ، وقد مثل الاله ننجرسو بحجم ضخم ولحية طويلة وقد سجل حاكم أوما على لوح قسمه بكل الالهة ألا يعتدى مرة أخرى على أراضي الحدود أو جسورها أو قنواتها أو يقتلع ألواح الحدود (محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٣٥ - ٢٣٨ ، وكذا S. N. Kramer, Op. Cit., P. 310-313.

ويبدو أن المعركة أشهرت بكلمة من «نجرسو» — محارب انليل — وأن أهلاك أهل أوما إنما تم بتدخل من انليل نفسه ، ذلك المعبود الماهم الذي تتركز عبادته في نيبور ، وصاحب الكلمة الأخيرة في إعطاء النصر لمن يشاء ، وأن «ايناناتوم» كان قد تضرع — قبل بدء القتال — الى نجرسو ، ملتمسا عونه ومشهورته ، وقد تجلى نجرسو لايناناتوم ، وأعلنه أنه هو المختار للانتقام والاختزال بالثأر ، وانبطح «ايناناتوم» على وجهه ، وشهد رؤيا ، شهد «نجرسو» نفسه يقف الى جانب رأسه ، ويعده بالنصر على أعدائه ، وأن «بابار» اله الشمس سيضئ المدينة ، ويقف الى يمينه ليشد أزره ، وقام «ايناناتوم» لينفذ ما أمر به المعبود ، وتقدم جيوشه الى أوما .

ودارت المعركة بين الفريقين ، وسرعان ما انتهت بنصر مبين للملك «ايناناتوم» على عدوه «أوش» وقتل من أعدائه ٣٦٠٠ رجلا (وفي قراءة أخرى ٣٦٠٠٠ رجلا) ، ثم تقدم نحو أسوار أوما فدكها دما ، وسرعان ما سقطت المدينة تحت بأسه ، فأعمل فيها السيف في إبادة كاملة كالعاصفة المجتاحة ، ثم جمع جثث القتلى من رجاله ، وترك القتلى من أعدائه في العراء ، إلا من وجده يشغل الطريق فألقى به خارج الأسوار فريسة للجوارح والضواري ، ومن هنا جاءت تسمية اللوحة بلوحة العقبان .

وكان من نتائج المعركة أن أعيد سهل «جوادين» (جوادنا) فور انتهاء القتال الى لجش ، وبذلك استردت «الضيعة المحبوبة» — «نجرسو» ، وأعيدت اليه ، وأعاد «ايناناتوم» تخطيط الحدود لصالح دولته ، وأجبر خصومه على عقد معاهدة جديدة أعاد بمقتضاها النصب القديم الى مكانه ، وحفر رجاله خندقا كبيرا على طول الحدود ، وأقاموا عدة نصب على امتداده ، وبنوا على جانبيه عدة مزارات لمعبوداتهم لتكون رادعا للعدوان ، ويبدو أنه كان من المفروض أن تجري المياه الى الخندق من قنوات أوما المهزومة ، وأراد ايناناتوم أن يخفف وقع الهزيمة على خصومه فسمح لهم باستغلال جزء من أرض الحدود ، على أن يؤدوا

الضرائب عنها ، وذكرت نصوصه أن رجاله حفروا قناة كبيرة امتدت الى
خزان كبير متسع عند مدينته لجش^(٣٦) .

وهكذا يمكن القول أن لجش في عهد «ايناناتوم» قد تحولت من مدينة
الى دولة تضم المدن السومرية الكبرى ، ثم اشتهرت الحرب على الشمال
واستطاعت أن تهزمه — أو ترده على الاقل — كما أوقفب أطماع عيلام
وردتها مقهورة ، وأغلب الامر أن الاستيلاء على أور والوركاء ولارسا
وكيش ، وربما اريدو ، حتى تحولت هذه المدائن الى أقاليم تتبع لجش ،
قبل أن تحاول كيش وأوبس الدخول في معركة معها ، بقصد صد أطماعها
عن الشمال ، وكانت نتيجة الصراع مع أوما والانتصار عليها ، أن
أصبحت لجش زعيمة مدن بابل قاطبة ، وقد عني «ايناناتوم» بتقوية
حصونها وخط دفاعها وتدعيم أسوارها ، كما عني بشق القنوات
وتطهيرها ، وتشيد المعابد والهيكل لمختلف المعبودات التي نصرته على
أعدائه^(٣٧) .

وخلف «ايناناتوم» في حكم لجش أخوه «ايناناتوم» الاول
(Enannatum, I) ، ومن عجب أن ينتقل العرش الى الاخ ، وليس
الى الابن ، غير أن الاخ لم ينك العرش عنوة ، و من ثم نراه يشير في
نقش عثر عليه في الحبة بأنه «الاخ المحب لـ «ايناناتوم» ايشاكو
لجش»^(٣٨) .

(٣٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٠٦ - ١٠٨ ، ١١٣ ،
١١٥ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٢ - ٤٠٤ ، عبد الحميد
زايد : الشرق الخالد ص ٣٨ - ٣٩ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق
ص ٢٣٣ - ٢٣٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 136-137.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 310-315

M. Lambert, in RA, L, Paris, 1960, P. 141-146.

H. Frankfort, Op. Cit., P. 71-73.

(٣٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١١٨ .

(٣٨) نفس المرجع السابق .

وعلى أية حال ، فلقد كان «ايناناتوم» باراً بأربابه ، فأقام لها المعابد وزينها بالذهب والفضة ، وزودها ببعض الملحقات من المخازن والابار ، وهناك نقش على قطعة حجرية يزعم فيه «ايناناتوم» أنه منح ملكيه لجش ، وأنه قبض بيديه على البلاد الاجنبية ، وألقى بالارض العاصية تحت قدميه ، غير أن هناك ما يشير الى أن حاكم أوما قد هاجم لجش على أيامه ، وأنه قد هلك أثناء الدفاع عن مدينته⁽³⁹⁾ .

وجاء بعده ولده «انتمينا» Entemena الذي استمرت الحرب في عهده بين لجش وأوما ، وقد نجح في قهر عدوه ملك أوما ، الذي فر من الميدان ، غير أن «انتمينا» استمر في القتال ، حتى في داخل أوما ، ومع ذلك فلم تنته الحرب بين الفريقين ، ذلك لأن حاكم أوما الجديد (ايل) سرعان ما منع الماء عن القناة الى تروى أملاك المعابد في منطقة الحدود ، مدعياً أنه تجرى في أراضيهِ ، وبالتالي فقد وضع يده عليها ، الامر الذي اضطر «انتمينا» الى شق قناة جديدة من نهر الدجلة مباشرة ليزود القناة التي تروى أراضي الحدود بالمياه ، و انتهى الصراع ، آخر الامر ، بإعادة ألواح منطقة الحدود الى مكانها ، فضلاً عن تشييد بعض المباني في المنطقة⁽⁴⁰⁾ .

وجاء بعد «انتمينا» — والذي يعد عهده من أعظم العهود في لجش ، حربياً ومعمارياً — ملوك ضعاف ، بدأوا بولده «ايناناتوم الثاني» الذي تجدد على أيامه الصراع بين لجش وأوما ، والذي تشير نصوصه الى أنه قد استعاد بيوت صناعة الجعة الخاصة بالمعبود «نجرسو» الامر الذي يشير الى أن «أوما» كانت قد استولت عليها⁽⁴¹⁾ .

وجاء بعد «ايناناتوم الثاني» على عرش لجش «انتارزى»

39) F. A. Ali, New Text of Enannatum, I, in Sumer, 29, 1973, P. 29.

M. Lambert, La Period Presargonique, in Sumer, 8, 1952, P. 206

40) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 314-316

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 119

41) Ibid., P. 213-216.

Enetarza ، وفي عهده فقدت لجش مكانتها المتفوقة ، حتى أنها تعرضت لغارة من جماعة غيلامية ، بلغ عددها ٦٠٠ رجلا ، وان انتهى الامر بقهر هذه الجماعة ، وأسر ٤٥٠ رجلا منها (٤٢) .

وجاء بعد «انتارزي» «لوجال أندال» (Lugal anda) ، وكل معلوماتنا عن عهده القصير الذي لم يتجاوز سنوات سبع ، أن لجش قد تبادل الهدايا مع «أدب» (بين لجش ونيبور) (٤٣) .

وجاء بعده على عرش لجش «أورو كاجينا» (Urukagina) — والذي ينطقه البعض «أورو أنيمكينا» (٤٤) — وقد انتحل لقب «لوجال» في عام حكمه الثاني ، والذي دام ثمانية أعوام أنجز فيها الكثير من المعابد فضلا عن شق قناتين (٤٥) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا — وقبل الحديث عن إصلاحات أوركاجينا الإدارية — الى أن الحكام السومريين انما قد ردوا انتصاراتهم الى آربابهم ، كما حرصوا على استفتاء وحيهم وطلب عونهم ، الامر الذي شجع كهنة أولئك الآرباب على أن يتمتعوا بنفوذ كبير في ظل دلوكمهم ، وعلى أن يشاركوهم قيادة الجيوش لحماية دمار مدنهم ، كما شجعهم على أن يذكروا أسماءهم الى جانب أسمائهم ، وقد سمحت لهم هذه الأوضاع بأن يزدوا ثراء معابدهم ، ويضاعفوا التزامات السكان ازاءها ، بل ويشتطوا في تحصيل نصيب وافر من الضرائب على كل ما كبر وصغر ، حتى على جز صوف الغنم ، وعلى طلاق الرجل لزوجته ، وعلى دفن الموتى . . وهكذا زاد نفوذ الكهان

42) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 331.

43) M. Lambert, Op. Cit., P. 210.

CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998.

(٤٤) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٣ .

45) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 120.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 317,319.

وكذا

وكذا

وتضخم ، حتى أصبحوا يشاركون الحكام في أهميتهم ، ان لم يكونوا قد طغوا على نفوذهم^(٤٦) .

واستمر الوضع هكذا ، حتى جاء «أورو كاجينا» (Urukagina) الذي وجه همه الى الاصلاحات الداخلية ، وتعهد أن يحدد من دخل الكهان ، ويمنع الرشى ، ويعزل من حامت الشبهات حولهم من الموظفين ، فأصدر عدة قرارات تحدث في بدايتها عن المساوىء التى سبقت عهده ، وكيف كان الكهنة والموظفون يغتصبون فيها أرزاق العباد ، ويستغلون مزارع المعابد وماشييتها ، كأنما هى ملك خالص لهم ، ويشتمون حتى في أمور الدفن ، وأعلن في أحدها كيف أقر ربه بأسه في قلوب ست وثلاثين ألفا من رعاياه ، وكيف وفقه الى أن يسير على هديه ، ويعيد الاهلين الذين قاسوا المظالم .

هذا وتعد اصلاحات «أورو كاجينا» أقدم ما سجله التاريخ من تشريعات ادارية ، وقد اهتم فيها بالقضاء على المفسد السابقة ، وتخفيف الضرائب عن كاهل الناس ، والعفو عن المسجونين بسبب عدم الوفاء بهذه الضرائب ، كما خفف عن الملاحين عبودية العمل في مراكبهم لمصلحة نظار الملاحة ، وعن الرعاة عبودية العمل وراء الحمير والاغنام لمصلحة نظار الماشية ، ومنع أثرياء القوم من أن يشتروا دورا تجاور أملاكهم ، الا برضى من أصحابها ، والا بدفع ثمنها ، وأعلن — أمام ربه ننجرسو (نين جرسو) مسئوليته عن الارامل والايامى ، وعن حماية الفقراء من الاغنياء ، كما خفض مرتبات الكهان الى النصف ، وألزم العرافين في المعابد بتقديم نبوءاتهم بدون من مقابل ، بعد أن كانوا يشتمون في تقدير أجورهم ، والزام الناس بدفعها^(٤٧) .

(٤٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ .

(٤٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ - ٤٠٥ ، وكذا

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 317-322.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 142.

M. Lambert, Les reformes d'Urukagina, in Revue d'assyriologie, V, 1956,

على أن انصراف «أورو كاجينا» الى اصلاحاته الداخلية ، فضلا عن عدم الاهتمام بما كان يدور حوله في «أوما» — عدوة لجش اللدود — انما أعطى الفرصة لحاكم «أوما» (لوجال زاجيزي) لأن يقوم بهجوم خاطف على لجش ، فأضرم النار فيها ، ونهب ثرواتها ، واستولى على معابد الارباب فيها ، وحطم أصنامها ، وقد سجل أحد كتبة لجش ما أصاب بلده على لسان مليكه ، فقال : «ان رجال أوما باحتياجهم لجش ، انما قد ارتكبوا اثما عظيما ضد ننجرسو ، ان القوة التي منحت لهم ستتؤخذ منهم ، ليست هناك من خطيئة أو ذنب على أورو كاجينا ، ملك جرسو ، أما عن «لوجال زاجيزي ، ايشاكو أوما ، ألا فلتحمل ربيته نيدا با ائمه فوق رأسه» (٤٨) .

(٥) عهد لوجال زاجيزي وتوحيد المدن السومرية :

عرف «لوجال زاجيزي» Lugal Zaggesi كبطل سومري ، كتب له نجحا بعيد المدى في أن يخضع المدن السومرية جميعا ، وأن يؤسس دولة كبيرة ، وان كان عمرها قصيرا ، لم يتجاوز ربع القرن ، — طبقا لما جاء في قائمة الملوك السومرية ، وان كان هناك من جعلها ٢٩ عاما (٢٤٠٠ — ٢٣٧١ ق م) ومن جعلها ٢٤ سنة (٢٣٤٠ — ٣٣١٦ ق م) (٤٩) ، وأيا كان الصحيح في هذه الارقام ، فالذي لا شك فيه أنها كانت أكبر من أية دولة استطاعت أية «دولة سومرية» أن تضمها داخل حدودها ، ثم نقل عاصمته من «أوما» الى الوركاء (أوروك) ، واعتبر نفسه ملكا على سومر (لوجال كالاما) .

48) G. A. Barton, Op. Cit., P. 90-91.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 323.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 143.

G. Bux, Op. Cit., P. 138.

(٤٩) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٧ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 139.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 59, 323.

CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998.

هذا وقد عثر في نيبور على قطع من أوان تكمل بعضها البعض — وقد كرس لانييل — استطاع الباحثون من ورائها أن يجمعوا نصا بالغ الأهمية عن «لوجال زاجيزي» ، ويبدأ النص بمجموعة من الالقاب . تليها قائمة بالبلاد التي أخضعها ، وحدود دولته في العصر الذي سجل فيه النص ، ثم يقول النص بعد ذلك «عندما عهد انليل رب الدنيا بملكية هذه الارض الى لوجال زاجيزي ، وهياً له النجاح في أعين البلاد ، أقر العدالة في الارض ، وغلب بأسه البلاد من مشرق الشمس الى مغربها . وفرض الجزى على أهلها ، وحقت السيادة له حينذاك . من البحر الاسفل والدجلة والفرات الى البحر الاعلى ، واستقرت أحوال البلاد في سلام . وسقيت الارض بماء السعادة ، وأحلوه في هياكل سومر ليكون ايشاكو . وفي الوركاء ليكون كاهنا أكبر ، عنئذ جعل الوركاء تلتهم فرجا . انه كثر رفع رأس أور الى السماء ، وروى لارسا — مدينة اله الشمس المحبوبة — بماء السرور ، وأما أومما المدينة المحبوبة ... فانه رفعها للثروة المجددة ...» .

ولعل من الجدير بالاشارة هنا أن هناك عبارة غامضة في النص يذهب فيها لوجال زاجيزي ، أن انليل انما حقق له السيادة من البحر الاسفل الى البحر الاعلى ، أما البحر الاسفل أو الادنى فهو الخليج العربى . وأما البحر الاعلى فهو من الصعوبة بمكان أن يكون «بحيرة رومية» أو «بحر قزوين» ، وانما هو البحر المتوسط ، وهنا يجدر بنا أن نتساءل : هل اشتملت دولة لوجال زاجيزي حقا شمال العراق وسورية حتى شاطئ البحر المتوسط ؟ .

في الواقع أن ذلك مستبعد جدا ، فليس هناك من دليل عليه . أو اشارة واضحة تؤكدده ، بل ان علاقته بـ «أكد» نفسها ليس من دليل عليها كذلك ، وأغلب الامر أن حدوده لم تزد عن بلاد سومر نفسها ، وأن النص لا يحتمل هذا التخريج ، خاصة وأنا سنلتقى بعد قليل بمدينة كيش تبسط سيادتها على بابل الشمالية .

وأيا ما كان الامر ، فسرعان ما ينتهى حكم «لوحال زاجيزى» — وهو الملك الوحيد فى أسرة الوركاء الثالثة — على يد «سرجون» الاكدي ، وكان هذا فى الواقع أمرا خطيرا ، فهو يعنى أولا : انتقال السلطة من السومريين الى الساميين ، هو هو يعنى ثانيا : نهاية عصر الاسرات المبكر لحكومات المدن فى تاريخ العراق القديم ، وبداية عصر جديد ، يتغير فيه النظام السياسى للبلاد ، حيث تنتقل من حكومة المدينة الى حكومة الدولة ، الامر الذى تم على أيدي الساميين ، دون سواهم من سكان العراق القديم ، حتى هذه الفترة (٥٠) .

(٥٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٠٤ - ٤٠٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٧ - ١٢٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 139.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 58-59, 323-324.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 143.

G. A. Barton, Op. Cit., P. 98-99.

الباب الثالث

العصر الاكدي

(٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق م)

الفصل الأول

السياسة الداخلية

(١) الساميون في جنوب العراق :

منذ الالف الرابعة قبل الميلاد ، بدأت هجرات الساميين من موطنهم الاصلى في شبه الجزيرة العربية^(١) ، الى سهل دجلة والفرات في موجات متتابعة ، وقد أشرنا من قبل ، الى وجود علاقات بين سكان شرق الجزيرة العربية ، وسكان جنوب العراق من أولئك الذين كانوا يحترفون الصيد وجمع الغذاء ، وأن مجموعات بشرية من شرق الجزيرة العربية قد هاجرت الى السهل الفيضى القريب منهم ، وساهمت بذلك في خلق نوع من التفاعل الثقافى ، ومن ثم فهناك تبادل بين جنوب العراق وشمال شرق الجزيرة العربية في الادوات الحجرية والمنتجات البحرية. ابان عصر العبيد ، وربما أدى هذا التبادل الى هجرات دورية حدثت على المدى الطويل من شرق الجزيرة العربية تجاه الوادى الغربى في جنوب العراق^(٢) .

وأكبر الظن أن مواطن الاستقرار التى تنتمى الى حضارة العبيد في بلاد العرب — وخاصة تلك التى تقع على طول الساحل — قد تبادلت المواد الخام مع مثيلاتها في جنوب العراق ، فلقد كانت مواد التبادل هذه تتمثل في الاصداف واللآلىء والمنتجات البحرية الاخرى ، فضلا عن المواد الحجرية المنتجة من سواحل شبه الجزيرة العربية ، هذا فضلا عن أن وجود حجر الاوبسيديون في مواقع الجزيرة العربية ، انما هو دليل على العلاقات بين هذه الاخيرة وبين الشمال عن طريق جنوب العراق .

(١) قدم الباحث دراسة مفصلة عن موطن الساميين الاصلى (محمد بيومى مهران : الساميون والاراء التى دارت حول موطنهم الاصلى - الرياض ١٩٧٤) .

2) A. H. Masry, Prehistory in Northeastern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami Florida, 1974, P. 1-19.

ولعل من الجدير بالاشارة أن الفترة التي بدأت تتكون فيها المدن في العراق ، انما قد توافقت زمنيا مع فترة اختفاء حضارة العبيد في الجزيرة العربية ، الامر الذي قد يشير الى أن هجرة كبيرة من سكان شرق الجزيرة العربية قد نزحت الى العراق القديم في نهاية الالف الرابعة قبل الميلاد ، وهذا يتفق مع ما افترضه العلماء من أن تدفق السكان على سهول العراق ، انما كان حاسما في قيام المراكز المدنية هناك^(٣) .

وهكذا — وبمرور الايام — استطاع هؤلاء القادمون من شبة الجزيرة العربية أن يكونوا لهم — الى جانب السومريين — مدنا ، لكل منها أمير يحكمها ، ومعبد تقام فيه طقوسها ، واليه يحميها ، وكان الساميون الاوائل أقل حضارة من السومريين ، فأخذوا عنهم الكتابة والعمارة والدين والنظم الادارية ، ثم سرعان ما بدأت المدن السومرية ترتطم بمنافسة خطيرة من مدن الساميين — الاكاديين — ثم أبدى الاكاديون (الاكديون) تفوقا عسكريا ساحقا انتهى بهم الى السيطرة على البلاد ، على أيام أول ملوكهم «سرجون الاول» (٢٣٧٠ — ٢٣١٥ ق.م)^(٤) .

على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن الساميين ، ربما كانوا هم الذين سبقوا السومريين الى جنوب العراق القديم ، فلقد وجدت في أقدم الوثائق السومرية من الالف الثالثة قبل الميلاد ، أسماء وكلمات سامية متفرقة ، مما دفع البعض الى القول بأن أصحابها هم أسلاف الساميين الذين سبقوا السومريين في الاستيطان بالقسم الجنوبي من السهل الميزوبوتامي ، وفرضوا كلماتهم على اللغة السومرية ، ومن هذه الكلمات غير السومرية تسميات نهري دجلة والفرات وعديد من مدن جنوب العراق ، فضلا عن أسماء بعض الحرفيين مثل الفلاح والراعي

3) Ibid., P. 19-20.

(٤) حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم — الاسكندرية ١٩٧١ ص ٣٤ .

والنسباج وصانع السلال والتاجر والنجار ، ويبدو أن بعض أسماء هؤلاء الحرفيين ساميا ، وخاصة «نانجار» والتي تعنى فى لغتنا العربية «نجار»^(٥) .

وهناك منذ بداية العصر التاريخى الكثير من الأسماء السامية ، مثل «ايل» بمعنى اله ، وقد اتخذت كتسمية لاله سامى ، وكذا «الوليم» ، وهو اسم سامى حملته ملك اريدو ، وهو أقدم ملك لأول حكومات المدن التى نزلت عليها الملكية ، كما كان نزول الملكية — للمرة الثانية بعد — الطرفان ، فى مدينة «كيش» التى يبدو أنها كانت مركزا للعناصر السامية ، فقد حمل أكثر من اثنى عشر من ملوكها الثلاثة والعشرين أسماء سامية ، بل وقد انفردت كيش ، دون غيرها من مدن جنوب العراق القديم بقيام أربع أسرآت حاكمة أبان عصر الاسرات السومرية المبكر ، الامر الذى يشير ، دونما ريب ، الى مركزها المتفوق^(٦) .

وعلى أية حال ، فان تجمع العناصر السامية انما كان فى جنوب العراق ، وذلك لمجاورة هذه المنطقة منطقة الفرات الاوسط التى وفدت منها الهجرات السامية التالية ، منذ مطلع الالف الثانية قبل الميلاد ، ومن ثم فقد أطلق على هذه المنطقة — وتضم بابل وكيش وأكد — «أرض أكد» ، بينما أطلق على القسم الجنوبي — الذى يمتد من نيبور شمالا ، وحتى اريدو جنوبا — «أرض سومر» ، وعلى أية حال ، فرغم أن التوزيع الجغرافى للمواقع الاثرية التى وجدت بها النصوص التى تذكر أسماء الاعلام السامية انما يدل على أن الاكديين انما كانوا منتشرين فى رقعة جغرافية واسعة نسبيا ، فانه من الصحوبة بمكان تحديد فواصل محددة

(٥) محمد عبد اللطيف المرجع السابق ص ١٨٢ - ١٨٣ ، وكذا S. Lloyd and F. Safar, Op. Cit., P. 156-157.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 41.

(٦) عبد الكريم عبد الله : ملامح الوجود السامى فى جنوب العراق قبل تأسيس الدولة الاكدية — مجلة سومر — العدد ٣٠ — عام ١٩٧٢ ص ٦٥ - ٧١ ، وكذا

M. Mallowan, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 272.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 109.

لمناطق الاستقرار السامي والسومري في عصر الاسرات المبكر ، خاصة وأن الاسماء السامية وردت في أسرات الوركاء وأور السومرية ، كما وردت الاسماء السومرية في أسرة كيش ، هذا فضلا عن أن مدينة سينجار — وهي في شمال أكد — ترد في أسطورة الطوفان السومرية ، كواحدة من المدن السومرية الخمس التي نزلت عليها الملكية من السماء^(٧) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أننا لا نستطيع أن نؤكد أن «الأكديين» انما كانوا ينتمون أصلا الى «المارتو» الساميين ، الذين وجدوا على التخوم الغربية لمنطقة الفرات الاوسط ، وقد وصفهم السومريون بالبداوة^(٨) ، غير أن مثل هذا الافتراض انما يبدو مقبولا ، فلقد تركزت العناصر السامية التي نزلت الى السهل الميزوبوتامي في تواريخ لاحقة — وخاصة الاموريين — في نفس المنطقة التي وجد فيها «المارتو» ، كما تعتبر شبه الجزيرة العربية — وخاصة أطرافها الشمالية — هي المنطقة التي صدرت عنها الهجرات السامية في العصر التاريخي ، ونقرأ في نقش مشهور للملك الأكدي «سرجون الاول» ، ما يفهم منه صراحة ، أنه وعشيرته قد نزحوا الى العراق من شبه الجزيرة العربية^(٩) .

هذا فضلا عن أن الاموريين انما قد وجدوا في نفس المنطقة التي شغلها «المارتو» Mar - Tu وأنهم قد هددوا أسرة أكد نفسها ، الامر الذي اضطر الملك الأكدي «شاركالي شاري» (٢٢٥٤ — ٢٢٣٠ ق.م) خامسة ملوك هذه الاسرة الى القيام بحملة ضدهم ، وتفيد تسمية العام الثاني من حكمه بأنه العام الذي «قهر أمورو عند باصار» فيه ،

(٧) فاضل عبد الواحد على : السومريون والأكديون — كتاب العراق التاريخ — بغداد ١٩٨٣ ص ٧٤ ، وكذا

S. N. Kramer, in ANET, 1966, P. 43.

(٨) S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 286-287.

(٩) سبتينو موسكاني : الحضارات السامية القديمة — ترجمه وزاد عليه السيد يعقوب بكر — القاهرة ١٩٦٨ ص ٥٣ — ٥٤ ، حسن ظاظا : المرحع السابق ص ١٢٦ .

و«باصار» اسم مكان يضم مجموعة من التلال في الصحراء السورية العربية ، ويطلق عليه حاليا اسم «جبل بشرى» ، ويقع الى الجنوب الغربى من مصب نهر بلخ (بالخ) في الفرات ، فى غرب «دير الروز» الحالية ، ومن المؤكد أن جهد «شار كالى شارى» انما كان جهدا دفاعيا ، ذلك لان الرجل لم ينتقل بعد ذلك الى منطق أبعد فى الشمال الغربى ، كما يرجح أن الهدف من الحملة انما كان صد خطر الاموريين الساميين الذين يبدو أنهم أرادوا الافادة من ضعف دولة أكد ، والنزوح الى السهل الميزوبوتامى بغية تحقيق حياة أفضل لأنفسهم^(١٠) .

وسرعان ما ازداد خطر الاموريين فى أخريات الالف الثالثة قبل الميلاد ، وانهزوا فرصة انهيار أسرة أور الثالثة (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) ثم سقوطها على أيدي العيلاميين ، لينزحوا نحو السهل الميزوبوتامى ، ويقيموا لهم حكما فى كل من آشور وبابل (وتسمى فى اللغة البابلية «باب - ايلو» بمعنى باب الله) فى بداية الالف الثانية قبل الميلاد (أسرة بابل الاولى)^(١١) .

(٢) سرجون الأول (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق.م) :

كان سرجون الاول أول زعيم سامى استطاع أن يؤسس أول دولة كبيرة فى العراق القديم ، كتب لها نجحا بعيد المدى فى تشكيل مستقبله السياسى خلال فترة تزيد عن القرن ونصف القرن ، وفى أن تذهب بولاء الافراد والجماعات لمدنهم وزعمائهم المحليين ، الى الولاء للدولة فى

(١٠) محمد بيومى مهران : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الثامن - بلاد الشام - الاسكندرية ١٩٩٠ ص ٦٢ - ٦٣ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٤ ، وكذا

C. J. Gadd, The Dynasty of Agade and The Gutian Invasion, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 455.

J. Bottero, Syria at The Time of The Kings of Agade, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 327.

11) W. Hinz, Ptsia, C. 2400-1800, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 659.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 71.

مجموعها ، ولحاكمها الاعلى الكبير ، ودعت الى نوع من تعظيم أولى الامر الكبار ، زكى لدى بعض أهل العراق القديم فكرة تقديس الحكام ونعتهم بنعوت الربوية ، وان لم يسلم جميعهم بهذه الفكرة على سواء ، وأدخلت معها ألفاظ ومسميات سامية وجدت سبيلها الى لغة الدين والادب وأسماء الافراد ، فأدخلت الى الدين اسمى «سين» و «شمش» ربي القمر والشمس ، الى جانب اسميهما السومريين القديمين «ننا» و «أوتو» واسم المعبودة «عشتار» ربة الزهرة ، التى نافست «انانا» السومرية ، ثم حلت محلها ، كما أدخلت معها بعض صفات ربانية مثل «بعل» بمعنى سيد ، و «ايل» (أو ال) بمعنى اله ، وألقابا كهنوتية مثل «أشيبو» بمعنى كهنة الطقوس ، وعددا كبيرا من أسماء الافراد ، كان من أطرفها اسم يقرب من اسم «اسماعيل» وذلك فضلا عن لقب «شارو» بمعنى ملك ، وقد حل محل لقب «لوجال» السومرى (١٢) ♦

هذا — وطبقا لما جاء فى قائمة الملوك السومرية — فان «سرجون» — وصحة اسمه فى اللغة الاكادية «شرو — كينو» Sharru - Kenu ومعناه حرفيا «الملك المكين» أو «الرئيس القوى» — ومن الواضح ، فيما يرى الدكتور حسن ظاظا ، أن هذا لم يكن اسمه ، وانما لقبه بعد توليه الحكم المطلق فى العراق ، وأنه (أى سرجون) هو الذى أسس مدينة «أكد» — كما ينطق اسمها فى الاكادية ، و «أجادة» فى السومرية — وتقع على مقربة من «كيش» فى جنوب العراق ، فى نقطة غير محددة بعينها ، أبى وجه اليقين ، وان رأى «أندريه بارو» أنها ربما كانت قرية المدين ، وتقع على مقربة من ناحية اليوسفية ، وعلى مبعده ١٨ كيلا غربى بغداد ، فيما يرى آخرون ، وأنه قد حكم ٥٦ عاما ، وأن أباه كان بستانيا ، وأنه هو كان حامل الكأس للملك «أور — زابابا» (١٣) ♦

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٦

(١٣) أندريه ناورو : بلاد آشور — ترجمة عيسى سلمان و. سليم التكريتى — بغداد ١٩٨٠ ص ٣٣١ ، محمد عبد القادر : الساميون فى العصور القديمة ص ٦٩ ، حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٤-٣٥ ، وكذا

E. Weidner Das Reich Sargons Von Akkad, in AFO, 16, 1952 P 1-21.

هذا وقد كشف في «نينوى» عن رأس أغلب الظن أنها تمثل
(«سرجون») ، وهي محفوظة الآن بمتحف بغداد ، وتمثل شخصية حقيقية
عاشت في النصف الثاني من الألف الثالثة قبل الميلاد ، وتلفت هذه الرأس
نظر مشاهدها ، على الرغم من ضياع التطعيم الخاص بالعينين ، ولكن
ما زال على الوجه مسحة من خرم وعزم ، وعلى فمه ابتسامة هادئة
رقيقة ، وقد ربط شعره بعصابة عقدت عند قفا رقبته بتسريحة شعر
ثبتت بثلاث حلقات من ذهب ، وأما لحيته فشعرها منظم في هيئة خصلات
تعبر عن عظمته وقوته ، ووضعته على رأس أسرة سطرت لوطنها صفحات
من المجد والفخار (١٤) .

وعلى أية حال ، فالذي لا ريب فيه أن سرجون الأول أو الأكبر ،
إنما كان قائدا عظيما ، كما كان أول من فكر في نقل العراق من نظام
الامارات أو الدويلات الصغيرة المستقلة الى وحدة اقليمية ووطنية
ضخمة ، ومن ثم فقد اتخذت سيرته في الاجيال التي جاءت من بعده
صورة أسطورية ، وكثرت من حوله الاشعار والاغنيات التي يبدو فيها ،
وقد تحول الى ما يشبه شخصية عنقرة بن شداد أو أبو زيد الهلالي في
الاساطير الشائعة عندنا ، وقد وردت أصداء من ذلك في بعض النقوش
التي عثر عليها في بلاد آشور في شمال العراق وفي بقايا الحيثيين في تركيا
وسورية ، وفي نقوش تل العمارنة في مصر (١٥) .

هذا وقد حدثنا سرجون نفسه عن نفسه ، بأنه قد نشأ في بيئة
متواضعة ، وأنه لم يعرف أباه ، وأن أعمامه استحبوا حياة الجبال ، وأن
أمه وضعتة خفية في مدينة «أزوبيرانو» (Azupiranu) على ضفة
الفرات ، ثم وضعتة في سلة من قصب دهنت بالقار ، وألقت بها في

(١٤) عبد الحميد زايد الشرق الخالد ص ٦٤ ، وكذا

M. Mallowan, Op. Cit., Pl. 122.

(١٥) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٥ ، وكذا

S. Moscati, Histoire et Civilisation des Peuples Semitiques, Paris, 1955
P. 52

النهر ، فاحتمله الماء حتى انتشله فلاح مبارك يدعى «أكى» ، وهو يعمل بشادوفه على ضفة النهر ، فاتخذة ولدا ، وعلمه صنعة البستاني ، ولما بلغ أشده أحبته «عشتار» فجعلت منه ملكا ، ويبدو أن سرجون لم يقصد بهذه الرواية اظهار التواضع ، بقدر ما تعتمد تأكيد عصاميته ، ورعاية الربة له ، ووصوله الى العرش بفضل تأييدها .

- على أن أسطورة أخرى تذهب الى أن سرجون انما كان بستانيا ، ثم أصبح ساقيا للملك «أور - زبابا» (Ur - Zababa) ، ملك كيش ، وأنه ثار ضد مولاه ، واستطاع أن يخلعه ويعتلى العرش من بعده ، ذلك لانه كان يقوم بالخدمة في معبد الاله السامى «مردوك» (مردوخ) في مدينة بابل ، وأنه قد أحسن عمله ، فتقبله مردوك قبولا حسنا ، ومن ثم فقد جعله سيدا على البلاد في مكان مولاه «أور - زبابا» الذى أراد الاخلال بطقوس عبادة مردوك بتغيير قربان الشراب بمعبده^(١٦) .

على أن انتقال العرش من «أور - زبابا» ملك كيش الى سرجون ملك أكد يتعارض وما أوردته قائمة الملوك السومرية التى ذكرت خمسة ملوك بعد «أور - زبابا» (هم سيمودارا - أوسيو أثار - عشتار - موتى - ايشمى شمش - نانيا) ، ويعلل بعض الباحثين ذلك بأن «سرجون» الاكدي ، انما كان في هذه الفترة المبكرة من حياته السياسية ، مجرد مناوئ للسلطة الحاكمة في كيش ، وأنه لم يكن قد أقدم بعد على الانقضاض عليها واستقاطها ، على أن هناك آخرين يذهبون الى أن سرجون لم يحظ بمركز متفوق في أول عهده ، ربما لأنه شغل وقت ذاك

(١٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٦ ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٥ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 145-146.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 418-422.

E. A. Speiser, in ANET, 1966, P. 119.

E. Weidner, Op. Cit., P. 1-24.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

ثم قارن :

J. Lewey, in Hebrew Union College Annual, 19, 1946, P. 420, 480.

ببناء عاصمته الجديدة «أكد» (أجادة) والتي لم ينتقل إليها إلا بعد أن فرض نفوذه على البلاد في أعقاب انتصاره على «لوجال زاجيزي» ملك الوركاء (على مبعدة ٦٠ كيلا من مدينة السماوة ، ١٢٨ كيلا شمال غرب أور) ، ثم القضاء على مقاومة المدن السومرية المناوئة .

وأيا ما كان الامر ، فالذى لا ريب فيه ، أن سرجون الأكدي هذا ، إنما يعد بحق واحدا من القادة السياسيين والعسكريين العظام في التاريخ القديم ، وأنه قد كتب له نجحا بعيد المدى ، وفي غضون فترة قصيرة ، في أن ييسط نفوذه على كل بلاد سومر ، حتى أن أحد النصوص السومرية إنما يشير الى قول مأثور «أنه غسل سلاحه في مياه البحر السفلى» أى في مياه الخليج العربي (١٧) .

هذا وتشير نصوص سرجون الى أنه قد استطاع أن يسيطر على بلاد سومر جميعها ، وأنه بدأ بالزعيم «لوجال زاجيزي» ألقابه الدينية والدينيوية ثم يخلعها على نفسه ، وربما يدخل في نطاق هذا الهدف إقامة ابنته «انخدوانا» في وظيفة كبيرة كاهنات اله القمر السومري «نانا» (ننا — أو ن نار) معبود مدينة أور ، وهو تقليد بدأه سرجون ثم استمر بعد ذلك كامتياز لأخوات وبنات الملوك (١٨) ، الامر الذى فعله كذلك الفراعين المصريون عندما جعلوا من زوجاتهم ، ثم بناتهم فيما بعد ، زوجات للاله آمون (١٩) .

(١٧) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٧٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٩ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ .

A. L. Oppenheim, in ANET, P. 267. وكذا

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324. وكذا

18) A. L. Oppenheim, ANET, P. 267.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 435.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 59.

(١٩) أنظر التفصيلات (محمد بيومي مهران : مصر في الجزء الثالث ص ٦٣٦ ، ٦٤٤ ، الحضارة المصرية الجزء الثانى ص ٦٣ ، وكذا

J. H. James, in CAH, II, Part, 2. Cambridge, 1973, P. 307.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 354.

هذا وقد اتجه سرجون — بعد القضاء على «الوجال زاجيزي» الى الهجوم على بقية المدن السومرية الهامة — الى أور ولجش وأوما — فأحرز عليها نصرا مؤزرا ، بل ان نصوصه انما تشير الى أنه قد دك هذه المدن ودمر أسوارها ، وهكذا أصبح سرجون سيدا على كل أرض سومر ، ومنحه أنليل كل المنطقة من البحر العلوي الى البحر السفلي (٢٠) — أى من البحر المتوسط الى الخليج العربى — وحق له حينذاك لقبه الذى ادعاه لنفسه ، وهو لقب «ملك أرض سومر وأكد» ، وتوفرت لدولته الموحدة منذ ذلك الحين امكانيات بشرية وموارد مادية ضخمة ، لم تنتهيا لدويلات المدن السومرية أو السامية القديمة قبل عهده ، كما توفرت لها السيطرة على شرايين التجارة فى بلاد النهرين كلها (٢١) .

ولعل من الجدر بالاشارة أن سرجون انما قام بكثير من الاصلاحات الداخلية ، ففى الناحية الادارية ، لم يعتمد على ولاء المدن السومرية كثيرا ، بل انه كون له أتباعا يدينون له بالولاء ، ثم أقطعهم قسما من الارضين التى كانت تتبع المعابد من قبل — الامر الذى أثار عليه الكهان فيما بعد ، فانضموا الى الثائرين ضده — وفى الواقع فان أى فاتح ما كان بمستطيع أن يطمئن على ولاء المدن المغلوبة ، وأكبر الظن أن سرجون انما قد أنشأ حاشية خاصة به ، مستغلا فى ذلك روابط الدم والنسب بالمعنى الواسع للعصبية القبلية ، الامر الذى يشير بوضوح الى أن الملوك الاكديين قد تعمدوا محابة العنصر الاكدي على حساب العنصر السومرى ، وأسرفوا فى تأكيد مظاهر سلطانهم الفردى ، بحيث أصبح من رجال حاشيتهم من يسمى ولده «شروكين ايلى» بمعنى «سرجون الهى» ، وأصبح أنصار «نارام — سين» فيما بعد ، يرمزون اليه ، كما لو كان «اله أجاده ، واله بلده» ، وصوروه بتساج الارباب ، على حين أصبح حكام المدن فى عهده يلقبون «بخدم الملك أو عبيده» وكان فى هذا

20) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 421-422

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 324.

وكذا

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٧ .

التطور ما يفسر تدمير أهل المدن السومرية ذوى الحضارة القديمة ، من حكم الأكديين ومحاولاتهم المتكررة للانسلاخ عن جسم الدولة منذ أواخر عهد سرجون نفسه (٢٢) ♦

هذا وقد حاول سرجون أن يكسب ولاء عامة القوم . ومن ثم فقد عمل على ادخال اسم الملك فى العقود ، مع أسماء الالهة . وكان هذا أمرا هاما من وجهين ، الواحد : أنه يعنى طاعة الملك والتمسك بولائه . والثانى : تثبيت حقوق المتعاقدين ، ذلك لان الذى يخل بشروط العقد — بعد أن أقسم باسم الملك — انما يسىء الى الملك نفسه : ومن ثم فقد اتسعت صلاحية القضاة الذين كانوا قبل أيام سرجون أشبه ما يكونون بالمحكمين ، وقد صار حكمهم — منذ العهد الاكدي — الزاميا باسم الملك ، ومن ثم يكون سرجون ، بموجب هذا العرف الجديد . قد أوجد بوجه علمى محكمة للاستئناف فى البلاد ، مستقلة عن المدن الأخرى ، وعلى رأسها الملك نفسه ، وليس هناك من ريب فى أن هذه خطوة هامة فى تطور الشرائع فى العراق القديم (٢٣) ♦

على أن الامر لم يقتصر على ذلك ، بل ان سرجون — رغبة منه فى توطيد الوحدة القومية — قد أقام تقويما موحدا لكل الدولة . وكان القوم قبل أيامه يؤرخون الاحداث طبقا لأشهر وأعياد خاصة بكل مدينة : وأخيرا فقد كان وجود حاكم فرد يدعو نفسه «ملك الجهات الأربع» (وهو لقب كان ينطق باللغة السامية «شمار كبريات أربعيم») —

(٢٢) طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة — تاريخ العراق القديم — بغداد ١٩٥٥ ص ١٢٣ ، هنرى فرانكفورت : فجر الحضارة فى الشرق الأدنى — ترجمة ميخائيل خورى — بيروت ١٩٦٥ ص ١٠٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٤ ، ل. ديلاپورت : بلاد ما بين النهرين — ترجمة محرم كمال (الالف كتاب رقم ٢٥) ص ١٧٥ ، وكذا H. Frankfort, Kingship and The Gods, Chicago, 1948, P. 406.

H. Frankfort, The Birth of Civilization in The Near East, P. 74.

(٢٣) طه باقر : المرجع السابق ص ١٢٤ وكذا H. Frankfort, The Birth of Civilization, P. 75.

H. Frankfort, Kingship and The Gods, P. 406.

وكذا

Shar Kibrat Arbaim — وفي السومرية (Lugal-ul-da Limmu-Ba)

يذكر الناس دوماً بوحدة الدولة ، وان كان هذا اللقب قد اعتاد أسلاف سرجون من قبل ، أن يصفوا به سلطان أربابهم الكبار — ولا سيما آنو وانليل وشمش — فانتحله سرجون ، وان لم يقصد تأليه نفسه ، أو جعل نفسه الها ، وانما ابتغى من وراء ذلك أن يقنع نفسه ، ويقنع شعبه بأنه نائب الارباب على جهات الارض كلها (٢٤) .

هذا وقد أهتم سرجون بالجيش وأسلحته كثيرا ، ومن ثم فقد تطورت أساليب الحرب والسلاح في عهده ، فمثلا كانت الاسلحة السومرية ثقيلة تعوق حركة الجنود في المناورة ، فقد كانوا يستعملون القروس الثقيلة على هيئة نظام الصف (Phalanx) مع الرماح الطويلة والفؤوس الثقيلة ، فعمل الاكديون على تسهيل حركة الجنود في المناورة ، مستعملين اسلحة خفيفة كالأقواس والنبال ، ذلك لأن الأقواس والسهام سهلة الحمل ، لا تؤثر على حركة الجيش أثناء التقدم والانسحاب ، كما هو الحال مع راجمات الاحجار ، هذا فضلا عن أن ادخال طريقة المبارزة — رجلا مع رجل — انما هي أكثر نفعا مع الشعب التي كانت تجهل الاساليب المتطورة في القتال ، كما اعتمد الاكديون على الاعداد الكبيرة في تعبئة الجيوش ، ومن ثم فقد حدثنا سرجون في أحد نصوصه أنه قاد جيشا قوامه ٥٤ ألف جندي ، ولعل السبب في هذه الزيادة في عدد أفراد الجيش لم يكن بسبب حاجة أساليب القتال الى هذه الاعداد الكبيرة ، وانما كان بسبب حاجة الجيش الى أن يترك في الاماكن التي يحتلها أعدادا من جنوده في الحاميات العسكرية التي كان يقيمها في تلك الاماكن ، وذلك لحماية طرق التجارة ، فضلا عن توكيد هيبة السلطة الاكديّة في تلك المواقع (٢٥) .

(٢٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٢٤ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 150.

(٢٥) طه باقر : المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ ، فوزى رشيد : الجيش والسلاح — من كتاب حضارة العراق — الجزء الثاني — بغداد ١٩٨٥ ص ٤٨ - ٤٩ .

ومن البدهى أن سرجون لم ينس الاهتمام بأربابه ، ومن ثم فقد شيد لها العديد من المعابد في المدن المختلفة ، ففي نيبور مثلا ، أعاد بناء «آى كور» معبد انليل الكبير ، كما أن العثور على رأس الدبوس المشهور في سيار ، انما يشير الى رعايته للمعبود شمش ، كما تشير مجموعة اللوحات التى عثر عليها في لجش الى روابط مباشرة بين أكد ولجش ، والى تبادل البضائع والمنتجات بينها وبين أنحاء الدولة ، فالذهب وقطعان الثيران والماشية ترسل الى أكد ، فى مقابل الحبوب والبلح والمنسوجات ، كما تشير اللوحات الى روابط قوية بين لجش وبقية المدن السومرية ، مثل ارك وأوما وأدب ، كما أن البضائع كانت ترسل من كيش ونيبور وأور ، بل ان بعض السلع انما كانت ترسل الى أسواق لجش من «ماجان» و «ملوخا» وعيلام ، وهناك اشارات الى بيع عبيد من بلاد بعيدة ، مثل جوتيو ، وأمورو (٢٦) .

بقيت الإشارة الى أن سرجون — رغم ما حققه لنفسه ولبلده — فلقد انتهت حياته السياسية على غير ما توقعه لنفسه ، وطبقا للوحة الفأل والاعخبار ، فلقد نشبت ضده ثورات عدة ، أيدتها جماهير سهل «سوبارتو» ، وقد بلغ من عنف الثوار أن حاصروا العاصمة «أكد» ، غير أن سرجون قاومهم بجيشه ، واستطاع أن يشتت شملهم ، بل وأن ينتقم من مدنهم ، ويرجع بعض الباحثين أسباب هذه الثورات الى تشريده للنبلاء والاقوياء من قومه — بل ولآل بيته — ثم نفيهم وتجريدتهم من أملاكهم وضمها لأملاك التاج ، مما أثار ضده العديد من القوى التى انتهزت أول فرصة لتثور فى وجهه ، وتحشد العداوة ضده .

على أن نصوص خلفائه ابتغت أن تجد تفسيراً للمتاعب التى واجهها الرجل فى خواتيم عمره ، فردتها الى انتقام الهى ، فذكرت أنه كان قد نكل بمدينة بابل ، فغضب عليه مردوك ، وابتلى قومه بالمجاعة وفرق شملهم من حوله ، وقضى عليه بعدم الراحة فى قبره ، ولا يعنينا من هذا

(٢٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٦ .

التفسير الدينى ، الا اعتباره صورة من تخيلات الشعوب القديمة عن أسباب زوال الدول ، وبخاصة أن عبادة مردوك لم يكن لها شأن على أيامه ، وأن نصوصه قد صورت حريصا على التقرب من أربابه، واعتبرته رئيس كهنة عشتار ، والكاهن المنتخب للاله «آنو» ملك الارض ، والانسى العظيم للاله انليل ، وذكرت أنه ركع ذات مرة فى صلاته أمام المعبود «داجان» (٢٧) .

(٣) ريموش (٢٣١٥ - ٢٣٠٧ ق م) :-

خلف «ريموش» (Rimush) أباه سرجون الاول ، لمدة تسع سنوات ، وقد واجهته منذ مطلع أيامه ثورات عارمة فى الداخل والخارج ، ومن ثم فكان من البدهى أن يبدأ ريموش بالقضاء على تمرد المدن السومرية ضد السيادة البابلية ، وقد كتب للرجل نجحا بعيد المدى فى القضاء على هذا التمرد ، وأسر زعيمه «كاكو» ملك أور ، والاستيلاء على مدينته ، وتدمير سورها الحصين ، هذا ويشير نص «انخدوانا» (Enkheḫduanna) — أخت ريموش ، وكبرى كاهنات اله القمر السومرى «ننا» أو «ننار» فى أور — الى مدى الخراب الذى حل بالمدينة حتى أنها فى وقت ما لم تقم فى المكان الطيب (أى فى مدينة أور — أو فى معبد القمر بها) ، وكانت تقاسى من لفيح الشمس نهارا ، ومن ريح الجنوب ليلا ، الامر الذى يشير الى عدم وجود مأوى لها ، من جراء ما أصاب المدينة من تخريب ودمار على يد ريموش ، هذا فضلا عما قاسته المدينة من سوء معاملة ريموش ، لذى قتل كثيرا من مقاتليها ، وأودع من أسرى جنودها ٥٧٠٠ أسيرا فى السجون ، وتقدم لنا نصوصه قوائم بأعداد القتلى من المدن الشائرة ، من أور ولجش وأومسا وأدب وزابالام (٢٨) .

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٩ وكذا

A. L. Oppenheim, in ANET, 1966, P. 266, 268.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 433

E. Ebeling, in Alt. Texte Zum alten Testament, P 338

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٣ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 435-436.

غير أن ريموش — رغم ذلك ، فلقد حرص — أسوة بأبيه سرجون — على اظهار تبجيله للاله انليل ، سيد الالهة السومرية ، فأقام تماثيله بمعبد هذا المعبود في نيبور ، ومنها تمثال من الرصاص . يياهى الملك به ، لان أحدا لم يصنع مثله من قبل ، هذا فضلا عن تأكيد انتسابه الى أرباب كيش ، ومن ثم فقد استمسك بلقب «(شارو — كيش شاتيم)» ، وهو لقب وصل بينه وبين ربها «(آن)» وحاشيته (٢٩) .

وهناك قصة متأخرة تشير الى أنه لقي حتفه اثر ثورة في القصر ، وربما كان لأخيه «(مانيشتوسو)» دور في هذه المؤامرة ، غير أن بقاء اسمه في لوحات الفأل لدى البابليين المتأخرين والاشوريين ، انما هو دليل على أهميته ، وعلى أنه قام بدور هام في هذه المرحلة من تاريخ العراق القديم (٣٠) .

(٤) مانيشتوسو (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق م) :

خلف «(مانيشتوسو)» (Manishtusu) أخاه ريموش على عرش أكد ، ولمدة ١٥ عاما ، فيما تروى قائمة الملوك السومرية ، وان ذهب رأى الى أن مدة حكمه انما كانت أعواما سبعة (٣١) ، ولعل من أهم آثاره مسلته المعروفة باسم «(المسلة السوداء)» التي سجل عليها جهوده السياسية والاقتصادية والعسكرية .

وهناك نص من عهد الملك الاشوري «(شمشى أداد الاول)» (١٨١٣ - ١٧٨١ ق م) يشير الى أن «(مانيشتوسو)» قد بنى معبد الالهة عشتار في نينوى ، كما يشير نقش على رأسه حربة ، عثر عليه بمدينة أشور — وهى

29) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 436.

S. N. Kramer, The Sumerians, 1970, P. 325.

وكذا

وكذا عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٩ .

(٣٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٩ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 60.

(٣١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٩ ، محمد عبد

اللطيف : المرجع السابق ص ٢٤٩ ، ٢٧٦ .

قلعة شرقايط الحسالية ، على مبعدة ٩٦ كيلا جنوبى الموصل — اهداءها الى «مانيشتوسو ، ملك العالم» (٣٢) .

هذا ويشير نص أحد ألواح الفأل الى اغتيال «مانيشتوسو» فى مؤامرة بالقصر ، شأنه فى ذلك شأن أخيه ريموش من قبل (٣٣) .

(٥) نارام — سن (٢٢٩١ — ٢٢٥٥ ق م) :

خلف «نارام — سن» (Naram - Sin) ، ومعنى اسمه فى لغته «محبوب سين» (Beloved of Sin) أباه «مانيشتوسو» على عرش أكد ، ولدة ٥٦ عاما (٢٢٩١ — ٢٢٣٥ ق م) فيما تذكر قائمة الملوك السومرية ، وان ذهب البعض الى أنها لا تتجاوز ٣٧ عاما (٢٢٥٤ — ٢٢١٨ ق م) ، على أن هناك فريقا آخر يجعل مدة الحكم ٦٦ عاما (٣٤) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن «نارام — سن» انما قد ابتدع — ولأول مرة — بدعة تأليه نفسه ، ثم وضع المخصص الدال على الاله أمام اسمه ، ولقب فى نقوش بعض الاختام التى أهداها اليه رعاياه بلقب «اله أكد» ، كما نراه على لوحة النصر يلبس على رأسه التاج ذا القرون التى يسميها الملك الكاسى «أجوم كاكازين» «عصابة السيادة — علامة الالهية» (٣٥) .

ومن البدهى أن هذا انما يمثل أسلوبا جديدا فى الفكر الدينى فى العراق القديم ، ذلك لأن القوم انما كانوا يعتقدون أن الملك بشرفان ،

32) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 439.

H. Lewy, CAH, Part, 2, 1971, P. 734.

وكذا

33) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

(٣٤) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٧٤ ، وكذا

J. Bottero, Op. Cit., P. 108.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 441.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 60.

(٣٥) ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص ١٧٥ ، محمد عبد

اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩١ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

يعمل في خدمة الالهة بمثابة وكيل لها ، أو نائب عنها ، لكنه لا يرقى — بحال من الاحوال ، ومهما بلغت بطولته — الى مصاف الالهة . الامر الذي يدعو الى القول بأن تأليه «نارام سن» لنفسه ، لم يجد قبولا حسنا من القوم ، وربما كانت اشارة نص «لعنة أكد» الى غضب الالهة على المدينة والحاك الخراب بها ، بمثابة رد فعل لدعوى التأليه هذه (٣٦) .

وعلى أية حال ، فان الروايات المتأخرة انما تنهى عهده بكارثة حلت بالبلاد ، كعقاب من الالهة ، الامر الذي يذكرنا بما حدث مع سرجون من قبل ، وقد تكون أوجه التشابه الواردة في الروايات المتأخرة عن سرجون ونارام سن ، انعكاسا لتقدير الاجيال التالية لهذين الملكين اللذين عدوهما من الشخصيات العظيمة في تاريخ العراق القديم ، رغم ما وقع عليهما من عقاب الهى ، كما عرفت هذه الاجيال نارام سن بابن سرجون (٣٧) .

(٥) شار كالى شارى (٢٢٥٤ - ٢٢٣٠ ق م) :

خلف «شار كالى شارى» (Shar - Kali - Sharri) أباه «نارام — سن» على عرش أكد ، ولمدة ربع قرن ، طبقا لتقويم قائمة الملوك السومرية ، وهناك ما يشير الى أنه حاول أن يزيل ما تركه أبوه من آثار سيئة في نفوس السومريين ، الذين استهوان بآلهتهم ، وعلى رأسها «انليل» ، ومن ثم فقد نالت مدينة نيبور رعايته . فشيد بها بعض الابنية ، بل ان هناك ما يشير الى أنه قد بنى أقدم ما كتف عنه من معابد انليل في هذه المدينة (٣٨) .

هذا ، وطبقا لما جاء في لوحة الفأل ، فلقد انتهت حياته على يد أحد أتباعه .

وسرعان ما انتشرت الفوضى بعد ذلك . ولمدة ثلاث سنوات . ارتقى

(٣٦) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩١ - ٢٩٢ .

(٣٧) نفس المرجع السابق ص ٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٣٨) أنظر :

D E. McCown, Excavations at Nippur, JNES, 11, 1952, P. 169-170.

خلالها أربعة ملوك عرش أكد ، (ايجيجي — نانوم — ايمي — الولو) ، وربما استقرت الامور عندما اعتلى العرش «دودو» وحكم ٢١ عاما ، ثم خلفه ولده «شودورول» ، ولده ١٥ عاما ، حيث ينتهى عصر أسرة أكد ، بوفاة هذا الاخير ، الذى اقتصرت أملاك أكد على أيامه — وربما كذلك على أيام سلفه — على المنطقة الممتدة فيما بين مدينتى أكد واشنونا ، هذا فضلا عن أن الملكين الاخيرين (دودو — شودورول) لم يكونا يحملان لقب «ملك» ، الامر الذى قد يشير الى انهما كانا ، فى أكبر الظن ، تابعين للوك جوتيوم •

هذا ، وطبقا لقائمة الملوك السومرية ، فإن الملكية قد انتقلت من أكد الى الوركاء (أسرة الوركاء الرابعة) التى حكمت ثلاثين عاما ، انتقلت الملكية بعدها الى قبائل جوتيوم^(٣٩) •

(٣٩) أنظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٥ ، وكذا
J. Bottero, Op. Cit., P. 119.
C. J. Gadd, Op. Cit., P. 457.
W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 66.

الفصل الثاني

السياسة الخارجية

(١) سرجون الاول :

استطاع سرجون الاكدي — كما أشرنا من قبل — أن يجعل من المدن السومرية وحدة سياسية ، فاقت كثيرا تلك التي قام بها سلفه «لوجال زاغيزي» ، كما نجح كذلك في سياسته الخارجية (ونعني بها هنا خارج منطقة سومر — أو جنوب العراق القديم) ، حتى أن النفوذ السامي — منذ انتقال السلطة من كيش الى أكد — انما قد امتد من شمال بابل الى جانب كبير من آسيا الصغرى حتى قباد وشيا (حيث نجد مستعمرة من تجار الاكديين يعملون في تجارة الصوف والفضة) وحتى البحر المتوسط .

وهكذا اتجه سرجون الاول الى تكوين امبراطورية كان مجالها الرئيسي جهة الشمال الغربى ، وطبقا لنص كتب فى أعقاب نهاية أسرة أكد، يتحدث عن خط سير حملة وجهها سرجون الاول نحو الشمال الغربى، بدأت من مدينة «توتول» — وهى هيت الحالية ، على مبعدة ١٥٠ كيلا غربى بغداد — ثم الى «مارى»^(١) — على مبعدة ٢٠٠ كيلا شمال غرب توتول — ثم اتجهت الحملة الى «يارموتى» و «ابلا» ، فأما «يارموتى»

(١) مارى : كلمة سومرية من جهة الاشتقاق ، شبيهة باسم البلاد «أمورو» و «مارتو» ، أى بلاد الغرب ، وهى الان «تل الحريرى» جنوب مصب نهر الخابور ، بالقرب من «دير الروز» ، على مبعدة ١٢ كيلا ، غربى الفرات ، قرب بلدة أبو كمال (البوكمال) قرب الحدود العراقية السورية ، وقد قامت فى مارى مملكة فى الفترة (١٨٢٠ — ١٧٦٠ ق.م) هذا وقد كشف «أندريه بارو» فى عام ١٩٣٣م حوالى عشرين ألف لوحة فخارية مكتوبة بالخط المسمارى فى قصر الملك «زمرى ليم» آخر ملوك مارى ، وهى محفوظة الان بمتحف اللوفر فى باريس ، وقد نشرت هذه الوثائق تحت عنوان (Archives Royales de Mari) ، وقد ظهر منها حتى الان ١٦ جزءا ، وقد شارك فى هذا العمل العلمى الضخم مجموعة من الاساتذة المتخصصين (أنظر :

W. F. Leemans Foreign Trade in The Old Babylonian Period, Leiden, 1960, P. 102.

وكذا M. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 46.

فتقع اما في غرب البحر الميت في فلسطين ، أو في جنوب جبيل (بيبلوس) على ساحل البحر المتوسط ، على أن هناك من يرجح أنها تقع فيما بين ماري وابلا ، أي الى الشمال والشمال الغربي من ماري — وأما «ابلا» فتقع في وادي نهر بلخ ، على مقربة من «أورشو» ، شمال شرق قرقيش^(٢) .

وأيا ما كان الامر ، فان الحملة سرعان ما تتجه — بعد الاستيلاء على ابلا — الى «غابة الارز» الى الغرب من ابلا ، والتي تعنى على الأرجح «جبال الامانوس» في أقصى شمال سورية ، ثم تنتهي الحملة عند «جبل الفضة» ، ويذهب «بورتير» الى أن سرجون لم يشر في نصه الى «يارموتى» و «ابلا» كمحطتين متتاليتين في مسيرة قواته نحو الشمال الغربى . ومن ثم فالرأى عنده ، أن يارموتى انما تمثل الحد الجنوبي للتوسع الاكدي جهة الشمال الغربى ، وأن ابلا انما تمثل حده الشمالى^(٣) . وذلك لأن تعبير «غابة خشب الارز» في النص ، انما نقلت عن تعبير «جبل الارز» الذى يرد — لأول مرة — في نص حفيده «نارام — سن» . ويوصف به الامانوس ، بمعنى أن سرجون لم يقصد الامانوس بالذات ، وانما قصد غابة أخشاب الارز عامة التى تتوفر بالدرجة الاولى في لبنان ، وأعطت أهمية كبيرة لمينائها الرئيسى جبيل ، وان كان الزميل الكريم المرحوم الاستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف يرى أنه ليس ثمة ما يدعو بالضرورة الى أن تكون «يارموتى» هى «يارموتا» ، خاصة

(٢) أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٦٨ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٥٩ — ٢٦١ ، وكذا

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 268.

M. Mallowan, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 296.

S. Smith, Early History of Assyria to 1000 B. C. London, 1938, P. 375-376.

J. Bottero, CAH, I, Part, 2, P. 559.

C. J. Gaad, Op. Cit., P. 426.

3) C. J. Gaad, Op. Cit., P. 425-426

J. Bottero, Op. Cit., P. 324-325

وكذا

وأن رسائل العمارنة^(٤) التى ذكرت هذا الاسم انما تؤرخ بالقرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أى أنها متأخرة زمنيا عن عهد سرجون الاكدى بحوالى ألف عام ، كما يبدو مؤكدا أن «غابة الارز» هى نفسها «الامانوس جبل الارز» ، الذى أشار اليه نص «نارام - سن» بتحديد اسم المنطقة ووصف طبيعتها بأنها جبل^(٥) .

وعلى أية حال فان الهدف من الحملة ، ربما كان اقتصاديا أكثر منه سياسيا ، كما أن هناك من يزعم أن سرجون لم يتوقف عند شاطئ البحر المتوسط ، بل عبره الى «قبرص» التى يزعمون أنها دخلت فى نطاق امبراطوريته ومع ذلك ، فان الجزيرة ربما خضعت بطريق غير مباشر للتأثير البابلى منذ عهد بعيد ، الا أنه ليست هناك أية أدلة تشير الى تأثير سامى مباشر على الثقافة القبرصية المحلية فى ذلك العصر ، وهناك إشارة الى وصوله الى كريت التى وردت فى النصوص المسمارية تحت اسم كفتارة^(٦) ، بل ان البعض ذهب به الخيال الى الزعم بأن سرجون قد حكم مصر وأثيوبيا^(٧) .

وهناك ما يشير الى أن سرجون قد مد نفوذه فى الشمال الغربى الى ما بعد حدود جبال طوروس ، وذلك طبقا لما جاء فى لوحة عثر عليه فى العمارنة - بمحافظة المنيا - عليها نقش عرف باسم «ملك المعركة» . وتتحدث عن جماعة من تجار مدينة «بورش خاندا» (Burushanda) على مقربة من «كول تبه» (كانش القديمة) فى قبادوقيا بالاناضول ، قد شكوا الى سرجون ، حاكم مدينتهم ، والتمسوا منه النصفة ، وأغروه بثروة كبيرة ، ورغم تردد الحاشية فى تحقيق بغيتهم ، فان سرجون قد أجاب سؤلهم ، بل ان هناك من يرجح أن حاكم مدينة «بورش خاندا»

-
- (٤) أنظر عن رسائل العمارنة (محمد بيومى مهران : اخناسون عصره ودعوته - القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٣٣ - ٢٤٥) .
(٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٦٢ .
(٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٥ .
(٧) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٧١ .

قد خضع للعاهل الاكدي ، وزفغ الظلم عن التجار ، الذين أدوا لسرجون
ثمن معونته لهم ، مما يدل على أن نفوذ سرجون انما قد امتد الى آسيا
الصغرى^(٨) .

وهناك ما يشير الى امتداد نفوذ سرجون الى «سوربارتو» في شمال
شرق العراق ، والتي تمتد من نهر بلخ غربا ، وحتى جبال زاغروس
شرقا^(٩) ، لما كانت منطقة آشور خاضعة لنفوذه ، بل ان هذا النفوذ
انما قد استمر على أيام ولديه «ريموش» و «مانيشستوسو»^(١٠) ، هذا
وتذكر نصوص سرجون أنه لقي جيوش أربعة حكام بقيادة ملك «أوان»
في جنوب غرب ايران ، وأنه قد نجح في دحرهم وقتل قائدهم ، وأنه
قد استولى على بلاد عيلام ، وعين لها حاكما من قبله ، وقد أدت
سيطرته على بلاد عيلام والاقاليم الاخرى من ايران ، الى تدفق ثروات
كبيرة على أكد^(١١) .

وأما في الجنوب فقد امتد نفوذ سرجون الى رأس الخليج العربي ،
وربما تجاوز ذلك ، حيث يشار في أحد نصوصه الى أنه قد أخضع
«شريكوم» (Sherikhum) ، وهي أرض البحر العيلامية التي تقع
فيما بين جبال أنشان ورأس الخليج ، هذا فضلا عن الاشراف على
المناطق التجارية المتصلة بالخليج والقريبة منه ، مثل «جزيرة دلمون»
(البحرين) وما جان وملوخاه ومن المعروف أن سرجون قد اخترق الخليج

8) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 426-427.

H. Lewy, Op. Cit., P. 707.

S. Smith, Op. Cit., P. 90-91.

W. Albright, The Epic of The King of Battle, in JSOR, VII, 1923, P. 1F.

G. Roux, Op. Cit., P. 148.

9) J. Bottero, The Near East, The Early Civilizations, London, 1967,
P. 107.

H. Lewy, Op. Cit., P. 739.

10) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 431.

(١١) فاضل عبد الواحد على : السومريون والاكديون - من كتاب -
العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ٧٦ - ٧٧ .

العربي ثلاث مرات حتى دلمون (١٢) .

وهكذا استطاع سرجون أن يحقق لنفسه ولأسرته ، فضلا عن دولته ما لم يستطع أحد قبله من الحكام أن يحققه ، فذاعت شهرته بين معاصريه ، وحظى بتقدير الاجيال التالية في العراق القديم ، فحمل اسمه اثنان من ملوك آشور (وهما سرجون الاول ، وحكم حوالي منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، سرجون الثاني ٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) (١٣) . وليس هناك من ريب في أن الرجل انما يعتبر نقطة تحول رئيسية في تاريخ بلاد النهرين لأكثر من سبب واحد ، فهو - كما رأينا ، كان أول من عمل على توحيدها كلها أو أغلبها ، تحت زعامة سياسية واحدة ، بينما لم تزد جهود أسلافه الاقربين على توحيد أرض سومر وحدها ، وهو أول من ثبت دعائم أسرة سامية حاكمة قوية ، استمرت تعتلي العرش أكثر من قرن ونصف القرن (٢٣٧٠ - ٢٢٣٠ ق.م) ، ويغلب على الظن أنه حدثت في عهده محاولة من أقدم المحاولات لتقريب أسماء الشهور في المدن العراقية من بعضها البعض ، تمهيدا لتوحيد التقاويم فيها . فضلا عن أنه هو ، وبعض خلفائه الاقربين ، انما كانوا أول من حققوا لبلاد النهرين نفوذا خارجيا ، سيطرت به على كثير مما يجاور حدودها من مناطق وجماعات (١٤) .

وهكذا ، فان سرجون الاكدي هذا ، رغم نشأته المتواضعة ، فلقد استطاع الوصول الى قمة السلطة السياسية في العراق القديم ، وبعد فترة قصيرة من تسلمه الحكم ، استطاع أن يكون امبراطورية عظيمة ، امتدت حدودها من جبال طوروس شمالا ، وحتى الخليج العربي جنوبا ، ومن جبال زاغروس وغيلام شرقا ، وحتى البحر المتوسط غربا ، ومن

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٨ ، وكذا W. Hinz, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 648.

(١٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٢ ، وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 423-424.

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤١٨ .

ثم فقد حق له أن يقول — كما جاء في أحد نصوصه — «والان أيا كان الملك الذي يدعى أنه نظير لى ، فليصل الى حيث وصلت أنا» (١٥) .

(٢) ريموش :

استطاع ريموش — كما أشرنا من قبل — أن يقضى على التمرد السومري الداخلى ، ثم يوجه عنايته الى أعدائه فى الخارج ، ومن ثم فقد اتجه الى اخضاع المناطق الشرقية ، فحرب «كازالو» وأسر حاكمها ، فضلا عن أعداد كبيرة من مقاتليها العصاة ، ثم أوقع الدمار بمدينة «در» ، وربما أعقب ذلك القيام بحملة الى عيلام حقق فيها نصرا مؤزرا ، وطبقا لوصف الحملة ، فان جيوش عيلام و «زاخارا» (دويلة صغيرة على حدود عيلام) قد اتحدت ضد ريموش ، وأن المعركة دارت بين الفريقين على نهر «كابينتوم» بين أوان وسوسة ، وقد كتب للعاهل الاكدي نصرا مبينا فى هذه المعركة ، وأحصت نصوصه حوالى ١٦ ألفا من القتلى ، ٤ آلاف من الاسرى ، فضلا عن كميات كبيرة من الذهب والنحاس والآنية المرمية ، أهدى الملك جزءا منها الى معبد انليل فى نيبور ، وقد أدى هذا النصر الى استرداد أراضى «باراخشى» وتدمير بعض المدن الغيلامية ، فضلا عن اخضاع عيلام ، ومن ثم فقد أطلقت نقوش ريموش عليه لقب «سيد عيلام» (١٦) .

وهناك ما يشير الى خضوع القسم الشمالى من السهل الميزوبوتامى لريموش ، فلقد كشف فى آشور عن رأس صولج (١٧) نقشته عليه عبارة «ريموش ملك العالم» ، كما نقشته نفس العبارة على رأس صولجان أخرى من أور ، هذا فضلا عن كسرة انساء من تل البراك نقشته عليها

(١٥) فوزى رشيد : الجيش والسلاح — كتاب حضارة العراق ٤٨/٢

J. Nougayrol, RA, XLV, 1951, P. 169 F.

وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 148.

وكذا

(١٦) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٤ — ٢٧٥ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 436-437.

W. Hinz, Op. Cit., P. 649.

عبارة «ريموش ملك الجميع ، الذى ذبح عيلام وباراخشى» وهكذا يمكن القول أن الرجل قد حافظ على أملاك أكد التى ورثها عن أبيه سرجون الاول ، ومن ثم فقد أعلن ، ما أعلنه أبوه من قبل ، من أنه أخضع للاله انليل البحر الاعلى والبحر الادنى وكل النواحي الجبلية ، ثم أقام النصب التذكارية فى معبد نيبور (١٧) .

(٣) مانيشتوسو :

مرت السنوات الاولى من عهد «مانيشتوسو» فى سلام . وهناك فى سوسة عاصمة عيلام ، معبد الالهة محلية تدعى «ناروندى» عثر على تمثال صغير للملك «مانيشتوسو» نقش عليه «انسى هذه المدينة . وخادم ملك أكد ، اهداء لهذه المعبودة المحلية ، الامر الذى يشير الى خضوع عيلام لسيادة أكد (١٨) .

غير أن الامور سرعان ما تتغير ، وتنشب الثورات فى عيلام وغيرها . حتى أن «مانيشتوسو» نفسه انما يقول «كُل البلاد التى تركها أبى سرجون قد تارت ضدى» ، كما تشير قطع حجرية من لوحة بلمتحف البريطانى الى هزيمته لاثنين وثلاثين ملكا على جانب البحر ، ومن ثم فإن الملك الاكدى قد اضطر — ازاء هذه الاخطار — الى أن يقسم جيشه الى قسمين ، الواحد : اتجه الى الشرق ، حيث حارب بلدين متحالفين فى عيلام — هما أنشسان وشريخوم — وأن يحرز عليهما نصرا سبق بموجبه ملكهما ذليلا الى معبد اله الشمس فى سيبار ، ومعه هدايا ثمينة من الغنائم التى كسبها الملك الاكدى .

وأما القسم الثانى ، فقد اتجه الى محاربة اثنين وثلاثين ملكا على جانب البحر ، واستيلائه على المدن التى يحكمونها ، لتأمين استغلال مناجم الفضة القريبة منه ، وربما اجتاحت أرض عيلام كذلك فى غارة

17) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437.

M. S. Drower, CAH, I, Part, 2, P. 332.

W. Hinz, Op. Cit., P. 649-650.

18) Ibid., P. 650.

وكذا

وكذا

مفاجئة ، وان كان هذا لا يعنى بالضرورة احتلالا وأستقرارا ، على أية حال ، وربما أن الامر لا يعدو حملة سريعة ناجحة عادت بالغنائم والاسلاب ، وربما استهدفت توطيد السلطان أو الاشعار بالقوة (١٩) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد انتصر «مانيشتوسو» على هؤلاء الأعداء ، وأخضع مدنهم ، وقتل قوادهم ، واحتل بلادهم حتى «مناجم الفضة» ، وأرسل الاحجار من هذه المنطقة الى أكد ، حيث صنع منها تمثال له ، أقيم في معبد انليل في نيبور ، كما أرسل الاخشاب لبناء معبد في سيبار ، وان كان أمر الاخشاب هنا قد يدعو الى افتراض أن نشاط «مانيشتوسو» الحربى ، ربما شمل الجزء الشمالى من سورية ، التى أحضر منها الاخشاب ، وامتد حتى جبال طوروس ، حيث مناجم الفضة (٢٠) .

(٤) نارام - سن :

لا ريب فى أن «نارام - سن» انما كان أبرز أفراد الاسرة الاكدية - بعد جده سرجون - وقد أكد بمقدرته العسكرية والسياسية الوحدة الاقليمية للعراق ، اذ سيطر على الاقليم كله من الخليج العربى جنوبا ، الى جبال أرمينيا شمالا ، هذا فضلا عن توسعه الخارجى ، وتكوينه لامبراطورية بعيدة الاطراف ، سجل انتصاراته فى سنبل تأسيسها فى لوحة المشهور باسم «نصب النصر» ، الذى روى فيه أمر حروبه وانتصاراته على القبائل الجبلية - سكان الجبال فى منحدرات زاجروس - وفى ماندا وعيلام ، وفى هضبة ايران (٢١) .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى أن المدن التابعة لأكد ، انما

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٣٩ - ١٤٠ ، وكذا S. N. Kramer, Op. Cit., P. 61-62.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 437-438.

(٢٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 438.

(٢١) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٥ ، نجيب ميخائيل :

المرجع السابق ص ١٤٠ .

قامت — كالعادة — بالثورة ، كلما جلس على عرش أكد ملك جديد — شأنها في ذلك شأن الولايات الاسيوية من الامبراطورية المصرية التي كانت تجد في تولية فرعون جديد فرصة للثورة ضد السيادة المصرية . بغية أن تنال استقلالها ، فان نجحت فهذا ما تريد ، وان كانت الاخرى فلن يكون الامر بالنسبة اليها أسوأ مما كان — وهكذا ثارت المدن التابعة لأكد في الغرب والشمال والشرق ، وقد ترعمت مدينة «كيش» حلفا من عشرين ، وربما سبعة عشر حاكما ، امتدت مناطقهم من الاناضول في أقصى الشمال الغربي ، الى مجان على الشاطئ الغربي للخليج العربي . الامر الذي قد يشير الى أن المتمرد انما قد شمل كل الارضين الواقعة غربي الفرات (٢٢) .

.. وهناك نص يرجع الى بداية الالف الثانية قبل الميلاد ، يشير الى حملة للملك «نارام — سن» في الشمال الغربي من السهل الميزوبوتامي ، بلغ توغلها حتى جبل الامانوس ، بل ان هناك عبارة في النص تشير الى أن «نارام — سن» انما قهر المنطقة من ضفة الفرات ، وحتى «أوليسوم» ، وأن «داجان» قد أخضع له شعوب هذه المنطقة ، ومن ثم فقد أصبح عليها تأدية الخدمة لمعبوده «أبا» ، كما قهر الامانوس — جبل أخشاب الارز — وأسر «ريش — أدد» ملك أرمان (٢٣) .

واذا كان ما ذهب اليه البعض صحيحا ، من أن «أوليسوم» هذه انما تقع على ساحل لبنان ، على مقربة من مدينة صور (٢٤) ، فان هذا يعني أن «نارام — سن» انما قد مد حدود دولة أكد الى مناطق جديدة لم يصل اليها أحد من أسلافه قبل ذلك ، وربما يزيد الامر وضوحا ما

(٢٢) محمد بيومي مهران : مصر ٢٠٤/٣ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 440.

(٢٣) أنظر

A. L. Oppenheim, ANET, P. 268.

J. Bottero, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 325-326.

24) J. Bottero, Op. Cit., P. 327.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 442.

وكذا

ذهب اليه نص من العصر البابلي الكلداني يعرف باسم «أخبار سرجون»^(٢٥) أنه استولى على مدينة «أبيشال» ، والتي يؤكد البعض أنها في الشمال السوري ، في مجاورات «أرمانوم» ، وهو رأى قد يبدو مقبولا ؛ اذ يرجح أن «ريش — أدد» هو ملك أرمانوم وأبيشال بمعنى أن المدينتين إنما كانتا متجاورتين وتتبعان ملكا واحدا ، وربما أمتد نفوذ «نارام — سن» الى قبادوشيا ، ذلك لان هناك أسطورة تذهب الى أن «بورش خاندا» إنما كانت من أملاكه^(٢٦) ، وهنا يمكن القول أن النفوذ الاكدي إنما يكاد يصطدم بالنفوذ المصري في موانئ الشام ، لولا أن مصر قصرت نفوذها حينذاك على مجالات الثقافة والحضارة ، دون السيطرة والغلبة^(٢٧) .

هذا وتؤكد البقايا الاثرية في شمال العراق خضوع هذا الشمال للملك «نارام — سن» ، فقد عثر له على لوح حجري قرب «ديار بكر» ، كما كشف عند «تل البراك» عن بقايا بناء كبير من الحجر ، طبع عليه اسم مشيده «نارام — سن» ، وفي معبد عشتار في نينوى عثر على لوح حجري سجل عليه نص للملك «نارام — سن» هذا فضلا عن قصر قديم في آشور ينسب الى «نارام — سن»^(٢٨) .

وتشير «لوحة نصر نارام سن» — وقد عثر عليها في سوسة عاصمة عيلام . وتوجد الان بمتحف اللوفر في باريس — الى انتصاره على القبائل الجبلية في شمال شرق أرض أكد ، وخاصة قبائل «اللولوبى»

(٢٥) أنظر :

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 423-425.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 266.

26) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 442.

J. Bottero, Op. Cit., P. 326-327

A. L. Oppenheim, The Sargon Chronicle, in ANET, 1966, P. 261

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٠ .

28) H. Lewy, Op. Cit., P. 733-734.

S. M. Drower, Op. Cit., P. 331.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 443.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

و «الجوتيوم» ، كما يشير نقش منحوت في الصخر في ممر «دربند جاوور» بناحية «قرة داغ» في المنطقة الجبلية : فيما بين السليمانية وكركوك ، الى انتصاره هناك على «لولوبى» في منطقتهم نفسها ، ويرجح البعض قيام «نارام سن» بحملة أخرى ضد مناطق اللولوبى ، غير أنها باءت بالفشل ، وطبقا لنقش «زهاب» شرقى نهر دىالى ، فان ملك لولوبى «آنو — بانينى» انما قد أحرز انتصارا ساحقا على قوات ملك أكد (٢٩) .

على أن العلاقات بين «نارام — سن» وعيلام — فيما يبدو — كانت ودية ، وأن هناك معاهدة عقدت بين ملك «أوان» العيلامى و «نارام — سن» ، وتؤكد على لسان الملك العيلامى — والذي كان تابعا لملك أكد — «أن عدو نارام — سن هو عدوى ، وصديق نارام — سن هو صديقى» الامر الذى يشير الى أن الملك الاكدى انما أراد من المعاهدة أن يجعل من عيلام سندا له في حروبه — وخاصة ضد قبائل لولوبى وجوتيوم ، المجاورة لعيلام من ناحية الشمال — ومن ثم فقد رأينا «نارام — سن» يبعث برسول له الى سوسة ، محملا بالهدايا ، ويطلب من ملك عيلام . إرسال بعض القوات لملك أكد ، وتشير المعاهدة الى زواج «نارام — سن» من ابنة ملك عيلام ، وأنه قد أنجب منها ولدا ، وأن ملك عيلام انما أراد أن يكون هذا الطفل خليفته على عرش عيلام . ولعل من نتائج هذه العلاقات الودية بين العرشين الاكدى والعيلامى ، ما أقامه الملك الاكدى في سوسة من أبنية نقش عليها اسمه ، فضلا عن اهدائه لها بعض تماثيله ونصبه التذكارى (٣٠) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن هناك اتجاها غريبا . بعيدا عن المنطق الزمنى والمنطق التاريخى ، وقد اعتمد على ما سجله الملك

(٢٩) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٨٤ — ٢٨٥ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 443-444.

J. Pritchard, Op. Cit., P. 285.

30) W. Hinz, Op. Cit., P. 650-652.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 444-445

«نارام — سن» من أنه قبض بنفسه على «مانو — دانو» ملك «ماجان» أو «مجان» ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مجان انما هي «مصر» ، وأن «مانو» انما هو تحريف لاسم «منى» (ميننا) ، أول ملوك الاسرة الاولى المصرية ، حوالى عام ٣٢٠٠ ق م^(٣١) .

على أن هناك وجه آخر للنظر يذهب الى أن مصر انما كانت متصلة اتصالا وثيقا ببلاد سومر في عصور فجر الاسرات وعصر الاسرة الاولى ، فاذا حدث هذا في عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، فلماذا لا يحدث مثيلا له في حوالى عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، وقد عززوا رأيهم هذا بما حدث على الحدود المصرية الشمالية ، على أيام الملك «ببى» الاول ، من الاسرة السادسة ، من نشاط معاد لمصر من العناصر المجاورة ، وأن الملك المصرى قد كلف قائده «ونى» بالتعبئة العامة فى كل المناطق ، وأنه جمع جيشا لم تر مصر له مثيلا ، اذ تدفقت الفرق من كل ركن من أركان مصر ، وتم تدريبها وخرجت لملاقاة العدو عند الحدود الشمالية الشرقية وسحقته^(٣٢)

غير أننا نلاحظ أن «ونى» ، رغم أنه يشير الى انتصاره الساحق ، والى ذبحه لعشرات الالاف من رجال عدوه ، ثم عودة جيشه منتصرا ، ومعه الكثير من الاسرى ، الا أنه سرعان ما يضطر الى القيام بأربع حملات — منها واحدة كانت برية وبحرية معا ، وقد حصر فيها عدوه بين فكى الكماشة — وقد كتب له فيها نجحا بعيد المدى فى تأديب العصاة من سكان الرمال . هذا ويحدثنا «ونى» كذلك عن تمرد عند «أنف الرئم» — وهو اقليم يظن أنه جبل الكرمل — وقد عاد بجيوشه الى ما وراء منطقة التلال ، حتى شمال أرض سكان الرمال ، بينما كان نصف الجيش

31) A. H. Sayce, Menes and Naram-Sin, in JEA, 6, 1920, P. 296.

S. Langdon, JEA, 7, 1921, P. 121 F.

W. Albright, JEA, 6, 1920, P. 89 F.

(٣٢) عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم — من كتاب حضارة مصر والشرق القديم ص ٢٩٠

يقترّب على الطريق الصحراوي ، وقد عول «ونى» على القضاء على كَن
المتمردين (٣٣) .

وعلى أية حال ، فان مصر ، فيمّا يبدو ، انما كان عليها أن تجابه
صعوبات من ناحية الشمال الشرقى ، أكثر من تلك التى تأتيتها من ناحية
الجنوب . ولكن من هو ذلك العدو ، الذى سبب المتاعب لمصر من ناحية
الحدود الشرقية ؟ والذى أشير إليه باصطلاح «(حريو شع)» أو «عامو
حر يوشع» ، ومعناه الحرفى «أولئك الذين فوق الرمال» . ان ذلك العدو .
فيما يرى جاردنر ، لا يمكن أن يعنى فقط أولئك الذين أضربهم شظف
العيش فى شبه جزيرة سيناء ، ذلك لأن رد مثل هؤلاء لا يتطلب جيشا
من الآلاف ، وما لم نغفل أمر التين والعنب ، ونعتبرهما كمجرد خيال .
فان جزءا معينا من جنوب فلسطين ، كان من غير شك داخلا فى نطاق
العملية ، وربما كانت أكثر التخمينات قابلية للتصديق . وهى أن ما وصف
بعبارة لطيفة ، كأنما هو عصيان وتمرد ، كان يتضمن فى الواقع أول
موجة من الضغط الاسيوى ، الذى أزعج مصر بعد ذلك بأكثر من مائة
عام ، وكان تهديدا دائما لها طوال تاريخها (٣٤) .

ويذهب أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر — طيب الله ثراه — الى
أنه من الغريب أن اسم «(ماجان)» (مجان) انما هو الاسم الذى كان
يطلق على مصر فى جميع النصوص البابلية المتأخرة ، غير أن غزو
«نارام — سن» لمصر — على أساس أنه غزا مجان ، وأسر ملكها «مانو
— دانو» ، وأن مجان هى مصر ، وان مانو — دانو ، هو الملك «مينى»
(ميناء) — انما يفتقر الى اسانيد تثبيته من جانب المصريين أنفسهم (٣٥) .

هذا فضلا عن أن «(فريتز هومل)» ، انما يذهب الى أن كلمة «مجان»
التي جاءت فى نقش «نارام — سن» انما هو تحريف لاسم اقليم

33) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 96

34) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 97.

(٣٥) عبد المنعم أبو بكر : كفاحنا ضد الغزاة ص ٢٠ - ٢١ .

«معين» في اليمن^(٣٦) ، وأما «هوجو فنكلر» فالرأى عنده أن مجان انما تقع في الاقسام الشرقية من شبه الجزيرة العربية^(٣٧) ، على أن «أوليري» يرى أنها «جرها» (الجرعاء) على ساحل الاحساء^(٣٨) ، ويذهب «تشيرمان» الى أنها تقع على مقربة من الخليج العربي في موضع «مجيمنة» جنوب «يبيرين»^(٣٩) ، وأما «جون فلبى» فالرأى عنده انها على مقربة من الساحل عند وادي شهبة ، وهي البقعة التي نشأت فيها دولة مجان القديمة^(٤٠) .

هذا ويذهب «كيتانى» الى أنها «مدين» وقد كانت في الالف الخامسة قبل الميلاد كثيفة الاشجار ، كما كان البابليون يأخذون منها الذهب والنحاس والاششب ، ويعارض «ألويس موسل» هذا الاتجاه ، محددًا موضع مجان على ساحل الخليج العربي^(٤١) ، على أن هناك من يذهب الى أنها منطقة عمان ، أى الطرف الجنوبي الشرقى من شبه الجزيرة العربية^(٤٢) .

على أن هناك فريقًا من الباحثين انما يحدد موقع مجان بخط طول ٥٥ شرقًا ، وخط عرض ٢٤ شمالًا ، وبحوالى ٧٢٠ كيلا الى الشمال الغربى من «مسقط» ، وان كلمة «مجان» انما تتكون من الكلمة السومرية (ma) بمعنى ميناء أو أرض السفن ، وذلك لشهرة أهلها في ركوب

36) J. Vercoutter, Op. Cit., P. 126.

A. Grohman, Arabien, Munchen, 1963, P. 21.

وكذا

L. W. King, Studies in Eastern History, I, P. 15.

وكذا

H. Fleisch, Introduction a Etude des Langues Semitiques, Paris, 1947, P. 90.

37) E. Schrader, Die Keilschriften und des Alte Testament, P. 15 F.

38) De Lacy D. D. O'Leary, Arabia before Muhammad, London, 1927, P. 47.

39) Major R. E. Cheesman, in Unknown Arabia, London. 1925, P. 266

40) J. B. Philly, The Quarter, New York, 1933, P. 119 F.

41) A. Musil, The Northern Nejd, New York, 1928, P. 307.

42) W. F. Lecomans, Foreign Trade in The Old Babylonian Period London, 1960, P. 12.

السفن ، فضلا عن أن هناك نصا من عهد الملك «دونجى» (أحد ملوك أور حوالى عام ٢٤٥٠ ق.م) يتحدثنا عن صناع السفن فى مجان ، وأن النصوص السومرية قد وصفتها بأنها «جبل النحاس» ، تدفعنا الى أن ندخل فى دائرتها منطقة الجبل الأخضر فى عمان ، حيث يوجد النحاس ، وهكذا يبدو واضحا أن لدينا من القرائن القوية ، ما يقربنا من وضع «مجان» كمرادف «لعمان» ، لأن كل ما ذكر آنفا ، انما هو موجود فى عمان (٤٣) .

وهكذا يبدو واضحا أن «مجان» التى غزاها «نارام - سن» ما كانت أبدا ، ولن تكون هى «مصر» ، وانما هى «عمان» الحالية ، أو على الأقل هى فى منطقة شرق شبه الجزيرة العربية (٤٤) .

هذا فضلا عن الملك «منى» (ميناء) لم يذكر فى وثيقة معاصرة معروفة ، على أنه هو الملك الذى أسس الاسرة الاولى المصرية (حوالى عام ٣٢٠٠ ق.م) ، الا بعد انقضاء عهد الاسرة الاولى ، بنحو ألف وخمسمائة عام ، حين أوردته قائمة أبيدوس من عهد الملك «سيتى الاول» (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق.م) من الاسرة التاسعة عشرة ، فضلا عن بردية تورين ، التى ترجع الى أيام الملك «رعمسيس الثانى» (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق.م) - الا اذا افترضنا أن قائمة «حجر بالرمو» (من الاسرة الخامسة) قد تضمنت اسمه ، فيما فقدته من أجزائها - كما يرجح سير آلن جاردنر - الذى يرى أن الصف الثانى منها انما يبدأ دون شك بالملك مينا ، وان كانت الماحية التى ذكر بها مفقودة (٤٥) .

ومع ذلك ، وحتى لو افترضنا صحة ما استنتجته جاردنر ، وأن اسم

(٤٣) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣٢ -

١٣٣ .

(٤٤) أنظر : محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم ص ٢١٦ -

٢١٨ ، مصر - الجزء الثانى - ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

45) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 408.

الملك مينا جاء على قائمة «(نجر بالرمو)» ، بل حتى لو افترضنا ان اسم
الملك مينا جاء على وثيقة معاصرة له ، فان الملك مينا قد أسس الاسرة
الاولى حوالي عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد ، وأن الملك «نارام - سن» - الذي
يزعم الزناعمون أنه غزا مصر (مجان) وأسر ملكها مينا (مانو - دانو)
انما قد حكم في الفترة (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق م) ، أي أنه حكم بعد عهد
الملك مينا بحوالي تسعة قرون ، وأن عهده ربما يعاصر عهد الثورة
الاجتماعية الاولى في مصر .

وعلى أية حال ، فان «نارام - سن» . انما قد بذل جهدا كبيرا في
الحفاظ على امبراطوريته الاكديّة وأنه قام بمجهود حربي في جميع
الجهات المجاورة لوطنه ، كلل بالنجاح ، ومن ثم فقد استحق أن يلقب
نفسه بلقب جديد ، هو «ملك الجهات الاربع»^(٤٦) (للعالم) ، مما يعبر
عن سيطرته على كل ما حوله من ارضين ، وهو لقب قد أعاده مرة أخرى
ملوك أسرة أور الثالثة ، منذ عهد الملك «شولجي» (٢٠٩٥ - ٢٠٤٨
ق م)^(٤٧) .

(٥) شاركالي شاري :

خلف «شاركالي شاري» أباه «نارام - سن» على امبراطورية
واسعة ، غير أن شعوب هذه الامبراطورية التي اندمجت قسرا تحت لواء
واحد ، أخذت تبحث عن حريتها ، فقامت ثورات التحرير في كل مناطق
الامبراطورية ، وزاد على ذلك ظهور قوة جديدة تتمثل في خصم شديد
المراس ، هو قبائل «الجوتني» التي تسكن الجبال الشمالية الشرقية^(٤٨) ،
هذا فضلا عن أن عيلام انما كانت قد تحررت من سيادة أكد وانتهت

(٤٦) أنظر

J. Bottero, CAH, I, Part, 2, P. 326.

C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, P. 441-445.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 60.

47) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 441.

(٤٨) عبد المنعم أبو بكر : العراق القديم ص ٢٩٠ .

تبعيتها لها ، وارتباطها بها، بمقتضى المعاهدة التى عقدها «نارام - سن» ،
وزاد الطين بلة أن الملك الجديد ، فيما يرى المؤرخون ، انما كان ضعيفا ،
أو على الأقل ، لم يكن فى قوة أبيه ، حتى أنه تخلى عن لقب «ملك
الجهات الأربع» الذى ابتدعه أبوه «نارام - سن» ، واكتفى باللقب
الأكثر تواضعا «ملك أكد» (٤٩) .

وعلى أية حال ، فلقد بدأت الاضطرابات ، حين قامت جيوش عيلام
وزاخار بغزو أرض بابل ، وسرعان ما احتل الغزاة مدينة أكشاك ، وإن
نجح «شاركالى شارى» فى أحباط الغزو ، واجبار المعتدين على العودة
الى بلادهم ، غير أن هذا العدوان - رغم فشله - فانما يمثل فى حد
ذاته استخفافا بقوة أكد التى آلت الى التدهور ، الأمر الذى شجع
العيلاميين على مهاجمة ملك أكد فى أرض بابل نفسها (٥٠) ، فضلا عن
اللقاب التى أسبغها ملك عيلام على نفسه ، عندما انتحل لقب «ملك
أوان القوى» ، ثم لقب «ملك الجهات الأربع» الذى زعم أن الاله «ابن
شوشينال» قد منحه اياه (٥١) .

وهناك ما يشير الى أن «أكد» انما قد تعرضت لغزو آمورى فى
العام التالى للغزو العيلامى ، عند «باصار» - وهو اسم مكان يضم
مجموعة من التلال فى الصحراء السورية العربية ، وتسمى الان «جبل
بشرى» وتقع الى الجنوب الغربى من مصب نهر بلخ فى الفرات ، فى
غرب دير الروز الحالية (٥٢) - ويرجح الباحثون أن الملك الاكدى ، رغم

49) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

وكذا

J. Bottero, The Near East, The Early Civilization, London, 1967, P. 109.

W. Hinz, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 653.

(٥٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٣ - ٢٩٤ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

51) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 455.

W Hinz, Op. Cit., P. 653.

وكذا

(٥٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٣ ، وكذا

J. Bottero, Op. Cit., P. 327.

أنه قد انتصر على الاموريين ، غير أن نصره لم يكن أكثر من نصر دفاعي ،
فليس هناك ما يشير الى متابعة الغزاة الى مناطق أبعد في الشمال
المغربى ، وانما كان كل همه صد هذا الخطر السامى الامورى ، الذى
أراد الافادة من ضعف الدولة الاكدية ، والنزوح الى السهل الميزوبوتامى
لتحقيق حياة أفضل (٥٣) .

وهناك ما يشير الى أن الملك «شاركالى شارى» قد وجه حملة ضد
الجوتيين (جوتيوم) ، وأنه قد أسر ملكهم «أسر سارلاك» (٥٤) ، غير أنه
من المعروف أن هذه القبائل الجبلية هى التى أنهت حكم أسرة أكد ، ثم
حكمت البلاد فى أعقابها .

(٥٣) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٩٤

54) C. J. Gadd, The Last Kings of Agade and The Gutian Supremacy,
in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 455

البَابُ الرَّابِعُ

العراق فيما بين نهاية
أسرة أكد وقيام الدولة البابلية الاولى

الفصل الأول

العراق فيما بين نهاية
أسرة أكد وقيام أسرة أور الثالثة

(١) الجوتيون (٢٢٣٠ - ٢١٢٠ ق م)

لا ريب في أن معلوماتنا عن الجوتين هؤلاء انما هي جد قليلة .
فالتاريخ لا يعرف عنهم سوى أنهم من أهل الجبال ، وربما كانوا من
أهل الجبال الشرقية أو الشمالية الشرقية ، وقد نسبوا الى اقليم
«شهرزور» الذي ارتبط فيما بعد باسم «اللوبيين» ، أو هم من القبائل
الهمجية التي كانت تستوطن أواسط زاجروس في منطقة همدان ، كما
أن معلوماتنا عن حكم الجوتين انما هو جد قليل أيضا . وطبقا لما جاء
في قائمة الملوكة السومريين ، فقد دام حكمهم أكثر من قرن من الزمان
(حوالي ٢٢٣٠ - ٢١٢٠ ق م) ، وأن عدد ملوكهم قد بلغ واحدا
وعشرين ملكا ، وقد أطلق أحدهم ، وهو «أريدو بيزير» على نفسه .
لقب «ملك الجهات الاربع»^(١) .

وعلى أية حال ، فالذي لا شك فيه أن فترة حكم الجوتين (الكوتين)
انما تمثل من وجهة النظر التاريخية أولى الفترات المظلمة في تاريخ وادي
الرافدين ، فهي فترة تتميز بندرة واضحة في الكتابات التاريخية ،
وبغموض يكتنف الاوضاع السياسية ، هذا فضلا عن أنها من الفترات
التي توقفت فيها عجلة التقدم الحضاري في كافة المجالات تقريبا^(٢) .

ومع هذا الغموض والظلام الذي يكتنف هذه المرحلة . نستطيع أن
نلمح بعض المدن وقد أفاقت من هول الضربة ، واستطاعت أن تطوّر
الامور في الداخل ، وربما رضيت بدفع الضرائب الثقيلة للتفرغ لشؤونها .

(١) فاضل عبد الواحد : العراق في التاريخ ص ٧٨ ، نجيب
ميخائيل : المرجع السابق ص ١٤٩ ، وكذا

CAH, I, Part, 2, 1971, P. 998-999.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 444.

(٢) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٨٧ .

ومثالنا على ذلك ، مدينة «أوما» التي استمتعت في عهد الايشاكو
«لوجال أنادو» بهدوء استغرق خمسة وثلاثين عاما^(٣) .

هذا وتصف النصوص السومرية الجوتين هؤلاء ، بأنهم «الشعب
الذي لا يخضع ، والارض التي ليس لأهلها عدد من كثرتهم ، جوتيوم ،
الارض التي لا تطبق أى حكم عليها : والتي لقومها فهم الانسان ، وأما
شكلهم وتبتهة ألسنتهم فمثل الكلب» .

ثم تصف حكمهم السيء ، وما ألحقه بأهل البلاد من أذى ، بأنهم
«وحوش الجبال ، الذين رفعوا أذرعهم ضد الالهة ، ونقلوا ملكية سومر
الى أرضين أجنبية ، وملأوا أرض سومر بالعداوة ، الذين فتكوا
بالسكان ، واغتصبوا النساء من أزواجهم ، وسلبوا الاطفال من أمهاتهم ،
وعملوا على فساد الحكم»^(٤) .

وعلى أية حال ، فان الجوتين — فيما يبدو — لم يستطيعوا أن
يسيطروا على البلاد سيطرة كاملة ، وأن مركز حكمهم انما كان في
الشمال — في أرانجا — مكان كركوك الحالية — وأن سيطرتهم انما قد
تركزت في المدن الاكديّة ، ولم يستطيعوا أن يسيطروا سلطانهم على
الجنوب ، فكان من أثر ذلك أن أكتفوا بالجزية يتسلمونها ، تاركين تسيير
دفة الامور للحكام المحليين ، ومن ثم فقد بقيت المدن السومرية تتمتع
ببنىء من الحرية السياسية والتجارية ، الامر الذي أدى الى تطور كبير
في كثير من مدائن الجنوب ، كان على رأسها لجش ، ثم الوركاء^(٥) .

ومع توالى الزمن ، خفت حدة الجوتين وخشونتهم رويدا رويدا ،

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩ ك .

(٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٥ ، عبد المنعم
ابوبكر : المرجع السابق ص ٢٩١ وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 325.

5) W. Hinz, Op. Cit., P. 654.

J. Bottero, Op. Cit., P. 120.

وكذا

ولما كانت حالتهم الحضارية أضعف من السومريين والاكاديين . فانهم — حسب سنة تتكرر في تاريخ البشر — قد خضعوا لحضارة الامة المغلوبة على أمرها ، وأخذوها حضارة لهم^(٦) ، وهكذا بدأوا منذ النصف الثانى من حكمهم يحملون الاسماء السامية ، ويكتبون باللغة الاكدية والخط المسمارى ، ويتعبدون — الى جانب أربابهم — الى بعض المعبودات السامية كعشتار وسين^(٧) .

(٢) أسرة لجش الثانية (٢٢٣٠ - ٢١١٣ ق م)

عاصرت أسرة لجش الثانية هذه ، أخريات عصر الجوتيين . وقد حقق حكامها الوطنيون كيانا مستقلا لمدينتهم ، كما تدل على ذلك صيغ تاريخ وثائق معاملات لجش ، التى أصبحت أعوام تسجيلها تعرف بالاحتفالات الدينية التى يقوم بها حاكم لجش^(٨) .

غير أن استعمال حكام لجش للقب «ايشاج» ، وعدم ذكر لقب «ملك» ، مما يوحي بلون من ألوان التبعية ، وبأن لجش لم تمارس استقلالا فعليا ، وقد يدعم هذا الاتجاه أن اللوحات التجارية لا تشير الى أية أحداث حربية ، حتى عهد جوديا ، وربما مارست لجش لونا من الاستقلال الذاتى النسبى ، ورضيت أن تبقى فى داخل حدودها لا تفكر فى توسع أو اعتداء ، وانما تسعى الى تطوير شؤونها الداخلية ، وزيادة مواردها^(٩) .

هذا لم يرد ذكر «أسرة لجش الثانية» هذه فى قائمة الملوك السومرية ، أسوة بأسرة لجش الاولى ، على أن دورها البارز انما يبدأ فى الظهور منذ عهد حاكمها «أور — بابا» Baba — wr ، الذى كان

(٦) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٣٥ .

7) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 457.

J. Bottero, Op. Cit., P. 120.

وكذا

8) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 459.

(٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٢ .

له من الاستقلال والثروة ما مكنه من أن ينفق قنوات الري ، وأن يقيم المعابد والمحاريب للمعبودات — ننجرسو وننخور ساج وانانا وانكى وغيرها من معبودات لجش — كما يشير الى ذلك نص على تمثال صغير لأور — بابا في معبد ننجرسو^(١٠) ، هذا فضلا عن أن ابنة «أور — بابا» انما كانت كبرى كاهنات «نانا» (نتار) اله القمر ومعبود أور ، الامر الذى قد يشير أن للرجل نفوذا ، من نوع ما في مدينة أور^(١١) .

وجاء بعد «أور — بابا» صهره «جوديا» (Gudea) ، أشهر حكام أسرة لجش الثانية قاطبة ، وقد كشفت الحفريات عن عدة تماثيل حجرية لجوديا ، وقد نقش على بعضها نصوص مسمارية وهى الآن تزين كثيرا من المتاحف العالمية ، كالمتحف العراقى فى بغداد ، والمتحف البريطانى فى لندن ، ومتحف اللوفر فى باريس ، وقد خصصت بقسم الآثار الشرقية بمتحف اللوفر ، قاعة عرضت فيها تماثيل جوديا ، واسطوانته الكتابيتان الضخمة^(١٢) ، ولعل مما تجدر الإشارة اليه أن تماثيل جوديا ، انما قد أخذت بالاسلوب الواقعى الذى بدأ نضوجه من قبل فى العصر الاكدي ، وعبرت بخطوطها المرنة عن الطابع السومرى ذى الرأس العريض . وغلبت على ملامح صاحبها وهيئته روح التقوى والتواضع الكريم ، ويبدو أن اعتبار أهل عصره نكبة الجوتين على أرضهم غضبا من الارباب، كان أثره فى تغليب روح التقوى هذه فى حياتهم ابان سعيهم للتخلص من غزاتهم^(١٣) .

هذا وقد عثر لجوديا على اعداد كبيرة من مخاريط طينية وكتابات

10) J. Bottero, Op. Cit., U. 124.

S. N. Kramer, The Sumerians, P. 326-327.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 458.

11) W. W. Hallo and W. K. Simpsen, Op. Cit., P. 68.

12) H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient. 1970, P. 94-97.

(١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٢٧ .

وكذا

وكذا

وكذا

مطوله على أسطوانات ، دونت بأسلوب أدبي رفيع : وهي تتحدث عن أعماله المعمارية ، وجهوده في بناء وصيانة ما لا يقل عن خمسين معبداً من معابد الآلهة ، أبرزها ، دونما ريب ، معبد «أى - نندو» (معبد الخمسين) الخاص بالمعبود «ننجرسو» (نين جرسو) إله مدينة لجش^(١٤) .

هذا وقد كرس جوديا لبناء معبد لجش الرئيسى . وتزويده باحتياجاته اللازمة ، كثيرا من الجهد والقوة ، وطبقا لأحد نصوصه . أنه أحضر الأخشاب من ماجان وملوخا في الجنوب ، ومن جبل الارز (جبل أمانوس) في الشمال ، ونقلها عن طريق الفرات ، مع التيار . وأنه أحضر الأحجار الضخمة من مناطق لم يطررها أحد من قبل : كما نقلت القوارب كميات ضخمة من القار والجص من مجامرات كركوك . والنحاس من جبال زاجروس ، وأحجار المرمر والأحجار الملونة من سورية ، وتراب الذهب من أرمينيا . وليست هناك أية إشارة الى أن «جوديا» كان له نفوذ في تلك الجهات : الأمر الذى يدل على أنه جاءته عن طريق التجارة^(١٥) .

هذا وليست هناك أية إشارة الى أن «جوديا» قد خاض حروباً . باستثناء نقش يشير الى أنه «ضرب أنشان وعيلام بالأسلحة»^(١٦) . الأمر الذى ساعده على استخدام الصناعات من سورية وعيلام . هذا فضلاً عن الإشارة الى البحرية في التصرف الحربى . وان كانت لا تعنى توسعاً ، وربما كانت غارة مفاجئة ، أو حملة تأديبية ، قامت على إثر اعتداء على رجاله المسلمين ، وهو أمر لا يمكن الجزم به على أية حال .

14) J. Bottero, Op. Cit., P. 206.

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 66-67.

وكذا

15) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 459-460.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 268-269.

وكذا

16) W. Hinz, Op. Cit., P. 654.

ومن ثم فيمكن القول أن جهود «جوديا» انما تشير الى توسع تجارى ، ولكنها لا تقوم دليلا على أى توسع حربى أو سياسى^(١٧) .

هذا وقد تهتعت لجش على أيام جوديا بعصر من الرخاء والخير الوفير ، وقد عنى جوديا بشق القنوات ، حتى أطلق على واحدة منها اسم العام الجديد ، وهى قناة كان الغرض منها توفير الماء فى لجش ومقاطعاتها ، وقد نسبت هذه القناة الى رب لجش ، وسميت «نين جرسو» (ننجرسو) — أو «شومجال» Ningirsou - Oushoumgal ولا بد أنه جوديا أبقى القنوات التى كانت موجودة قبل عصره فى حالة صالحة للملاحة ، ذلك لأن نقل مواد البناء ، من أخشاب وأحجار ومعادن ، انما كان يتم عن طريق الماء ، وأن انزالها الى البر انما كان يتطلب إقامة رصيف على مقربة من احدى بوابات المدينة^(١٨) .

وأما وفرة المحاصيل ، فتنضح من قوائم القرابين التى ذكرها جوديا وازديادها ، وهو يشير مثلا فى يوم العام الجديد ، فى عيد «باو» — زوجة المعبود ننجرسو — بعد إعادة بناء المعبد ، الى اضافة زيادات جديدة على هبات الزواج التى كانت من حقها ، وقد شملت هذه الاضافات عددا من الثيران والماشية والحملان وسلال البلح وأوانى الزبد والتين والمكعك والطيور والاسماك والأخشاب الثمينة وغيرها ، هذا فضلا عن هبة خاصة من الملابس والصوف لها ، الى جانب حيوانات تضحية للمعبودين «ننجرسو» و «نيننا» ولا شك فى أن مثل هذه الهبات انما تعنى وفرة فى الانتاج ، وزيادة فى الموارد ، تسهم فى نصيبها منها المعبودات ، كما يستمتع بها الناس ، ومع ذلك ، فيبدو أن هذا لم يتم على حساب الشعب ، فقد كان «جوديا» يحرص على تطبيق القانون والنظام والعدالة وحماية الضعيف^(١٩) .

(١٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٥٥ ، وكذا A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 268.

(١٨) ل . ديلاپورت : بلاد ما بين النهرين ص ١٢٨ .

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٨ — ١٥٩ .

وجاء على عرش لجش بعد «جوديا» ولده «أور - ننجرسو» (Ur-Ningirsu) ، الذي كشفت حفائر لجش عن بعض تماثيل له وجدت مع تماثيل أبيه ، وهي تماثيل صغيرة ممتعة تشبه تماثيل أبيه . صوره بعضها حليق الشارب واللاحية ، على عادة الكهان . بينما صوره بعضها الآخر بتسعر طويل ولحية ، وقد استغل الفنان بعض قواعد هذه التماثيل لنقش صور عدد من المتعبدین يقدمون قرابينهم . وهم جثاة (٢٠) .

وجاء بعد «أور ننجرسو» ولده «أوجمي» (Ugme) ، ثم خلفه «أورجار» (Urgar) ، ثم «ناماخني» (Nammakhni) ، آخر ملوك الأسرة ، والذي ربما كان معاصرا لملك الوركاء «أوتوخيجال» (أسرة الوركاء الخامسة) و «أور - نامو» مؤسس أسرة أور الثالثة (٢١) .

(٣) أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق م)

عاصرت أسرة لجش الثانية في نهضتها كل من الوركاء وأور . ووقع عبء الانفاح المسلح ضد الغزاة الجوتيين على أكتاف الوركاء (أوروك) . واستحقت بذلك نوعا من اعتراف أغلب المـدن السومرية . فلتقد تزعـم حرب التحرير ضد الجوتيين ملك الوركاء «أوتو خيجال» (Utukhegal) . وقد كتب له نجحا بعيد المدى في هزيمة قبائل الجوتيوم . وتخليص البلاد من شرورهم ، وطبقا لقائمه الملوك السومرية . فهو الملك الوحيد في أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق م) (٢٢) .

هذا وقد ترك «أوتو خيجال» (أوتو خيكال) نصا تاريخيا فريدا باللغة السومرية ، نسخ على لوح كتابي يؤرخ ببداية الالف الثانية قبل

(٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣١ .

21) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 67.

CAH, I, Part, 2, P. 998.

وكذا

(٢٢) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٥٠ - ٢٥١ وكذا

CAH, I, Part, 2, P. 998.

الميلاد^(٢٣) . يتحدث فيه عن قصة الانتصار العظيم الذى حققه على أعدائه . وكيف أنه استطاع الحاق هزيمة ساحقة بجيوش الملك الجوتى «تريجان» الذى فر من أرض المعركة ، وكيف أن المواطنين قد طاردوا الملك المهزوم حتى قبضوا عليه ، ثم جاءوا به ليركع عند قدمى الملك السومرى «أوتو خيجال» .

وهناك ما يشير الى أن انتصار «أوتو خيجال» انما قد اقترن بحدوث كسوف للقمر فى البلاد ، وأن هذا الكسوف انما قد حدث فى اليوم الرابع عشر من شهر تموز (يوليو) ، ومن ثم فقد اتخذ المذجمون والعرافون من هذا اليوم فألا دونوه فى كتب العرافة ، حيث يقول الفأل «إذا خسف القمر فى اليوم الرابع عشر من شهر تموز ، فهو نذير للملك الجوتى ، سوف يسقط الجوتيون فى المعركة ، وتنتحرر البلاد» .

ونقرأ فى نص أوتوخيجال «فوض الاله انليل ملك البلاد ، الرجل العظيم أوتو خيجال (أوتو حيكال) ملك الوركاء ، ملك جهات العالم الرابع ، الملك الذى لا يخالفه أحد ، أمره (انليل) أن يحطم اسم الجوتى (الكوتى) ، أفعى وعقرب الجبال الذى رفع يده ضد الالهة ، الذى نقل ملكية سومر الى بلاد أجنبية ، وملاً بلاد سومر بالمعداوة ، الذى أبعد الزوجة عن كانت له زوجة ، وأبعد الطفل عن كان له طفلاً ، والذى أقام العداوة والعصيان فى البلاد» .

«ومن ثم فقد ذهب أوتو خيجال الى ملكته الالهة «اننا» وابتهل اليها قائلاً : أى ملىكتى ، لقد عهد الى انليل بأن استعيد الملكية الى سومر . فكونى عونى ، ان «تريجان» ملك جوتيوم ، لم يسر اليه أحد بقواته لحربه ، فاستولى على الفرات وساحل البحر ، ثم سار «أوتو خيجال» الملك الذى وهبها نليل القوة ، ووضعته اننا فى قلبها ، الرجل القوى ، قد اتجه قدما من الوركاء ليخوض المعركة ضد تريجان

23) J. Bottero, Op. Cit., P. 125.

••• وعندئذ غمر السرور أهالي الموركاء وأهالي كويلا ب ، وتبعه رجال مدينته ، وكانهم رجل واحد» •

«وفي اليوم الخامس من مسيرته من الموركاء أسر «أور نينازر» و «نابو انليل» قائد «ترييران» اللذين أرسلهما الى سومر كسفراء ، ووضع «أوتو خيجال» قيودا خشبية في أيديهما ، وفي اليوم السادس وصل «أوتو خيجال» الى «كاركار» ووقف أمام الاله أشكور وناداه : أيها الاله أشكور ، لقد أعطاني الاله انليل السلاح ، فكن عوني في مهمتي ••• وكان الجوتيون قد جمعوا قواتهم في ذلك المكان •••• غير أن «أوتو خيجال» ، الرجل العظيم ، تمكن من دحرهم وأسر قائدهم . وعندئذ فر «تريجان» والتجأ الى مدينة «دبروم» وعامله الناس بعطف ، ولكن عندما علم رجال دبروم أن أوتو خيجال هو الملك الذي منحه انليل القوة ، لم يطلقوا سراح تريجان ، وجاء رسل أوتو خيجال وأخذوا تريجان وأسرتة أسرى ، ووضعوا القيود الخشبية في يديه ، وعصبوا عينيه ، ولما أحضروه أمام أوتو خيجال ألقي بنفسه عند قدميه ، فوضع أوتو خيجال قدمه على رقبته •••• وهكذا عادت الملكية الى سومر» (٢٤) •

هذا ورغم أن المعركة الحاسمة بين «أوتو خيجال» والجوتيين كانت في مجاورات مدينة «دبروم» التي لجأ اليها «تريجان» بعد هزيمة . والتي يقترح البعض أن تكون «تل جدر» الحالية ، فيما بين أوما وأدب : أي أنها لم تتجاوز نطاق أرض سومر ، غير أننا لم نسمع عن معارك أخرى بين «أوتو خيجال» والجوتيين الذين انتهى نفوذهم عقب هذا

(٢٤) فاضل عبد الواحد : السومريون والاكديون - كتاب العراق في التاريخ ص ٧٠ - ٨٠ ، أقدم حرب للتحرير عرفها التاريخ - مجلة سومر - العدد ٣٠ لسنة ١٩٧٤ ص ٥٦ - ٥٧ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٣ - ٣٠٥ وكذا

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 325-326.

النصر الذى حرزه «أوتو خيجال» ضدهم (٢٥) .

وهكذا نجح «أوتو خيجال» فى تحرير البلاد من الاحتلال الجوتى ،
ومن ثم فقد حظى بمكانة ممتازة فى سومر ، أهلته الى أن يتدخل فى فض
المنزاع على الحدود بين مدينتى لجش وأور ، فى صالح لجش ، ثم فرض
سيادته على مدينة أور التى كان حاكمها «أور - نامو» تابعاً له (٢٦) .

غير أن «أوتو خيجال» لم ينعم طويلاً بهذا النقوط ، وسرعان ما
انتقلت السيادة على سومر - بعد وفاته - الى أسرة أور الثالثة ، التى
حققت للسول الميزوبوتامى وحدة سياسية ، شأنها فى ذلك شأن أسرة
أكد (٢٧) .

(٢٥) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٥ .
وكذا C. J. Gadd, Op. Cit., P. 462.
(٢٦) C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, P. 595.
(٢٧) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٥ .

الفصل الثاني

أسرة أور الثالثة

(٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق م)

انتهى حكم الملك «أوتو خيجال» في الوركاء بقيام أسرة جديدة في مدينة أور ، عرفت في التاريخ باسم «أسرة أور الثالثة» ، وهي آخر أسرة سومرية حكمت في التاريخ ، ويسمى هذا العصر عند كثير من الباحثين باسم «عصر الاحياء السومري» (Sumerian Renaissance) ، وقد حكم فيه خمسة ملوك لمدة مائة وثمانية أعوام (٢١١٣ - ٢٠٠٦ ق.م) (١) .

ولعل من الاهمية مكان الاشارة الى أن أسرة أور الثالثة قد تجنبت الى حد ما العوامل الوخيمة التي نخرت في كيان الدولة الاكديّة من قبلها ، نتيجة للتفرقة بين السومريين والساميين ، وشطر أهل البلد الواحد شطرين ، فاستعانت بالعنصرين في جيشها وفي مناصب الادارة . وجمعت بين اللغتين السومرية والاكديّة في بض الوثائق الرسمية والادبية ، وتسمى بعض ملوكها بأسماء سامية الصبغة مثل «نوسين» و «أبي سين» ، ولو أن هذه السياسة لم تمنع ملوكها من مركزة الحكم في عاصمتهم ، فظلت هذه العاصمة تشرف على كل كبيرة وصغيرة من شئون المدن والاقاليم ، ويبدو أنها استعانت على ذلك باستحداث نظام يتسبه نظام الوزارة ، والعناية بنظام العدائين لتبليغ أوامرها الى ولاية اقاليمها ، واعتبرت أولئك الولاية مجرد موظفين كبار ، يخضعون للنقل من اقليم الى اقليم (٢) .

(١) أور - نامو (٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق.م) :

أسس أسرة أور الثالثة الملك «أور - نامو» (Ur-Nammu) . الذي تمرد على «أوتو خيجال» ملك الوركاء ، وأنهى حكمه . ثم أقام

(١) فاضل عبد الواحد : العراق في التاريخ ص ٨١ ، وكذا CAH, Bottero, Op. Cit., P. 136.

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ .

ولدا له في كهانة المعبودة «اننا» — معبودة الوركاء — كما يعد «أور — نامو» وولده «شولجى» (Shulgi) ، أشهر ملوك الأسرة (٣) ، وقد خضعت لهما كثيرا من المدن السومرية والاكديّة ، الامر الذى سمح للملك أور بأن يتلقبوا بمثل لقبى «سرجون الاكدي» أى «ملك سومر وأكد» و «ملك الجهات الاربع» ، وان ظل هذا اللقب الاخير بخاصة لقباً شريفاً ، أكثر منه لقباً فعلياً ، اذ أنه على الرغم من جهود الملكين وبعض خلفائهما في سبيل توسيع الحدود ، واعتراف آشور في الشمال بنفوذهما الاسمى ، بحيث أقام أهل «اشنونا» معبداً في مدينتهم نسبوه الى ملك أور «شوسين» ، وبحيث أرسل أحد ملوك آشور هدية ثمينة الى «بيرسين» ملك أور القوى ، ملك الاقاليم الاربعة ، الا أن حجم المملكة ظل أقل بكثير مما كان عليه في العصر الاكدي (٤) .

هذا وقد أهتم «أورنامو» بالعمران والبناء كثيرا ، فشملت أعماله العمرانية — الى جانب العاصمة أور — كثيرا من المدن السومرية ، مثل الوركاء ولجش ونفر وأريدو ، ولعل من أشهر انجازاته العمرانية بناؤه «زاقورة» في معبد اله القمر «نانا» (Nanna) — وهو المقابل للاله سين البابلى — وتتكون هذه الزاقورة من ثلاث طبقات (بينما أصبحت الزاقورة تتكون بعد ذلك من سبع طبقات) ، وعلى المستوى الثالث من الزاقورة الشاهقة الارتفاع — والتي تمثل أحسن زاقورة حفظت لنا من بلاد النهرين — يوجد المعبد الصغير المبني من اللبن ، وتكسوه طبقة زجاجية زرقاء ، وكان هذا المعبد هو غرفة زواج المعبودين «نانا» و«نينجال» ، وكسوة الطبقة السفلى من الزاقورة مبنية بالطوب المختوم باسم «أورنامو» ، وقد سجل ذكرى بناء هذا المعبد على مسلة من حجر بنى اللون ، وجدت في أور ، ومحفوطة الان بمتحف بنسلفانيا بالولايات المتحدة الامريكية ، والمناظر التي عليه تمثل الملك «أور — نامو» واقفاً

3) J. Bottero, Op. Cit, p. 136

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 597.

وكذا

(٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣١ — ٤٣٢ ، وأنظر :

S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, 1960, P. 26.

أمام الآله «نانا» الجالس على العرش ، ويسكب الملك الماء المقدس على شجرة موضوعة في اناء ، ويتكرر هذا المنظر أمام الآلهة «نينجال» زوجة «نانا» الجالسة على العرش ، وفي المنظر الثانى يشاهد «أور — نامو» . وقد حمل على كتفه عدة البناء ، ليضع الحجر الاساسى لبناية المعبد^(٥) .

هذا وقد اهتم «أور — نامو» كثيرا بعاصمته «أور» ذات الهيئة المبيضاوية ، فأعيد تسوير هذه المدينة التى أطلت على نهر الفرات بميناء ذى أرصفة واسعة ، والتى حماها الماء من ثلاث جهات . وبلغت مساحتها نيفا ونصف ميل طولا ، وربيع ميل عرضا . والتى امتدت حولها ضواحيها ، وشغلت معها مساحة قدرها نحو أربعة أميال طولا ، وميل ونصف الميل عرضا ، وقد أطل سور المدينة من داخله على ساحة متسعة (بلغت مساحتها ٤٠٠ × ٢٠٠ ياردة) قامت فيها معابد المدينة الكبرى المخصصة للمعبود «نانا» (ننار) وزوجته «نينجان» وحاتيتيهما . وقد بقيت أجزاء لبعض هذه المعادن حتى الآن بحالة لا بأس بها^(٦) ، هذا ونظرا لأهمية سور أور عند «أور — نامو» فقد سمي العام الذى أقام فيه السور ، «بالعام الذى بنى فيه سور أور»^(٧) .

هذا وتشير احدى السنوات المبكرة من عهد «أورنامو» الى اعادته «سفن ماجان وملوخوا الى يدى نانا ، معبود أور»^(٨) . الامر الذى يدل على أن أسراور الثالثة ، انما كان لها ما كان لأسرة لجش الثانية من نفوذ ومصالح تجارية فيما وراء الخليج جنوبا . كما تشير بعض النقوش التى

(٥) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٧٨ ، وأنظر :

G. Roux, Op. Cit., P. 156-157.

H. Frankfort, Op. Cit., P. 103-105.

J. Bottero, Op. Cit., P. 138-139.

L. Woolley, Ur Excavations, V, The Ziggurat and its Surroundings, 1939.

L. Woolley, Excavations at Ur, London, 1963, P. 125-135.

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ .

7) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 597.

8) J. Bottero, Op. Cit., P. 136.

عشر عايتها في أور والوركاء ولارسا ونيبور ، الى حرص «أور — نامو» على تثبيت حدود هذه المدن ، والتي يبدو أنها لم تكن مستقرة على أيام الجوتيين ، بل ان الامر لم يكن مقصورا على المدن السومرية ، وانما امتد أيضا الى المدن الاكدية في شمال نيبور ، حيث قام «أورنامو» بتثبيت أملاك آلهتها ، كحدود لهذه المدن^(٩) .

هذا وقد أهتم «أور — نامو» بشق القنوات ، وهو عمل لاشك في أهميته القصوى في جنوب العراق القديم ، لتطهير هذه المجارى المائية من الترسبات الطميية ، حتى لا تفقد قيمتها كوسيلة رى ومواصلات في آن واحد ، وطبقا لما جاء على لوح حجرى من أور فلقد أمر «أور — نامو» بحفر القنوات على حدود عاصمته أور ، وقد ربطت احدى هذه القنوات مدينة أور بالبحر ، حتى يتيسر لسفن تجارة الخليج أن تفرغ شحناتها في أور^(١٠) .

على أن الامر الذى لا ريب فيه أن أهم أعمال «أور — نامو» انما كان قانونه الشهير^(١١) ، والذى يعد أقدم وثيقة قانونية في العالم اكتشفت حتى الآن — بعد تنظيمات أوركاجينا — الامر الذى قد يتغير في المستقبل ، مع احتمال العثور على قوانين تسبقه ، ما تزال في بطن الأرض الطيبة في العراق ، وعلى أية حال ، ففى المتن السومري المكتوب على قوائم محروقة في الشمس ، والذى يمثل الصورة الأولى للفكر

9) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 598-599.

J. Bottero, Op. Cit., P. 136-138.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 78-79.

(١٠) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٠٩ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 559-560.

(١١) أنظر عن قانون أور — نامو :

S. N. Kramer, in Bullt. fun. Museum, 17, 1952.

E. Ezlechter, Le Code d'un-Nammu, in RA, XLIX, 1955, P. 169-177.

J.J. Finkelstein, The Laws of Ur-Nammu, in JCS, 22, 1968-1969, P. 66-82.

S. N. Kramer and A. Falkenstein, Ur-Nammu Law Code, Orientalia, 23, 1954, P. 40-51.

القانونى فى العراق القديم ، وقد تمكن الباحثون من تشخيص مقدمته وخاتمته ، مما يعنى أن القوانين مبوب بموجب الأسلوب الصحيح للقانون ، غير أن عدد المواد التى أمكن ترجمتها لا تزيد على اثنين وعشرين مادة ، وذلك لأن النسخ المكتشفة إنما كانت مدونة على ألواح من الطين ، يرجح أنها قد نسخت عن الأصل — ربما حوالى ما بين عامى ١٨٠٠ ، ١٧٠٠ ق.م — والذي كان مدوناً على الحجر ، وأن الألواح الطينية قد تكسرت ، وتلف معظم أقسامها ، ومن ثم فقد تعذر التعرف على الصيغة الكاملة للقانون .

وعلى أية حال ، فإن القانون قد كتب باللغة السومرية ، وأن بقايا المقدمة إنما تشير الى أن المعبود «ننار» قد فوض «أور — نامو» فى حكم المدينة ، وأنه قد وصفه بالملك التقي العادل الورع ، وأن مجيئه إنما كان ايذاناً بالقضاء على الفساد والفوضى وسوء الإدارة ، والجور على حقوق الآخرين ، من ثم فقد تمتع الناس بحقوقهم ، ونالوا حريتهم ، وأما المواد القانونية الباقية التى أمكن ترجمتها : فإنها تعالج الأحوال الشخصية ، من زواج وطلاق ، فضلاً عن النظر فى بعض المخالفات وتحديد العقوبة الملائمة لكل حالة (١٢) .

هذا وقد أخذ قانون أور — نامو بمبدأ التعويض . باستثناء حالات نادرة ، كالتى تعاقب فيها الزوجة الخائبة بالذبح ، والتى تعاقب فيها الجارية التى تتطاول على سيدها أو سيدتها بدعك فمها بالمح (١٣) ، وربما كان مبدأ التعويض هذا يتفق مع الاهتمام السومري بالتجارة ، وذلك على خلاف قانون حمورابى ، الذى يعتمد على القصاص ، وهكذا استن قانون أورنامو مبدأ دفع الديات على الجروح التى لا تقضى الى الوفاة . فجعل دية جرح القدم عشرة شواقل من الفضة ، ودية كسر العظام «منا» من الفضة ، ودية قطع الانف ثلثى منا من الفضة . وأشار الى

(١٢) رضا جواد : المرجع السابق ص ٧٢ — ٧٣ .

(١٣) J. J. Finkelstein, Op. Cit., P. 524-525.

الاداة التى تستعمل فى كل حالة ، مما يعنى أنه أراد بذلك الاعتداء المتعمد ، وأجاز التشريع اظهار البينة عن طريق الامتحان بالقاء المتهم فى النهر — (ويبدو أن الحكمة من ذلك هى ايكال أمره الى اله النهر ، اذا عجز القاضى عن اثبات التهمة عليه ، فان شاء أنقذه وبرأه ، وان شاء أغرقه بذنبه) — وأمر بتسليم العبد الآبق الى سيده (١٤) .

هذا وقد تضمنت العبارات الباقية من التشريع سعى صاحبه الى توحيد الاوزان والمكاييل ، ورغبته فى تخليص المواطنين ممن يستغلون ماشيتهم وأغنامهم ودوابهم ، والى أن يمنع وقوع اليتيم فريسة للثرى ، ووقوع الارملة ضحية للقوى ، وأن لا يصبح الرجل الذى يملك شاقلا ، فريسة لذلك الذى يملك منا ، كما وضعت بعض المواد ضوابط للعمل القضائى وسير المحاكم ، وخاصة ما يتعلق منها بشهادة الزور وتبعاتها (١٥) .

(٢) شولجى (٢٠٩٥ - ٢٠٤٨ ق م) :

جاء «شولجى» (Shulgi) على عرش أور ، بعد أبيه «أور — نامو» ، الذى قضى فى ميدان القتال ، وطبقا لما جاء فى نص على لوح كتابى فقد «نبذ فى ميدان القتال محطم» ، وتنسب قائمة الملوك السومرية الى الملك الجديد (شولجى) فترة حكم قدرها ٤٨ عاما ، وقد امضى الرجل الشطر الاول منها فى الاعمال البنائية — وخاصة فى بناء المعابد — فأكمل زاقورة أور التى شيدها أبوه «أور — نامو» ، كما أعاد بناء معبد الالهة «اننا» فى نيبور ، فضلا عن إعادة بناء معبد الالهة «ننليل» فى نيبور ، أيضا بعد تهدمه للمرة الرابعة ، وربما كان هذا

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ .

(١٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٢ ، رضا جواد الهاشمى : القانون والاحوال الشخصية ص ٧٣ .

الاهتمام بالمشئون الدينية هو ما دعا شولجى الى تأليه نفسه ، أسوة
بنارم — سن ، ملك أكـد (١٦) .

والواقع أن حكام أور انما قد استمسكوا بالالهة المقدسة التي
اكتسبتها منذ أيام الدولة الاكدية ، وكان «شولجى» هذا (وكان اسمه
يقرأ «دونجى» ، ثم ظهر رأى جديد يقرأه «ساج — جى») أكثرهم
استمساكا ، وقد اختير كاهنا أكبر للمعبودة «انانا» فى الوركاء (أوروك)
فى حياة أبيه ، وذكرت نصوصه أن الاله قد اختاره بنفسه . وقد أطلق
اسمه بعد توليه العرش على أحد شهور دولته ، ورفع أهـل بلاطه الى
مرتبة الربوبية ، أو ما هو قريب منها ، ورضى هو بطبيعة الحال . فسمى
بعضهم أولاده باسم «شـولجى ايلى» بمعنـى «شـولجى الهى» .
و «شـلجى بانى» بمعنـى «شـولجى الخالق» ، فضلا عن «شـولجى
أبى» (١٧) .

وقد أقيمت لهذا الملك المؤله (شولجى) هياكل العبادة . وقدمت له
القرابين ، كما أقيمت عبادته فى بعض المدن السومرية . كما يشير الى
ذلك تعبير «شولجى معبود أوما» ، وربما أصبحت هذه العبادة قومية .
وفقا لما يتبين من تعبير «شولجى حياة أرض سومر» (١٨) . بل إن الرجل
انما حاول أن يظهر نفسه كرياضى يتمتع بمقدرة فائقة فى العدو . كبغل
جبلى ، بحيث يمكنه قطع المسافة عدوا من نيبور الى أور وبالعكس فى
يوم واحد (١٩) .

16) L. Woolley, Op. Cit., P. 128-129.

S N. Kramer, The Sumerians, P. 47, 68, 130.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 80.

J. Bottero, Op. Cit., P. 141.

(١٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ ، وانظر :

T Jacobsen, BASOR, 1947, P. 16 F.

(١٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣١٣ .

(١٩) نفس المرجع السابق ص ٣١٣ ، وكذا

S N. Kramer, The King of The Road, in ANET, P. 585-586.

هذا وقد عبر كاتب سومري عن رأى شولجى فى نفسه ، فكتب على لسانه يقول : «أنا الملك ، كنت بطلا فى بطن أمى ، أنا شولجى صاحب البأس منذ مولدى ، أنا أسد ثاقب البصر ، ابن مسارد ، أنا ملك أركان الدنيا الأربعة ، أنا حامي السومريين وراعيهم ، أنا بطل ، رب البلاد كلها . أحب الخير وأقصى الشر . وأمقت ألفاظ العداوة ، أنا شولجى الملك المقتدر ، أخضعت البلاد الثائرة ، وكفلت الأمان لشعبي ... شولجى الذى توفر له بأس السماء والأرض ، ولم يكن له مثيل ، شولجى الذى رعاه رب السماء» (٢٠) .

هذا وقد أهتم «شولجى» بمدينة أور — التى على شاطئ البحر (٢١) — وان ذكر كتاب عهده أنه استولى على ذخائر معبد «اساجيلا» ، ومعبد بابل ، فغضب عليه «بعل» ولم يرض عن جثته (٢٢) ، وعلى أية حال ، فلقد أهتم «شولجى» كذلك بمدينة «كوثى» ، فأعاد بناء المعبد الكبير للمعبود «نرجال» رب كوثى ، كما نالت الوركاء حظا من رعايته كذلك ، حيث أعاد بناء معبد «آى انا» معبد «ننا» ، وأما معابد لجش ، فلعلها أكثر المراكز السومرية حظا فى عهد «شولجى» فلقد عثر على عدد من اللوحات فى «تلو» من ذلك العصر ، تشير الى قوائم بقطعان الماشية والحمير التى يمتلكها المعبد ، والأرضين الغنية التى فى حوزته (٢٣) .

هذا وكان «شولجى» شديد الاهتمام أيضا بطرق المواصلات ، وبراحة المسافرين على هذه الطرق ، ومن ثم فهو يفاخر فى نص له بأنه وسع الطرق وجعلها مستقيمة ، وأمن طريق السفر ، وأقام عليه استراحات كثيرة ، زرع من حولها الحدائق وأقام فيها من يقيمون على خدمة المسافرين نهارا ، ويحققون لهم الأمن والأمان ليلا (٢٤) ، هذا فضلا

(٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٣ ، و أنظر S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, 1960, P 38

(٢١) أنظر : A. L. Oppenheim, in ANET, P. 266.

(٢٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٤ .

(٢٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٨ .

(٢٤) S. N. Kramer, Op. Cit., P. 585

عن ربط الاقاليم بعضها ببعض الآخر ، عن طريق تنظيم حملتي البريد من الدائنين ، الذين هيئت لهم محطات لضمان وصول تعليماته لهذه الاقاليم ، كما عني بتنظيم جمع الضرائب من مختلف الاقاليم ، وتسجيل ذلك كله على لوحات حفظت في دور المحفوظات^(٢٥) . وأخيرا غلقت كن هذا الملك السومري من المهتمين بالادب والمعرفة . وأنه أبدى عناية كبيرة بالمدارس ، حتى أنه ليفخر بتحصيل العلم في المدرسة في أيام الطفولة . وأنه قد أتقن فنون الكتابة المسمارية^(٢٦) .

وهكذا استطاع «شولجي» أن يقيم حكما قويا في البلاد . وأن يجرد عدة حملات تأديبية ضد القبائل في زاجروس . وأن يخرض سيده على بلاد عيلام ، وأن يرتبط بعلاقات مصاهرة بحاكم «باراخشي» غلقت زوجه من احدى بناته في العام الثامن عشر من الحكم (حوالي عام ٢٠٧٧ ق م) ، كما زوج بنتا ثانية من حاكم «أنشان» في العام الثاني والثلاثين من الحكم (حوالي عام ٢٠٦٣ ق م) . الامر الذي يشير الى علاقات ودية مع عيلام ، وثقتها روابط المصاهرة . وان كان هناك ما يشير الى حملة تأديبية وجهها شولجي الى أنشان بعد فترة قصيرة من زواج ابنته من حاكمها ، هذا فضلا عن اشارة عن عدم عرف بأنه : «العام الذي دمرت فيه أنشان مرة أخرى» ، كما قام شولجي بقهر سهل «سوزيانا» في العام الثامن والعشرين من الحكم (حوالي عام ٢٠٦٧ ق م)^(٢٧) .

هذا وقد كشفت الحفريات عن آثار النشاط المعماري الضخم الذي قام به شولجي في سوسة ، كما يبدو هذا واضحا في معبد «ابن تنوشيناك» المعبود المحلي لهذه المدينة ، فضلا عن استخدامه لمقاتلين

-
- (٢٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٦٦ .
(٢٦) فاضل عبد الواحد على : سلالة أور الثالثة - من كتاب : العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ٨١ .
(٢٧) فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ٨١ ، فوزي رشيد : نصوص إدارية من العصر السومري الحديث - مجلة سومر - العدد ٢٤ لسنة ١٩٦٨ ص ٧١ - ٧٣ ، ٧٦ - ٨٢ ، وكذا
W. Hing. CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 655-656.

عيلاميين لتمتع تمرد القبائل الجبلية في الشمال الشرقي (٢٨) ♦

والواقع أن جهود شولجى في ميدان تغلغل الثقافة السومرية في عيلام بالغ الاثر ، ورغم أن هذه الثقافة كانت قد انتقلت الى عيلام قبل عهده ، غير أن جهوده لم تقف عند حد الغازات التي تستهدف الاحتلال ، بل تعدتها الى ابراز السيادة والحكم من الحكومة المركزية في أور ، وهناك كثير من الوثائق تشير الى تموين عمال الملك الذين يمرون بمدينة لجش في طريقهم من أور الى عيلام ، تعدد كميات الحبوب والشراب والزيت التي تصرف لهم ، ومن الاسماء التي وردت للمدائن التي عين بها هؤلاء الموظفون ، نستطيع أن نؤكد أن السلطان الملكى امتد الى كافة المدن الهامة هناك ، وربما كان أبرزها جميعا سوسة ، وأما مهام هؤلاء الموظفين فكان من بينها جمع مواد التموين والبناء ، فضلا عن العمال ، لآداء الاعمال الملكية ونقلها حيث يريد الملك ♦

وهناك ما يشير الى أن شولجى انما قد خلع الحكام الوطنيين ، وأحل غيرهم من الموظفين البابليين محلهم ، وهو أمر تابعه فيه خلفاؤه من بعده ، مستهدفين جميعا صيانة ادارة الاقاليم من أن تلقى أزماتها في أيدي لا يطمأن اليها ، ومع ذلك فتردد قيام الثورات في الاقاليم العيلامية يرحى بأن الاهلين لم يخضعوا تماما للغزو ، بل انهم كانوا يسمعون دائما الى التخلص من نيره ، كلما سنحت لهم الفرصة ، وقد انتج العنف والقسوة أثرهما ، لا في اخضاع البلاد ، بل في احياء الامل في الاستقلال ، مما أدى الى سقوط أسرة أور ، فيما بعد ، كما سنرى (٢٩) ♦

وأما «سوبارتو» في شمال السهل الميزوبوتامى ، فلقد ناوأ شولجى وتمردت عليه ، الامر الذى يبدو واضحا من الرسائل المتبادلة بين

(٢٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣١٥ - ٣١٦ وكذا

W. Hinz, Op. Cit., P. 656.

(٢٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الخامس - الاسكندرية ١٩٦٣ ص ١٦٧ - ١٦٨ .

الطرفين ، وان لم تصل العلاقات بينهما الى مرحلة الحرب (٣٠) .

وعلى أية حال ، فليس هناك ما يشير الى حملات حربية ضد الغرب ،
وان تحدثت النصوص عن «جزية أمورو» ، كما ذكرت نصوص شولجى
«العام الذى بنى فيه حائط البلاد» فى اقليم سيبار ، والذى يرجح أنه
كان سورا دفاعيا لتأمين حدود شولجى ضد الخطر الامورى (٣١) .

(٣) امار - سين (٢٠٤٧ - ٢٠٣٩ ق م) :

جاء «امار - سين» (Amar - Sin) على عرش أور ، بعد أبيه
«شولجى» ، ولمدة سنوات تسع ، فيما تروى قائمة الملوك السومرية .
وقد تركز نشاطه المعمارى فى نيبور وأور ، وان اهتم كثيرا ، كما فعل أبوه
من قبل ، بمدينة أريدو ، التى أقام فيها معبدا لمعبودها المحلى «انكى»
(اله الماء العذب) ما تزال بقاياها قائمة حتى اليوم ، كما أضاف الى ألقابه
ما يعبر عن تاليهه ، وتفضيل الاله «انليل» له (٣٢) . وطبقا لأحد نصوص
الفال ، فلقد لقي حتفه «بسبب قرصة حذاء» ، ودفن بجوار شولجى
وأور - نامو (٣٣) .

هذا وقد تركزت حروب «أمار - سن» فى الشرق والشمال الشرقى .
فوجه عدة حملات الى «أمارسين» ويعرف العامان ، الاول والثانى . من
الحكم (حوالى عام ٢٠٤٧ ، ٢٠٤٦ ق م) كل منهما باسم «العام الذى

30) A. A. Fadhil, Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970, P. 149-151.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 331-332.

31) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 603.

J. Bottero, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 563.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, The Ancient Near East, 1971, P. 81.

32) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 607-608.

W. W. Hallo and W. K. Simpson, Op. Cit., P. 84.

33) G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 162.

A. Goetze, JCS, I, 1947, P. 261.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 608

خرب فيه أمارسين ، مدينة أوربيلوم» ، وفي العامين ، السادس والسابع ، من الحكم (حوالي ٢٠٤١ ، ٢٠٤٠ ق م) وجه عدة حملات الى المواقع الشرقية ، الى «شاشرو» (شمشاره) و «خوخ نوزي» — التي وصفت بأنها «مزلاج أرض أنشان» ، وتقع الى الشرق من سوسة ، هذا فضلا عن بعض المواقع الاخرى التي لم يتسن تحديد أماكنها (٣٤) .

وعلى أية حال ، فلقد كان أمارسين حريصا على أن يحكم هذه المناطق الشرقية حكما مباشرا عن طريق أتباعه المخلصين اللذين أقامهم في سوسة وخمازي وبار أخشي ، ومن ثم فقد نقل «زاريقوم» — والذي كان حاكما على أن آشور منذ العام قبل الاخير من عهد أبيه شولجي ، ولمدة سنوات ست من عهده — ليصبح حاكما على سوسة ، ولمدة سنوات ثمان (٣٥) .

(٤) شوسين (٢٠٣٨ - ٢٠٣٠ ق م) :

جاء «شوسين» Shu - Sin على عرش أور ، بعد أخيه «أمارسين» (٣٦) ، ولمدة تسع سنوات ، فيما تذكر قائمة الملوك السومرية ، وقد سار على سنة أبيه شولجي في الاستمساك بهالة الملك المقدسة ، وأثنت كاهنة من كاهنات «لوكور» على مولاها «شوسين» على ما أولاها اياه من هدايا ونعم ، وصاغت مديحها في نشيد بدأت به بوحسف الملك بالظهر ، وامتدحت أمه «أبسيمتي» لولادتها اياه ، ثم عدت عطاياها لها — بعد أن أطرته بنشيدها — وذكرت منها قلادة ذهبية ، وخاتما من اللازورد ، وخاتما ذهبيا ، وآخر من الفضة ، وأكدت أن تطالع الملك اليها ، كان أثمن لديها من هداياها ، وأضافت أن عاصمته تجثو لدى قدميه كالنبل الصغير ، وترفع أكفها تضرعا اليه ، ثم وصفته بأنه ربها وحبيبها ،

(٣٤) فوزي رشيد : المرجع السابق ص ٨٢ - ٨٤ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 607.

35) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 607.

W. Hinz, Op. Cit., P. 655-656.

(٣٦) أنظر :

S. N. Kramer, Op. Cit., P. 496, No. 7.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 608.

ورب بلده ، ومحبوب انليل ، هذا وقد حرص أحد النساخ المتأخرين عندما أراد أن يسجل هذه القصيدة ، أن يسبق اسم «شوسين» بمخصص الارباب (٣٧) .

هذا وقد واجهت «شوسين» بعض المتاعب من القبائل الجبلية في الشمال الشرقي ، ومن ثم فقد وجه اليها حملتين ، الواحدة الى «سيمانوم» التي قام بتقديمها في العام الثاني من حكمه (حوالي عام ٢٠٣٦ ق م) ، والاخرى الى «زابشالي» التي دمرها في العام السابع من الحكم (حوالي عام ٢٠٣١ ق م) (٣٨) ، هذا وتصور نقوش «شوسين» أسرى الحرب من «سيمانوم» ، وقد هجروا من بلادهم الى معسكر أقامه «شوسين» على مقربة من نيبور ، كما تصوره وهو يطاء رقبة «انداسو» — حاكم زابشالي — وقد صور خلفه عشرة من أمراء المنطقة المتحالفين معه ، وقد نقلوا جميعا كأسرى الى أور ، عاصمة شوسين ، كما غنم «شوسين» من زابشالي ومجاوراتها ثروة من المعادن ، وخاصة من النحاس والرصاص والبرونز ، فضلا عن الذهب الذي صاغ منه شوسين تماثالا له ، أقيم بمعبد انليل في نيبور (٣٩) .

على أن علاقة «شوسين» بعيلام ، انما كانت ترتبط — كما فعل أبوه شولجي — برباط المصاهرة ، فلقد زوج ابنته من حاكم أنشان ، الذي أرسل نائبه ليرافق الاميرة في رحلتها من أور الى أنشان ، كما أقام عدة مبان في سوسة لعبادته ، ومن ثم فقد أغفلت الألواح الحجرية التي عثر عليها هناك ذكر «ابن شوشيناك» معبود سوسة ، بينما تحدثت عن تأليه

(٣٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٣٤ ، صمويل كريمر : من ألواح سومر ص ٣٦٦ - ٣٦٩ ، وكذا ANET, P. 496.

(٣٨) فوزي رشيد : المرجع السابق ص ٧٤ - ٧٥ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٢١ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 608.

39) W. Hinz, Op. Cit., P. 657.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 609.

شوسين ، وانتحاله لقب «ملك الجهات الاربع»^(٤٠) ، كما عبرت نصوص أخرى عن استلام كمية من الشعير . مهداة كندور ، وقد أرخت بالعام الاول من الحكم (حوالي عام ٢٠٣٨ ق.م) والذي عرف باسم «العام الذي أصبح فيه شوسين ، المؤله . ملكا»^(٤١) .

وهناك ما يشير الى أن «شوسين» انما عهد بأمن المنطقة الشخصية الى المدعو «أورد نانا» (ايرنانا) وقد أسند اليه عدة مناصب هامة ، منها «سوكال ماخ» (الوزير الاعظم) و «انسى لجش» و «سانجا الاله انكى فى اريدو» و «انسى أرض جوتيوم» وغيرها ، هذا فضلا عن تعيينه حاكما عسكريا على مدن الشمال الشرقى والشرق ونسعب «سو» (وهم قوم من السوبريين كانوا يعيشون شرقى مدينة الموصل الحالية) ، وامتد نفوذ من مدينة اربيل الى الخليج العربى^(٤٢) ، وربما المسبب فى كل ذلك ، ازدياد خطر الاموريين ، واضطرار «شوسين» للتفرغ لمقاومتهم ، وبناء حائط أمورو ، على مقربة من بغداد الحالية ، فيما بين دجلة والفرات^(٤٣) .

(٥) ايبى - سين (٢٠٢٩ - ٢٠٠٦ ق.م) :

جاء «ايبى - سين» (Ibbi - Sin) على عرش أور ، بعد أبيه «شوسين» ، ولمدة ٢٤ عاما ، طبقا لما جاء فى قائمة الملوك السومرية ، وهو على أية حال ، انما يمثل آخر ملوك أسرة أور الثالثة ، والتي قدر لها أن تكون نهاية آخر الاسرات السومرية فى التاريخ ، والواقع أن علائم الضعف فى كيان أسرة أور الثالثة انما قد بدأت فى وقت مبكر من حكم «ايبى - سين» ، فلقد توقفت كثير من المدن السومرية عن تأريخ الوثائق المسمارية بسنى هذا الملك ، كما توتف بعضها الاخر عن ارسال

40) W. Hinz, Op. Cit., P. 657.

41) J. J. Meek, Mesopotamian Legal Documents, in ANET. P 217

42) J. Bottero, Op. Cit., P. 157-158.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 609

43) Ibid., P. 609-610.

النذور الى معبد اله القمر في العاصمة أور ، هذا فضلا عن ارتباك
الاضاع الاقتصادية ، وقلة المواد الغذائية الاساسية — كالحنطة
مثلا — وزاد الطين بلة تردى الاوضاع بصفة عامة ، بسبب هجوم
القبائل الامورية من الغرب ، وهجوم العيلاميين من الشرق ، مما أدى
في نهاية الامر الى سقوط اسرة أور الثالثة ، وأسر الملك «ايبي سين»
نفسه (٤٤) .

وعلى أية حال ، فلقد مرت السنون الخمس الاولى من حكم «ايبي
— سين» بدون متاعب ، حتى لنشهد أنه خلال الثلاث سنوات الاولى من
حكمه كانت الوثائق الاقتصادية في سوسة ، تؤرخ الوثائق في أور ، الامر
الذي مكّنه من اصلاح أسوار التحصين في أور ونيبور (٤٥) ، وفي العام
السادس (حوالي عام ٢٠٢٣ ق م) زوج «ايبي — سين» ابنته من حاكم
«زابشالي» لاقامة تحالف تدعمه المصاهرة ، غير أن هذا التحالف لم يأت
بالنتيجة المرجوة منه ، فقد كان على «ايبي — سين» أن يواجه وحده
— وفي العام العاشر من الحكم — تمرد قامت به العاصمة العيلامية سوسة ،
فضلا عن مدينتي «أدامدوم» و «أوان» في شمال سهل سوزيانا ، غير أن
الاقدار انما كتبت له نجحا بعيد المدى — عن طريق حملة خاطفة ، ولادة
يوم واحد — في أن يخضع الثائرين ، وأن يقتاد زعيمهم (ملك سيما
شكي) مكبلا في الاغلال الى أور (٤٦) ، وان اضطر بعد ذلك — وفي العام
الرابع عشر ، من الحكم (حوالي ٢٠١٥ ق م) — أن يخرج على رأس
جيش ضخم ضد «خوخ نوري» وأن يكتسحها كطوفان (٤٧) .

على أن الامور سرعان ما تنذر بالخطر ، عندما انتهز العيلاميون

(٤٤) فاضل عبد الواحد على : السومريون والاكديون — من كتاب —
العراق في التاريخ ص ٨٢ .

45) C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 611.

46) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 611-612.

W. Hinz, Op. Cit., P. 658.

47) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 612.

W. Hinz, Op. Cit., P. 658.

وحلفاءهم من القبائل الجبلية الشرقية فرصة ضعف الاموريين في الغرب ،
فهاجموا أرض سومر ، وحاصروا «ايبي - سين» في العاصمة أور . في
نفس الوقت الذي كان عليه أن يصعد زحف العناصر الامرية نحو
الجنوب ، وهنا طلب «ايبي - سين» من تابعه «ايشبي ارا» حاكم ماري
العوون (٤٨) .

غير أن «ايشبي ارا» سرعان ما انتهز هذه الفرصة ، التي أدت الى
تدهور السلطة المركزية في أور ، وأخذ يعمل لصالحه الشخصي ، فخرج
عن طاعة سيده ، ونقل نشاطه الى مدينة نيبور ، ثم الى مدينة «ايسين»
— الى الجنوب منها بنحو ٣٠ كيلا — وهناك استقل بالحكم ، وأسس
أسرة حاكمة خاصة به هي «أسرة ايسين» في السنة الثانية عشرة من حكم
«ايبي سين» ، ذلك لان حكمه انما يؤرخ بعد هذه السنة (٤٩) .

ولم يكتف «ايشبي ارا» بذلك ، بل عمل على امتداد سلطانه الى
مناطق نفوذ سيده «ايبي - سين» ، ويمكن أن نتبين ذلك من نص
رسالتين متبادلتين بين «بوزور نوموشدا» (أو - بوزو تسولوجي) حاكم
«كازالو» في الشرق ، وبين «ايبي - سين» ملك أور ، الذي رد أسباب
المحنة الى القضاء والمقدرة ، فضلا عن ارادة الارباب وفساد الدولة ،
يقول الحاكم «كازالو» ، «قضى انليل بالشر على سومر ، وهبط عدوها
من أرض وأعطى انليل الملكية لرجل وضيع ، الى «انشي ارا» ،
الذي ليس من بذرة سومرية لقد انداست سومر في مجمع الالهة ، وقضى
انليل أنه طالما بقى أهل السوء فيها ، فلسوف يدمر ايشي ارا ، رجل
ماري ، بنيانها ويكتسح أرضها» (٥٠) .

(٤٨) محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٣٢٣ - ٣٢٤ ، وكذا

W. Hinz, CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 658

(٤٩) محمد بيومي مهران : بلاد الشام - الاسكندرية ١٩٩٠م ص

٦٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٧ ، وكذا

C. J. Gadd, Babylonia, 2120-1800 B. C, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 613.

50) S. N. Kramer, Letter of King Ibhi-Sin, in CAH, I, Part, 2, P. 613

هذا وقد تكفل العيلاميون بالقضاء على أسرة أور الثالثة . حيث انهوا حكم «ايبي - سين» ، بعد مقاومة طويلة . يرجح أنها شغلت السنوات العشر الاخيرة من عهده ، وانتهت باحتلال العاصمة أور . بعد أن أصابها الخراب ، وحلت بها المجاعة ، ثم وضع القزم حامية عيلامية في أور . واقتادوا «ايبي - سين» أسيرا الى عيلام ، حيث قضى هناك في المنفى (٥١) .

وقد أرجع السومريون - كعادتهم في تفسير الكوارث التي تحل ببلادهم - أسباب زوال دولتهم ، وتدمير عاصمتهم أور ، فضلا عن تحطيم معابد آلهتهم وسلب كنوزها ، أرجعوه الى غضب الالهة ونقمتها . وخاصة انليل (٥٢) ، وإن كان القضاء على أسرة أور الثالثة . إنما يمثل كارثة حقيقية ، في تاريخ السومريين ، ومن ثم فقد تركت هذه الكارثة أثرا كبيرا في آدابهم ، يبدو واضحا في هذا الرثاء ، الذي جاء فيه : —

«لقد توقف القانون والنظام عن الوجود ، والتهمت العاصفة كل شيء ، حتى كأن طوفانا قد اجتاحتها لقد دمرت المدن ، وهدمت المنازل ولم يعد قوم أور يسكنون مساكنها وحل شعب «سو» والعيلاميون في مساكن أور وجيء بالملك «ايبي - سين» الى أرض عيلام أسيرا لقد أنقلب «نانا» على شعبه وكان ملك أور حزيناً في قصره الرائع . لقد ملأ الغم قلب «ايبي - سين» وذرف الدمع غزيراً» (٥٣) .

وعلى أية حال ، فلم يستمر العيلامون على أرض سومر طويلاً ، ذلك

S. N. Kramer, Lipit - Ishtar Law Cod, in ANET, P. 159-161.

S. N. Kramer, The Sumerians, Chicago, 1970, P. 333-335

A. A. Fadhil, Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970, P. 166-169.

51) S. N. Kramer, in ANET, P. 612-619, The Sumerians, 1970, P. 71.

W Hinz, CAH, I, Part, 2, P. 659

52) S. N. Kramer, ANET, P. 613, 617.

53) S. N. Kramer, ANET, P. 612-613.

لأن «ايشي ارا» — ملك ماري — انما يحدثنا في نص له ، يرجع الى عام ١٩٩٣ ق.م ، أى بعد سقوط أسرة أور الثالثة بحوالى ثلاثة عشر عاما ، بأنه «ضرب عيلام بالاسلحة» (٥٤) .

وعلى أية حال ، فان انتهاء حكم «ايبي — سين» في عام ٢٠٠٦ ق.م ، وبالتالي سقوط أسرة أور الثالثة ، انما يعنى انتهاء المحاولات الاخيرة للسيادة السومرية في العراق القديم ، ذلك لأن نهاية أسرة أور الثالثة ، انما كانت بمثابة نهاية لحياة السومريين السياسية ، اذ لم تنشأ منهم بعدها أسرات حاكمة ، بل اندمجوا في الساميين ، وان ظلت لغتهم وآدابهم تؤثر في العراق القديم حتى آخر عصور حضارته ، وسنشهد فيما بعد حضارات أخرى — كالبابلية والاشورية — تبرز بحيث تستطيع الواحدة منهما أن تطغى في مظاهرها على الحضارة السومرية ، ولكن يجب ألا يفوتنا أن هذه الحضارات التي نشأت — أول ما نشأت في العهد الاكدي — تلت بذورها الاولى عن الحضارة السومرية ، ثم تطورت منها بعد أن انهارت (٥٥) .

54) W. Hinz, Op. Cit., P. 659.

(٥٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧١ — ١٧٢ ، وأنظر L. Le Grain, Business Documents of The Third Dynasty of Ur, London, 1947, P. 225 F.

الفصل الثالث

ايسين ولارسا واشنونا

كان انهيار أسرة أور الثالثة ، وأسر آخر ملوكها «ايبي - سين» في عام ٢٠٠٦ قبل الميلاد ، مؤذنا بنكسة ترجع بنا الى نظام دويلات المدن . ذلك أن الكارثة التي أودت بعهد «ايبي - سين» شجعت مختلف المدن على اعلان استقلالها ، بحيث اصطنع حكامها الجدد ألقابا ضخمة توحى بالسيادة المطلقة ، لاعلى مدنهم فحسب ، بل على البلاد جميعا .

وهكذا أصبحنا في هذه المرحلة من الفوضى نلتقى بالكثيرين يحاولون الاستقلال أو يسعون الى تدعيمه - ان استطاعوا أن يصلوا اليه - فهذا «بوهيا» يسجل بالاكديية في «هورشيتوم» قصة بناء قصر له . وهذا أمير في «دير» يسجل في احدى اللوحات بالسومرية ترميم المدينة . وتشيد معبد بها ، وهذا «كيساري» في «جانخار» يسجل اسمه على خاتم أسطوانتي^(١) .

وهكذا شجعت الكارثة التي حلت بأور كثيرا من المدن على اعلان استقلالها ، ومن ثم فقد ظهرت عدة أسر حاكمة ، كان أبرزها دون شك ، أسرتا ايسين ولارسا في الجنوب ، وأشور واشنونا في الشمال^(٢) ، ولنتحدث الان عن هذه الأسر .

(١) أسرة ايسين

أسس الاموريون هذه الاسرة في «ايسين» (Isin) ، كبرى عواصم الاموريين - وهي الان ايشان بحريات ، جنوب عفا الحالية ، على مبعدة ٣٠ كيلا جنوب نيبور (نفر) - واصطنع ملوكها لقب «ملك سومر وأكد». كما اصطنعوا الصفات الالهية، وقاموا بأعمال عمرانية في أنحاء البلاد التي خضعت لهم ، ورمموا كثيرا مما خرب على اثر سقوط أسرة أور الثالثة .

(١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٣ .

2) G. Roux, Op. Cit., P. 169.

هذا وتشير «لوحة فأل» آشورية الى أن «ايشى أرا» ، ليس له منافسون ، وهو تعبير مبهم على أية حال ، ولكنه مع ذلك ، انما يشير الى سمعته الطيبة في العصور اللاحقة ، التي تعتمد على ما قام به من اصلاحات ، وما بذل من جهود موفقة في اعلاء شأن مدينته «ايسن» وسيادتها .

على أننا لا نملك الكثير من الوثائق عن تفصيلات الاحداث في عصر أسرة ايسين ، فالجزء الاكبر من معلوماتنا مستقى من «قائمة نيبور» التي تشير الى أن الاسرة قد حكمت ٢٢٥ سنة ، ٦ شهور^(٣) ، وقد حكم فيها ١٥ ملكا أولهم «ايشى أرا» ، وآخرهم «دمق ايليشيو»^(٤) .

هذا وقد حكم «ايشى أرا» لمدة ٣٣ عاما (٢٠١٧ - ١٩٨٥ ق.م) ، وتلقب بلقب «ملك سومر وأكد» ، واتخذ لنفسه صفات الالهية ، ثم

(٣) محمد بيومي مهران : بلاد الشام ص ٦٤ - ٦٥ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٨ - ١٧٩ .
(٤) انظر أسماء ملوك أسرة ايسين وفترات حكمهم (نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٦ ، ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ، ترجمة سعد فيضى - بغداد ١٩٨١ ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ، وكذا (CAH, I, Part, 2, P. 1000.

وهي طبقا للمرجع الاخير كالتالى :

- ١ - ايشى أرا (٢٠١٧ - ١٩٨٥ ق.م) .
- ٢ - شو ايليشو (١٩٨٤ - ١٩٧٥ ق.م) .
- ٣ - ايدين داجان (١٩٧٤ - ١٩٥٤ ق.م)
- ٤ - ايشى داجان (١٩٥٣ - ١٩٣٥ ق.م) .
- ٥ - لبت عشتار (١٩٣٤ - ١٩٢٤ ق.م) .
- ٦ - أور - نينورتا (١٩٢٣ - ١٨٩٦ ق.م) .
- ٧ - بورسن (١٨٩٥ - ١٨٧٥ ق.م) .
- ٨ - لبت - انليل (١٨٧٤ - ١٨٧٠ ق.م) .
- ٩ - ايرا - ايمنى (١٨٦٩ - ١٨٦٢ ق.م) .
- ١٠ - انليل - بانى (١٨٦١ - ١٨٣٨ ق.م) .
- ١١ - زامبيا (١٨٣٧ - ١٨٣٥ ق.م) .
- ١٢ - ايتير - بيشا (١٨٣٤ - ١٨٣١ ق.م) .
- ١٣ - أور - دوكوحا (١٨٣٠ - ١٨٢٨ ق.م) .
- ١٤ - سن - ماجبر (١٨٢٧ - ١٨١٧ ق.م) .
- ١٥ - ديمق ايليشو (١٨١٦ - ١٧٩٤ ق.م) .

خلفه أربعة من أسرته ، انتقل العرش من بعدهم الى أسرة ثانية ، كما دخل في خصام مع العيلاميين الذين كانوا يجتلون مدينة أور ، منذ سقوطها في أيديهم (عام ٢٠٠٦ ق.م) ، حتى استطاع أن يسترجعها منهم ، حوالي عام ١٩٩٣ ق.م — أي بعد سقوطها بحوالي ١٣ عاما — في حرب لم تعرف تفاصيلها ، اندحر فيها العيلاميون اندحارا بلغت شدته حدا جعلهم لا يتحرشون بمدن العراق الجنوبية لفترة طويلة .

وهناك ما يشير الى قيام «ايشي ارا» بتعزيز وسائل الدفاع عن عاصمته ايسن ، فضلا عن علاقاته التجارية بمدن الفرات الاعلى ، والمناطق الشمالية الشرقية ، وعن شغفه الشديد بالثقافة السومرية ، وكانت اللغة السومرية ما تزال هي اللغة الرسمية في البلاط^(٥) .

وجاء بعد «ايشي ارا» ولده «شوايليشو» (Shu - Illshu) (١٩٨٤ — ١٩٧٥ ق.م)^(٦) ، ويشار اليه في بعض النصوص ، أنه قد أعاد تمثال المعبود «ننار» من أنشان الى أور ، وان كنا لا ندري على وجه اليقين ، أتم هذا بطريق سلمى أم في حرب انكسرت أنشان فيها .

وجاء بعد ذلك «ايدين داجان» (Iddin - Dagan) (١٩٧٤ — ١٩٥٤)^(٧) ، وقد احتل سيار ، وأعلن نفسه ملكا على سومر وأكد ، وأكبر الظن ان انتحال هذا اللقب ، ليس بالامر الجديد في «ايسن» فلقد خلف سلفاه (أبوه وجده) نصوصا أو نقوشا نلتقى فيها بلقب «ملك سومر وأكد» ، وعلى أية حال ، فان خليفته «ايشمي داجان» Ishme - Dagan (١٩٥٣ — ١٩٣٥ ق.م) ذهب الى أبعد من ذلك ، فلقد عثر في أور (المقير) على بعض قوالب طوب البناء ، وعليها لقب «سيد الوركاء» — فضلا عن لقبى «ملك ايسن» ، و «ملك سومر وأكد» — كما

(٥) سامى سعيد الاحمد : العصر البابلى القديم — من كتاب العراق في التاريخ ص ٨٢ .

6) CAH, I, Part, 2, 1971, P. 1000.

7) Ibid., P. 1000.

يسجل في عبارات طنانة ما أسداه الى مدن نيبور واريديو وأور ، مما يؤكد امتداد سلطانه على هذه النواحي ، وقد ذكرت هذه المدن ، كما سجلت نفس الالقاب في عصر ولده وخليفته «لبت عشتار» (Lipit - Ishtar) (١٩٣٤ — ١٩٢٤ ق م) (٨) .

وينسب الى «لبت — عشتار» هذا ، واحد من أهم التشريعات في العراق القديم ، ويؤرخ بالعام الحادى عشر من حكمه (حوالى عام ١٩٢٤ ق م) ، وبعد «تشرىع اشنونا» بنصف قرن ، وقبل تشرىع حمورابى بقرن ونصف تقريبا ، ولم يبق من تشرىع لبت عشتار ، سوى ثمانى وثلاثين مادة ، يحتمل أنها كانت تؤلف نحو نصف مواد التشرىع ، فضلا عن مقدمة وخاتمة (٩) .

هذا وقد كتبت تشريعات لبت عشتار باللغة السومرية (وربما كانت هناك نسخة أخرى باللغة الاكدية) (١٠) وقد حفظت لنا فى سبعة ألواح ، عثر على ستة منها فى نيبور ، وهى محفوظة الآن بمتحف الجامعة فى لندن ، أما السابعة — ومصدرها غير معروف — فمحفوظة الآن بمتحف اللوفر فى باريس ، ومن المؤكد أن هذه النسخ الطينية (الكسر) انما هى نسخة من القانون الاصلى (١١) ، يدل على ذلك ، كثرة الاخطاء النحوية ، وسوء ترتيب المواد فلقد جرت العادة أن يستنسخ الطلبة القوانين أو

(٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٧٩ ، وكذا

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٢ .

(١٠) C. J. Gadd, Op. Cit., P. 635.

(١١) انظر عن قانون لبت عشتار (نجيب ميخائيل : المرجع السابق ٤٩/٦ — ٥٣ ، طه باقر : قانون لبت عشتار — مجلة سومر — بغداد ١٩٤٨ ، فوزى رشيد : الشرائع العراقية القديمة — بغداد ١٩٧٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٤٤ — ٤٤٥ ، رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٣ — ٧٤ ، وكذا

S. N. Kramer, Lipit - Ishtar Law Code, in ANET, 1966, P. 159-161.

F. R. Steele, The Code of Lipit - Ishtar, in AJA, LII, 1948, P. 425-450.

F. Szlechter, in RA, LI, 1957, P. 57-82, 177-196, LII, 1958, P. 74-89.

F. R. Steele, in AJA, LI, 1947, P. 158-164.

بعض النصوص الدينية بغية تعليمهم وتدريبهم على الكتابة والقراءة .
ومن ثم فمن المرجح أن هذه النصوص المكتشفة إنما هي من قبيل هذه
النصوص المكتشفة إنما هي من قبيل هذه النصوص التعليمية. أما الأصل
فقد دون على مسألة أو نصب مميز ، لم يعثر عليه بعد . الأمر الذي تفسر
اليه الفقرة التي وردت في مقدمة القانون . والتي تقول — على لسان لبت
— عشتار — «عندما وفرت الرفاهية لبلاد سومر وأكد . أقمت هذه
المسألة» (١٢) .

هذا وقد اتخذ «لبت — عشتار» في مقدمة قانونه لقب «ملك سومر
وأكد» ، واعتبر نفسه ولدا للاله الأكبر «انليل» . ووصف نفسه بأنه
الراعى الحكيم ، ولكنه سرعان ما عقب على ذلك بقوله : انه راع متواضع
وأنه مزارع ، وأكد رعايته للمدن العتيقة نيبور واريديو وأور وأوروك ،
وافنخر بأن ربه وهبه امارة البلاد ، ليحق الحق فيها . وليعمل على
اسعاد السومريين والاكديين ، سواء بسواء ، وليقاوم الفساد والقتال
بقوة السلاح ، ثم أكد أنه استوحى تشريعه من «أوتو» — رب
الشمس — و «انليل» وأقر كلمتهما المقدسة ، وأنه ابتغى أن يحرر أبناء
مدن سومر وأكد وبناتها من الرق الذى فرض عليهم (١٣) .

وأما مواد القانون التي سلمت من التلف الذى أصاب الألواح . وقد
أمكن ترجمتها ، فانها تعالج شئون الاراضى الزراعية ، وشئون السرقة
في البساتين ، أو في دار مجاورة لأرض زراعية مهجورة ، فضلا عن شئون
العبيد في حالات هربهم ، أو ايواء الهاربين منهم أو عقبتهم ، كما تناولت
مواد أخرى حالات الاعتداء على الآخرين ، وتنظيم شئون الضرائب .
وقد اهتمت كثيرا بقانون الاحوال الشخصية ، وخاصة فيما يتعلق بشئون
الابناء ، فضلا عن الحقوق المالية والاجتماعية وشئون الارث (١٤) .

(١٢) رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٣ - ٧٤ .
(١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٢ .
(١٤) رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٤ .

وهناك ترجمة لأهم مواد القانون الباقية كاملة :

مادة ١٨ : اذا سلم رجل أرضا بورا الى آخر ، ليقيم فيها بستانا ، ولم يكمل الاخير اصلاح الارض البور لعمل البستان ، فانه يسلم الرجل الذي أقام البستان الارض البور التي أهلها ، كجزء من نصيبه •

مادة ١١ : اذا جاورت أرض بور منزلا عامرا ، وأنذر صاحب المنزل صاحب الارض البور بخوفه من أن يتسلل رجل الى بيته ، فان صاحب الارض البور (الفضاء) مسئول أمام صاحب المنزل عما يضيع من مقتنياته •

مادة ١٢ : اذا هربت أمة أو عبد الى قلب المدينة ، وثبت أنها — أو أنه — يعيش في بيت رجل آخر مدى شهر ، فانه يرد أمة أو عبدا ، مقابل الامة أو العبد •

مادة ١٣ : اذا لم يكن له عبيد ، فانه يدفع ١٥ شاقلا من الفضة

مادة ١٤ : اذا عوض عبد عن عبوديته لمولاه ، وثبت أنه عوضه تعويضا مضاعفا ، فانه يعتق (وهذا يعنى أن القانون قد أباح للعبد أن يحرر نفسه اذا دفع لسيده ضعف ما اشتراه به) •

مادة ١٨ : اذا عجز ، أو تأخر ، صاحب ضيعة — أو صاحبة ضيعة — عن دفع ضريبة الضيعة ، ونقلت الى شخص غريب ، فان صاحب الضيعة يظل فيها ثلاث سنوات ، دون أن يطرد ، ثم تنتقل ملكيتها بعد ذلك الى من تحمل دفع الضريبة عن الضيعة ، وليس لصاحبها الاول أى دعوى قبلها •

مادة ٢٢ : اذا كان الاب حيا ، فمن حق ابنته — سواء أكانت «انتو» (طبقة من الكاهنات) أو «ناتيتو» (طبقة أخرى من الكاهنات) — أن تعيش في بيته ، كوريثة له •

مادة ٢٤ : اذا حملت الزوجة الثانية بأطفال (وهذا يعنى أن القانون يقر سعيدا تعدد الزوجات) فان البائنة التى أتت بها من بيت أبيها . انما هى حق لأطفالها ، ولكن أطفال الزوجة الاولى والثانية انما يأخذون أنصبتهم من ممتلكات أبيهم بالتساوى (١٥) .

مادة ٢٥ : اذا تزوج رجل بأمرأة ، ثم رزق منها بأطفال ، ثم رزق أيضا من أمة له بأطفال كذلك ، فان الامة وأطفالها يحررون ، غير أن أبناء الامة لا يشاركون أطفال أبيهم الاخرين فى ضيعته .

مادة ٢٦ : : اذا ماتت الزوجة الاولى ، ثم اتخذ زوجها من بعدها أمة له كزوجة ، فان ورثته انما هم أبناء الزوجة الاولى

مادة ٢٧ : اذا كانت الزوجة عقيما ، ثم اتخذ لنفسه مخطية «من الميدان العام» (ربما بمعنى عاهرة) ورزق منها بطفل أو أطفال : وجب عليه أن ينفق على حظيته ، وأن يورث أولاده منها ، ولكن ليس له أن يسكنها فى داره ، ما دامت زوجته حية (وفى ذلك بعض التقدير لكرامة الزوجة الشرعية ، ومراعاة مشاعرها كعافر حرمت هبة الانجاب) .

مادة ٢٨ : اذا أدار الرجل وجهه عن زوجته الاولى (بمعنى هجرها) ، ولكنها لم تغادر البيت ، ثم بنى بأخرى ، فان هذه الزوجة الثانية — كأثيرة عنده — تصبح زوجته الثانية ، ولكنه يستمر فى الانفاق على الزوجة الاولى .

مادة ٢٩ : اذا دخل خطيب الابنة مسكن حميه المقبل . وقام بمراسيم الخطبة : ثم طرد بعد ذلك ، وأعطيت خطيبته لرفيقه . فان جميع هدايا الخطوبة ترد له ، كما أن الفتاة لا تتزوج من رفيقه .

(١٥) قارن ذلك بقانون «البكورية» عند بنى اسرائيل (محمد بيومى مهران : اسرائيل - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ١٩٠ - ١٩٤) .

مادة ٣٤ : اذا أجز رجل ثورا ، وجرح جلده عند خزامة الانف ،
فانه يدفع ثلث ثمنه •

مادة ٣٥ : اذا أجز رجل ثورا ، وفقاً عينه أو أصابها ، فانه يدفع
نصف ثمنه •

مادة ٣٦ : اذا أجز رجل ثورا ، وكسر قرنه ، فانه يدفع ربع ثمنه •

مادة ٣٧ : اذا أجز رجل ثورا ، وأصاب ذيله ، فانه يدفع ربع ثمنه •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن «لبت — عشتار» — رغم
اهتمامه بالتشريع — فقد قام بتشديد عدة مبان في أور ، غير أن معاصره
«جونجونوم» (Gungunum) (١٩٣٢ — ١٩٠٦ ق.م) ملك لارسا ،
سرعن ما انتزع منه عدة مدن هامة ، مثل أور ولجش ، وفرض حكمه
على مناطق واسعة في جنوب العراق ، مكنته من التحكم في تجارة البلاد
الخارجية . ومع ذلك فان «جونجو نوم» لم يتعرض لأسرة ايسن ، أو
أنها ، فيما يبدو ، قد استطاعت أن تستعيد قواها •

وهكذا تشير قوائم الملوك الى أن خليفة «لبت عشتار» انما كان
«أور ننورتا» (١٩٢٤ — ١٨٩٦ ق.م) وتصفه نصوص كتبت على قوالب
من طين . وهو يحمل الالقاب التقليدية «ملك ايسن ، ملك سومر وأكد» ،
بل ويظهر في بعض النصوص بوصفه — الى جانب الالقاب السابقة —
سيد الوركاء ، وحامي نيبور وأور واريديو ، وبعد حكم دام ٢٨ عاما ،
نرى ابنه «بورسن» يخلفه وهو يحمل نفس الالقاب التي كان يحملها
أبوه . ثم جاء بعد «بورسن» (١٨٩٥ — ١٨٧٥ ق.م) «لبت انليل»
(١٨٧٤ — ١٨٧٠ ق.م) •

وجاء «ايرا — ايمني» (١٨٦٩ — ١٨٦٢ ق.م) ، وقد وقع في عهده
حدث غريب لا نعرف تفاصيله ، فلقد تم اختيار ملك بديلا له ، حسب
العادة المعروفة آنذاك ، ليحكم مدة معينة ، عندما يشعر الكهنة أن شخص

الملك الحقيقي معرض للخطر ، وعندئذ يحكم الملك البديل عوضا عنه ، ثم يقتل في نهاية الفترة المحددة ، ويدفن في موكب عظيم ، وهكذا أختير البستانى «انليل — بانى» ليكون الملك البديل ، غير أن الملك «ايرا — ايمينى» سرعان ما قتل أثناء تناوله حساء ، وربما كانت هناك مؤامرة ضده ، وبالتالي فقد مات مسموما ، وربما كان «انليل — بانى» من وراء هذه المؤامرة ، وأيا ما كان الامر ، فلقد أصبح «انليل — بانى» هو الملك الجديد ، وحكم البلاد ٢٣ عاما (١٨٦١ — ١٨٣٨ ق م) •

وكان الملوك الثلاثة الذين أتوا بعد «انليل — بانى» (زامبيا — ايتريشيا — أور — دوكوجا) والذين حكموا البلاد فترة لا تتجاوز عقدا من الزمان (١٨٣٨ — ١٨٢٨ ق م) لا تربطهم مع بعض أى صلة من قرابة ، الامر الذى يشير الى مدى الاضطراب الداخلى الذى ساد البلاد غير أن الفترة الاخيرة من عهد الاسرة ، والتي حكم فيها «سن — ماجير» (١٨٢٧ — ١٨١٧ ق م) و «دمق ايليشو» (١٨١٦ — ٢٧٩٤ ق م) انما كانت أكثر استقرارا ، وقد عثر للملك «سن — ماجير» على نقش نذرى مكرس له بوصفه سيد المدينة ، بل انه ظل يتمسك فى نص آخر بلقب «ملك سومر وأكد» ، وكان ولده «دمق ايليشو» يصطنع نفس اللقب ، بل ان هناك ما يشير الى أن سيبار وبابل قد خضعتا لحكمه فترة من الزمن ، فكان — كأبيه — ملكا على سومر وأكد ، غير أن الامور سرعان ما تغيرت حتى استطاع «ريم سين» ملك لارسا أن يقضى على سلطان «دمق ايليشو» ، ويحتل العاصمة «ايسين» ، وان ينهى حكم أسرته ايسين تماما •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن ملوك أسرة ايسين — رغم أنهم كانوا من أصل أمورى سامى — انما قد تأثروا كثيرا بالثقافة السومرية ، ومن ثم فقد استعملوا اللغة السومرية فى تدوين مكاتبتهم الرسمية ، واستنسخوا النصوص الادبية السومرية ، واستخدموا ألقاب الملوك السومريين والاكديين ، كلقب «ملك سومر وأكد» ، وأخيرا فلقد قلدوا

ملوك أسرة أور الثالثة في اضافة علامة التأليه (النجمة) الى أسمائهم ،
بغية أن يصفوا على أنفسهم مسحة من القداسة (١٦) .

(٢) أسرة لارسا

أسس هذه الأسرة «نابلانوم» (Naplanum) (٢٠٢٥ - ٢٠٠٥ ق.م) (١٧) . وهو أموري الاصل - في مدينة «لارسا» - وهي تل
سنكرة الحالية ، على مبعده ٣٠ كيلا شمال غرب الناصرية - ثم تلاه
ثلاثة من الملوك الضعاف .

وكان خليفته الرابع «جونجونوم» Gungunum (١٩٣٢ -
١٩٠٦ ق.م) ملكا قويا . استطاع أن يقف في وجه أسرة ايسن ، والتي
كانت حتى ذلك الوقت تتمتع بنفوذ سياسى كبير في البلاد ، وهناك ما
يتسير الى أنه وجه جيشا نحو عيلام ، وهاجم مدينتى «باشيمى»

(١٦) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٤ - ٨٦ ، نجيب
ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٠ - ١٨٤ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 171 F.

(١٧) انظر ملوك أسرة لارسا وفترات حكمهم (نجيب ميخائيل :
المرجع السابق ص ١٧٦ ، ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٥ ، وكذا
CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971, P. 1000.

وهى طبقا للمرجع الاخير كالتالى :

- ١ - نابلانوم (٢٠٢٥ - ٢٠٠٥ ق.م) .
- ٢ - اميسوم (٢٠٠٤ - ١٩٧٧ ق.م) .
- ٣ - ساميوم (١٩٧٦ - ١٩٤٢ ق.م) .
- ٤ - زابايا (١٩٤١ - ١٩٣٣ ق.م) .
- ٥ - جونجونوم (١٩٣٢ - ١٩٠٦ ق.م) .
- ٦ - أبى - سارة (١٩٠٥ - ١٨٩٥ ق.م) .
- ٧ - سمو - ابل (١٨٩٤ - ١٨٦٦ ق.م) .
- ٨ - نور - أداد (١٨٦٥ - ١٨٥٠ ق.م) .
- ٩ - سن - أدينام (١٨٤٩ - ١٨٤٣ ق.م) .
- ١٠ - سن - اريبام (١٨٤٢ - ١٨٤١ ق.م) .
- ١١ - سن - اكبتام (١٨٤٠ - ١٨٣٦ ق.م) .
- ١٢ - صلى - أداد (١٨٣٥ ق.م) .
- ١٣ - ورد - سن (١٨٣٤ - ١٨٢٣ ق.م) .
- ١٤ - ريم - سن (١٨٢٢ - ١٧٦٣ ق.م) .

و «أنشان» ، أما في الداخل فلقد هاجم مملكة ايسين ، واستولى على أور ، وزعم أن سلطانه قد شمل سومر وأكد ، وبعد سنوات قلائل ، استولى على لجش وسوسة ، وربما أوروك ، وأصبحت لارسا على أيامه تمتلك نصف جنوب العراق ، وباب البحر السفلى (الخليج العربي) ، ومن ثم فقد اتخذ لقب «ملك سومر و أكد» .

وهكذا استمرت «لارسا» في التوسع ، في حين بدأ نفوذ «ايسين» في الانحسار ، ابتداء من عهد «لبت عشتار» (١٩٣٤ — ١٩٢٤ ق م) ، غير أن «جونجونوم» — كما أشرنا من قبل — لم يتعرض لأسرة ايسين ، أو أن أسرة ايسين استطاعت أن تستعيد قواها .

وعلى أية حال ، فلقد خلف «أبي — سارة» (Abi - Sart) (١٩٠٥ — ١٨٩٥ ق م) «جونجونوم» على عرش لارسا ، وقام بشق القنوات ، وتزيين معابد الالهة ، ومن ثم فقد تلقى «ننار» — معبود أور — تمثالين ، الواحد من الفضة ، والاخر من العقيق واللآلئ ، وفي سنته التاسعة (حوالي عام ١٨٩٥ ق م) حارب قوات ايسين ، على أيام الملك «بورسين» (١٨٩٥ — ١٨٧٤ ق م) ، غير أن «بورسين» لما قد نجح في أن يستعيد «أور» من «لارسا» (Larsa) ، فضلا عن لقب «ملك سومر و أكد» .

وجاء «سمو — ايل» (Sumuel) (١٨٩٤ — ١٨٦٦ ق م) — بعد أبي — «سارة» ، وأعلن نفسه «ملكا على أور» و «ملكا على سومر و أكد» ، بعد أن استولى على لجش ، وأهدى الى الالهة «ننن ايسن» كلبا نذريا من حجر السيتياتيت ، ثم حارب «كازاللو» و «كايدا» وكيش ، وانتصر عليهم جميعا ، ثم شق القنوات ، وأهدى المعبود شمش تمثالا من الفضة .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أنه في العام التالي لحكم «سمو — ايل» ملك لارسا ، و «بورسن» ملك ايسين ، أعلن «سمو —

أبوم» (Sumuabum) نفسه ملكا على بابل (١٨٩٤ - ١٨٨١ ق.م) وكان لظهور أسرة بابل هذه تأثير خطير على الاحداث ، ليس في العراق القديم فحسب ، بل في تاريخ الشرق الادنى القديم كله ، من النواحي السياسية والثقافية والعمرانية ، وجدير بالذكر هنا أن القبائل الامورية التي كان يتزعمها «سومو - أبوم» انما تمثل الموجة الامورية الثانية التي دخلت بلاد النهرين ، بينما تمثل أسرتا ايسين ولارسا الموجة الاولى .

وعلى أية حال ، فلقد أخذ نفوذ أسرة بابل هذه يزداد شيئا فشيئا ، الامر الذي أدى الى أن تشتبك في حرب مع ملك لارسا «صلى - أداد» (Silli - Adad) (١٨٣٥ ق.م) انتهت بقتله، الامر الذي أدى الى أن ينتهز الملك العيلامي «كودور ماسك» الفرصة في أن يتدخل في شئون لارسا ، وأن ينصب ولده «ورد - سين» (Warad - Sin) (١٨٣٤ - ١٨٢٣ ق.م) ملكا على لارسا ، ثم خلفه أخوه «ريم سن» (Rim - Sin) (١٨٢٢ - ١٧٦٣ ق.م) الذي قضى نهائيا على أسرة ايسين المعاصرة تماما في عام ١٧٩٣ ق.م .

وعلى أية حل ، فلقد كان سقوط أسرة ايسين سببا في أن يصبح الجو السياسي مهينا أكثر من أى وقت مضى لنزاع مرتقب بين القوتين القويتين - ايسين وبابل - الامر الذي تم في عام ١٧٦٣ ق.م ، على يد الملك البابلي الشهير حمورابي الذي حقق نصرا ساحقا على «ريم سن» ، وبذا انتهت أسرة ايسين الى الابد (١٨) .

(١٨) ل. ديلاپورت : المرجع السابق ص ٤٢ - ٤٤ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٠ - ١٨٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٤ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٧٤ - ٧٥ ، أحمد سليم : المرجع السابق ص ٢٩٥ ، وكذا

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 636-637.

(٣) مملكة اشنونا

شملت مملكة اشنونا (تل أسمر الحالية) على أرضين تقع ضمن محافظتي بغداد وديالى ، بعاصمتها المتمثلة في تل أسمر ، وقد كان يتبعها عدة مدن ، يمثلها الان تل حرمل وخفاجي وتل الضباعي وشجالي ، وكان تل حرمل — ويقع على مبعدة ٩ كيلا شرقي بغداد — يمثل صاحبة من ضواحي اشنونا تسمى «شادوبم» ، ومركزا اداريا لمملكة اشنونا بعد استقلالها في أخريات عهد أسرة أور الثالثة ، وقد عثر فيه على مجموعة من اللوائح تتضمن نصوصا تمثل نواحي المعرفة ، فضلا عن قانون لا نعرف مشرعه ، وان نسبه «طه باقر» و «جوتزة» الى ملك دعوه «بلالاما» ، ثم عدل الاخير عن رأيه ، واكتفى بنسبة التشريع الى مدينته «اشنونا» (١٩) .

هذا ويعتبر تشريع اشنونا هو التشريع الثانى من نوعه ، بعد المحاولة التى قام بها «أور — نامو» مؤسس أسرة أور الثالثة ، أو هو الثالث بعد المحاولة الادارية التى قام بها «أوركاجينا» فى لجش ، وهو يعد أول القوانين التى كتبت باللغة الاكادية ، وقد كشف عنه خلال حفريات مديرية الآثار العراقية فى موقع أثري يقع فى منطقة بغداد الجديدة ، الكائنة فى ضواحي العاصمة بغداد ، اسمه تل حرمل ، غير أن النسخ المكتشفة ليست هى القانون الاصلى ، وانما هى نماذج استخدمت فى أغراض تعليمية ، ومن ثم فهى — نأنها فى ذلك شأن قانون لبت عشتار مثلا — عرضة للاخطاء النحوية ، وعدم الدقة فى تبويب أبوابها .

هذا وقد بقيت من قانون اشنونا هذا ، احدى وستون مادة ، عالجت أهم جوانب الحياة فى عصرها ، وتسهدت بالكفاية التشريعية لأصحابها ،

(١٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، طه باقر : السابق ص ٢٨٨ ، نجيب ميخائيل المرجع السابق ص ٤٥ ، وكذا A. Goetze, ANET, P. 161. G Roux, Op. Cit., P. 175.

غير أنه — على غير العادة في القوانين السابقة — فإن المواد الاحدى عشرة الاولى ، انما تتعلق بتحديد الاسعار والاجور ، مما يثير الشك في صحة تبويب هذه المواد ، كما أنها لا تبدأ بأداة الشرط «إذا» ، على غرار المواد القانونية (٢٠) .

وعلى أية حال ، فلقد اهتمت مواد القانون بأسعار الكثير من المواد الضرورية ، كالشعير والزيت والملح والنحاس وتأجير العربات والقوارب والعمال الزراعيين والاجراء ، كما اهتمت كذلك بالعبيد وبالزواج والطلاق والاقراض والدين والتبني والارث والبيع والشراء والتعدي ، فضلا عن تحديد العقوبات على جرائم عصرها ، وعلى الاضرار التي تلحق بالغير ، وقد جمعت في ذلك بين القصاص والدية .

وهكذا تناولت تشريعات اشنونا أغلب مشكلات الحياة في عصرها ، وأدى العثور على ما بقى منها الى تعديل الفكرة الشائعة التي اعتبرت تشريعات حمورابي أقدم تشريعات مكتوبة في العراق القديم ، وعلى أية حال ، فيمكن تقسيم تشريعات اشنونا الى مجموعات : اهتمت مجموعة منها بتحديد أسعار الاقوات الضرورية كالشعير والزيت والملح ، فجعلت كور الشعير بشيقل فضة ، وسعر الثلاث «كا» من الزيت الممتاز بشيقل فضة ، وكذا كوري الشعير ، وأما «كا» زيت السمسم الفاخر فبثلاث سيئات من الشعير (المواد ١ ، ٢) .

واهتمت مجموعة أخرى بتحديد أجور العربات والقوارب ، ومن يعملون عليها ، فضلا عن أجور العمال الزراعيين ، فجعلت أجره العربة بثيرانها وسائقها طوال اليوم ، «بانا» ، ٤ سيئات شعير ، أو ثلث شيقل فضة (مادة ٣) ، وجعلت أجره نقل حمولة كور بالقرب ، ٢ فو (كو) شعير ، وأجره المراكبي طوال اليوم ، سيه وقو من الشعير ، (مادة ٤) ،

(٢٠) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا Taha Baqir, Tell-Harmal, Sumer, II, 1946, P. 23-30, IV, 1948, P. 137-138.

على أن يدفع ثمن ما أغرقه ، إذا ما تسبب بإهماله في غرق المركب (مادة ٥) ، وأما إذا استولى راكبي على مركب لا يملكه ، فإنه يدفع عشرة شواقل من الفضة (مادة ٦) ، كما جعلت أجره الحمار والحمال طوال اليوم سيتين من الشعير ، وجعلت أجره الفلاح في موسم الحصاد سيتين من الشعير . أو وزن ١٢ حبة من الفضة ، وأما أجره الاجير في الشهر فكانت شيقلا من الفضة ، وبانا من الشعير ، وجعلت أجر مذيريات الحبوب سيتا من الشعير ، على أنها اشترطت أن يدفع الاجير عشرة شواقل من الفضة لمن استأجره للحصاد ، ولم يضع نفسه تحت تصرفه ، ولم يكمل له العمل الذي استؤجر من أجله (المواد ٧ - ١١) .

واهتمت مجموعة ثالثة بالعقوبات ، فجمعت بين القصاص والدية ، ومن ثم قفد رضيت بالقتل عقابا للقاتل ، ولكنها أقرت مبدأ الدية على الجروح التي لا تؤدي الى الوفاة ، فقضت على من عض أنف شخص ، أو اقتلع عينه ، بأن يدفع دية قدرها «منا» من الفضة ، وقضت على من كسر سنا لآخر ، بأن يدفع له عشرة شواقل من الفضة ، وألقت مسؤولية ما يأتيه العبد أو الفحل أو الكلب على كاهل صاحبه (المواد ٤٢ - ٤٨ ، ٥٣ - ٥٧) .

وعنيت مجموعة رابعة بتنظيم العلاقات الاسرية . والمعاملات الخاصة ، فاشتترطت رضا الوالدين على زواج ابنتهما ، وقررت أن من أغوى فتاة على معاشرته ، دون أن يعقد عليها أمام والديها ، أو أحدهما . لن تصبح له زوجة ، حتى وان أقامت في داره حولا كاملا ، ولكنه من ناحية أخرى ، اذا عمل عقد زواج مع أبيها أو أمها وعایشها ، فإنها تصبح زوجة بيت ، وان وجدت مع رجل آخر تقتل انها لا تخرج حية ، كما نصت على أنه اذا ما تعاقد رجل مع سباب على تزويجه ابنته . ثم زوجها لغيره ، وجب عليه أن يرد له ضعف ما أخذه منه كما نصت على أنه اذا اعطى رجل مال العرس لابنة رجل آخر ، ثم اغتصبها رجل ثالث ، دون استئذان أبيها ، أو أمها ، واغتصب بكارتها ، فان هذه جريمة كبرى ، عقوبتها الموت (المواد ٢٥ - ٢٨) .

ونصت على حق المحارب الذى يؤسر — مدافعا أو غازيا — وينقل الى ديار أعدائه ، فى أن يسترد زوجته حين عودته ، ولو تزوجت غيره ، خلال غيابها عنها ، ولكنها حرمت هذا الحق على من فارق بلده كارها لها ، أو أبقا من سيده ، كما جعلت القتل عقابا على الزوجة الزانية ، وأما من يفتض بكاره جارية رجل آخر ، فإنه يدفع ثلثى «منا» من الفضة ، وتظل الجارية ملكا لسيدها (المواد ٢٩ — ٣١) •

ونصت على أن من طلق زوجته ذات الاولاد ، وتزوج غيرها ، عليه أن يفارق دارها وما فيها هو ، ومن أراد أن يتبعه من أهل داره (مادة ٥٩) ، ونصت على أن من سلم ابنه للحضانة والتربية ، ولم يعط الحضنة تمويना من الشعير والزيت والصوف مدى ثلاث سنوات ، فإنه يدفع ١٠ منا من الفضة ، فى مقابل تنشئته ، حتى يمكنه أن يسترد ولده ، وأما اذا سلمت جارية طفلها لابنة رجل آخر ، وشهد سيده حين يكبر ، فإنه يستطيع أن يسترده (المواد ٣٢ — ٣٣) •

واستنتت شريعة اشنونا مبدأ المشفعة ، فأقرت حق الاخوة فى شراء نصيب أخيه من الميراث ، اذا أراد بيعه ، وأن من باع دارا ، فهو أحق بشرائها ثانية ، لو باعها مشتريها ، (المواد ٣٨ ، ٣٩) ، ونصت على أنه اذا اشترى رجل عبد أو أمة أو ثورا أو بضاعة ثمينة ، ولكنه لم يستطع ان يحدد البائع له ، فهو لص (مادة ٤٠) ، كما حددت أرباح القروض — مدنية أو عينية — فجعلت ربح المشيقل من الفضة سدسا وست حبات ، وجعلت ربح كور الشعير ، «باننا» وأربع سيات من نفس نوعه (المواد ١٩ — ٢١) •

ونصت على أن من يستترهن جارية رجل ، ليس له دعوى قبله ، ويقسم الرجل على ذلك ، فان يدفع له فضة كاملة عن الجارية ، فاذا ما قتلها يدفع له مقابلها جارتين ، وأما من احتجز زوجة «موشكينوم» (عضو فى هيئة تتصل بالقصر أو المعبد) أو طفلا له وقتلها ، فإنه يقتل (المواد ٢٢ — ٢٤) ، ونصت على أنه ان كان هناك حائط يهدد بالانهيار ،

ووصل الى السطات نبأ علم صاحبه بذلك ، ولم يقيم بتدعيمه ثم انهار الحائط فقتل واحدا من طبقة الاحرار ، فان هذه جريمة كبرى يفصل فيها الملك (مادة ٥٨) •

هذا وقد حرصت مجموعة خامسة من التشريعات نفسها على تأكيد حقوق القصور الملكية والمعابد والسادة فيما يمتلكون من العبيد والجواري والعقارات ، فحرمت على الرقيق والاماء الموسومين بأسماء سادتهم أن يجتازوا بوابة اشنونا ، دون اذن من سادتهم ، وأكدت حقوق السادة في امتلاك أبناء جواريتهم ، ولو رباهم غيرهم ، وحرمت على العبد أو الجارية أن يتاجر لحسابه ، وتوعدت من يتعامل معه ، أى أنها اعتبرت العبد لا يملك شيئا ، وهو وما يملكه ملك لسيده ، «لا يجوز للتاجر أو بائعة الخمر أن يتسلم من عبد أو امرأة فضة أو حبوبا أو صوفا أو زيتا كراس مال للمتاجرة» ، وقد فرضت عشرة شواقل من الفضة على من يضبط نهارا في حقل رجل من «موشكينوم» أو في داره ، والقتل على من يضبط ليلا (المواد ١٢ - ١٦) (٢١) •

وأما عن الناحية السياسية في مملكة اشنونا ، فان أول حاكم استقل بها كان «ايليشو - ايليا» حوالي عام ٢٠٢٥ ق.م ، والمعروف أن ضعفا حل باشنونه جعلها تابعة لاييسين ثم الدين وكيش ، ثم جاء بعد ذلك ملوك نهضوا بالمملكة ، منهم «ابق أداد الاول» التي تخلصت في أيامه واتخذ لقب ملك أشور ، ويرجح أنه الملك المعروف بنفس الاسم في ثبت اشنونا من السيطرة الخارجية، ثم خلفه «نارام سن» الذي وسع المملكة،

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥ - ٤٩ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٨٨ - ٢٩٠ ، رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٥ - ٧٦ ، وكذا

T. Baqir, Sumer, 4, P. 153-173.

A. Goetze, The Laws of Eshnunna, in ANET, 1966, P. 161-163.

A. Goetze, Sumer, 4, 1948, P. 63-102, JAOS, 69, 1949, P. 115-120.

A. Pohl, Orientalia, 8, 1949, P. 124-128.

G. Roux, Op. Cit., P. 173.

M. S. Nicolo, Orientalia, 18, P. 258-262.

واتخذ لقب «ملك آشور» ، ويرجح أنه الملك المعروف في نبت الملوك الاشوري ، ثم جاء بعده «داد وشه» الذي ساعد «زمرى ليم» ملك مارى (تل الحريري) على استرجاع عرشه من الاشوريين ، ثم قوضت دعائم المملكة بحيث لم تقو على الصمود أمام «حمورابى» الذى استولى عليها فى عام ١٧٦١ قبل الميلاد .

وعلى أية حال . فلقد كان لأشورنا دور كبير فى عصرها ، ربما بسبب ثرائها الذى كان نتيجة امتلاكها لأرضين خصبة ، تغذى بها شبكة من القنوات وفروع الانهار ، فضلا عن موقعها الجغرافى المتوسط ، الامر الذى كان له أكبر الاثر فى تجارتها (٢٢) .

بقيت الاشارة الى قيام أسرة مالكة أيضا فى «أشور» — كما أشرنا من قبل استقلت بعد انهيار أسرة أور الثالثة ، وظلت كذلك حتى أيام حمورابى ، وأما أول ملوك أسرة آشور هذه ، فهو «ايلو — شوما» ، وكان معاصر لمؤسس أسرة بابل الاولى (سومر — ابوم) ، وكان من أشهر ملوكها «اير — يشوم» و «سرجون الاول» (الاشورى) ، ولعل مما تجدر ملاحظته هنا أن أسماء هذه المملكة الاشورية ، أسماء سامية ، فمثلا اسم «اير — يشوم» مثل اسم «الحارث» بالعربية (٢٣) .

(٢٢) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٧ — ٨٨ .

(٢٣) طه باقر : المرجع السابق ص ١٤٤ .

الباب الخامس

البابليون

الفصل الأول

أسرة بابل الألى

(١) بابل :

مدينة قديمة تقع على الفرات ، على مبعدة ٩٠ كيلا جنوبى بغداد . ويقوم على أطلالها حاليا ، تل بابل والقصر وعمران بن على والمركس وقرى أخرى مثل عنانة وكويرش وجمجمة واندسار ، ورغم أن التنقيبات فى بابل لم تتقدم بسبب ارتفاع مستوى المياه الجوفية ، الى أكثر من طبقة العصر البابلى القديم ، الا أنه يجوز الافتراض أن المدينة كانت قبل وصول الاموريين — أو الساميين الغربيين — اليها ، مجرد بلدة عادية ، عرفها السومريون باسم «كدنجيرا» ، فأحالتها الاموريون الى حاضرة كبيرة ، وأحسنوا استغلال موقعها التجارى والزراعى فى أضيق منطقة خصبة يتقارب فيها نهر دجلة والفرات . وأطلقوا عليها اسم «بابل» ، وهو اسم ليس هناك ما يمكن تأكيده عن معناه ، وان كان الشائع هو ترجمته بمعنى «باب ايلو» أى «باب الاله» ، ويذهب أصحاب هذه الترجمة الى أنها قريبة مما تدل عليه التسمية السومرية «كدنجيرا» التى استمرت تستخدم الى جانبها ، مع مترادفات أخرى مستحدثة^(١) .

وأما معنى اسم «بابل» فى التوراة ، فيقدمه لنا سفر التكوين فى قصة أو أسطورة طريفة تقول : ان الله — تعالى عن ذلك علوا كبيرا — قد رأى سلالة الناجين من الطوفان يبنون برجاً بغية الوصول اليه — سبحانه وتعالى — فى علياء سمائه ، وكانوا يحسبون السماء أشبه بلوح زجاجى يعلو على الارض بضع مئات من الامتار ، فخشى شرهم واحتايط لنفسه ، فهبط الارض وبلبل ألسنتهم ، ففترقوا شذراً مذبذباً ، ومن ثم فقد «كفوا عن بنيان المدينة ، لذلك دعى اسمها بابل ، لأن الرب

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٥٨ ، قاموس الكتاب المقدس ١٥٢/١ ، محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ٦٦ — ٦٧ ، وكذا M. F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, P. 115-118.

هناك بابل لسان كل الارض ، ومن هناك بددهم الرب على وجهه كل الارض»^(٢) .

وعلى أية حال ، فان «برج بابل» هذا ، ربما كان هو «زاقورة بابل» ، وقد شاهده الكتاب الاغريق بعد أن خرب ، وطبقا لرواية «هيرودوت» فقد كان يتكون من ثمانى طبقات يمكن الوصول اليها عن طريق درج خارجى^(٣) ، ويذهب «سترابو» و «ديودور» الى أن برج بابل انما كان على شكل هرم ، مربع القاعدة ، وهو على أية حال يشكل جزءا من معبد مردوك ، ويدعى فى النصوص المسمارية «اي - تمين - ان - كى» أى المعبد الذى أساسه السماء والارض ، ويتكون من صحن كبير فى داخله وعلى مقربة من النهر زاقورة (برج) بابل ، والتى يبلغ ارتفاعها ٩١ مترا ، ومساحة قاعدتها ٩١×٩١ مترا مربعا ، وقد هدم برج بابل فى عام ٤٧٩ ق.م ، على يد الملك الفارسى «اكرسيس الاول» (٤٨٤ - ٤٦٥ ق.م)^(٤) .

هذا ورغم أن هناك من يرجح أن بابل قد أنشأها الاكديون ، فذلك أمر لم يثبت بعد ، وعلى أية حال ، فلقد ذكرت منذ العصر الاكدي غير أن دورها السياسى لم يبرز الا فى مطلع الالف الثانية قبل الميلاد ، بعد أن اختارها الاموريون الساميون عاصمة لهم (أسرة بابل الاولى) ، وان كان كتاب العهد القديم والمؤرخون اليونان لم يتطرقوا الى ذكرها ، الا منذ عهد «نبوخذ نصر الثانى» (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) ، وكانت وقت

(٢) تكوين ١١/١ - ٩ ، محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الثالث ص ٢٩٠ ، وكذا

J. Gray, Near Eastern Mythology, London, 1969, P. 104-105.

(٣) يذهب الدكتور مؤيد سعيد الى أن الزاقورة يفترض أنها من سبع طبقات ، تعلوها غرفة الاله ، وأما ارتفاع الزاقورة فكان يتسم عن طريق ثلاث سلالم متعامدة ، اثنان منها تلاصق الضلع الجنوبية للزاقورة وأما الثالث فهو عمودى عليها (كتاب حضارة العراق ١٨٠/٣ - بغداد ١٩٨٥) .

(٤) هنرى عبودى : معجم الحضارات السامية - بيروت ١٩٨٨ ص ١٩٢ - ١٩٣ ، مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ١٧٩ .

ذاك في أوج عظمتها ، والى هذا الملك الكداني تنسب حدائق بابل المعلقة
التي أقامها لزوجته الماذية «اميثيس» في الزواية الشمالية الشرقية من
القلعة الجنوبية ، فيما يرى العلماء الالمان ، فضلا عن قصره الكبير ،
والمكون من ١٧٢ غرفة ، وزاقورة من اللبن^(٥) ، أحيطت بسور من الآجر

وتشير النصوص القديمة الى أنه كان في بابل ٥٣ معبدا رئيسيا ،
٣٦٠ محاربا ثانويا ، أشهرها ، دون شك ، معبد مردوك ، كما كان للمدينة
ثمانية أبواب رئيسية ، أحدها باب عشتار ، الهة الخصب ، ويقع في
الجهة الشمالية ، يليه رواق طوله ٣٠ مترا ، يفضى الى صالة الاحتفالات
ومعبد مردوك^(٦) ♦

وليس هناك من ريب في أن اختيار الاموريين بابل عاصمة لملكهم انما
كان اختيارا موفقا ، لأسباب كثيرة ، منها أنها تقع وسط العراق بصفة
عامة ، فضلا عن وقوعها وسط المناطق التي يتركز فيها العمران والسكان ،
هذا الى جانب منعتها الجغرافية ، ومنها طريقة الري الفعالة للأرضين
الصالحة للزراعة في بابل ومجاوراتها ، ومنها أنها تقع على الفرات ، وهو
نهر صالح للملاحة ، الامر الذي عاد بفائدة كبيرة على التجارة والملاحة
في آن واحد ، وقد أدى ذلك كله الى ازدهار المدينة في القرنين التاسع
عشر والثامن عشر قبل الميلاد ، وخاصة على أيام أسرة بابل الاولى

(٥) جاء اسم أشهر «زاقورات بابل» اي - تمين - ان - كي
(E - Temen - an - Ki) بمعنى «المعبد الذي أساسه السماء والارض» أو
«بيت أساسات السماء والارض» في نص مدون على حجر من عهد
«نبوبولاسر» (٦٢٦ - ٦٠٥ ق م) جاء فيه «أن مردوك أمرني أن أضع
أساساته في جوف الارض ، وأن أرفع رأسه في السماء» وهناك نص من
نيبور يخاطب برج المعبد قائلا : «أيها الجبل العظيم لانليل ، الذي به
رأسه الى السماء ، والذي وضعت أساساته في الاعماق الجميلة» (محمد
عبد القادر : الساميون في العصور القديمة ص ١١٩ - ١٢٠) .
(٦) أندريه بارو : بلاد آشور : بغداد ١٩٨١ ص ٣٣٤ (مترجم)
مؤبد سعيد : المرجع السابق ص ١٧٦ - ١٧٩ ، هنري عبودي : المرجع
السابق ص ١٩١ - ١٩٢ ، وكذا

M. F. Unger, Op. Cit., P. 115-116.

(١٨٩٤ - ١٥٩٥ ق.م) التي شهدت فيها البلاد نهضة تاريخية شاملة ،
ببشيرة توحيد البلاد ، ومركزية الحكومة ، وعنايتها بنشر الأمن والعدل .
وقد أثبتت الحفريات أنه كانت توجد منذ ذلك العهد قواعد لتخطيط
مدينة بابل ، وقد اتبعت هذه القواعد حتى نهاية عصر الامبراطورية
الجديدة ، ولعل أهم ما يميز هذا التخطيط أن الطرق الكبيرة كانت موازية
جميعها للطريق المقدس ، وتتقاطع متعامدة مع الطرق الأخرى ، في حين
أن بيوت المدن السومرية القديمة إنما كانت مجمعة دونما أي نظام ، كما
لم يكن للطرق اتجاه ثابت (٧) .

(٢) قيام الاسرة البابلية الاولى :

كان مؤسس الاسرة البابلية الاولى (دولة بابل الاولى) هو «سمو
- ابوم» (Sumu - abum) (١٨٩٤ - ١٨٨١ ق.م) ، وكان يحكم في
باديء الامر ، رقعة صغيرة في جنوب العراق ، ثم سرعان ما بدأ في
توحيد نفوذه بين أمراء المدن الجنوبية ، ثم أعلن نفسه ملكا على بابل .
بعد أن بسط نفوذه على سومر وأكد ، وكان الرجل قد بدأ جهوده بأن
ضم إليه «دليات» في السنة التاسعة من الحكم ، ثم غزا «سييار» التي
اعترفت بسيادته ، فمنحها استقلالاً نسبياً ، ثم تحالف مع «لارسا»
لاخضاع «كيش» ، والتي ظلت تقاوم مدى ثماني سنوات ، حتى تم
اخضاعها في السنة العاشرة ، ثم رنا ببصره نحو «كازاللو» التي كانت
آخر المطاف في عهده الذي لم يمتد أكثر من سنوات لا تزيد عن ثلاث
عشرة .

وكان «سمو لا ايل» (Sumulael) (١٨٨٠ - ١٨٤٥ ق.م) هو
الملك الثاني في الاسرة ، ولم يكن ابناً لسلفه ، وقد كرس سني حكمه
لتقوية مملكته ، وصد هجمات منافسيه ، وهو يعتبر المؤسس الحقيقي

(٧) سامي سعيد الاحمد : العصر البابلي القديم - كتاب العراف
في التاريخ ص ١٠١ - ١٠٢ ، محمد عبد القادر ، المرحع السابق ، ص
٩٦ - ١٠٧ .

لهذه الولاية البابلية ، وظلت ذكراه خالدة عند خلفائه ، وقد اشتهر بتعمير المعابد ، وشق القنوات ، وقد أخبرنا عن نشره للعدالة ، الامر الذى قد يشير الى قانون لم تصلنا أحكامه ، كما ينسب اليه بناء سور لبابل ، كما نجح هذا الملك فى اخماد عدة ثورات فى عدد من المدن ، فقد ثارت فى عهده «كازاللو» ، ثم تقدم ملكها «يهزير الوم» نحو بابل — بعد أن أغرى كيش فى أن تنضم اليه ضد بابل — غير أن «سمو لايل» سرعان ما سيطر على الموقف ، ورد المعتدين ، وتقدم الى «كازاللو» فاجتاحها ودمر أسوارها ، وقبض على ملكها الذى عاش بعد ذلك خمسن سنوات ، وبعد عامين أخضع كوته ، ثم اتجه الى سومر ، حيث استولى على حصن «دورزكار» ، والذى يعد واحدا من المواقع الحربية ذات الاهمية الاستراتيجية فى نيبور عاصمة سومر الدينية ، كما بسط نفوذه على بارسا (برس نمرود ، قرب الحلة) ، فضلا عن تقوية قوى خط دفاع مملكة أكد الشمالى ، وذلك بتشييد أربع قلاع هناك .

وجاء بعده ولده «سابيوم» (Sabium) (١٨٤٤ — ١٨٣١ ق.م) ، الذى لم يسع طوال عهده الى توسيع دولته ، بل لا نكاد نعرف له سوى حملة واحدة ضد «كازاللو» دمر فيها أسوارها ، ولكنه تابع أسلافه فى رعاية المعبودات ، فضلا عن الاهتمام ببناء المعابد ، وتدعيم الحصون ، وشق القنوات .

وجاء بعده «ابل سن» الذى رمم أسوار بابل ، وشيد بها المعابد ، وحفر القنوات ، كما قدم عرشا فاخرا للمعبود «شمش» ، وقد حكم ثمانى عشرة سنة (١٨٣٠ — ١٨١٣ ق.م) .

وخلفه ولده «سن موباليت» (Sin - Muballit) (١٨١٢ — ١٧٩٣ ق.م) ، وقد حارب أور ولارسا ، كما استولى على ايسين ، غير أن «ريم سن» ملك لارسا سرعان ما عصف بها فى العام التالى فى يوم واحد ، واستولى على أشهر مدنها «دوننوم» ، وهكذا ضمت ايسين الى رسا ،

وظلت كذلك حتى موت «سن موباليت»^(٨) .

(٣) حمورابى :

ليس هناك من سبيل الى ريب فى أن «حمورابى» (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م) أو (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق م)^(٩) ، انما هو أعظم ملوك هذه الاسرة قاطبة ، ومعنى اسم «حمورابى» : الاله حمو (Hammu) عظيم أو مكث ، و «حمو» من أرباب الساميين الغربيين ، وقد يكون اسمه «عمورابى»^(١٠) ويرى «أنجناد» أن اسمه يقرأ فى البابلية «خمر نيج» أى «خمر + نيج» ، فالجزء الاول من الاسم «خمر» هو الاله «عم» الذى نجده أيضا فى النقوش العربية الجنوبية القديمة ، أما الجزء الثانى «رنيج» ، فله

(٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٨٤ - ١٨٦ ، سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٨ ، ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٧ ، وكذا

C. J. Gadd, CAH, I, Part, 2, 1971, P. 636-638.

J. R. Kupper, Les Nomandes en Mesopotamie au Temps des Rois de Mari Paris, 1957, P. 106 F.

(٩) فى الواقع أن هناك خلافا شديدا بين العلماء حول تاريخ حمورابى ، بل حول الفترة التى تسبق عام ١٥٠٠ ق م ، بصفة عامة ، ومن هنا فقد قدم لنا العلماء عدة تواريخ لعهد حمورابى ، منها (٢١٢٣ - ٢٠٨١ ق م) ومنها (٢٠٠٣ - ١٩٦١ ق م) ومنها (١٩٥٥ - ١٩١٣ ق م) ومنها (١٩٤٨ - ١٨٩١ ق م) ومنها (١٨٤٨ - ١٨٠٦ ق م) ومنها (١٩٧٣ - ١٧٥١ ق م) ومنها (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق م) ومنها (١٧٩١ - ١٧٤٩ ق م) ومنها (١٧٤٢ - ١٦٨٦ ق م) ومنها (١٧٣٠ - ١٦٨٥ ق م) ومنها (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق م) ومنها (١٧٢٤ - ١٦٨٢ ق م) (انظر : محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢٥١ ، جورج سارتون تاريخ العلم ص ١٩٤ ، جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ص ١٨٧ ، ديلاپورت : المرجع السابق ص ٤٧ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٤ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 184.

ANET, 1966, P. 163.

W. F. Albright, in BASOR, 77, 1940.

L. Delaporte, Le Proche - Orient Asiatique, 1948, P. 120

Scharff - Moortgat, Aegypten und Vorderasien in Altertum, Munchen. 1950, P. 493.

(١٠) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٨ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 184.

يقابل في العربية مادة «رفع» ، فيكون معنى الاسم «اعم ربيع» . أو مادة «رفع» التي تدل على السعة والخصب (١١) .

وعلى أية حال ، فلقد طال عهد حمورابي الى ثلاثة وأربعين عاما . قدر له فيها أن ينهض ببابل من قرية — أو حتى مدينة صغيرة . وعاصمة لدويلة لا تزيد مساحتها على دائرة قطرها ثمانون كيلا . الى عاصمة دولة كبرى ذات امكانات متعددة ، وأماك واسعة . وشهرة عريضة ، بل ان مساحة دويلة بابل التي ورثها حمورابي رغم ضالتها . فانها لم تكن محكمة النسيج ، وانما هي عرضة للتقلص من جميع جهاتها . والهجمات من كل صوب ، فهناك العيلاميون الذين يهددونهم من الشرق . ويكادون يفتكون بها ، وهناك الاسرات الاخرى المعاصرة لم يقص بعد على نفوذها ، بحيث يمكن الاطمئنان الى ما يجري فيها . بل ان هناك عقدا يرجع الى سنة حمورابي العاشرة ، يذكر فيه اسم الملك الاشوري «شمشي أداد» ، الامر الذي قد يشير الى أن حمورابي ربما كان في العقد الاول من حكمه خاضعا لهذا الملك الاشوري (١٢) .

هذا وقد بدأ حمورابي عهده بإعادة تخطيط عاصمته «بابل» (باب ايلو — باب الله) ، على نحو لم يسبق له مثيل في هذه البلاد . حتى انطلقت أمام بهائها وفخامتها كل العواصم الاخرى في غربى آسيا ، وأصبحت في كل منطقة المشرق الأدنى القديم . حديث الامم والشعوب وموضع اعجابهم ، بل تسربت عظمتها الى الاساطير . فأصبحت المدينة الساحرة ، والمدينة الخرافية ، والمدينة الهائلة ، ومنطلق الخير والشر . وبؤرة العمار والدمار ، وموطن العز والذل جميعا (١٣) .

(١١) سبنيو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٢ ، وكذا A. Ungnad, Miscellen, in ZA, 22, 1909, P. 6-16 (II, Ammurapi, P. 7-13).
(١٢) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٨ — ٨٩ ، وكذا C. J. Gadd, Hammurabi and The End of his Dynasty, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, P. 177.

(١٣) حسن ظاظا : المرجع السابق ص ٢٨ .

وكان من أهم أهداف حمورابي «توحيد العراق» ، وقد تمكن من تحقيق وحدته السياسية ضمن حدود آمنة ، يسهل الدفاع عنها ، ومن ثم فقد عمل على تثبيت دعائم هذا الانجاز السياسى واستكمالها من جميع النواحي السياسية والادارية والقانونية والاجتماعية والثقافية .

١ - من الناحية السياسية :

فلقد أراد حمورابي أن يثبت دعائم حكمه ، وأن يقضى على جميع الرؤوس الحاكمة المعاصرة له ، فضلا عن اقضاء النفوذ شبه العيلامى عن جنوب العراق ، ومن المعروف أن العراق كان فى تلك الفترة من أوائل حكم حمورابي مقسما بين زعامات متعددة ، وطبقا لرسالة الى «زمرى ليم» ملك مارى ، فليس هناك زعيم يمكن أن يقال عنه — أو يقول هو عن نفسه — أنه أقوى الجميع .

«فان عشرة أو خمسة عشر حاكما (أو ملكا) يتبعون حمورابي ملك بابل ، ومثلهم يتبعون «يريم سين» ملك لارسا ، ومثلهم يتبعون «اييعل — بى — ايل» ملك اشنونا ، ومثلهم يتبعون «أموت — بى — ايل» ملك قطننة ، وعشرين ملكا يتبعون «يريم ليم» ملك يمشد»^(١٤) .

هذا وقد أبقى حمورابي حتى سنة حكمه الخامسة على هذا الوضع ، ثم بدأ تحركه الاول فى عام حكمه السادس وذلك حين اتجه الى «ايسين» واستولى عليها ، وفى عامه التاسع استولى على «ايموتبال» (Emuthal) — بين الفرات وسلسلة زاغروس — وفى السنة العاشرة استولى على «مالجنوم» (Malgum) ، وفى العام الحادى عشر استولى على

(١٤) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ١١٣ — ١١٤ ، أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ٢٤٢ ، وكذا

S. Smith, Alatakh and Chronology, P. 11.

T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, P. 54.

G. Dossion, Les Archives epistolaires du Palais de Mari, in Syria, 19, 1938, P. 117 F.

«رابيكوم» (Rapikum) و «سييار» ، ثم قضى الفترة التالية . وندة
عشرين عاما ، في اقامة المعابد ، وتحصين المدن (١٥) .

ولعل حمورابى أراد من وراء انتصاراته هذه أن يحد من نشاط
أعنف منافسيه «ريم سين» ذى الاصل العيلامى . وآخر ملوك لارسا .
حتى يتفرغ له ، وكان «ريم سين» كفوًا لمشاكل عهده . بحيث ظل يناوئ
حمورابى حتى العام الثلاثين من حكمه . وشيئًا فشيئًا اطمأن حمورابى
الى متانة موقفه وسلامة ظهره ، ومن ثم فقد تفرغ ملك لارسا وحلفائه .
فقد مال ميزان القوى الى جانبه منذ العام الثلاثين من حكمه ، حتى غر
«ريم سين» الى منطقة ايموتبال ، مسقط رأس أسرته . وتبعته الجيوش
البابلية اليها ، ثم واصلت انتصاراتها فيما يليها من أرض عيلام .
وسيطرت على جزء منها (١٦) ، وكان نصر حمورابى هذا موضع فخر
المقوم وزهوهم ، حتى أنشدوا الاناشيد ، ورتلوا الصلوات ، وأنشأوا
المقصائد ، زهوا بهذا النصر الذى أزاح عدوة بابل العتيدة من حريقها .
وهكذا قضى حمورابى على «ريم سين» ملك «لارسا» فى عام حكمه
الحادى والثلاثين ، وآلت اليه بذلك السيادة على أرض سومر وأكد . ولم
يعد ينازعه أحد (١٧) .

وهناك ما يشير الى أن حمورابى انما قد تلقى فى حربه هذه مساعدة
من اشنونا ، وربما من مارى ، حيث نعرف أنه طلب مساعدة عسكرية من
«زمرى ليم» ملك مارى ، قبل أن يشن هذه الحرب . ويبدو أن «ريم
سين» انما كان يتخوف من حمورابى ، ففى احدى رسائله لحمورابى
يطلب تكوين حلف دفاعى هجومى بينهما ، وقد كانت العلاقة بينهما طيبة
فى أول الامر ، وقد أشارت احدى الرسائل الى وصول أربعة مندوبين

15) G. Roux, Op. Cit., P. 185.

A. Ungnad, in RLA, II, P. 178-182.

ANET, 1950, P. 269-271.

(١٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ .
A. L. Oppenheim, in ANET, P. 270

(١٧)

من لارسا ، مع وكيلين لعمورابي يسكنان منطقة لارسا ، الامر الذي يدل على أن عمورابي انما كان يبيت العيون في المنطقة اتي كان يحكمها (ريم سين) ، وعلى أن عملاءه انما كانوا يتصلون بالمواطنين هناك ، وقد تنبأ مندوب «زهرى ليم» في بلاط عمورابي بقرب الحرب بين بابل ولارسا ، كما أخبر سيده بأن عمورابي قد أرسل رسالة الى «ريم سين» — قبل غزوه المفاجيء لمدينته — يعلنه فيها بما يمكنه له من حب عميق (١٨) .

وكانت خطة عمورابي التالية — بالاشتراك مع ملك ماري ، بل مع حلف ثلاثي يضم بابل وماري وحلب — ضد اشنونا وحليفاتها عيلام ، فضلا عن سوبارتو والجوتيين ومالجوم (وتقع على نهر دجلة ، جنوب مصب نهر ديبالي) ، وكانوا جميعا يتحركون ضد بابل ، غير أن عمورابي سرعان ما حقق نصرا عليهم ، ومع ذلك فقد بدأ خطر اشنونا يشتد ضد عمورابي ، وطبقا لرسالة ملك ماري الى عمورابي ، فان ملك اشنونا قد جمع قواته واتجه الى «شوشولم» (ربما قرب الفالوجة) ، ومن ثم فقد أرسل عمورابي الى «زهرى ليم» ملك ماري ، أن يضم قواته الى قوات بابل ، وقد نصح الاخير بأن يحمل عمورابي على شمال العراق ، حتى يضم أمراءه اليه (١٩) .

وعلم عمورابي بأن ملك عيلام سوف يمد يد العون لاشنونا ، الامر الذي أغضبه كثيرا ، ونقرأ في رسالة من ملك ماري أن عمورابي سوف يتطع علاقته بملك عيلام ، وعلى أية حال ، ففي العام الثامن والثلاثين من الحكم ، وطبقا لرواية الاخبار السنوية ، فلقد دمر عمورابي «توبلياش» Tupliash (وتعني هنا اشنونا) بكميات هائلة من

(١٨) سامي سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٨٩ ، عند العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ ، هورست كلنجل : عمورابي ملك بابل وعصره — ترجمة غازي شريف — بغداد ١٩٨٧ ص ٤٢ — ٤٣ ، وكذا C. Jean, Archives royales de Mari, II, No. 22.
W. F. Albright, in ANET, P. 482.

(١٩) سامي سعيد الاحمد : المرجع السابق ، هورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٤ — ٤٥ .

المياه بأمر من مردوك ، الامر الذى يشير الى أن غيظنا مصطفى قد حدث بسبب تدمير السدود ، فخرّب اشنونا ، ومع ذلك فهناك من يذهب الى أن حمورابى لم يضم اليه اشنونا ، وانما ترك ذلك الى ما بعد قضائه على «زمرى ليم»^(٢٠) ، ولكن الأرجح أن حمورابى انما قضى على اشنونا فى عام حكمه الثانى والثلاثين^(٢١) — بعد أن كان قد قهرها وحلفاءها فى عام حكمه التاسع والعشرين — ثم قضى نهائيا على مارى فى عام حكمه الخامس والثلاثين .

وعلى أية حال ، فلقد اتجه حمورابى بعد ذلك الى مارى مدينة صديقه القديم «زمرى ليم» ، رغم العلاقات الودية بين الطرفين . ومساعدة كل منهما للآخر ، بل كان لكل منهما مندوبون لدى بلاط الآخر . غير أن حمورابى انما كان يخشى قوة مارى بسبب ثرائها الواسع . وبسبب علاقاتها القوية مع مملكة حلب ، وهكذا ، و «بأمر من آنو وانليل دمر حمورابى سور مارى» ، ثم هاجم المدينة وأحرق قصر ملكها «زمرى ليم» ، واستولى على المناطق التابعة لها ، وكانت مملكة مارى تتكون أساسا من وادى الفرات الاوسط ، فيما بين مصب نهر بلخ شمالا . و «توتول» (خيت الحالية) جنوبا ، وقد عمل «زمرى ليم» على ضم معظم أملاك «شسمى أداد» الاشورى فى الغرب ، والتي امتدت حتى الثنية الكبرى للفرات غربا ، وشملت الجزء الاكبر من «ميزوبوتاميا العليا» ، وحوض الخابور وبلخ حتى ثنية الفرات ، وربما امتد نفوذه الى اقليم «ايداماراز» الذى يتاخم أعالي الفرات ، كما تشير الى ذلك نصوص مارى^(٢٢) ، ومن البدهى أن هذا الاتساع انما يدل على مكانة

(٢٠) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٠ ، وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 187-188.
H. Frankfort and The Jacobsen, The Gimilsin Temple and The Palace of The Rulers at Tell-Asmar, in OIP, XLIII, 1940, P. 196-200.
21) A. L. Oppenheim, in ANET, P. 270.
22) J. R. Kupper, Archives Royal de Mari, 6, Paris, 1954, No. 76.
J. R. Kupper, Northern Mesopotamia and Syria, in CAH, II, Part, I, P.9.

متميزة لمملكة مارى فى عهد «زمرى ليم» كقوة ضاربة فى الشرق الادنى القديم ، حتى انتصر عليها حمورابى فى ميدان القتال فى عام حكمه الثالث والثلاثين (٢٣) .

وكان هجوم حمورابى على «زمرى ليم» (Zimrilim) مفاجئاً ، فليس هناك فى سجلات مارى ما يشير عن أسباب أو مقدمات هذا القتال الذى أعقبته فترة احتلال بابلى لمارى ، ترك أثره فى شكل تسجيلات وبطاقات تخص قوة الاحتلال (٢٤) ، غير أن هذه الهزيمة لمارى لم تقض نهائياً على مقاومة «زمرى ليم» ، فقد كان الرجل ما يزال يملك القوة لاثارة شعبه ضد «حمورابى» (Hammurabi) الامر الذى دعى الملك البابلى الى القيام فى عام حكمه الخامس والثلاثين بتدمير أسوار مارى — طبقاً لأمر أنو وانليل (٢٥) — ونهب معبد عشتار والقصر الملكى ، واضرام النيران فى المدينة التى لم تقم لها بعد ذلك قائمة ، وبذا أصبحت سيادة حمورابى تشمل مجال نفوذ مملكة مارى فى شمال بلاد النهرين ووسطى الفرات (٢٦) .

وكان حمورابى قبل ذلك فى عامى الحكم السادس والثلاثين — وفى العام الثامن والثلاثين — قد اتجه الى «سوبارتو» (Subartu) ، وهى المنطقة التى تضم أعالى الزافدين وآشور ، وإذا كان حمورابى قبل ذلك قد ضرب قوات آشورية مع خصومه ، فقد حقق النجاح فى القطاع الاشورى نفسه ، وان لم يتضح الى أى مدى كان زحفه ، وان كان وجود مسألة بابل فى «أميدا» (ديار بكر) انما تدل على وصوله الى هناك، غير أن ذكر آشور ونيوى على أنهما من المدن الواقعة تحت سيطرة

23) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

24) J. R. Kupper, Op. Cit., P. 28.

25) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

26) F. Thureau - Danguin. Textes de Mari, in RA, 33 1936, P. 177.

F. M. The Bohl, King Khammurabi of Babylon in The Setting of his Time, in Opera Minora, Groningen - Djakarta, 1953, P. 345

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 270.

حمورابى فى مقدمة شريعته المشهورة ، ليس دليلا مؤكدا على خضوعهما
له (٢٧) .

وعلى أية حال ، فليس هناك من ريب فى أن حمورابى انما قد كتب
له فى أخريات أيامه ، نجحا بعيد المدى فى السيطرة على كل بلاد النهرين ،
وفى أن يطلق على نفسه ألقاب : «الملك القوى : ملك بابل ، ملك كل
بلاد أمورو ، ملك سومر وأكد ، ملك الجهات الأربع» (٢٨) ، كما ذكر فى
نصب فى أور — بعد أن استولى عليها من ريم سين ، انتصاره على
الغيلاميين والجوتيين ، الذين كانوا يستوطنون أواسط زاجروس فى
منطقة همدان ، وإن بقيت عيلام وسورية مستقلتين (٢٩) .

وهناك نص باللغتين السومرية والأكدية يحدثنا فيه حمورابى قائلاً
«قتلت المعادين لى ، وحطمت أسلحتهم وخربت ديارهم ، وأخذت سكانها
أسرى ، ودمرت قواتها ، وركع تحت قدمى أولئك الذين لم يقدموا لى
فروض الطاعة ، أنا الملك الذى نفذ رغبة الآله مردوك (مردوخ) فى
القتال ، والذى وهبه القوة المدمرة للعدو ، لقد طردت المعتدين ،
واقترعت بذور الشر من بلادى ، وجعلت الناس ينعمون بالرخاء ، ولم
أدع لقومى ما يفزعون منه» (٣٠) .

وهكذا كتب للرجل العظيم أن ينجح فى فرض نفوذه على بلاد
الرافدين ، كما نجح موظفوه فى السيطرة على طرق القوافل ، ونقط
التقاءها من جبال طوروس فى الشمال ، وحتى الخليج العربى فى الجنوب .
حتى بدا وكأن امبراطورية سرجون الأكدي قد عادت ثانية ، وليس هناك

(٢٧) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٧ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 188.

A. T. Clay, The Empire of The Amorites, New Haven, 1919, P. 97.
28) G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 189.

(٢٩) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٠ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 188.

(٣٠) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ٤٧ — ٤٨ .

من ريب في أن وراء ذلك تنظيماً دقيقاً ، وقيادة سليمة لرجل قوى ، وقمة
اشارات - وان كانت غامضة - الى أن جيوش حمورابي انما قد وصلت
الى البحر المتوسط^(٣١) ، وان ظلت سورية مستقلة ، كما أشرنا من قبل .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن نصوص حمورابي، انما تكشف
عن جانب من سياسة الحرب في عهده . وقد كان منها هدم أسوار المدن
التي يخشى بأسها ، وتقوية أسوار المدن الموالية له في المناطق
الاستراتيجية الحساسة - وقد سميت بعض هذه الاسوار بأسماء أرباب
مدنها - فضلاً عن العمل على رعاية تماثيل أربابها بعد الاستيلاء عليها ،
حتى تكون سبباً لاستمالة مشاعر أتباعها ، وكان من ذلك أن ذكرت
نصوصه أنه أعلى كلمة الرببة «انانا» في نينوى ، وأعاد لمدينة آشور
حصانتها ، أو لتحملها جيوتسه معها باعتبارها موالية لها ، حين تعاود غزو
مناطقها فتيسر لها مهمتها ، وكانت رعاية هذه التماثيل تستتبع رعاية
كهانتها من الاسرى ، واحياء أعيادها في معابد بابل نفسها^(٣٢) .

٢ - من الناحية الادارية والاقتصادية والدينية :

اتبع حمورابي في الناحية الادارية نظاماً مركزياً ، وربط جميع ولاياته
به وبالعاصمة بابل ، وحدد صلاحية الكهنة ، وبالتالي لم نعد نسمع من
عزده عن «محاكم الكهنة» ، ومن ثم فيمكن القول بأن حمورابي انما جهد
في أن يجعل دولته علمانية بما يتفق وظروف عصره ، ولعل هذا انما يفسر
لنا اضمحلال منصب «الانسي» الذي كان يجمع بين السلطتين الدينية
والمدنية في حكم مناطقه ، وأصبح موظفاً يستمد أوامره من موظف آخر
بعد الملك^(٣٣) .

(٣١) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٩٧ .

(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٠ ، وانظر :

T. J. Meek, ANET, P. 165.

W. F. Albright, ANET, P. 482.

L. W. King, The Letters and Inscriptions of Hammurabi, No 34, 45.

C. Jean, Archives royales de Mari, II, No. 22.

(٣٣) سامي سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩١ .

هذا وتشير الرسائل من عهد حمورابى بوضوح الى حرصه على معرفة كل صغيرة وكبيرة فى البلاد ، فضلا عن حصر السلطة فى شخصه . وجعل عماله فى البلاد يستمدون أوامره منهُ ، بل اننا نشهد للمرة الأولى — كما يقول برستد — صورة حية للأعمال اليومية والمسئوليات الدائمة لواحد من ملوك الشرق القديم الكبار ، فهى تقدمه لنا جالسا فى ديوانه بمدينة بابل ، يملأ على واحد من كتبه ، فى جمل قصيرة واضحة ، رسائل مختصرة تصل بها أوامره الى الحكومات المحلية ، فى المدن السومرية العريقة التى أصبح حمورابى فيها السيد المطلق (٣٤) .

ويأتى الرسل الى الملك بخطابات مماثلة . يفتحها كاتم السر الذى يثق فيه سيده ، فيكسر الاغلفة أمام الملك ، ويقرأ بصوت مرتفع ما يبعث به مؤلفوه من جميع أنحاء الدولة ، ويملى الملك ردوده فى الحال ، فمثلا لقد فاض نهر الفرات وسبب بعض الخسائر ، وتوقفت الملاحة بين مدينتى «أور» و «لارسا» ، ووقف صف طويل من السفن لا يستطيع السفر ، فبيعت الملك برده توا ، أمرا حاكم لارسا بتطهير المجرى فى الحال لتواصل السفن سيرها (٣٥) ويبدو أن الحكومة المركزية كانت تستخدم السخرة فى مثل تلك الامور ، ومن ثم فقد رأينا الملك يأمر هذا الحاكم (سين أدينام) باستدعاء كل من كان فى حوزته حقول على ضفاف قناة «دامانوم» (Damanoum) لتطهيرها ، وأنه يجب الانتهاء من تطهير هذه القناة عند نهاية الشهر ، وفى رسالة أخرى يأمر الملك نفس الموظف (سين أدينام) بالانتهاء فى مدى ثلاثة أيام من تطهير القناة التى كانت تصل حتى «أرروك» ، والتى لم تكن قد أصلحت حتى حدود هذه المدينة (٣٦) .

وهناك رسالة من حمورابى الى «سين أدينام» يطلب منه أن يرسل

34) J. H. Breasted, La Conquete de la Civilisation, Paris, 1945, P. 136-137.

35) Ibid., P. 137.

(٣٦) ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص ١٢٩ .

موظفا يصحبه في جولاته التفتيشية على القطعان التي تحت اشرافه ، مما
ينسب الى أن حمورابى انما كان يقوم بجولات تفتيشية في مناطق حكام
الاقاليم ، ليقف بنفسه على مجريات الامور فيها ، وفي رسالة أخرى يأمر
حمورابى بتزويد عمال التعدين باحدى المدن بنوع من الخشب ، مبينا
مقايير الاحجام التي يجب أن تقطع بها هذه الاخشاب ، هذا فضلا عن
رسائل أخرى تشير الى اهتمام الملك باستصلاح الاراضى والعناية
بالقنوات وفتح الجديد منها ، واشرافه بنفسه على نشر العدالة بين
المواطنين •

وهناك ما يشير الى اهتمام الملك بقطعانه الخاصة ، فيأمر الموظفين
بالمجيء الى بابل للاحتفال بقص أصواف الاغنام في فصل الربيع ، كأنما
هذا الحادث من الاعياد الهامة ، وربما لان القصر الملكى كان يستخدم
كمية من هذه الاصواف ، فضلا عما يستخدم منها في التجارة ، خاصة
اذا كان هذا الصوف من النوع الجيد ، الذى ذكر «كصوف متين ناصع
الالوان» فقد كان الطلب عليه كثيرا خارج بلاد بابل ، فضلا عن داخل
البلاد ، ومن المعروف أن الملابس الصوفية كانت منتشرة الاستعمال بين
سكان غربى آسيا ، وأخيرا فقد كان للقصر حصة في الصوف
كضريبة (٣٧) •

وهناك رسالة من أحد موظفى القصر ، جاء فيها «كتبت عدة مرات
الى رئيس تجار «سييار» «ياخزورم» لارسال المستحق عليه من صوف
الماعز الى بابل ، غير أنه لم يرسل ما عليه من صوف الماعز» ، وهناك
ما يشير الى أن حمورابى قد امتلك الكثير من قطعان الماشية والاغنام ،
والتي كانت — فيما يبدو — من الضرائب العينية التي يدفعها الافراد (٣٨)

وهناك ما يشير الى أن الملك قد كتب الى جميع حكام الاقاليم بتقديم

(٣٧) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٢ ، وكذا
J. H. Breasted, Op Cit., P. 137.

(٣٨) هورسن كلنجل : المرجع السابق ص ١٢٢ ، سامى سعيد
الاحمد : المرجع السابق ص ٩١ •

المتقويهم شهرا كاملا عن الموسم المعتاد . وذلك (نظرا لظهور عجز في
المسقة ، احتسبوا الشهر الذي يبدأ الآن أنه شهر أيلول الذي) . و
يلفت نظر الحكام الى أن جميع الضرائب التي تكون مستحقة في الشهر
الثاني ، يجب أن تحصل ولا توجه الى الشهر الذي يليه . لأن تقديم
الشهر يجب أن لا يتسبب عنه أى تأخير في الضرائب . كما يلفت الملك
نظر جامعي الضرائب المتأخرين في التحصيل ، ويذكرهم بشدة الى
ضرورة تأدية واجبههم ، والانتهاء منها دونما أى تأخير (٣٩) .

وهناك رسالة يقول فيها حمورابي لموظف يدعى «سين أدينام» .
«بقية الفضة التي عند «شيب - سين» كبير التجار . وخمسة غيره من
كبار التجار الذين يأمرهم ، يجب أن يأخذ «شيب سين» والتجار
الخمسة الفضة ، ويحضرونها الى بابل» ، ويبدو أن «شيب سين» هذا .
قد تورط في وضع مالى حرج ، فطالبه القصر بمبالغ كبيرة . بصفته
المستول عن جمع الضرائب ، مما اضطر الى دفعها . دون أن يستطيع
جمعها من أولئك الذين قد فرضت عليهم +

وهناك رسالة من الملك الى المدعو «شماس - هاسر» يقول فيها :
«اعط شيب سين كبير تجار لارسا مزرعة من أجل نفقات معيشتة» ، كما
أمره أن يعطى مثلاً لكبير تجار أور «سين - موتسنا» . وربما كان ذلك
بسبب قيامهما بجمع الضرائب في لارسا وأور (٤٠) .

هذا وكان حمورابي شديد العناية برعاية مواطنيه . وكم من متظالم
كان يأتى الى الملك اذا أعياه نيل حقه على أيدي القضاة في مدينته . فكان
هؤلاء المتظالمون يأتون الى حمورابي وهم وانتقون من حسن معاملته . لا
يرد أحدهم خائبا ، وها هو رئيس خبازي المعبد ، تصدر اليه الاوامر
الملكية بأن يسافر الى مدينة أور ، ليعنى بأمر أحد الاعياد الدينية .

39) J H. Breasted, Op. Cit., P. 137.

وفي الترجمة العربية ص ١٨٩ .
(٤٠) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ .

ولكنه يتظلم من هذا السفر ، لأنه سيحرمه من وجوده في بابل عند نظر قضية له ، ويرى حمورابى أن الرجل على حق ، فيأمر بتأجيل القضية . وهناك الكثير من الرسائل التى تهتم بأمور المواطنين ، فمثلا هناك رسالة من حمورابى الى «سين أدينام» ، يأمره بالنظر فى شكوى شخص ادعى بأن أحدهم سرق حبوبه ، وفى رسالة أخرى يطلب اجبار الحاكم «سين — ماجير» على رد ما اقترض من حبوب من تاجر ، وفى رسالة ثالثة يطلب تزويد بعض الرجال بزيت الانارة ، وفى رسالة رابعة الى «سين ادينام» يطلب فيها التحقيق فى قضية موظف اتهم بالرشوة ، ثم ارسال الاطراف جميعا بعد ذلك الى بابل ، وفى احدى المناسبات تصدر حمورابى محاكمة أقام فيها الدعوة تاجر ضد أحد رؤساء الوحدات الادارية ، وكانت نتيجة المحاكمة لمصلحة التاجر ، وقد أكد حمورابى على «سين أدينام» أن يضرب بكل شدة على المرتشين من القضاة ، اذا ما ثبت عليهم ذلك (٤١) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن حمورابى انما كان شديد العناية بربط البلاد بعضها ببعض بشبكة من المواصلات ، ومن هنا كان اهتمامه بنظام البريد السريع ، بغية ايصال أوامره الى كافة أنحاء البلاد بالسرعة المأمولة ، وهكذا استخدم الرجال العدائين حيث كانت الطرق تنقسم الى مراحل يقف عندها هؤلاء العداءون لايصال ما يتسلمون بالسرعة الى ساعى المرحلة التالية وهكذا ، وكانوا يحملون الرسائل مختومة مغلقة ، وكان كاتم سر الملك يفض الاجوبة ويقلوها على الملك ، ثم يملئ الملك أجوبته التى تكتب وترسل فى الحال (٤٢) .

هذا وتند احتفظت حوليات حمورابى باسم نهر صغير شقه رجاله ،

(٤١) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٢ — ٩٣ ، وكذا J. H. Breasted, La Conquete de la Civilisation, Paris, 1945, P. 138. وفى الترجمة العربية ص ١٨٩ .
(٤٢) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٣ .

أو زادوا في اتساعه وامتداده ، وقالت عنه «نهر حمورابي واهب الخير للناس ، حبيب آنو وانليل ، الذى غذى نيبور واريديو وأور ولارسا وأوروك وايسين بمورد رى دائم» ، وكان يبدأ من الفرات أسفل كيش ويمتد حتى الخليج العربى (٤٣) .

وقد اهتم القوم كثيرا بالتجارة ، حتى تحول الاهتمام من الطابع الفردى الى الطابع الجماعى المنظم الذى تشرف عليه الدولة ، ويلقى رعاية واهتمام الزعماء والملوك ، الامر الذى دفع بعض الملوك الى ارسال الحملات العسكرية لضمان سلامة التجارة ، وتهيئة أسباب تدفق المواد الاولية الى العراق القديم ، وكان النحاس والذهب والفضة والاحجار الصلبة الجيدة وأنواع الاخشاب المختلفة في مقدمة المواد التى استوردها القوم وقت ذاك ، وكانت وسائل النقل المائى التى كانت تتميز باستيعابها الكبير ، ورخص تكاليفها ، متوفرة في أنهار العراق وفروعها ، وشبكة القنوات التى خدمت أغراض الري والملاحة النهرية ، مما ساعد كثيرا على ازدهار التجارة في العراق القديم (٤٤) .

وليس هناك من ريب في أن التجارة على أيام حمورابي انما كانت مزدهرة ، كما كانت مصدر ثراء كان له أثر على الحياة في بابل ، وقد كشفت الحفريات هناك عن شوارع تنتظم المساكن على جانبيها ، ويبدو أن أصحابها انما كانوا يمارسون لونا من الحياة المستقرة المطمئنة الرغدة في ظل القوانين التى كفلت لهم حياة أفضل بكثير من أسلافهم ، وقد أدى النشاط التجارى لبابل في عصر أسرتها الاولى الى نمو ملحوظ في حجم المدن الكبرى التى لم تعد مجرد مراكز للتوزيع ، وانما بدأت تتحول الى آفاق أبعد ، فلقد فتحت غزوات حمورابي من ناحية الغرب المجال لأسواق جديدة ، ولم يعد يعوق الطريق التجارى الكبير الى

(٤٣) ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص ١٢٩ ، عبد العزيز صالح :
المرجع السابق ص ٤٦١ .
(٤٤) رضا جواد الهاشمي : التجارة - حضارة العراق - الجزء
الثاني - بغداد ١٩٨٥ ص ١٩٦ - ١٩٧ .

سورية وأعلى الفرات عائق من تحصينات ونقط حراسة حدود لتمنع غزو
القمائل الامورية ، ولدينا ما يشير الى أن كبار التجار كانوا يعيشون في
بابل ، ويستخدمون طبقة من ((المتاجرين)) يحملون بضائعهم ليتجروا لهم
عن طريق القوافل المنتظمة وهكذا كانت قوافل الحمير التي كانت تحمل
تجارة البابليين تذهب من مدينة الى أخرى ، ومن قوم الى آخرين .
وهي آمنة مطمئنة ، وكانت هذه الاسفار أمرا عاديا في بلاد الفرات
الاعلى ، فنشأت مراكز للتجارة مثل «حران» أو «خران» (وهي مشتقة
من الكلمة البابلية «خرانو» بمعنى «رحلة») . وكثيرا ما كانت بضائع
التجار تملأ الاحواش مكدسة في الغرائر ، وقد ميزوا كل حمل منها بلوحة
صغيرة من الطين عليها اسم صاحبها . وكانوا يلقون بهذه العلامات
التجارية عند فتح الغرائر ، وقد عثر الحفاريون على الكثير منها في خرائب
المدن القديمة ، ونرى على أحد وجهيها اسم المتاجر . وعلى الوجه الآخر
طبعة الحبل الذي كان يحزم الغرائر .

هذا وقد وصلت هذه العلامات التجارية ، وكشوف الحساب التي
كانت تصحب الاحمال الى مناطق بعيدة ، وكان يقرؤها التجار المحليون
في المدن السورية ، وفي البلاد الواقعة خلف ممرات الجبال في الشمال ،
وهكذا أخذت الكتابة المسمارية البابلية طريقها تدريجيا في غربى آسيا .
وبدأ تجار سورية وقبادوشيا في آسيا الصغرى ، يكتبون كشوف
الحساب والمطالبات التجارية وخطاباتهم على الرقم . كما كان يفعل
البابليون ، وانتشر نفوذ حمورابى التجارى في غربى آسيا ، وظلت ذكراه
بعد موته بأكثر من ألف سنة ، يرددوها سكان سورية وفلسطين على أيام
المعبرانيين ، الذين عرفوه تحت اسم «أمرافل» — وهو في أكبر الظن
تحريف لاسم حمورابى ، كما نطق به أهل غربى آسيا (٤٥) .

هذا وقد أفسحت التجارة للمرأة ، خلال الالف الثانية قبل الميلاد .
لونا من الاستقلال لا نلقاه عادة في حياتها ، حين تعتمد البلاد على

(٤٥) جيمس هيرى برستد : انتصار الحضاره ص ١٩١ - ١٩٣ .

الزراعة وحدها ، ويبدو أن اندماجها في الحياة التجارية وممارستها لبعض الأعمال ، إنما قد ساعد على أن تنال قسطا كبيرا من الحرية لم ينله غيرها في عصرها (٤٦) — باستثناء المرأة المصرية (٤٧) — فقد كان في استطاعت المرأة أن تمارس التجارة لحسابها الخاص ، وكان من بين النساء من احترفت مهنة الكتابة ، كما كانت البنات يذهبن الى تلقى العلم في المدارس جنبا الى جنب مع الصبية (٤٨) .

وكان حمورابى يشرف اشرافا مباشرا على رجال الدين ، كما كان له السلطان الاول على القضاء ، ولقد كان الخطر يهدد بعض المخصصات الماكية في عهد السومريين عن طريق رجال الدين ، وقد زال هذا الخطر على أيام حمورابى بسبب اشرافه المباشر وقوانينه الصريحة الحاسمة ، ولقد كان من أثر هذا الاشراف أن وضعت أملاك المعابد تحت رعايته المباشرة ، بما فيها من أنعام ومراعى ، كما كان المشرفون على أملاك المتاج وأملاك المعابد يرسلون تقاريرهم الى الملك مباشرة .

وأما في المجال الدينى ، فلقد ذهبت النصوص الدينية الى مطابقة الكثير من المعبودات البابلية الهامة مع مردوخ واعتبرتها أوجها له ، فالعاصمة بابل لا بد أن يكون لها رب هو الاسمى بين الالهة ، يتناسب وعظمة الاله براطورية التى صار مركزها بابل ، ومن ثم فقد انتقل مردوخ (مردوك) اله بابل من معبود مدينة الى مركز الصدارة ، وانتحل بالتالى صفات «انليل» (٤٩) المعبود السومرى الاول ، ودخل فى ميدان أساطيره

(٤٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٩٧ - ١٩٨ .
(٤٧) انظر (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٩ ص ٥٢ - ٧١ .
(٤٨) جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة - ترجمة أحمد فخرى - القاهرة ١٩٦٦ ص ١٩١ .
(٤٩) انليل (Enlil) أو «اليل» (Elil) هو أكبر آلهة السومريين ، ومعنى اسمه المركب «ان - ليل» (En-lil) «سيد الريح» ، ونظرا لأن الريح تهب فى اعتقادهم من الجبل فقد سمي «الجبل الكبير» (فى السومرية Kur-gal) ، كما سمي سيد البلاد ، وهو لقب حصله فى

— وخاصة أسطورة الخلق^(٥٠) التي أعاد كهنة بابل كتابتها من أجل هذا الهدف ، وربما قد حدث هذا بعد هزيمة «ريم سين» ملك لارسا ، والاستيلاء على «نيبور» المركز العتيق للعبادة السومرية • وكان معبد مردوك (Marduk) في بابل — ويدعى اسجئل (E-Sag-il) بمعنى البيت العالى الرأس — مركزا تشع منه علوم الدين والسحر ، وله «زاقورة» (برج المعبد) وتدعى «اتمنأ نكى» (اى — تمين — ان — كى (E-Temen-an-Ki)) أى المعبد أو البيت الذى أساسه السماء والأرض» وتتكون من سبع طوابق ضخمة ، يبلغ ارتفاعها ٩١ مترا ، وقاعدتها مربعة الجوانب ، يبلغ ارتفاع ضلعها ٩١ م ، ولعلها برج بابل المذكور في التوراة ، وفي الواقع فلقـد ارتبط مردوك ببابل ، حتى ان النبى العبرانى ارميا (٦٢٦ — ٥٨٠ ق.م) انما يقول عند سقوط بابل «قولوا أخذت بابل ، خزي بيل ، انسحق مردوخ» ، مما يشير الى أن الاله مردوك قد شارك المدينة في مصيرها النعس •

وتصف لنا مقدمة قانون حمورابى كيف وصل مردوك الى مكانته العليا في امبراطورية بابل ، وذلك حين تقول : ان انو (اله السماء) وانليل (اله الارض) قررا لمردوك الابن البكر للاله «أنكى» (أو — ايا

النصوص السومرية واحتفظ به في نقوش بابل وأشور ، وهو بفرض قانونه على الناس جميعا ، ويمسك في شبكته الكبيرة من يشهدون الزور ، وهو محارب عنيف يلقب بالشرور الوحشى ، وزوجته هى «نليل» (Nin-lil) واسمها مأخوذ من اسمه ، بوضع (Nin) بمعنى سيده ، في مكان (En) بمعنى سبد ، وكانت مدينة نيبور (نفر الحالية) مركز عبادتهما في سومر (سبتيينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٣ ، وكذا E. Dhorme, Les Religions de Balylonie et d'Assyrie, P. 26-31, 48-50).

(٥٠) انظر قصة الخلق :

S. G. F. Brandon, Creation Legends of The Ancient Near East, London, 1963.

A. Heidel, The Babylonian Genesis, Chicago, 1951.

ثم انظر عن أثر قصة الخلق البابلية في قصة الخلق اليهودية (محمـد بيومى مهران : اسرائيل — الجزء الثالث — الاسكندرية ١٩٧٩ ص ٣٣٣ — ٣٤٠).

اله الماء) السيادة على الناس جميعا . وجعله عظيمًا بين الاجيجي (Igi) (آلهة السماء) ، ثم جعلًا لمدينة بابل السيادة في العالم ، وأقاما لمردوك فيها ملكا دائما ، له أسس راسخة رسوخ السماء والارض ، وفي قصيدة خلق السماء والارض (الكون) تقول آلهة السماء لمردوك : لقد أعطيناك الملك على العالم بأسره .

ولما كان مردوك ابن أنكى البكر ، فقد ورث عنه العلم والسحر ، وصار مثله المعوذ بين الالهة ، كما أن السحاحر حين يزاول سحره انما يعمل باسم مردوك ، وكما كان «ايا» اله الحكمة والذكاء والفهم ، فقد كان مردوك ابنه «أحلم الحكماء» ، والخير بين الالهة ، وتحصى قصيدة الحلق البابلية خمسين اسما لمردوك ، أعلنتها آلهة السماء ، أولها مردوك ، وآخرها سيد البلاد ، ويذهب «دوروم» الى أن في نسبة هذه الاوصاف جميعا الى اله واحد انما يعد اتجاها الى التوحيد ، وقد استمرت هذه الارصاف على أيام الدولة الكلدانية ، حتى صارت الالهة الاخرى مجرد جوانب من شخص مردوك ، فنرجل هو مردوك اله الحرب ، وانليل هو مردوك ، اله السيادة والفصل في الامور ، و «نبي» هو مردوك ، اله الحظ ، وسين هو مردوك ، منير الليل ، وشمتش هو مردوك ، اله العدل و «أدد» هو مردوك اله المطر ، وهكذا — كما تركزت في عشتار الالهات جميعا — استوعب مردوك في ذاته الالهة جميعا ، ويقول الملك «أشور بانيبال» (٦٦٩ — ٦٢٦ ق م) في ترنيمة لمردوك : أنه يجمع بين عظمة «آن» وعظمة انليل ، وعظمة «ايا» ، وهكذا تتحدد في شخص مردوك الالهة الثلاثة التي تهيمن على السماء والارض والماء ، كما أن لقب «السيد» الذي يخلع على مردوك انما يدل على أنه سيد الالهة والبشر ، ويجعله نظيرا للاله «انليل» الذي يلقب عادة بهذا اللقب .

وأما زوجة مردوك فهي «زربانيتم» أو «صربانتيم» (Sarpanitum) بمعنى «الفضية» ، أو الملامعة كالفضة» ، وقد ارتبطت مكانتهما بابل ، كما

خلال مبعجلين على أيام الاشوريين والكلدانيين والفرس والسلوقيين^(٥١) .

(٤) قانون حمورابى :

لا ريب فى أن شهرة حمورابى فى التاريخ ، انما تعتمد فى الدرجة الاولى على قانونه الشهير — المكتوب باللغة الاكدية — أكثر مما تعتمد على فتوحاته وتدينه واهتمامه باقتصاديات دولته ورغبته فى توحيد العراق ، وغير ذلك من نشاطات داخلية وخارجية يتميز بها بعض الملوك عن الباقى الآخر ، وقد بدأ حمورابى فى اصدار تشريعاته منذ العام الدانى من الحكم ، وسجلها رجاله على نصب كثيرة ، اشتهر منها نصب كبير من الديوريت (طوله ٢٥ر٢م ، وقطره ٦٠ سم) نقشوه فى السنوات الأخيرة من حكمه (ربما فى العام ٣٧/٣٨ ، وربما فى العام ٤٠ من الحكم) ، وصوروه فى جزئه العلوى يتلقى الاذن باصدار تشريعاته من «شمش»^(٥٢) رب العدالة ورب الشمس ، المتربّع على عرشه ، ويقف

(٥١) سبتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٦٠ - ٢٦٣ ، وكذا

E. Dhorme, Op. Cit., P. 139-156, 168-170.

S. Lloyd, Foundations in The Dust, (Penguin Books), 1955, P. 214-215

A. Heidel, The Babylonian Genesis, Chicago, 1951, P. 60.

(٥٢) شمش : يأتى شمش هذا (اله الشمس) فى المرتبة الثانية بعد أبيه «سين» اله القمر ، وكان السومريون يسمونه «اوتو» Utu ، كما كانوا يطلقون اسم «ببر» (Babbar) على الشمس ، وهى تشرق ، أما الساميون فقد أطلقوا على الاله الاكدى اسم الشمس نفسها (شمش) ، وهذا وكان العرب الجنوبيون فى قتبان وحضرموت وسبأ يطلقونها «شمى» ، أما العبرانيون والاراميون فينطقونها «شمش» وأهل أوجاريت يندلقونها «شبنى» ، وكان العرب الجنوبيون وأهل أوجاريت يعتبرون الشمس الهة مؤنثة ، كما جاءت كذلك فى إحدى رسائل العمارة من عسقلان (رقم ٣٢٣) ، بينهم كان المصريون والسومريون والاكديون يعبرونها الها ذكرا ، ولعل هذه الصلات الدينية انما تؤيد أن كثيرا من عبادتها فى الشعوب السامية انما كان يتوقف بعضها على البعض الآخر . هذا وكان يرمز لاله الشمس فى بابل وأشور وسورية وآسيا الصغرى بـ «ش» ذى جناحين ، أى بصورة الشمس فى مصر ، ومن القابه فى أرض البراندن ، نور العالم ، ونور الاعماق ، ونور السماوات والارضين ، ونور الالهة ، وهو الذى يطارد الظلمات ، ويقصر النهار ويطيل الليل كما يشاء ، وهو الذى يهب الحياة ويحيى الموتى ، وهو الذى يدير الكون

أما هو حمورابي وقفة المتعبد يستلم منه العصا وحبل القياس — وهما من رموز وشارات السلطة والحكم في العراق القديم — ومن المرجح — بسبب صورة اله الشمس التي تلو المسلة — أن هذه النسخة المكتشفة من قانون حمورابي ، إنما هي نسخة مدينة «سيبار» — الموقع المفضل لحمورابي وربما كان يقيم بها — بينما تعد نسخة مدينة بابل — والتي كانت تحمل صورة الاله مردوك ، مفقودة . الامر الذي يؤكد وجود نسخ أخرى للقانون اكتشفت بين أنقاض المدينة القديمة على هيئة كسر من حجارة مسلات أخرى^(٥٣) .

على أية حال ، فالنص الحالي إنما كشف عنه في العاصمة العيلامية «سوسة» ، وقد كشفت عنه في شتاء عام ١٩٠١/١٩٠٢م بعثة فرنسية برياسة «جاك دي مورجان» ، ثم نقل الى متحف اللوفر في باريس . ولعل الملك العيلامي الذي نقل النصب الى سوسة هو «شترك نخنته» (Shutruk Nakhkhunte) في بداية القرن الثاني عشر قبل الميلاد (ربما حوالي عام ١١٥٠ ق م)^(٥٤) ، وبدهى أن هذا لم يكن بسبب المسلة نفسها ، وإنما كان — فيما يرى Horst Klengel — أن العدو العيلامي كان يأمل في نفس الوقت اضعاف الخصم بطريقة سحرية . اذا

ويسير المخلوقات ، بل والالهة ، وهو البطل (Quradu) لانه قاهر اللبل والموت ، وهو اله العدل ، وهو الذي املى على حمورابي احكام قانونه ، وعينه تخترق اسرار المستقبل ، فهو سيد التنبؤ Bel - Biri مثل «أدد» (هدد = حدد) اله البرق والرعد ، وكانت مدينة «الارسا» في سومر ، ومدينة «سيبار» (سبر) في أكد مركزين أساسيين لعبادة شمس منذ أقدم الازمان ، وزوجته هي «ايا» Aya (سيتينو موسكاتى : المرجع السابق ص ٢٥٥ — ٢٥٦ ، وكذا : محمد بيومى مهران : الحضارة العربية القديمة ص ٣٤٤ ، وكذا .

(٥٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦١ ، رضا الهانمى : المرجع السابق ص ٧٧ — ٨٧ ، هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٤٣ .
54) H. Schmokel, Geschichte des Alten Vorderasien, Leiden, 1957, P. III.
Th J Meek, ANET, P. 163-164

اعتقد أنه بواسطة المسلة ربما يمكن جلب الازدهار والقوة التي كانت في بابل على أيام حمورابي ، الى عيلام^(٥٥) .

هذا وكانت المسلة — أو النصب — يتكون في الاصل من ٤٤ حقلًا من الكتابة المسمارية ، فيما عدا بعض الاجزاء التالية عمدا في أسفل الاعمدة الكتابية ، ويرجح أن الملك العيلامي الذي نقله الى سوسة (شوشن في التورات) انما كان من وراء هذا المسح ، حيث أراد تسجيل اسمه ، وتخليد ذكره ، ولكنه ربما خاف من اللعنات الشديدة الواردة في الخاتمة ، والاتي ستنزل على من تسول له نفسه أن يطمس معالم هذا القانون ، فعدل عما اعتزمه ، وبقي مكان المواد الاخيرة ، فيما بعد المادة (٢٠٢) خاليا ، حيث يرجح أن المواد الكاملة للقانون تكاد تبلغ ٣٠٠ مادة^(٥٦) .

هذا ويتكون قانون حمورابي من مقدمة ، يعد فيها حمورابي ألقابه وأعماله ، فوصف نفسه بما اعتاد الملوك أن يصفوا به أنفسهم ، من حيث صلاتهم بالارباب وتقواهم ازاءهم في الوقت نفسه ، ومن حيث ظهورهم بمظهر المتفضل حيناً ، ومظهر المقدر لواجبه حيناً آخر ، فادعى البتوة للمعبود «سين»^(٥٧) اله القمر ، ووصف نفسه بأنه اله بين الملوك ، وأنه

(٥٥) هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٤٢ .

(٥٦) رضا الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٨ .

(٥٧) سين : هو اله القمر ، وسين : اسم سومري غير سامي ، نقله الاكديون عن السومريين ، ونظائره السامية هي «ود» عند عرب الجنوب ، و «سهر» عند الاراميين ، و «رخ» عند الاموريين ، كما أن للقمر عند السومريين اسم آخر هو «ننا» (Na - an - Na = Nanna) بمعنى «رجل السماء» ، وقد حرفته الاكديون الى «ننر» أو «ننار» (Nannar) بمعنى «المنير» ، ويرمز اليه في أحيان كثيرة بالهلال ، وبجانبه قرص الشمس رمزا لاله الشمس ، ونجمة في وسط دائرة رمزا لكوكب الزهرة ، وسين هو «سيد الشهر» ينظم أيام الشهر والسنة ، وكان لحركات القمر دور هام في عالم التنبؤ ، وكان خسوف القمر أهول الظواهر وأشدها روعا ، وكان ينسب الى هجوم على سين من سبع أرواح شريرة في السماء ، وزوجة سين هي «ننجل» (Nin - gal) «السيدة الكبيرة» ،

أول الملوك وزعيمهم ، والخالد بينهم ، وانه محارب لا مثيل له ، وأنه الملك الحكيم ، والملك الكامل ، وأنه منقذ شعبه من البأساء ، وأنه طريق جهات العالم الرابع ، وأنه فتح وأنه الامير التقى ، وأن الارباب تخيروه لاصلاح أحوال الناس ، وأنه المطيع للاله شمش ، وأنه كثير الدعاء للارباب وأن ربه مردوك أمره بأن يرشد الناس الى الطريق المستقيم ، وأن يحق الحق والعدالة ويدونها بلغة البلاد ثم يلي ذلك مجموعة القوانين ، ثم تأتي الخاتمة فيمجد الملك نفسه مرة أخرى ، ويرجو أن يجد المضطهدون في قانونه كلمات عزاء وعدل .

ثم يشير على الاجيال اللاحقة أن تتدبر أحكام قانونه والسير بموجبها لانها ستكون لهم العدل والطمأنينة الى آخر الايام ، الى أبد الابدين ، وعلى الملك الذي يعتلى العرش أن يحفظ كلمات العدل التي سجلها في نصبه هذا ، فهي حق البلاد ، ثم يقول : أن قرارات البلاد التي دونتها لا يجب أن يدعها جانبا ، وان ما دونته هنا لا يحق له الاستهانة به ، اذا كان هذا الرجل الذي يعتلى العرش رشيدا ، ويغنى حكم البلاد بالعدل ، فعليه أن يحترم كلماتي التي سجلتها على هذا النصب ، ثم دعا كل مظلوم أن يذهب بنفسه الى نصب تشريعاته ، ويقرأها بعناية حتى تستبين له قضيته ، ثم استعدى أربابه على كل من يمحو هذه التشريعات ، أو يغير فيها ، ثم بعد ذلك يعدد اللعنات الشديدة التي ستنزلها الالهة بمن يحاول تحريف هذا القانون أو محوه (٥٨) .

وقد أنجبا الالهين شمس وعشتر ، وكان «نسكو» (Nusku) اله النار ، ابنا لهما في بعض الاحيان ، وكانت مدينة «أور» مركز عبادة سين وزوجته ننجل Nin - gal ، وكذا ولدهما «نسكو» وزوجته «سدرننا» (Sa - dar - Nun - Na) ثم انتقلت عبادتهم جميعا الى حران ، ومنها الى سورية وفينيقيا ، وربما كان لاسم سينا علاقة باله القمر سين (محمد بيومي مهران : الحضارة العربية القديمة ص ٣٢٨ ، موسكاتي : المرجع السابق ص ٢٥٥ ، وكذا

E. Dhorme, Op. Cit., P. 54-60, 83-86.

(٥٨) رضا الهاشمي : المرجع السابق ص ٧٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٧ - ٤٦٨ ، سبتينو موسكاتي : المرجع السابق ص ٩٥ .

هذا وقد حاول بعض الباحثين — طبقا لترتيب مواد القانون — أن يقسمها الى ثلاث مجموعات : مجموعة تتضمن البنود (١ — ٥) وتتعلق بأمور القضاء والتقاضى ، ومجموعة ثانية تتألف من البنود (٦ — ١٢٦) وتتضمن قانون الاموال أو المعاملات ، ومجموعة ثالثة تتألف من البنود (١٢٧ — ٢٨٢) وتتضمن قوانين الاسرة ، غير أن هذا التقسيم يصعب تتبعه حرفيا في بنود التشريع •

على أن هناك من يقسمها الى ثلاثة أبواب رئيسية ، اتفق فيها مع التقسيم الاول ، في البابين الاول والثانى ، غير أنه قسم المجموعة الثالثة (المواد ١٢٧ — ٢٨٢) الى ثلاثة أقسام ، الاول : ويتضمن قوانين الاحوال الشخصية (المواد ١٢٧ — ٢١٤) والثانى عن الاجور (٢١٥ — ٢٧٧) والثالث عن العبيد (٢٧٨ — ٢٨٢) • على أن الدكتور طه باقر ، انما يرتب مواد قانون جمهورى — حسب تسلسلها — على الوجه التالى : ١ — المخالفات والجرائم الخاصة بأصول المرافعات (خمس مواد) وتتناول التهم الباطلة وشهادة الزور ، ونقض الاحكام التى يصدرها القضاء ، ٢ — الجرائم الخاصة بالاموال (٦ — ٢٥) وتتناول السرقات وتسلم مال مشروق واختطاف الاطفال وايواء الارقاء الآبقين والسطو على الدور ، والسرقات الاخرى بوجه عام ، ونهب بيت يحترق • ٣ — أحكام خاصة بالاراضى والعقار (٢٦ — ٦٠) وفيها التزام الاراضى وواجبات الزراع والفلاحين وديون الفلاحين ، ومخالفات الرى ، والاضرار الناتجة عن الماشية ، وجرائم قطع الاشجار وشئون النخيل ٤ — المعاملات التجارية (٦١ — ١٢٦) وتتناول القروض والوكالات التجارية ، وتنظم الخزائن والرهونات والودائع والامانات • ٥ — الاحوال الشخصية (١٢٧ — ١٩٤) وتتناول قذف كاهنه أو امرأة محصنة بالزنا ، والزواج مرة أخرى أثناء غياب الزوج ، وأحكام الطلاق والتسرى واعالة زوجة المتوفى وهدايا الزوج لزوجته ، ومسئوليات الزوجين عن الديون وقتل الزوج والزنا بالمحرمات وأيلولة هدايا الزوج بعد موت الزوجة والهبات للاولاد في قيد الحياة ، وترتيب نصيب الاولاد

في التركة ، وحرمان الاولاد من الارث ، والاعتراف الشرعى بالبنوة ومال الارملة وزواجها وزواج الحرة من عبد وأحكام نساء المعبود وتبني الاطفال ، ٦ — تتناول المواد (٢١٤ — ٢١٥) وتتناول الاعتداء على الاب وعلى الرجال والاسقاط ، ٧ — المواد (٢١٦ — ٢٤٠) وتتناول أحكام الجراحين والحلاقين والمعماريين وبناء السفن والبيطريين ، ٨ — تتناول المواد (٢٤١ — ٢٧٣) الشئون الزراعية كحيوانات المزارع والآلات الزراعية وتأجير الرعاة وواجباتهم ، وكذا عمال الزراعة والحيوانات والعربات ، ٩ — وتتناول المواد (٢٧٤ — ٢٧٧) أجور الصناع والسفن . ١٠ — وتتناول المواد (٢٧٨ — ٢٨٢) ضمانات بيع الرقيق وشرائه من الخارج^(٥٩) .

وعلى أية حال — وقبل أن نقدم ترجمة لقانون حمورابى — لعل من الافضل هنا أن نشير الى عدة نقاط :

أولا : يقسم قانون حمورابى المجتمع العراقى القديم الى ثلاث طبقات هى :

أ — الطبقة العليا : — ويسمى الواحد منها «أويل» أو «أويليوم» (awelum أو awelu وهم الاشراف ، ويتمتعون بحرية كاملة ، وبجميع حقوق الرعوية وامتيازاتها .

ب — الطبقة الوسطى : ويسمى الواحد منهم «مشكينو» (Mushkenu) أو «مشكينوم» (Mushkinum) وربما يمكن أن نسميهم العامة أو المساكين ، لأن كلمة «مشكينو» ، فيما يرى البعض ، تقابل كلمة مسكين العربية ، وهى على أية حال ، طبقة لا يمكن تحديد وضعها على وجه اليقين ، وربما كانوا على صلة بالمعابد ، ولكنهم ليسوا

(٥٥) طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٤ — ٢٩٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٢ ، رضا جواد الهاشمى : المرجع السابق ص ٧٩ .

من الارقاء ، كما أنهم ليسوا من السادة ، ومن ثم فاطلاق صفة الطبقة الوسطى عليهم انما هو أمر مجازي ، وقد كانوا يخضعون لقيود قانونية معينة ، ولا سيما فيما يتعلق بتحويل الملكية المنقولة •

ج - طبقة العبيد : ويسمى الواحد منهم «وردو» (Wardu) أو «وردوم» (Wardum) ، ولم يكونوا ينظر اليهم كبشر لهم شخصية ، وانما كالمتاع يعرفون بأسماء أصحابهم ، وان وقع عليهم ضرر يدفع المتعويض للكههم ، ويعرفون بقص شعر رؤوسهم ، ودمغهم بميسم العبيد ، وحملهم لوحا طينيا يثسیر الى عبوديتهم والى اسم مالکهم ، ويلحق بهذه الطبقة أسرى الحروب ومن يندرهم الملك بعد انتصاره في حملاته الحربية •

وكان الفرد من الطبقة الوسطى يمكن أن يتحول الى طبقة الارقاء في حالة العجز عن سداد الدين ، كما أن انكار المتبنى لمن يتبناه ينقله الى طبقة الارقاء ، وللزوج أن يسترق زوجته ، ان أنكرته أو تنكرت له (٦٠) •

وعلى أية حال ، فان العدالة التي نادى بها قانون حمورابي انما اشترط لها الاتفاق بين الطبقات الاجتماعية ، انه عن نفس الجرم انما تختلف العقوبة والاضرار ، طبقا للطبقة الاجتماعية التي ينتمى اليها الفرد الذي وقع منه وعليه الجرم - كما تنص المواد (١٩٦ - ٢٠٤) - ومن ثم فقد طبقت مبدأ «(العين بالعين)» ، ولكنها قصرت تطبيقه أمثاله على أفراد الطبقة الواحدة ، وهذه الحقيقة انما تفسر لنا ما دفع بعض المؤرخين الى القول بأن ما أضافته المدينة البابلية الى ارثنا الخلقى في غربي آسيا قليل جدا (٦١) •

60) E. A. Speiser, *Mushkenum*, *Orientalia*, 27, 1958, P. 19-28.
G Roux, *Op. Cit*, P. 191.

61) J. H. Breasted, *The Dawn of Conscience*, New York, 1939, P. 221-222.

وفي الواقع أننا لو رجعنا الى قانون حمورابى لوجدنا أن كثيرا من مواده لا تعترف بالمساواة بين الناس ، وإنما تتعامل معهم على حسب مراكزهم الاجتماعية ، فمثلا المادة (١٩٦) تنص على أن من يتسبب في اتياف عين عضو من جماعة النبلاء تقطع عينه ، بينما تنص المادة (١٩٨) على أن من يفتقأ عين رجل من العامة يدفع مينا من الفضة ، وتنص المادة (١٩٩) على أن من يفتقأ عين رجل من الارقاء يدفع نصف القيمة^(٦٢) .

وهكذا بينما يعترف القانون العراقى القديم (قانون حمورابى) بأن الناس غير متساويين في أقدارهم أمام القانون ، وأن العقوبة انما تختلف طبقا للطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها الفرد الذى وقع منه الجرم ، فضلا عن الذى وقع عليه ، نرى مصر الفرعونية تعلن في وثائق الدولة الرسمية ، وفي توجيهات الفراعين لوزرائهم عندما يتسلمون مهام مناصبهم — كما في خطاب الملك تحوتمس الثالث الذى وجهه الى وزيره رخمى رع عندما قلده منصب الوزارة^(٦٣) — الغاء مثل هذه الفوارق الاجتماعية ، وأن الناس — كل الناس أمام القانون سواء ، لا فرق بين غنى وفقير ، وبين كبير وصغير^(٦٤) بل ان مصر انما قد نادت — منذ عصر الثورة الاجتماعية ، وقبل عصر حمورابى بعدة قرون — بالقضاء التام على الفوارق الاجتماعية بين البشر جميعا — كما جاء على نص من متون التوابيت التى ترجع الى تلك الفترة ، ومن هنا كان عصر الثورة الاجتماعية هذا — فيما يرى كثير من الباحثين — من أهم العصور

62) T. J. Meek, The Code of Hammurabi, in ANET, 1966, P. 175.

(٦٣) انظر :

J. H. Breasted, Op. Cit., P 209-210, ARE, II, P. 266-281.

R. D. Faulkner, JEA, 41, 1955, P. 18-29.

Urk. IV, 1090 F.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 196.

(٦٤) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر

الفراعنة — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ١٦٨ — ١٧١ .

التاريخية في مصر الفراعنة ، لأنه نادى بالقضاء على الفوارق بين الناس جميعا^(٦٥) .

ولعل الفيلسوف اليونانى «أفلاطون» (حوالى ٤٢٧ — ٣٤٧ ق.م) عندما قال مقالته عن السياسة «الدولة تجسيم العدالة المنظم» ربما لم يعلم الا قليلا ، أن مصر كانت قد اتخذت منذ ألف وخمسمائة سنة خلت — قبل مقالته — هذا المثل الاعلى ، وحاولت أن تجعله حقيقة واقعة . أو أن هذا دليلا آخر على أن «أفلاطون» كان في مصر ، وأن ذلك رأى استحوذ عليه هنا في أرض الكنانة^(٦٦) .

ثانيا : أن تشريعات حمورابى — رغم أنها مكتوبة باللغة الاكدية — فهى مشتقة جزئيا من التشريع السومرى الذى نسخه هذا القانون أحيانا ، وسار عليه أحيانا أخرى ، ومن ثم فإن هذه التشريعات لم تكن كلها بنت عهدا ، كما أنها لم تكن كلها جديدة ، وانما تضمنت كثيرا من التشريعات التى سبقتها (تشريعات أوركاجينا — أورنامو — اشنونا) فضلا عن نصوص العرف والتقاليد ، فأبقت بعضها على حاله ، وعدلت بعضها الآخر ، وزادت عليه ، فمثلا هناك مادة فى قانون العائلة السومرى نصت على سلطة الاب المطلقة وصلاحيته فى طرد ولده وحرمانه من الميراث ، ثم جاء قانون حمورابى فوضع حدا لسلطة الاب المطلقة ، حيث أحال البت فيها الى المحاكم ، واذا ثبت بالادلة أن الاب محق فى عمله ، حكمت له ، أو أن يغفر لولده ذنبه فى حالة اقترافه للمرة الاولى ، كما وضع حمورابى فى قانونه حدا لسلطة الزوج فى المطلق ، فقانون العائلة السومرى أعطى الزوج الحق فى طلاق امرأته متى يشاء ، ودونما سبب ، وسواء أعزدها أطفال أم لا ، ثم جاء حمورابى فوضع فرقا بين حالتين ، الواحدة تتصل بالزوجة ذات الاطفال ، والاخرى ، الزوجة التى لا أطفال

65) J. A. Wilson, Creation and Myths of Origins, All Men Created Equal in Opportunity, in ANET, 1966, P. 7-8.

(٦٦) جيمس هنرى برستد : تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ترجمة زكى سوس — القاهرة ١٩٦١ ص ٣٣٨ .

لها ، وفي الحالة الاولى تأخذ الزوجة صداقها ودخلا يكفى لتربية أطفالها ،
وعندما يكبر أطفالها يكون لها نصيب في أملاك زوجها الذى طلقها ، وأما
التي لا أطفال لها فتأخذ صداقها ، وما أتت به من بيت أبيها عند زواجها ،
فضلا عن هدية زوجها لها عند الزواج (٦٧) .

ثالثا : سسار قانون حمورابى على مبدأ «السن بالسن ، والعين
بالعين» ، ورغم عدالة هذا المبدأ ، الا أنه طبق في هذا القانون تطبيقا
سيئا في بعض الاحوال ، فكان سببا في بعض الاحايين في ظلم الابرياء ،
فمثلا اذا أنهار منزل وقتل ابن الساكن فيه ، فان عقوبة ذلك قتل ابن
المهندس الذى بنى البيت ، فيذهب ضحية ذلك شخص برىء ، هو الابن
المسكين ، هذا فضلا عن التفرقة بين المواطنين ، ذلك لان اجراءات
التقاضى — كما أشرنا آنفا — انما تشترط الاتفاق بين الطبقات
الاجتماعية ، فمثلا فان الاساءة الى العامة عقوبتها أقل قسوة الى حد
كبير من عقوبة الاساءة الى الاشراف ، أو يعاقب عليها تبعا لمبدأ مختلف ،
هذا فضلا عن التفرقة بين زوجات الرجل الواحد وأبنائهن ، تبعا لمركز
الزوجة ، رغم أن الابناء جميعا من صلب رجل واحد (٦٨) — كما سنرى .

رابعا : اصطبغت أغلب مواد تشريعات حمورابى بالقسوة في مواجهة
الاعتداء على النفس والمال ، وليس من المستبعد أن تكون قد تعمدت ذلك
لمجرد التخويف ومنع الجريمة قبل وقوعها ، أو لتقييدها بتعاليم دينية
متشددة ، أو لشيوع الفساد في مجتمعها ، وفيما قبل عهدا ، فجعلت
الاعدام عقوبة للتآمر على مصالح الدولة وأمنها والوقوف في سبيل تنفيذ
أوامرها ، كايواء ثائر أو مجرم هارب أو التكتم على مؤامرات قطاع
الطرق ، أو التهرب من خدمة الجيش أو الاعتداء على أملاك المعابد

(٦٧) جورج ساراتون : تاريخ العلم ص ١٩٥ ، سامى سعيد الاحمد :
المرجع السابق ص ٩٦ .

(٦٨) ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص ٩٢ ، جيمس هنرى
برسنت : انتصار الحضارة ص ١٩١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق
ص ٤٦٣ ، وكذا

Paul Dhorme, Choix des Textes religieux assyro - Babyloniens, No XII.

والقصر ، أو من يعجز عن رد المسروقات ودفع التعويضات عنها ، أو من يسم عبدا بغير سيده وبدون علمه ، فضلا عن خطف الاطفال واخفاء العبيد ونقب الدور ، والاتجار في المسروقات ، والمعماري الذي يتسبب اهماله في انهيار منزل على صاحبه ، والرؤساء الاداريين الذين يتسببون في حرمان جندي مما أنعم عليه الملك ، والذين يغتصبون داره أثناء غيابه أو يؤجرنها لمصالحهم أو يتخلون عنها لصاحب نفوذ في ساحة القضاء ، أو الذين يدعون ملكية أشياء مسروقة ثم يثبت تدليسهم^(٦٩) .

خامسا : تضمنت تشريعات حمورابي أحكاما غريبة يأبأها منطقنا الحالي ، وان تقبلها عصرها ، ومن ذلك انه اذا اتهم مواطن مواطنا آخر بالاشتغال بالسحر ، كان على المدعى عليه أن يلقي بنفسه في النهر ، فاذا ابتلعه النهر ورثه الآخر ، واذا نجا أعدم من اتهمه وآلت أملاكه اليه ، ومنها أنه اذا أدت عملية جراحية الى وفاة مريض حر ، أو الى ذهاب نور عينه ، قطعت يد الطبيب ، فاذا كان المريض عبدا عوض الطبيب سيده عن حياته بعبد مثله ، وعن عينه بنصف ثمنه من الفضة^(٧٠) .

سادسا : أخضع قانون حمورابي رجال الدين — ولأول مرة — لأحكام القانون المدني ، وقد كان القضاء والمحاكم من قبل من اختصاص المعبد ورجال الدين ، ومن ثم فان حمورابي انما يؤكد بعمله هذا فصل القضاء عن الهيمنة الدينية ، وربطه بعجلة الادارة المدنية^(٧١) .

سابعا : تضمنت تشريعات حمورابي كثيرا من الاحكام الراقية التي

(٦٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٧ ، وانظر المواد ٢٢٩ ، ٢٢٧ ، ٢٦٦ ، ٢١٠ ، ١٠٩ ، ٣٥ ، ٣٤ ، ٣٣ ، ٢١ ، ١١ ، ١٠ ، ٩ في T. J. Meek, ANET, P. 166-167, 170, 176.

(٧٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٧ ، وكذا المواد (٢١٨ - ٢١٩) في

T. J. Meek, Op. Cit., P. 175.

(٧١) رضا جواد الهاشمي : المرجع السابق ص ٨١ .

يتقبلها المنطق في كل عصر ، ومن ذلك مثلا ، مسؤولية الدولة عن شئون الأمن ، ومن ثم فسادا سرق مواطن ولم يتييسر القبض على سارقته واسترجاع المسروقات ، عوضته مدينته ، وكذا اقليمه عما سرق منه ، بعد أن يعلنه ويثبت صحة دعواه أمام تمثال الاله ورجال الادارة في مدينته ، وكذا اذا قتل مواطن ولم يتييسر معرفة قاتله ، والاقتصاص منه ، تعاونت مدينته وحاكم اقليمه على دفع دية الى أهله مقدارها «منا» من الفضة

ومن ذلك أيضا حقوق المحاربين ومسئولياتهم ، ومن ثم فاذا افتدى ممول محاربا أو متعهدا بالجيش من الاسر ، وأعانه على العودة الى بلاده ، رد المحارب فديته من أمواله المنقولة ، فان عجز عن ذلك تولى رب مدينته دفع الفدية عنه ، فان لم يتييسر ذلك تولت الدولة سدادها عنه ، حتى لا يضطر الى التضحية بأمواله الثابتة التي تقطعها الدولة له في سبيل افتداء نفسه (٧٢) .

وعلى أية حال ، فان بعض التناقضات الموجودة في القانون ربما ترجع الى أن حمورابي قد قنن لشعب مكون من شعوب كثيرة ، ورغم توحيده الظاهري ، ومن ثم فقد اضطر الى الجمع والتوفيق بين تقاليد مختلفة ، لكننا اذا أخذنا كل شيء بعين الاعتبار — حتى الرغبة البدائية في دقة العقاب والمبدأ باختلاف المرتبة الاجتماعية للمجنى عليهم — نقول لو أخذنا بكل ذلك ، لوجدنا أن الملك — أو مستشاره القانوني — قام بعمله خير قيام ، وأن قانون حمورابي أحد المعاليم البارزة في التاريخ البشري (٧٣) ، كما أنه — رغم قدمه — أبعد من أن يكون شريعة بدائية ، اذ ينم عن تطور طويل للفكر القانوني ، ويصور لنا الناحية القانونية من العبقورية البشرية تصويرا باهرا ، وهي ناحية لا يمكن الاستغناء عنها في

(٧٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٢ ، وكذا ماده ٣٢ في

T. J. Meek, Op. Cit., P. 167

(٧٣) جورج سارتون : المرجع السابق ص ١٩٦ .

بناء أية حضارة ، ومؤرخ العلوم جدير بتوجيه جانب من اهتمامه الى هذه الناحية ، مهما حاول الاقتصار على ميدانه الخاص (٧٤) .

وهاك ترجمة كاملة لمواد قانون حمورابي ، وعددها ٢٨٢ مادة :

مادة (١) : اذا اتهم سيد سيذا آخر بجريمة قتل ، ولم يقيم عليه
البينة قتل .

مادة (٢) : اذا اتهم سيد سيذا آخر بالسحر ، ولم يقيم عليه البينة ،
فعلى المدعى عليه أن يلقى بنفسه فى النهر ، فان غلبه النهر ، على أمره
وغرق ، فليأخذ من اتهمه بالسحر ضيعته ، أما اذا برأه النهر وخرج
سالما ، يقتل من اتهمه بالسحر ، ويأخذ هو (أى المدعى عليه) ضيعته .

مادة (٣) : اذا أدلى سيد بشهادة زور فى قضية ما ، ولم يستطع
اثبات صحة كلماته التى نطق بها ، فان كانت تلك الدعوى تتصل بحياة
(شخص) قتل .

مادة (٤) : أما ان كانت شهادة الزور تتصل بالحبوب أو المال ، فانه
سوف يتحمل جزاء شهادته .

مادة (٥) : اذا حكم قاض حكما واصدر قرارا ، وحدث التصديق
على رقيم مختوم ، ثم عدل فى حكمه بعد ذلك ، فعليه أن يثبتوا أن
ذلك القاضى قد غير الحكم الذى أصدره ، وعليه أن يدفع اثنا عشر مرة
قيمة الشكوى التى رفعت فى تلك القضية ، فضلا عن أن يطرده أم-ام
الجميع من فوق كرسيه للقضاء ، وسوف لا يجلس ثانية أبدا مع القضاة
فى دعوى .

مادة (٦) : اذا سرق سيد متاع اله أو متاع الدولة ، فانه يقتل ،
كما أن كل من وضع يده على متاع مسروق يقتل .

(٧٤) نفس المرجع السابق ص ١٩٢ - ١٩٤ .

مادة (٧) : اذا اشترى سيد ، أو استلم كأمانة ذهباً أو عبداً أو جارية أو ثورا أو نعجة أو جحشا أو أى شىء آخر من يد رجل آخر أو عبده ، بغير شهود أو عقود ، فهو لص ويقتل •

مادة (٨) : اذا سرق سيد ثورا أو نعجة أو جحشا أو خنزيرا أو قارباً •••• ان كانت للمعبد أو الدولة يدفع ثلاثين مرة قيمة الشىء المسروق ، وان كانت لمواطن (Mushkenum) ^(٧٥) يدفع عشر أمثال قيمتها ، وان لم يكن لديه ما يكفى لدفع التعويض يقتل •

مادة (٩) : اذا عثر على بضاعة مسروقة من سيد فى حيازة آخر ، وأقسم هذا الأخير «أن بائعا بناعنى اياها واشتريتها فى حضرة شهود» ، وأعلن صاحب المسروقات «سأقدم الشهود على أنها بضاعتى المسروقة» فان المشتري ما دام قد قدم البائع والشهود الذين تمت الصفقة أمامهم ، وان صاحب البضاعة قد قدم الشهود أيضا على ملكيته لها ، فان القضاة هم الذين يفصلون فى النزاع ، وعلى الشهود الذين تسم الشراء بحضرهم ، والشهود الآخرين الذين يشهدون بملكيتها لصاحبها ، فليشهدوا بذلك فى حضرة الاله ، فاذا ثبت أن البائع لص يقتل ، ويسترد صاحب البضاعة بضاعته ، ويأخذ المشتري من أملاك البائع المال الذى دفعه •

مادة (١٠) : اذا لم يرشد المشتري عن البائع الذى شراه البضاعة ،

(٧٥) كلمة «مشكينوم» (Mushkenum) تستعمل عادة فى المادة (٨) بمعنى رجل من الطبقة الوسطى (T. J. Meek, ANET, 1966, P. 166.) أو من العامة ، ولكنها فى المواد ١٥، ١٦، ١٧٥، ١٧٦، تشير الى مواطن له صلة بالمعبد أو الدولة ، ويفرق القانون بين النوعين ، حيث يعطى من له صلة بالمعبد أو الدولة حماية أكثر ، هذا فضلا عن أن المادة اسماء تتعارض وتلك التأكيدات التى بولغ فيها فى المقدمة من أن هذه التشريعات انما جاءت لحماية الفقراء والضعفاء ، ومن ثم فهى هنا ليست ضد المعدم فحسب ، ولكنها أيضا تبالغ فى تعويض ما يسرق من المعبد أو الدولة ، حتى أنها جعلت التعويض يعادل ثلاثين مرة من قيمة الشىء المسروق •

وعن المشهود الذين تم الشراء أمامهم ، بينما قدم صاحب البضاعة شهوده ، فالمشتري لص ويقتل ، ويسترد صاحب المتاع متاعه •

مادة (١١) : اذا لم يقدم صاحب المتاع المسروق شهوده على ملكيته للبضاعة المسروقة ، فهو مخادع غشاش ويقتل •

مادة (١٢) : اذا مات البائع ، فللمشتري الحق في أن يأخذ من أملاكه خمسة أمثال قيمة الدعوى في القضية •

مادة (١٣) : اذا لم يستطع سيد تقديم شهوده ، فالقاضي الحق في منحه أجلا لمدة شهور ستة ، فاذا لم يحضر شهوده خلال الشهور الستة ، فهو مخادع ، وسوف ينال العقاب المحدد لهذه الحالة •

مادة (١٤) : اذا سرق سيد ابنا صغيرا لسيد آخر يقتل (٧٦) •

مادة (١٥) : اذا عاون سيد عبدا للدولة أو أمة للدولة ، أو عبدا أو أمة لمواطن على الهرب من بوابة المدينة يقتل •

مادة (١٦) : اذا أوى سيد في بيته عبدا آبقا أو أمة هاربة ، تابعا للدولة أو ملكا لمواطن ، ولم يقدمهم عند استدعاء الشرطة ، فان صاحب البيت يقتل •

مادة (١٧) : اذا أمسك سيد بعبد آبق أو أمه هاربة في العراء ، وأخذه كملك له ، فان صاحب العبد يدفع له عشرة شواقل من الفضة •

مادة (١٨) : اذا لم يعين العبد اسم صاحبه يأخذه الى القصر حتى يتم التعرف عليه ، ثم يرد الى صاحبه •

(٧٦) قارن نص سفر النكوتين من التوراه وبصه «من سرق اسادا وباعه ، أو وجد في يده ، بقتل قتلا» (تكوين ١٦/٢١) وانظر : نبية ٧/٢٤

مادة (١٩) : اذا احتفظ بهذا العبد في بيته . ثم وجد فيما بعد أن العبد بقى في حوزته ، قتل ذلك السيد *

مادة (٢٠) : اذا هرب العبد من يد أسره ، يؤكد السيد ذلك بقسم أمام رب صاحب العبد ، ويطلق سراحه *

مادة (٢١) : اذا أحدث سيد صدعا في منزل يقتل أمام الصدع ويحشر بداخله ويسد عليه *

مادة (٢٢) : اذا سرق سيد وقبض عليه متلبسا . يقتل *

مادة (٢٣) : اذا لم يضبط المسارق ، يقدم صاحب المروقات تفصيلات بها في حضرة الاله ، وعندئذ تعوضه المدينة التي وقعت السرقة فيها ، وحاكمها ، عن متاعه المسروق *

مادة (٢٤) : اذا ما كان المسروق «حياة» (بمعنى شخصا قتل) تدفع المدينة والحاكم^(٧٧) مينا من الفضة لأهله *

مادة (٢٥) : اذا شبت نار في بيت سيد ، وجاء آخر لطفائها ، ثم رنا بعينيه الى أموال صاحب البيت ، وأخذ شيئا منها ، فان هذا الرجل يلقي به في هذه النار *

مادة (٢٦) : اذا كلف جندي خاض أو مبعوث مهمة للملك ، ولم يذهب أو استأجر بديلا عنه ، يقتل ذلك الجندي أو المبعوث ، ثم تسلّم أملاكه لبديله *

مادة (٢٧) : اذا أسر جندي أو مبعوث . وهو في الخدمة العامة للملك ، وسلمت أرضه وبساتينه الى آخر ، ارتبط بالتزاماته الاقطاعية .

(٧٧) المين (Mina) = ٥٠٠ جرام ، والشافل (Shekels) = ٨ جرام ، وينقسم المين الى ٦٠ شافل (ANET, P. 167)

فله حق استرجاعها عند عودته الى المدينة ، ليرعى بنفسه التزاماته
الاقطاعية •

مادة (٢٨) : اذا كان الجندي الخاص أو المبعوث الذي أسر وهو في
الخدمة العامة للملك له ابن يستطيع أن يرعى التزاماته الاقطاعية ، فان
الحقل والبساتين يعطيان له ، ليرعى الالتزامات الاقطاعية لأبيه •

مادة (٢٩) : اذا كان الابن صغيرا لا يستطيع التزامات أبيه
الاقطاعية ، تولت أمه ادارتها نيابة عنه ، ان استطاعت ، وربته من ريعها
نظير انتفاعها بثلاث ايرادها •

مادة (٣٠) : اذا سلم جندي خاص أو مبعوث حقله وبستانه وبيته
بسبب الالتزام الاقطاعي ثم غاب ، وبعد رحيله أخذ آخر حقله
وبستانه وبيته ، وأدى الالتزامات الاقطاعية مدى سنوات ثلاث ، ثم
عاد وطالب بحقله وبستانه وبيته ، فلا يعطى له ، انها تصبح من حق
من أخذها ورعى التزاماتها الاقطاعية •

مادة (٣١) : أما اذا غاب لمدة عام واحد فقط ، ثم عاد، يرد له بيته
وبستانه ويرعى التزاماته الاقطاعية (٧٨) •

مادة (٣٢) : اذا افتدى ممول جنديا خاصا أو مبعوثا أسر في حملة
للملك ، ومكنه من الوصول الى مدينته ، رد المفتدى فديته من أملاكه
المنقولة ، فان عجز عن ذلك ، يفتدى من أملاك اله المدينة ، فاذا لم
يتيسر ذلك ، فان الدولة تفتديه ، وأما حقله وبستانه وبيته فلا يضحى
بها في مقابل الفدية •

(٧٨) اقطاع المحارب يسمى «كو» ، وقد يتكون من حقل أو بستان
أو دار ، أو بضم الثلاثة جميعا ، ويدفع عنه صاحبه ضريبة سنوية ،
ويورث حق الانتفاع به لولده الاكبر ، ولكن لا يحق له أن يبيعه أو يرهنه
أو يورثه لزوجته أو لابنته ، ويمكن أن ينزع منه هذا الاقطاع بأمر ملكي ،
ويوهب لشخص آخر (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦٢) •

مادة (٣٣) : اذا تملك جاويش أو ضابط جندي . وقبل أن يذهب مستأجرا كبديل في حملة للملك فانهما يقتلان •

مادة (٣٤) : اذا اغتصب جاويش أو ضابط متاع جندي . أو أساء أحدهما الى جندي أو استأجر أحدهما جنديا ، أو أصدر حكما ضده ظلما لمصلحة من هو أعلى منه رتبة ، أو اغتصابا منحة منحها اياه الملك . فان من فعل ذلك (الشاويش أو الضابط) يقتل •

مادة (٣٥) : اذا اشترى سيد من يد جندي ماثية أو غنما . كان الملك قد أعطاها للجندي فانه يدفع ماله غرامة •

مادة (٣٦) : حقل الجندي أو بستانه أو متعلقات بيته — هو أو المبعوث أو الاقطاعي — لا تباع •

مادة (٣٧) : اذا اشترى سيد حقلا أو بستانا أو شيئا من متعلقات بيت جندي أو مبعوث أو اقطاعي ، فان لوحة التعاقد تكسر : ثم يدفع ماله غرامة ، مع اعادة الحقوق والبستان والبيت الى صاحبها •

مادة (٣٨) : ليس من حق جندي أو مبعوث أو اقطاعي أن يتخلى عن حقله أو بستانه أو بيت اقطاعيته لزوجته أو ابنته . كما أنه ليس من حقه — بأي حال من الاحوال — أن يتنازل عنها مقابل التزام عليه •

مادة (٣٩) : يجوز له أن يتنازل لزوجته أو ابنته عن أي حقل أو بستان أو بيت اشتراه ثم تملكه كنتيجة لذلك : كما يستطيع أن يعينهم لالتزام خاص به •

مادة (٤٠) : يستطيع النادتيوم (Naditum) (طبقة من الكهنة) أو التاجر أو الاقطاعي الخاص أن يبيع حقله أو بستانه أو بيته . على أن يتقبل الشاري التزام ما اشتراه •

مادة (٤١) : اذا تملك سيد : عن طريق المقايضة . حقلا أو بستانا

أو بيتا يخص جنديا أو مبعوثا أو اقطاعيا ، ثم دفع ثمننا اضاغيا ، فان الجندي أو المبعوث أو الاقطاعي يستطيع أن يستعيد ملكية حقله أو بستانه أو بيته ، وأن يحتفظ بما دفع اضاغيا •

مادة (٤٢) : اذا استأجر سيد حقلًا للزراعة ، ولم ينتج منه حبوبًا ، فان هذا يدل على أنه لم يقيم بعمل في الحقل ، ومن ثم فعليه أن يعطى مالك الحقل حبوبًا تقدر على أساس انتاج الارض المجاورة •

مادة (٤٣) : اذا أهمل الحقل ولم يقيم بزراعته فعليه أن يدفع للمالك المحقل حبوبًا تقدر على أساس انتاج الحقل المجاور ، وأن يقوم بحراثة الحقل الذي أهمله ، وأن يعيده الى صاحبه •

مادة (٤٤) : اذا استأجر سيد حقلًا بورًا لتحسينه — على مدى سنوات ثلاث — ، غير أن كسله أدى الى عدم تحسينه ، فعليه في السنة الرابعة ، أن يحرق أرضه ، ويكسر كتله ، ثم يعيده الى صاحبه ، بل وعليه أن يكيل له عشرة «كور» (Kur) من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكو» (Iku) (٧٩) •

مادة (٤٥) : اذا أجر مالك حقله لمستأجر وتسلم ايجار حقله ، ثم أغرق «أدد» (اله الامطار والرعد والفيضان) فيما بعد الحقل أو اجتاحه فيضان ، فان الخسارة انما تقع على المستأجر •

مادة (٤٦) : أما اذا لم يكن قد تسلم الايجار — سواء كان الايجار في مقابل نصف أو ثلث المحصول — فان المستأجر والمالك يقتسمان محصول الحقل من الحبوب •

مادة (٤٧) : اذا طلب المستأجر من رجل آخر أن يزرع الحقل،

(٧٩) الكور (Kur) مقياس يعادل أقل قليلا من ٧ بوشل (Bushels) ، وينقسم الى ٣٠٠ والايكو (Eku) مقياس للاراضي يعادل سبعة أثمان اكر (Acre) (ANET, P. 168) •

لأنه لم يستطع استغلاله في العام الماضي ، فليس لمالك الأرض أن يعترض ، وعلى المستأجر الجديد أن يزرع حقله ، وفي موسم الحصاد يأخذ الحبوب بما يتفق والعقود المبرمة •

مادة (٤٨) : إذا كان على شخص دين ، ثم أغرق الاله أدد حقله أو اجتاحه فيضان ، أو أن الحقل لم ينتج غلة لنفاذ الماء ، فسوف يعفى ذلك الشخص المدين في تلك السنة من تسديد الحبوب لدائنه ، بل وتلغى لوحة العقد ، ولا يدفع الفائدة عن تلك السنة •

مادة (٤٩) : إذا اقترض سيد مالا من تاجر ، ورهن له حقلا معدا للحبوب أو السمسم ، وقال له : ازرع الحقل ثم اجمع المحصول وخذ الحبوب أو السمسم الذي تنتجه ، وإذا كان المستأجر قد أنتج حبوبا أو سمسما في الحقل ، فإن صاحب الحقل نفسه يأخذ في موسم الحصاد الحبوب أو السمسم التي انتجها الحقل ، ويعطى التاجر الحبوب في مقابل ماله الذي استدانه منه مع الفوائد ، وما يقابل تكاليف الزراعة •

مادة (٥٠) : إذا رهن حقلا مزروعا بالحبوب أو حقلا أشتبت به السمسم ، فإن صاحب الحقل يأخذ الحبوب أو السمسم الذي أنتجه الحقل ، ثم يرد المال والفائدة الى التاجر •

مادة (٥١) : إذا لم يكن لديه المال ليرده ، فإنه يعطى التاجر مقابل ماله حبوبا أو سمسما بسعر السوق الذي يحدده الملك ، ذلك المال الذي استدانه التاجر مع فائدته •

مادة (٥٢) : إذا كان المستأجر لم ينتج حبوبا أو سمسما في الحقل ، فليس من حقه أن يغير العقد •

مادة (٥٣) : إذا لم يقوى سيد سدا بسبب تقاعس منه ، وأدى ذلك الى انهيار السد واغراق أرض مزروعة ، فإن الرجل الذي أنصاع السد في أرضه يعوض عن الحبوب التي أصابها الدمار •

مادة (٥٤) : اذا لم يكن قادرا على التعويض ، يباع هو ومقتاعه ،
ويقتسم الفلاحون الذين ائلف الماء محصولهم ماله *

مادة (٥٥) : اذا أهمل رجل عند فتح قناته للرى ، واجتراح الماء
حقلا مجاورا لحقله ، فانه يكيل تعويضا بمقدار ما أصابه التلف *

مادة (٥٦) : اذا فتح رجل الماء ثم تركه فأتلف ما تم من عمل في
حقل مجاور ، فعليه أن يدفع ١٠ «كورا» في مقابل كل ١٨ «ايكو» *

مادة (٥٧) : اذا لم يتفق راع مع صاحب حقل لترعى أغنامه في
الاحشائش ثم تركها ترعى في الحقل دون موافقة صاحبة ، فعندما يجمع
صاحب الحقل المحصول ، فعلى الراعى الذى رعى غنمه في الحقل دون
موافقة صاحب الحقل ، أن يدفع له ٢٠ «كورا» من الحبوب ، لكل ١٨
«ايكو» *

مادة (٥٨) : اذا ساق الراعى الاغنام — بعد أن تركت المرعى ،
واحتجز القطيع كله داخل بوابة المدينة — الى حقل ثم رعت فيه ، فعليه
أن يرعى الحقل الذى رعت فيه الاغنام ، وأن يدفع في موسم الحصاد
لصاحب الحقل ، ٦٠ «كورا» لكل ١٨ «ايكو» *

مادة (٥٩) : اذا قطع سيد شجرة من بستان سيد آخر ، دون
موافقته يدفع نصف مينا من الفضة *

مادة (٦٠) : اذا سلم سيد بستانا لبستاني لينشئ له بستانا ، فان
من حق البستاني أن يرعاه لمدة سنوات أربع ، وفي السنة الخامسة
يقتاسمه هناصفة مع صاحب الارض ، ومن حق صاحب البستان أن
يحصل على النصيب الافضل *

مادة (٦١) : اذا لم يقيم البستاني برعاية الحقل كله ، وترك جزءا
بورا ، يكون هذا الجزء البور من نصيبه *

مادة (٦٢) : اذا كانت الارض مزروعة ، ولم يقم البستاني بتحويلها جميعا الى بستان ، فعليه أن يدفع لصاحب الارض ايجار الحقل عن السنوات التى أهمل فيها ، على أساس انتاج الارض المجاورة ، كما يقوم بالعمل اللازم فى الحقل واعادته الى صاحبه .

مادة (٦٣) : اذا كانت الارض بورا . فانه يقوم بالعمل اللازم فى الحقل ، ويعيده الى صاحبه ، ثم يكيل ١٠ «كورا» من الحبوب ، لكل ١٨ «ايكور» عن كل سنة .

مادة (٦٤) : اذا سلم سيد بستانا لبستاني لكى يلقحه ، فان البستاني يعطى لصاحب البستان ثلثي محصول البستان كايجار طيلة استثماره له ، ويأخذ هو الثلث .

مادة (٦٥) : اذا لم يقم البستاني بتلقيح البستان فتدهور المحصول ، فان البستاني يدفع ايجار البستان بما يعادل ايجار المثل المجاور .

مادة (٦٦) : اذا استدان سيد من تاجر ، ثم ضيق عليه التاجر ، ولم يكن على ميسرة ليدفع ما عليه ، واذا أعطاه البستاني بعد التلقيح وقال له : خذ مالك تمرا بقدر ما انتج البستان ، فلا يسمح للتاجر بذلك ، لأن لصاحب البستان أن يأخذ ما أنتج البستان من تمر ، ويدفع للتاجر مقابل ماله وفائدته ، طبقا لنص اللوحة (العقد) ، كما لصاحب البستان بدوره أن يأخذ بقية التمر الذى أنتجه البستان .

مادة (٦٧) ، (٦٨) ، (٦٩) ، (٧٠) تالفة .

مادة (٧١) : اذا كان يعطى حبوبا أو مالا أو بضائع لاقطاعية ولاية مجاورة يريد شراءها ، فانه يدفع غرامة ما سبق أن دفعه ، وتعود الضيعة الى صاحبها ، واذا لم يكن للضيعة التزامات اقطاعية ، فله أن يشتريها ما دام يدفع لمثل هذه الضيعة حبوبا أو مالا أو بضائع .

مادة (٧٢) الى مادة (٧٧) تالفة •

مادة (٧٨) : اذا أجر سيد بيتا لرجل لمدة عام ، ودفع المستأجر الاجر لصاحب البيت ، ثم قال المالك للمستأجر — وعقده ما يزال قائما — أترك المنزل ، فان صاحب المنزل يدفع المال الذي دفعه المستأجر ، لأنه طلب اليه ترك المنزل ، وعقده ما زال نافذ المفعول •

مادة (٧٩) — الى مادة (٨٧) تالفة •

مادة (٨٨) : اذا أقرض تاجر حبوبا بفائدة ، فيأخذ ((٦٠ قو)) من الحبوب لكل «كور» كفايدة، ويأخذ سدس شاكل ، ٦ سيات ، لكل شاكل من الفضة ، كفايدة (٨٠) •

مادة (٨٩) : اذا لم يجد سيد ما يسدد به الدين ، وعنده حبوب ، يأخذ التاجر حبوبا ، مقابل ماله مع فائدة تتفق وما يحدده الملك من سعر •

مادة (٩٠) : اذا زاد تاجر ربح كور الغلة عن ٦٠ قو ، وفائدة شيقل الفضة عن سدس شيقل وست سيات ، فانه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه •

مادة (٩١) : اذا أقرض تاجر حبوبا بفائدة ، ثم أخذ ماله بفائدة كاملة من الحبوب ، فان الحبوب مع المال قد لا
—————

(٨٠) دلت بعض لوحات القروض من نفس العصر على زيادة أرباح القروض ونقصانها عن هذه النسبة في بعض الحالات فقد بلغ سعر الفائدة لقرض من الفضة ٢٥٪ ، ونقصت قروض المعابد والادارات الحكومية الى ١٢٪ ، وكان معبد شمش معبود سيبار يقرض الشعير بفائدة ٢٠٪ ، وبعد سنوات أقرض الفضة بفائدة ١٦/١ من رأس المال ، أى بفائدة تقل عن ثلث السعر القانونى للفائدة ، وفي عصر أور كان السعر المعتاد للقرض من الشعير ٣٣ ونلت في السنة ، أى ثلث رأس المال ، وظل هذا السعر قائما في عصر حمورابى ، ثم اخذ في الانخفاض (ل. دبلابورت : المرجع السابق ص ١٥٣ — ١٥٤) •

• مادة (٩٢) تالفة •

مادة (٩٣) : اذا كان التاجر ••••• أو لم يستتزن القدر الكافي من الحبوب الذى تسلمه ، ولم يكتب عقدا جديدا ، أو كان قد أضاف الفائدة الى رأس المال ، فان التاجر يرد ضعف القدر الذى تسلمه من الحبوب •

مادة (٩٤) : اذا أقرض تاجر بفائدة حبوبا أو مالا ، وعند التسليم دفع المال بالوزن الصغير والحبوب بالمكيال الصغير ، ولكنه استرد ذلك بالوزن الكبير والمكيال الكبير ، فانه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه •

مادة (٩٥) : اذا أقرض تاجر بفائدة حبوبا أو مالا ، وأعطى ••••• فانه يدفع غرامة تعادل ما أقرضه •

مادة (٩٦) : اذا استدان سيد حبوبا أو مالا من تاجر ، ولم يكن لديه حبوبا أو مالا ليرده ، ولكن لديه بضائع أخرى فانه يعطى لتاجره ما يملكه أمام شهود ، وعلى التاجر أن يقبل ذلك دون اعتراض •

• مادة (٩٧) تالفة •

مادة (٩٨) : اذا سلم سيد مالا لآخر لعمل شركة بينهما ، فانهما يقتسمان مناصفة الربح والخسارة أمام الاله •

مادة (٩٩) : اذا أقرض تاجر مالا بفائدة لتاجر متجول بقصد التجارة ، وأرسله الى الطريق ، فان التاجر المتجول ••••• على الطريق ••••• المال الذى عهد به اليه •

مادة (١٠٠) : اذا كان قد حقق ربحا حيث حل ، فانه يسجل الفائدة على المبلغ بالكامل الذى استدانه ، ثم يحسبان الاينام عليه ، ويرد للتاجر •

مادة (١٠١) : عندما لا يحقق التاجر المتجول (Schamallum)

ربحا ، بصرف النظر عن المكان الذى ذهب اليه ، فانه يدفع للتاجر ضعف ما اقترضه من ماله •

مادة (١٠٢) : اذا اقترض تاجر تاجرا متجولا قرض مجاملة وتحققت خسارته ، حيث سافر ، فانه يعيد رأس المال للتاجر •

مادة (١٠٣) : اذا هاجمه عدو فى الطريق جعله يسلم له كل ما يحمل ، فان التاجر المتجول يقسم بالاله ، ويطلق سراحه •

مادة (١٠٤) : اذا اقترض تاجر غلة أو صوفا أو زيتا أو بضاعة ما الى تاجر متجول ، فعلى التاجر المتجول أن يسجل الثمن ، وأن يدفعه للتاجر ، وأن يستلم التاجر (أو البائع) المتجول ، وصلا مختوما بالدراهم التى دفعها للتاجر •

مادة (١٠٥) : اذا كان البائع المتجول مهملا ، ولم يحصل على وصل مختوم بالمال الذى دفعه للتاجر ، فان المال الذى لم يحرر به وصل مختوم لا يمكن اعتباره عند اعتماد الحساب •

مادة (١٠٦) : اذا استدان بائع متجول مبلغا من تاجر ثم حدث نزاع ، فان التاجر عليه أن يثبت فى حضرة الاله والشهود أن البائع المتجول استدان المبلغ ، وعندئذ يدفع البائع المتجول الى التاجر ثلاثة أمثال المبلغ موضوع الدين •

مادة (١٠٧) : اذا عهد تاجر بشيء الى بائع متجول ، ثم أعاد هذا اليه ما أعطاه ، فانه فى حالة نزاع بينهما ، وانكار التاجر المتجول أنه تسلم شيئا ، فانه على التاجر المتجول أن يثبت ذلك بالقسم ضد التاجر فى حضرة الاله والشهود ، وعندئذ يدفع التاجر ستة أمثال الشئ موضوع هذا النزاع •

مادة (١٠٨) : اذا لم تستلم صاحبة حانة الحبوب ثمنا للشراب ،

وقبلت نقودا بالوزن الكبير ، وبذا جعلت سعر الشراب أقل من قيمة الحبوب ، فانهم يثبتون ذلك ضدها ، ويلقون بها في ماء النهر •

مادة (١٠٩) : اذا تجمهر بعض المتشردين في حانة ، ولم تقبض عليهم صاحبة الحانة ولم تأخذهم الى القصر فانها تقتل •

مادة (١١٠) : اذا كانت «ناديتوم» (من طبقة الكاهنات) أو «انتيوم» (Entum) (من طبقة الراهبات) ممن لا يعيشون في دير ، يفتتحون حانة أو يدخلون حانة لشراب ، فالحقوبة الحرق •

مادة (١١١) : اذا أعطت بائعة قنية من شراب «بيخوم» (Pihum) نسيئة ، فانها تأخذ ٥٠ قو من الحبوب عند جمع المحصول •

مادة (١١٢) : اذا كان سيد في رحلة تجارية ، وأعطى فضة وذهباً وأجبارا كريمة أو أية بضائع من متعلقاته الى سيد آخر ، و عهد اليه بنقلها ، فان هذا الرجل اذا لم يسلم ما كان يجب نقله الى حيث كان يجب أن ينقل ، بل أخذه لنفسه ، فان صاحب البضائع التي كان مفروضا أن تنقل يجب أن يثبت الاتهام ضد الرجل الاخير ، وعندها يدفع الرجل الى صاحب البضاعة التي كان يجب أن تنقل خمسة أمثال ما سلم اليه •

مادة (١١٣) : اذا كان لرجل دين من حبوب أو مال على آخر ، ثم أخذ حبوبا من الشونة أو ساحة التذرية بغير موافقة صاحب الحبوب ، فعليه أن يعيد كمية الحبوب التي أخذها ، ثم يدفع كذلك غرامة كل شيء آخر كان قد اقترضه •

مادة (١١٤) : اذا لم يكن لرجل حبوب أو مال لدى آخر ، ثم احتجزه كرهينة ، فانه يدفع ثلث مينا من الفضة عن كل احتجاز •

مادة (١١٥) : اذا كان لسيد دين حبوب أو مال لدى آخر ثم احتجز شخصا كرهينة ، ثم مات الرهينة ميتة طبيعية في بيت المحتجز ، فليس هناك وجه لاقامة الدعوى •

مادة (١١٦) : اذا كان موت الرهينة بسبب ضرب أو اساءة في بيت المحتجز ، فان صاحب الرهن عليه أن يثبت ذلك ضد تاجرره ، فان كان ابنا للرجل قتل الابن ، وان كان عبده دفع ثلث مينا من الفضة ، وغرامة عن كل ما افترضه •

مادة (١١٧) : اذا حان وقت استحقاق دين على سيد وكان قد باع (خدمات) زوجته أو ابنه أو ابنته أو ارتبط (هو نفسه) بالخدمة ، فيجب عليهم أن يعملوا في بيت من اشتراهم أو المدينين له مدة ثلاث سنوات ، ثم تعادلهم حريتهم في السنة الرابعة (٨١) •

مادة (١١٨) : اذا سخر عبد أو أمة للخدمة ، ثم أراد التاجر اشهار البيع ، فله أن يبيع ، دون وجه لاقامة الدعوى ضده •

مادة (١١٩) : اذا قام التزام على سيد أدى الى أن يبيع خدمات أمته التي ولدت أطفالا ، فان صاحب الامة يستطيع أن يسترد أمته ، بعد أن يدفع ما كان التاجر قد دفعه •

مادة (١٢٠) : اذا أودع سيد حبوبه في بيت سيد آخر ، فخرننها وحدث تلف في الشونة ، أو أن صاحب البيت فتح المخزن وأخذ حبوبا ، أو أنكر تماما أنه تسلم حبوبا لتخزينها في بيته ، فعلى صاحبها أن يبين تفصيلات حبوبه في حضرة الاله ، وعندئذ يدفع صاحب البيت الى مالك الحبوب ضعف ما أخذ من حبوب •

مادة (١٢١) : اذا أودع سيد حبوبا في بيت آخر ، فعليه أن يدفع هـ قو من الحبوب لكل كور ، مقابل تخزينها لمدة عام •

مادة (١٢٢) : اذا أودع سيد لدى آخر فضة أو ذهباً أو أى شيء

(٨١) قارن شريعة التوراة (خروج ٢/١٢ - ١١ تثنية ١٢/١٥ - ١٨) حيث تطلق السراح في السنة السابعة •

آخر لحفظه كإمانة ، فيجب أن يبين بالشهود مقدار ما أودعه ، ثم يحرر عقدا ، وعندئذ تتم عملية الحفظ (الايذاع) •

مادة (١٢٣) : اذا أودع شيئا لحفظه بغير شهود أو عقود ، ثم أنكر من تسلمها ، فلا تقام الدعوى •

مادة (١٢٤) : اذا أعطى سيد سيّدا آخر فضة أو ذهباً أو شيئا آخر ، كإمانة في حضرة شهود ، ثم أنكر الواقعة فيجب اثباتها ضده ، وعندئذ يدفع ضعف ما أنكر •

مادة (١٢٥) : اذا أودع سيد متاعه كإمانة ثم اختفى المتاع حيث أودعه ، كما اختفى متاع صاحب البيت بسبب دخول اللصوص أو عن طريق نقب الحائط ، فإن صاحب البيت الذي كان إهماله سببا في تبذير الأمانة ، يجب أن يعرض صاحب البضائع ، وعليه أن يبحث جدياً بحثاً كاملاً عن متاعه الضائع ، ويأخذه من اللص الذي سرقه •

مادة (١٢٦) : اذا لم يكن متاع الرجل قد سرق ولكنه أعلن «أن متاعى قد سرق» ، وبذا يحاول خديعة مجلس مدينته ، فإن مجلس المدينة يستعرض الحقائق في حضرة الآله ، وأن متاعه لم يسرق ، وعندئذ يدفع لمجلس مدينته ضعف ما ادعى به •

مادة (١٢٧) : اذا أثار سيد الى كاهنة معبد أو الى زوجة سيد آخر بسوء ، ولكنه لم يستطع اثبات شيء ضدها ، فإن هذا السيد يؤخذ الى حضرة القضاة ، ويقصون أيضا نصف شعره •

مادة (١٢٨) : اذا كان لسيد زوجة : ولكنه لم يحرر معها عقدا ، فإن هذه المرأة ليست زوجته •

مادة (١٢٩) : اذا ضبطت زوجة سيد مضطجعة مع رجل آخر ، فيجب عليهم أن يوثقوا الاثنين ويلقونهما في ماء النهر ، واذا أراد الزوج

الابقاء على حياة زوجته ، ففي هذه الحالة يستطيع الملك أن يبقى على حياة أحد رعاياه •

مادة (١٣٠) : اذا اتصل سيد بخطيبة آخر ، ولم يكن قد واقعها رجل من قبل ، وكانت لا تزال في بيت أبيها ، ثم رقد في صدرها وأمسك بها ، فانه يقتل ، أما المرأة فتطلق حرة •

مادة (١٣١) : اذا اتهم سيد زوجته ولم تضبط متلبسة مع آخر ، تثبت دعواها بقسم أمام الاله ، ثم تعود الى بيتها •

مادة (١٣٢) : اذا شهر سيد بزوجة سيد آخر ، ولكنها لم تضبط متلبسة في حالة اضطجاع مع رجل آخر ، فانها تلقى بنفسها في النهر من أجل زوجها •

مادة (١٣٣) : اذا أسر رجل وكان في بيته ما يكفى ، فيتحتّم على زوجته ألا تترك منزله ، وعليها أن تصون نفسها ، وذلك بأن لا تدخل منزل شخص آخر ، أما اذا لم تصن هذه المرأة نفسها ودخلت منزل شخص آخر ، فانهم يثبتون ذلك على هذه المرأة ، ويلقونها في الماء •

مادة (١٣٤) : اذا أسر رجل ، ولم يكن هناك في بيته ما يحفظ عليهم الحياة ، فلزوجته أن تدخل بيت رجل آخر ، ولا لوم عليها •

مادة (١٣٥) : اذا لم يكن في بيت الاسير ما يكفى للانفاق على أسرته ، ثم دخلت زوجته الى بيت رجل آخر قبل عودته ، وولدت له أطفالا ، ثم عاد زوجها ووصل الى مدينته ، فان هذه المرأة تعاد الى زوجها الاول ، ويبقى الاولاد مع أبيهم •

مادة (١٣٦) : اذا هجر سيد مدينته وهرب ثم دخلت زوجته بيت رجل آخر بعد رحيله ، فاذا عاد ورغب في استعادة زوجته ، فلا تعود الزوجة الى زوجها الهارب ، لانه احقر مدينته وفر هاربا •

مادة (١٣٧) : اذا عول سيد أن يطلق «شوجيتوم» (Su - Ge - Tum) رزقت منه بأطفال ، أو «ناديتوم» جاءت به بأطفال ، ترد الى هذه المرأة بائنتها ، كما تعطى نصف الحقول والبستان حتى تربي أولادها ، ثم تعطى ، بعد تربية أولادها ، نصيبا مماثلا لاي وريث مما يوزع على أولادها ، حتى يستطيع الرجل الذى يختارها أن يتزوجها •

مادة (١٣٨) : اذا أراد سيد أن يطلق زوجته التى لم تنجب منه أطفالا ، فعليه أن يدفع لها كل تكاليف زواجها ، وأن يعوضها عن المهر (البائنة) التى جاءت بها من بيت أبيها ، ثم بعد ذلك يطلقها •

مادة (١٣٩) : اذا لم يكن هناك تكاليف زواج ، فعليه أن يعطيها مينا من الفضة ، ثم يطلقها •

مادة (١٤٠) : اذا كان مزارعا يعطيها ثلث مينا من الفضة •

مادة (١٤١) : اذا كانت زوجة رجل تعيش فى بيته ، ثم أرادت أن تترك البيت لتعمل ، وبالتالي تهمل بيتها ، ويسشعر زوجها المهانة ، فيجب اثبات ذلك ضدها ، وان أراد زوجها أن يطلقها من أجل ذلك ، فانه يطلقها دون اعطائها أى شىء لاتمام الطلاق عند رحيلها ، واذا لم يرد أن يطلقها ، فله أن يتزوج من غيرها ، وتبقى الزوجة الاولى فى بيت زوجها كخادمة •

مادة (١٤٢) : اذا كرهت امرأة زوجها ، حتى قالت له : لا تقربنى فيجب دراسة قضيتها فى مجلس مدينتها ، فاذا كانت امرأة حريصة ولم ترتكب خطأ ، رغم أن زوجها يخرج ويحط من قدرها كثيرا ، فليس لهذه المرأة ذنب ، ويجب أن تأخذ حقها المتأخر ، وتذهب الى بيت أبيها •

مادة (١٤٣) : اذا لم تكن حريصة ، وكانت دائمة الخروج للزيارات، وبذا تهمل بيتها ، ويسشعر زوجها المهانة ، يلقي بها فى ماء النهر •

مادة (١٤٤) : اذا تزوج رجل من «ناديتوم» ثم سلمت جاريتها لزوجها ثم رزق منها بأطفال ، ثم أراد الزواج من كاهنة ، فليس له أن يفعل ، لان ليس من حقه الزواج من كاهنة .

مادة (١٤٥) : اذا تزوج رجل من «ناديتوم» ولم يرزق منها بأطفال ، فله الحق ، ان أراد ، ان يتزوج من كاهنة ، ويأتى بها الى بيته ، ولكن هذه الكاهنة لا ترتفع الى مرتبة ال «ناديتوم» .

مادة (١٤٦) : اذا تزوج رجل من «ناديتوم» وأعطته جارية لها فحملت منه وجاءته بأطفال ، فاذا طالبت بالمساواة بسيدتها لأنها أنجبت أطفالا ، فليس لسيدتها أن تبيعها ، ولكن لها أن تدمعها بميسم الاء ، وأن تعدها من بين عبيدها .

مادة (١٤٧) : اذا لم ترزق بأطفال ، فمن حق سيدتها أن تبيعها .

مادة (١٤٨) : اذا تزوج سيد بأمرأة وأصيب بمرض ، وأراد أن يتزوج مرة ثانية ، فمن حقه أن يتزوج ، ولكن لا يطلق زوجته التى أصيب بمرض ، انها تسكن فى البيت الذى بناه ، وعليه أن يقوم بأعمالها طالما كانت على قيد الحياة .

مادة (١٤٩) : اذا رفضت هذه المرأة أن تعيش فى بيت زوجها يرد لها بائنتها التى جاءت بها من بيت أبيها وعندئذ لها أن تتراء البيت .

مادة (١٥٠) : اذا حرر رجل عقدا مختوما عند اهدائه زوجته حقلا أو بستانا أو بيتا أو متاعا ، فان أولادها لا يستطيعون الدخول فى دعوى ضدها بعد وفاة زوجها ، ما دامت الام تستطيع أن تمنح ارثها ابنها الذى تحبه ، ولكنها لا تستطيع أن تعطيه لغريب .

مادة (١٥١) : اذا نصت امرأة فى عقد زواجها أن دائنى زوجها لا يستطيعون ارتهانها بمقتضى ابراز وثيقة مكتوبة ، ثم حدث أن كان الرجل

٧/٢٤

مدينا قبل الزواج من تلك المرأة ، فان دائنيه لا يستطيعون احتجازها ،
كما أنها ، ان كانت هي مدينة قبل دخولها الى بيت زوجها ، فان دائنيها
لا يستطيعون كذلك احتجاز زوجها •

مادة (١٥٢) : اذا حدث الدين بعد دخول المرأة بيت زوجها ، فعلى
الاثنين تكون المساءلة أمام التاجر (يعنى الدائن) •

مادة (١٥٣) : اذا تسببت امرأة في موت زوجها بسبب رجل آخر ،
توضع على الخازوق •

مادة (١٥٤) : اذا زنا رجل بابنته فعليه أن يترك المدينة •

مادة (١٥٥) : اذا أختار الرجل عروسا لابنه ثم واقعها ابنه ثم
ضبط هو بعد ذلك متلبسا معها يربط ويلقى به في النهر •

مادة (١٥٦) : اذا اختار سيد عروسا لولده ولم يواقعها ابنه ، لكن
الاب ضاجعها ، فانه يدفع لها نصف مينا من افضة ، ثم يرد لها كل ما
جاءت به من بيت أبيها ، حتى يستطيع الرجل الذى تختاره أن يتزوجها •

مادة (١٥٧) : اذا ضاجع رجل أمه بعد موت أبيه يحرق كلاهما •

مادة (١٥٨) : اذا ضبط رجل بعد موت أبيه متلبسا بمضاجعة
مرضعته التى كانت حاملة أطفال ، فانه يقطع من بيت أبيه •

مادة (١٥٩) : اذا جاء خاطب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية
الخطبة ، ودفع المهر ، ثم أحب امرأة أخرى وقال لحميه المقبل : سوف
لا أتزوج من ابنتك ، فان والد الفتاة يحتفظ بكل ما جىء به له •

مادة (١٦٠) : اذا جاء خاطب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية
الخطبة ، ودفع المهر ، ثم قال له والد الفتاة : سوف لا أزوجك من
ابنتى ، فانه يرد ضعف ما جىء به له •

مادة (١٦١) : اذا جاء خطيب البنت الى بيت حميه المقبل بهدية الخطبة ، ودفع المهر ، وأساءه صديق له بأن قال ان حماه المقبل قال : سوف لا تتزوج من ابنتى ، فانه يرد ضعف ما جىء له به ، ولايتزوج صديقه من خطيبته السابقة .

مادة (١٦٢) : اذا تزوج رجل من امرأة ، ورزق منها بأطفال ، ثم ماتت ، فليس لأبيها أن يسترد بائنتها لأن هذه البائنة أصبحت ملكا لأولادها .

مادة (١٦٣) : اذا تزوج رجل من امرأة ، ولم يرزق منها بأطفال ، وأعاد له حموه المهر الذى كان قدّمه الى بيت حميه ، فليس لزوجها ان يدعى حقا فى بائنتها ، لأن هذه البائنة أصبحت من حق بيت أبيها .

مادة (١٦٤) : اذا لم يرد حموه المهر ، فان المهر يستنزل بأكمله من بائنتها ، وترد بقية البائنة الى بيت أبيها .

مادة (١٦٥) : اذا أهدى رجل الى بكر أولاده المحبوب فى عينه حقلا أو بستانا وكتب له بذلك وثيقة مختومة ، ثم جاء أخوته للتقسيم بعد وفاة أبيهم ، فانه يحتفظ بالهدية التى أعطاه اياها أبوه ، ثم تقسم ضيعة الاب بينهم بالتساوى .

مادة (١٦٦) : اذا مات رجل دون أن يتزوج أصغر أبنائه ، أفرد له أخوته قيمة مهر تناسب مهر الزواج من ضيعة أبيهم ، قبل أن يقتسموا تركته بعد موته ، حتى يمكنوا الاخ الاصغر من الحصول على زوجة .

مادة (١٦٧) : اذا تزوج رجل من امرأة ورزق منها بأطفال ثم ماتت ، فتزوج من بعدها بأمرأة أخرى ، ورزق منها بأطفال كذلك ، فعند موته لا يقتسم الاطفال التركة تبعا لأمهاتهم ، وانما تأخذ كل مجموعة بائنة أمهم ، ثم تقسم تركة الرجل بعد ذلك بينهم بالتساوى .

مادة (١٦٨) : اذا اراد رجل حرمان أحد أبنائه من تركته ، وقال للقضاة : أريد حرمان ابني من الارث ، فانهم يتحزون حالته ، فاذا لم يكن الابن قد ارتكب ذنبا عظيما يحرمه حقه في البنوة ، فليس للاب الحق في أن يحرمه حقه في البنوة •

مادة (١٦٩) : اذا كا قد ارتكب اثما عظيما يكفى لحرمانه من البنوة، فيجب العفو عن ذنبه الاول ، فان عاد فارتكب ذنبا عظيما مرة ثانية ، فللاب أن يحرمه •

مادة (١٧٠) : اذا رزق رجل من زوجته الاولى بأطفال ، ثم جاءتته جاريته أيضا بأطفال ، واعترف الزوج بهم في حياته ، وقال «أطفالي» فعدهم كأطفال الزوجة الاولى ، فان تركته تقسم بعد موته بالتساوي بين أطفال الزوجة الاولى وأطفال الجارية ، على أن يكون لولده البكر من الزوجة الاولى نصيب مفضل •

مادة (١٧١) : اذا لم يعترف الاب في حياته بهم ويقول : أطفالي ، لمن جاءت بهم الجارية ، فان أبناء الجارية لا يشاركون أبناء الزوجة الاولى في متاع الاب بعد وفاته ، ولكن تحرر الجارية أولادها ، وليس لأبناء الزوجة الاولى عليهم حق الخدمة ، وتأخذ الزوجة الاولى بائنتها وهدية الزواج التي كتبها زوجها لها على لوحة ، وتعيش في بيت زوجها طيلة حياتها ، دون أن يكون لها حق بيعه ، لانه ميراث يخص أولادها •

مادة (١٧٢) : اذا لم يكن زوجها قد أعطاها هدية زواج ، فتد لها بائنتها ، وتأخذ من تركه زوجها على ميراث يعدل أحد الانصبه ، وأن ضايقتها أولادها لتترك الدار يتحرى القضاة الامر ، ثم يلقون باللائمة على أولادها ، ولا تترك المرأة البيت ، وأما ان أرادت ترك البيت ، فعندئذ تنتازل لأولادها عن هدية زواجها التي أعطاها اياها زوجها ، ولكن تأخذ بائنتها التي جاءت بها من بيت أبيها ، حتى يتزوجها الرجل الذي تختاره •

مادة (١٧٣) : اذا رزقت تلك المرأة بأطفال من زوجها الاخير في

المكان الذى دخلت اليه ، فعند وفاتها تقسم بائنتها بين أطفالها من زوجها الاول والثانى •

مادة (١٧٤) : اذا لم ترزق بأطفال من زوجها الثانى فان بائنتها تقسم بين أطفالها من زوجها الاول فقط •

مادة (١٧٥) : اذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنة رجل حر ، ورزقت منه بأطفال ، فليس لسيد العبد حق الخدمة على أطفال عبده من ابنة السيد •

مادة (١٧٦) : اذا تزوج عبد للقصر أو لمواطن من ابنة رجل حر ، ثم دخلت الى بيت زوجها — عبد القصر أو عبد لمواطن — ببائنتها وارتبطا ببعضهما ثم أسسا بيتا ، وجعلا فيه أثاثا ، ثم مات العبد ، فان ابنة السيد تأخذ بائنتها ، وأما ما اشتركت فى شرائه مع زوجها ، بعد ارتباطهما ، فيقسم الى قسمين ، يأخذ صاحب العبد النصف ، وتأخذ هى لأبنها النصف الثانى •

مادة (١٧٦) مكرر : أما اذا لم يكن لابنة السيد بائنة ، فان ما اشتركت فى شرائه مع زوجها — بعد ارتباطهما — الى قسمين ، يأخذ صاحب العبد نصفها ، وتأخذ هى لأولادها النصف الثانى •

مادة (١٧٧) : اذا كان لارملة أطفال قصر ، وأرادت دخول بيت رجل ، فليس لها ذلك الا بموافقة القضاة ثم يتحرون تركه زوجها السابق ، ثم يعهدون الى زوجها الثانى برعاية تركه زوجها السابق ، وتحرق وثيقة بينهم وبين المرأة بهدف رعاية التركة وتربية الاطفال القصر ، وعدم بيع متاع البيت ، ذلك لأن من يشتري متاع بيت أطفال أرملة يخسر ماله ، ويعاد المتاع الى أصحابه •

مادة (١٧٨) : فى حصاله الراهبة أو آل «ناديتوم» أو المنذورة

(Zi - Ik - Ru - Um) = زيكروم التى كتب لها أبوها وثيقة عند تقديمه لبائنتها ، فإذا لم يكن الاب قد سمح لها بتوريثها لمن تشاء ، ولم يعطها مطلق التصرف بعد موته ، فإن أخوتها يأخذون حقلها وبستانها ، ولكن عليهم اطعامها ، وكذا اعطائها زيتا وملابس مناسبة تعدل قيمة نصيبها ، بحيث تبدو راضية ، فإذا لم يفعلوا ، فلها أن تعطى حقلها وبستانها الى أى مستأجر تختاره ، وعلى المستأجر أن يرعاه ، ما دامت تستولى على ثمار الحقل والبستان أو ما منحها أبوها طيلة حياتها ، دون حق التصرف بالبيع أو التوصية للغير ، لان نصيبها يخص أخوتها من بعدها •

مادة (١٧٩) : فى حالة الراهبة أو «ناديتوم» أو المنذورة ، التى كتب لها أبوها عند تقديم البائنة صكا مختوما ، وسجل فى اللوحة التى كتبها موافقتها على أن تتصرف فى ميراثها كما تشاء ، فلها — بعد وفاته — أن تسلم ميراثها لمن تشاء ، وليس لأخوتها حق الدعوى ضدها •

مادة (١٨٠) : اذا لم يقدم لابنته «ناديتوم» فى دير أو منذورة ، فمن حقها بعد وفاته أن تأخذ من متاعه نصيبا مماثلا لاي وريث ، على أن تستمتع باستثماره طيلة حياتها فقط ، لان نصيبها فى الميراث انما ملك لأخوتها بعد وفاتها •

مادة (١٨١) : اذا كرس الاب ابنته على أن تكون «ناديتوم» أو «عاهرة مقدسة» أو «كولما شيتوم» (متعبدة) ولم يقدم لها بائنة ، فبعد موته تأخذ نصيبا من تركته ، بمقدار الثلث، على أن تستثمره طوال حياتها فقط ، لأنه يخص أخوتها •

مادة (١٨٢) : اذا كان الاب لم يقدم بائنة لابنته التى تعمل «ناديتوم» فى معبد مردوك فى بابل ، ولم يسجل لها وثيقة مختومة ، فلها بعد وفاة أبيها ثلث تركته ، على أن لا تثرث أية حقوق اقطاعية ولكن لها حق منح ميراثها لمن تشاء •

مادة (١٨٣) : اذا حرر الاب وثيقة مختومة لابنته الكاهنة عند تقديم بناتها ، فمن حقها بعد موت أبيها أن تأخذ نصيبها في تركته •

مادة (١٨٤) : اذا لم يقدم الاب بائنة لابنته الكاهنة لانه لم يزوجها ، فعلى أخوتها — بعد موت الاب — أن يقدموا لها هدية تتناسب مع قيمة التركة التي خلفها الاب ، ويقدمونها لزوجها •

مادة (١٨٥) : اذا تبني رجل ولدا باسمه ورباه ، فان الطفل المتبنى لا يسترجع اطلاقا •

مادة (١٨٦) : اذا تبني رجل ولدا عرف أباه وامه عند تبنيه ، فللطفل أن يعود الى بيت أبيه •

مادة (١٨٧) : الابن المتبنى لموظف أو خادم في القصر أو منذور ، لا يرد اطلاقا •

مادة (١٨٨) : اذا أخذ عضو من طبقة الصناع ولدا متبنى وعلمه حرفته ، فمن حقه ألا يرده أبدا •

مادة (١٨٩) : اذا لم يكن قد علمه حرفته ، فيمكن أن يعود الطفل المتبنى الى بيت أبيه •

مادة (١٩٠) : اذا لم يعتبر رجل الطفل الذي تبناه ورباه من بين أولاده ، فمن حق الطفل المتبنى أن يعود الى بيت أبيه •

مادة (١٩١) : اذا تبني رجل ولدا ثم أقام له أسرة ، ثم رزق بأولاد فيما بعد ، ورغب في ابعاد المتبنى ، فلا يرد الى أهله صفر اليدين ، وانما يهبه ما يساوي ثلث ما يملك ، وله أن يسرحه بعد ذلك ما دام لم يعطه حقلا أو بستانا أو بيتا •

مادة (١٩٢) : اذا قال متبنى موظف القصر أو المنذور لأبيه أو أمه بالتبني : لست أبى أو لست أُمى ، يقطع لسانه .

مادة (١٩٣) : اذا وجد متبنى القصر أو المنذور أبويه . وكره أباه وأمه بالتبني ، ثم ذهب الى بيت أبويه ، تقلع عيناه .

مادة (١٩٤) : اذا أعطى سيد ولده لربية ثم مات وهو تحت رعايتها ، فإنه فى حالة تعاقد المربية مع ابن آخر ، دون علم الاب والام . فعليهما أن يثبتا ذلك ضدهما ، ثم يقطعان ثدييهما ، لانها تعاقدت مع ابن آخر دون علم أبيه وأمه .

مادة (١٩٥) : اذا ضرب ولد أباه تقطع يده .

مادة (١٩٦) : من تسبب فى ائتلاف عين عضو من جماعة النبلاء تقلع عينه .

مادة (١٩٧) : من كسر عظمة رجل آخر تكسر عظمته .

مادة (١٩٨) : اذا فقأ سيد عين رجل من العامة أو كسر احدى عظامه ، يدفع له مينا من الفضة .

مادة (١٩٩) : من أفقد عبدا عينه أو احدى عظامه يدفع نصف مينا من الفضة .

مادة (٢٠٠) : من يسقط سن رجل من طبقتة تكسر سنه .

مادة (٢٠١) : من يسقط سن رجل من العامة يدفع ثلث مينا من الفضة .

مادة (٢٠٢) : من يلطم خد آخر أعلى منه مرتبة يجلد ستين جلدة بسوط من جلد الثور علنا .

- مادة (٢٠٣) : اذا لطم نبيل نبيلآ آخر يدفع مينا من الفضة •
- مادة (٢٠٤) : اذا لطم رجل من العامة خذ آخر من طبقته يدفع
١٠ شواقل من الفضة •
- مادة (٢٠٥) : اذا لطم عبد خذ نبيل تصلم أذنه •
- مادة (٢٠٦) : اذا ضرب رجل في معركة رجلا آخر فأصابه ، فعليه
أن يقسم قائلآ : أنا لم أضربه عمدا ، وعليه أيضا أن يدفع أجر الطبيب •
- مادة (٢٠٧) : اذا مات بسبب الضربة فيقسم نفس القسم ، فاذا
كان من النبلاء يدفع نصف مينا من الفضة •
- مادة (٢٠٨) : اذا كان من العامة يدفع نصف مينا من الفضة •
- مادة (٢٠٩) : اذا ضرب رجل ابنة رجل آخر وأجهضت يدفع ١٠٠
شواقل من الفضة بسبب اجهاضها •
- مادة (٢١٠) : اذا ماتت المرأة قتلت ابنته •
- مادة (٢١١) : اذا وقعت الاصابة على ابنة رجل من العامة يدفع
٥ شواقل من الفضة •
- مادة (٢١٢) : اذا ماتت هذه المرأة يدفع نصف مينا من الفضة •
- مادة (٢١٣) : اذا ضرب أمة فأجهضها يدفع شاقليين من الفضة • •
- مادة (٢١٤) : اذا ماتت الجارية يدفع ثلث مينا من الفضة •
- مادة (٢١٥) : اذا باشر طبيب عملية كبيرة لرجل بسلاح من البرونز
فأنقذ حياته ، ثم فتح خراجا بعين رجل بسلاح من البرونز فأنقذ
العين ، فأجره عشرة شواقل من الفضة •

مادة (٢١٦) : اذا كان من العامة يأخذ ه شواقل •

مادة (٢١٧) : اذا كان عبدا فان صاحب العبد يعطى شاقلين للطبيب •

مادة (٢١٨) : اذا أجرى طبيب عملية كبيرة لسيّد بآلة برونزية وسبب وفاة السيّد ، أو فتح خراجا في عينه فأتلفها ، تقطع يده •

مادة (٢١٩) : اذا أجرى طبيب عملية كبيرة لعبد بآلة برونزية ، وسبب وفاته ، دفع التعويض عبدا بعبد •

مادة (٢٢٠) : اذا أجرى العملية على عين العبد بآلة برونزية ، فأتلفها ، يدفع نصف ثمنه بالفضة •

مادة (٢٢١) : اذا أصلح طبيب عظمة مكسورة أو شفى تمزقا عضليا ، يدفع المريض ه شواقل للطبيب •

مادة (٢٢٢) : اذا كان ابن شخص من العامة يدفع ثلاثة شواقل من الفضة للطبيب •

مادة (٢٢٣) : اذا كان عبدا دفع صاحبه شاقلين من الفضة للطبيب •

مادة (٢٢٤) : اذا قام طبيب بيطري باجراء عملية كبيرة لثور أو حمار ، وأنقذ حياته ، يدفع صاحبه للطبيب البيطري سدس ثمنه من الفضة •

مادة (٢٢٥) : اذا أجرى عملية كبيرة لثور أو حمار وتسبب في موته يعطى لصاحب الثور أو الحمار خمس ثمنه •

مادة (٢٢٦) : اذا محا رجل ممن يقومون بالوشم علامة عبد لرجل آخر ، دون موافقة صاحب العبد ، تقطع يده •

مادة (٢٢٧) : اذا خادع رجل أحد المختصين بالوشم بحيث أزاله علامة العبد من عبد لرجل آخر ، يقتل ذلك الرجل ، ويعلق على باب بيته ، ويقسم المختص بالوشم قاتلا : أنا لم أقم بإزالته عن علم ، ثم يطلق سراحه .

مادة (٢٢٨) : اذا بنى بناء لرجل بيتا وأنجزه له ، يعطيه شاقلين من الفضة لكل «سار» Sar من البيت (والسار $\frac{1}{6}$ ٤٢ ياردة مربعة) أجراله .

مادة (٢٢٩) : اذا قام ببناء بتشديد البيت ، ولكنه لم يقم بعمله جيدا ، فانهار البيت الذى بناه ، وتسبب فى وفاة صاحب المنزل ، يعدم البناء .

مادة (٢٣٠) : اذا تسبب فى وفاة ابن صاحب البيت ، يعدم ابن البناء .

مادة (٢٣١) : اذا تسبب فى موت عبده ، يعرضه بعبد لصاحب البيت .

مادة (٢٣٢) : اذا تسبب فى اتلاف متاع فيعوض كل ما أتلف ، واذا لم يقم البيت متينا فانهار ، يعيد البناء البيت الذى انهار على نفقته .

مادة (٢٣٣) : اذا بنى بناء بيتا لرجل ، ولم يكن عمله مأمونا بحيث أصبح الحائط خطرا وغير مأمون ، يدعم الحائط على نفقته .

مادة (٢٣٤) : اذا صنع مراكبى مركبا لرجل سعتها ٦٠ كورا ، فأجره شاقلان من الفضة .

مادة (٢٣٥) : اذا صنع المراكبى المركب ولم يقم بعمله جيدا، بحيث تنفك أحد أقواسه فى نفس السنة ، ثم ظهر أن هذا العيب من المراكبى، يفك المراكبى القارب ويقويه على نفقته ، ويسلمه لصاحبه .

مادة (٢٣٦) : اذا أجر سيد مركبه لراكبى وأهمل المراكبى بحيث غرق أو غاص ، يعوض صاحب المركب بمركب آخر .

مادة (٢٣٧) : اذا استأجر سيد مركبا وحملها بالحبوب والصوف والزيت والملح أو أى نوع من الحمولة ، ثم أهمل المراكبى حتى غاصت المركب وضاعت حمولتها ، يعوض المراكبى صاحب الحمولة بمقدار ما غاص وما فقد .

مادة (٢٣٨) : اذا أغرق مراكبى مركب رجل آخر ، ثم أعاد تعويمها ، يدفع نصف قيمتها فضة .

مادة (٢٣٩) : اذا أجر سيد مراكبيا ، يدفع له ٦ كور من الحبوب فى السنة .

مادة (٢٤٠) : اذا اصطدم قارب تجديف بمركب شراعى وأغرقها ، فعلى صاحب المركب الغارقة أن يقدم التفصيلات فى حاضرة الاله بما فقد من المركب ، وعلى صاحب قارب التجديف أن يعرض صاحب المركب عن بضاعته المفقودة .

مادة (٢٤١) : اذا اجتجز سيد ثورا كرهينة يدفع ثلث مينا من الفضة .

مادة (٢٤٢ — ٢٤٣) : اذا استأجره رجل لمدة عام ، يعطى صاحبه ٤ كور من الحبوب كايجار لثور الجر ، ٣ كور من الحبوب كايجار لثور الشد الصغير .

مادة (٢٤٤) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم قتله أسد فى الخلاء ، فان الخسارة تعود على صاحبه .

مادة (٢٤٥) : اذا استأجر سيد ثورا ، وتسبب فى موته باهماله اياه أو ضربه ، يعوض صاحب الثور بثور آخر .

مادة (٢٤٦) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم كسر قدمه أو أحدث
قطوعا في عضلة رقبتة ، يعرض صاحب الثور بثور آخر .

مادة (٢٤٧) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم أتلّف عينه ، يدفع
لصاحب الثور نصف قيمته فضة .

مادة (٢٤٨) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم كسر قرنه أو قطع ذيله
أو أصاب لحم ظهره ، يدفع ربع قيمته فضة .

مادة (٢٤٩) : اذا استأجر سيد ثورا ، ثم ضربه الاله فمات ،
فمستأجر الثور يثبت ذلك عن طريق الاله ثم يطلق حرا .

مادة (٢٥٠) : اذا نطح ثور رجلا أثناء سيره في الشارع ، فمات
الرجل ، فليس الامر موضوع دعوى .

مادة (٢٥١) : اذا كان هناك ثور لرجل معروف بالنطح ، وأخطره
مجلس مدينته بذلك ، ولكنه لم يخفف قرنيه أو يربطه ، ثم نطح الثور
نبيلا فمات ، يدفع نصف مينا من الفضة .

مادة (٢٥٢) : اذا كان المقتول عبدا ، يدفع ثلث مينا من الفضة .

مادة (٢٥٣) : اذا استأجر سيد رجلا ليشرف على حقوله ، وأقرضه
حبوبا ، وعهد اليه بالثيران ، وتعاقد معه على زراعة الحقل ، ثم سرق
الرجل الحبوب أو العلف ، ثم وجدت مع متعلقاته ، تقطع يده .

مادة (٢٥٤) : اذا اختلس حبوب الاطعام فجاعت الثيران ، يعرض
بمقدار ضعف ما أخذه من حبوب .

مادة (٢٥٥) : اذا أجر ثيران الرجل أو سرق حبوب البذر ، وبالتالي
لم يزرع الحقل ، يثبت الامر ضده ، وفي موسم الحصاد يكيل ٦ كورا
من الحبوب لكل ١٨ ايكو .

مادة (٢٥٦) : اذا لم يكن قادرا على الوفاء بالتزاماته ، يؤخذ به الى الحقل ، حيث تجره الثيران •

مادة (٢٥٧) : اذا استأجر سيد مزارعا ، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عام •

مادة (٢٥٨) : اذا استأجر راعى غنم ، يعطيه ٦ كورا من الحبوب كل عام •

مادة (٢٥٩) : اذا سرق رجل محراثا من حقل ، يدفع ٥ شواقل فضة لصاحب المحراث •

مادة (٢٦٠) : اذا سرق أداة بذر ، أو تقليب أرض ، يدفع ٣ شواقل من الفضة •

مادة (٢٦١) : اذا استأجر رجل راعيا ليرعى غنمه أو معزه ، يعطيه ٨ كورا من الحبوب كل عام •

مادة (٢٦٢) : ••• تالفة •

مادة (٢٦٣) : اذا كان قد فقد ثورا أو معزة ، يعوض الثور بالثور والمعز بالمعز لصاحبها •

مادة (٢٦٤) : اذا كان الراعى الذى عهد اليه بالماشية أو النعاج ليرعى قد تسلم أجره كاملا ، وفق رضاه ، ثم ترك الماشية والنعاج تتناقص ، فقلل بذلك النسل ، يعطى لصاحبها زيادة وربحا طبقا لشروط العقد •

مادة (٢٦٥) : اذا كان الراعى الذى عهد اليه بالماشية أو النعاج ليرعى قد أصبح غير أمين ، ثم غير علامات الماشية أو باعها ، يثبت ذلك ضده ، وتعوض الماشية أو النعاج لصاحبها عشرة أمثالها •

مادة (٢٦٦) : اذا حدثت زيادة اله لقطيع ، أو قتل أسد بعضه ،
يبرىء الراعى نفسه فى حضرة الاله ، ولكن صاحب الماشية يأخذ منه جثة
الحيوان الذى ضرب من بين أفراد القطيع •

مادة (٢٦٧) : اذا أهمل راع بحيث ترك العرج يدب فى القطيع ،
يعوض صاحبها بمقدار الخسارة عن طريق العرج •

مادة (٢٦٨) : اذا استأجر سيد ثورا للدرس والتذرية يدفع ٢٠ قو
من الحبوب •

مادة (٢٦٩) : اذا استأجر سيد حمارا للدرس والتذرية يدفع ١٠ قو
من الحبوب •

مادة (٢٧٠) : اذا استأجر سيد نعجة للدرس والتذرية يدفع ١ قو
من الحبوب •

مادة (٢٧١) : اذا استأجر ثيرانا أو عربة وسائقا للعربة يدفع ١٨٠
قو عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٢) : اذا استأجر سيد عربة وحدها يدفع ٤ قو عن اليوم
الواحد •

مادة (٢٧٣) : اذا استأجر سيد عاملا ويعطيه ٦ سيات من الفضة عن
اليوم الواحد منذ بداية السنة حتى الشهر الخامس ، ومن الشهر
الخامس الى نهاية السنة يدفع ٥ سيات عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٤) : اذا استأجر سيد صانعا يدفع له يوميا كأجر لـ •••
• سيات من الفضة ، وكأجر لصانع الطوب • سيات من الفضة ، وكأجر
للساج •••• سيات من الفضة ، وكأجر لصانع الاختام •••• سيات
من الفضة ، وكأجر للجوهري ••••• سيات من الفضة ••• (الاجور
غير مبنية •••) •

مادة (٢٧٥) : اذا استأجر سيد قارباً طويلاً ، يدفع ٣ سيّات من
الفضة عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٦) : اذا استأجر سيد قارب تجديف يدفع ٢ ½ سيّات من
الفضة عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٧) : اذا استأجر سيد مركباً سعته ٦٠ كورا ، يدفع سدس
شاقل من الفضة عن اليوم الواحد •

مادة (٢٧٨) : اذا اشترى سيد عبداً أو أمة ، ولم يمض شهر ثم
أصيب بصرع ، يعيده الى بائعه ، ويسترد ماله الذى دفعه •

مادة (٢٧٩) : اذا اشترى سيد عبداً أو أمة ، ثم تلقى دعوى ضد
أحدهما ، فالبايع هو المسئول عن الدعوى •

مادة (٢٨٠) : اذا اشترى سيد فى بلد أجنبى عبداً أو أمة ، ثم عاد
الى بلده ، فتعرف صاحب العبد أو الامة على عبده أو أمته ، فاذا كان
العبد أو الامة من أهل البلد ، يحرران دون مال •

مادة (٢٨١) : اذا كانا من أهل بلد آخر ، يقرر المشتري أمام الاله
مبلغ ما دفعه ، ثم يعطى صاحب العبد أو الامة للتاجر ما دفعه من
مال ، وهكذا يشتري حرية عبده أو أمته •

مادة (٢٨٢) : اذا قال عبد لسيده : لست سيدي ، يثبت سيده أنه
عبده ، وعنفذ تصلم أذنه (٨٢) •

(٨٢) انظر : نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٣ - ٨١ (وقد
اعتمدنا عليه كثيراً) ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٦١ - ٤٦٨
طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩١ - ٢٩٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق
ص ٣٥ - ٤٠ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ١٨٢ - ١٨٤ ، جورج
سارتون : المرجع السابق ص ١٩٨ - ١٩٩ ، سبتينو موسكاتى : المرجع
السابق ص ٩٦ - ١٠١ ، هورست كلنجل : المرجع السابق ص ١٣٩ - ١٩٣ •

(٥) خلفاء حمورابي :

جاء بعد حمورابي ولده «سمسو ايلونا» (Samsu - iluna) ،
وقد أثبتت الرسائل من عصره أنه كان يشرف اشرفا مباشرا على
الموظفين الاداريين والقضائيين في المدن البعيدة عن العاصمة بابل ، ويبدو
أن السنوات الثمانية الاولى من عهده مرت بسلام ، فلم تثر فيها
القتال ، ولم تبد في الافق خلالها معالم اضطراب ، فجنح الى التعمير
بشق قناتين في عام حكمه الثالث والرابع ، وفي نفس الوقت اعتنى كثيرا
بتجميل المعابد الكبرى وتزيينها ، وخاصة في بابل وسييار *

هذا وينسب اليه أيضا أنه أعفى سومر وأكد من الضرائب في العام
التالي لحكمه ، وقد يعنى ذلك أنه أعفى الممولين من متأخرات الضرائب
بمناسبة اعتلائه العرش ، كما عمل على إعادة سلطان بابل على الطريق
التجاري الى سورية ، عن طريق الفرات ، وذلك ليعوض خسائره في
الجنوب ، حتى ليشار — في نص من عام حكمه السادس والعشرين —
الى أنه قد أحضر كتلة من الحجر ، يرجح البعض أنها من لبنان ،
وقد نقلها على طول الطريق البري الى الفرات حتى بابل *

-
- وكذا Th. J. Meek, The Code of Hammurabi, ANET, P. 163-180.
G. R. Driver and J. C. Miles, The Babylonian Laws, I, Legal Commentary, I, II, Oxford 1955-1956.
R. F. Harper, The Code of Hammurabi, London, 1904.
J. Nougayrol, in RA, XLV, 1951, P. 67-79.
W. Eilers, in Der Alte Orient, 31, 1931.
A. Deimel, Codex Hammurabi, 1930 (3rd. ed by E. Bergmann, 1953).
T. J. Meek, The Asyndeton Clause in The Code of Hammurabi, JNES, 5, 1946, P. 64-72.
G. Roux, Op. Cit., P. 189-194.
D. J. Wiseman, The Laws of Hammurabi again, in JSS, 7, 1962

ولعل من الالهية بمكان الاشارة الى أنه كان على «سمسو ايلونا» أن يواجه المتاعب التي قامت في دولته في أعقاب موت أبيه حمورابي ، وهي المتاعب التي لم تهدد عرشه فحسب ، بل هددت كيان الاسرة والدولة معا ، فللمرة الاولى نسمع عن الكاشيين أو الكاسيين (The Kassites) يثيرون القلاقل على حدوده الشرقية ، ثم سرعان ما هاجموا بلاد بابل بعد وفاة حمورابي بفترة وجيزة ، بقيادة ملكهم «جانداش» (Gandash) ، ورغم أنه أوقع الهزيمة بهم — فيما يزعم — غير أن بروزهم من سفوح مرتفعات عيلام الغربية ، ثم وصولهم الى اقليم بابل ، انما يمثل نذير شؤم بضياح الامبراطورية ، فقد بدأوا يتسربون على مدى قرنين كعمال ، حتى استطاعوا آخر الامر أن يكونوا أصحاب السلطة في بابل .

على أن الامر لم يقتصر على ذلك ، وانما كان على «تسمسو — ايلونا» أن يواجه ملك لارسا «ريم سين» خصم أبيه العنيد (أو من ادعى أنه ريم سين) ، والمحرض على الثورة في منطقة «ايموتيبال» (Iamutabal) — منطقته الاصلية — وقد انتهر فرصة تقدم الكاشيين ليثير القلاقل في جنوب بابل ، وقد نجح — كما يقال — في الاستيلاء على الوركاء وايسين ، كما يبدو كذلك أن الحامية البابلية في لارسا غلبت على أمرها ، ومن ثم فقد استعادت الاخيرة استقلالها ، وهكذا كان على «سمو — ايلونا» أن يستعيد لارسا ، وأن يقبض على عدوه ، بل انه انما ذهب بعيدا حيث أحرق «ريم سن» في قصره القديم .

ولعل أبرز المتاعب التي واجهت «سمو — ايلونا» انما كانت ثورة القطر البحري «بزعا» «اليوما اليوم» (Iluma - Ilum) الذي أعلن استقلاله في اقليمه الواقع حول الخليج العربي ، وخروجه على

سلطان بابل ، وقد حاربته جيوش «سمسو — ايلوما» ، ولكن دون نتيجة حاسمة^(٨٣) .

٢ — وجاء بعد «سمسو — ايلونا» ولده «ابي — ايشو» (Ibi - Eshu) الذي صمم على وضع نهاية لأسرة القطر البحري ، ولكنه لم يفلح ، ولم تصلنا أية وثيقة من مدينة أور ، تحمل اسمه ، مما يدل على استمرار انحصار أور عنه ، كما أنه فقد منطقة الفرات الاوسط ابان ظهور مملكة «هانا» (Hana) — وهي عانة الحالية على الفرات ، على مبعدة ٣٢٠ كيلا من بابل — كما عاود الكاسيون الغزو دون جدوى ، ومن ثم فقد كثفوا تغلغلهم السياسى فى البلاد كصناع وأصحاب حرف^(٨٤) .

٣ — وجاء بعده ولده «امى ديتانا» (Ammiditana) الذى بذل جهده فى تحسين مرافق البلاد ، فشق قناة أسماها باسمه ، وشيد حصونا وقوى أسوار المدن ، وبنى قصورا فى ضواحي بابل ، وأنه صد جيوش القطر البحري التى قادها ضده معاصره الملك «دامق ايليشو» ، كما استعاد مدينتى نفر وايسين ، بل ان هناك وثيقة ترجع الى عام حكمه السابع والثلاثين تتحدث عن تدميره لأسوار ايسين ، وقد يعنى ذلك اختراقه الاقليم الى جنوب نيبور ، ومن ثم فقد اصطنع لقب «ملك

(٨٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٩٩ — ٢٠٠ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 224-225.

C. J. Gadd, Hammurabi and The End of His Dynasty, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, P. 220-223.

L. W. King, Chronicles Concerning Early Babylonian Kings, II, London, 1907, P. 210.

A. Ungnad, in RLA, II, P. 182-192

S. I. Feigin, and L. Berger, in JNES, 14, 1955, P. 146 F.

(٨٤) سامى سعيد الاحمد : العصر البابلى القديم — كتاب العراق

فى التاريخ — بغداد ١٩٨٣ ص ٩٨ ، وكذا

Georges Roux, Ancient Iraq, (Penguin Books), 1980, P. 225.

سومر وأكد» ، مجدداً ذلك اللقب القديم ، مما يرجح أنه قد استعاد مؤقتاً بعض السلطان الذى كان يذوب ويضمحل •

٤ — وجاء بعده ولده «امى — صادوقا» (Ammi - Saduqa) :
وقد أهتم بأحوال السكان ، وخاصة الضرائب ، واعفاء بعض مواطنيه من الديون ، كما دون لنا شروق وأفول كوكب الزهرة التى كانوا يستعملونها فى تفسير الفأل ، وربما فى التقويم لضبط أوقات الاعياد والمناسبات الدينية ، وهناك رسالة الى «امى — صادقا» من أحد موظفيه الكبار فى «سييار» ، يبدو أنها فى أكبر الظن ، كانت اجابة على رسالة بعث بها الملك نفسه ، تحفل بالمصعوبات التى كانت تلاقيها الادارة فى جمع الضرائب •

٥ — وكان «سمسو — ديتانا» (Samsu - Ditana) ، آخر ملوك أسرة بابل الاولى ، والذى قلت أخبار عهده ، ماعدا هداياه السخية الى المعابد البابلية التى تسجلها عدة نصوص^(٨٥) •

وعلى أية حال ، فلقد صرف خلفاء حمورابى همهم — بصفة عامة — الى رعاية المعابد والمعبودات ، أكثر من اهتمامهم بالحروب شأن أسلافهم ، وهذا الى عبادة ذواتهم ، والى تأليه شخص الملك ، ووضع تماثيل له فى معابد الآلهة فى بابل وسييار وغيرهما ، فضلا عن تقديم الهبات السخية للمعبودات ، ولا ريب فى أن هذا كله انما يشير الى ثروة بابل الطائلة ، التى لا ترجع الى ممتلكاتها الواسعة التى اخترلت ، بقدر ما ترجع الى توسعها التجارى ، وتجارقتها النشطة فى هذا الميدان ، فعيلا من ناحية ، وسورية من ناحية أخرى ، انما كانتا مصدر واردات من الاحجار الكريمة والمعادن والاختشاب ، وقد انعكس هذا الثراء على

(٨٥) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٨ — ٩٩ ، وكذا
F. Thureau - Danguin, RA, 39, P. 10 F.
S. Feigin and B. Landberger, in JNES, 14, 1955, P 146 F.
G. Roux, Op. Cit., P. 225.

الاعمال والمنافع العامة من شق القنوات والتعمير ، خاصة فيما يتصل
بمعابد الآلهة^(٨٦) .

(٦) نهاية أسرة بابل الاولى :

قام ملك الحيثيين «موسيليس الاول» (١٦٢٠ — ١٥٩٠ ق.م) بالهجوم على مملكة «يماحد» (Yamhad) وعاصمتها «حلب» (Aleppo) التي كانت في ذلك الوقت تسيطر على شمال سورية ، ثم اتجه جنوبا على الفرات وانقض على دكة بابل الآمورية العظيمة ، فانهارت أمامه ، وتصف الاسفار البابلية هذا الحادث — نهاية الاسرة البابلية الاولى — بهذه الكلمات «الى شمشو ديتانا ، زحف رجال حاتى ، وزحفوا الى بلاد أكد» وقد ربط هذا الانتصار العظيم الثبت التاريخى الحثى ربطا وثيقا بالثبت التاريخى البابلى ، وان كان هذا الاخير مايزال موضع خلاف ، وقد يكون أرجح الآراء أن فتح الحيثيين لمدينة بابل ، انما كان بعد عام ١٦٠٠ قبل الميلاد بقليل ، ومع ذلك فإن البعض انما يقدمون أو يؤخرون هذا التاريخ قرابة ستين عاما^(٨٧) .

وأيا ما كان الامر ، فما يزال الباحثون لا يعرفون الاسباب التى أدت الى أن يسير الحيثيون أكثر من ٨٠٠ كيلا على طول الفرات ، دونما أية مقاومة تذكر، بل وأن يحتلوا بابل — احدى أكبر مدن العالم وقت ذاك — وربما دعا الكشفيون الحيثيين لمعاونتهم فى الهجوم على بابل والمشاركة فى الغنائم ، وقد ذهب البعض الى أن هدف الملك الحثى انما كان محالفة للكشيين لايقاف الزحف الحورى ، وربما كان الهجوم الحثى على بابل لا يعدو أن تكون غايته السلب والنهب .

على أن المؤرخين لم يتوصلوا بعد الى الطريقة التى سقطت بها بابل، ولا الفترة التى استغرقتها بقاء الغزاة الجدد فى بابل ، هذا الى أن

(٨٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٢ — ٢٠٣ .

(٨٧) O. R. Gurney, The Hittites, (Penguin Books), 1969, P. 23-24.

الآثر المعروف باسم «أسد بابل» — وقد عثر عليه في الطبقة التي تمثل عصر نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ — ٥٦٢ ق.م) في بابل — ربما تركه الحيثيون كرمز يصورهم على هيئة أسد رابض على رجل آخر يمثل المدينة المغلوبة على أمرها بابل ، ولعل في مشابهة هذا الأسد لفنون النحت التي تركها الحيثيون في مواقعهم بآسيا الصغرى ، ما يؤيد وجهة النظر هذه .

هذا وقد حاول الحيثيون أن يتوسعوا في جنوب بلاد النهرين . ولكن وقفت في سبيل ذلك دولة البحر الفاشئة ، وكسرت شرهم ، لاسيما وقد بعدت الشقة الأرضية بينهم وبين مواقعهم في آسيا الصغرى . ولهذا لم يجد التاريخ بأسا في أن يحتفظ لدولة البحر بذكرى طيبة . فأطلق على أسرتها الحاكمة اصطلاحا اسم «أسرة بابل الثانية» .

وعلى أية حال ، فلم يبق «مورسيليس المول» (Mursilis, I) في بابل طويلا ، فسرعان ما رجع الى بلاده حين علم بنبا ثورة قامت ضده في عاصمته (بوغاز كوى) ، وقد حمل معه تمثالي الآله مردوك وزوجته الآلهة «سربانيتوم» (Sarpanitum) ، اللذين تركهما عند مدينة «عانة» على الفرات ، وترك بابل فريسة سهلة للكاشيين الذين سرعان ما احتلوها في عام ١٥٩٥ ق.م ، وبالتالي فقد «سمسو — ديتانا» عرشه . وربما حياته .

(٨٨) سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ٩٩ — ١٠٠ ، وكذا
SS) J. J. Finkelstein, in RA, LXIII, 1969, P. 45-64.

F Thureau - Danguin, Op. Cit., P. 5 F.

G. Roux, Op. Cit., P. 225-226.

O. R. Gureny, Op. Cit , P 24.

وكذا

وكذا

وكذا

الفصل الثاني

الأسرات البابلية من الثانية الى الرابعة

أولا : أسرة بابل الثانية (أسرة القطر البحري الاولى)

نشأت أسرة القطر البحري في الشواطىء الشمالية للخليج العربى ، وحكم ملوكها هناك مدى ٣٦٨ عاما ، وقد جاءت أسماؤهم في بعض القوائم كعشر ملوك ، وفي بعض القوائم الاخرى كأحد عشر ملكا^(١) . ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن الاسماء الثلاثة الاولى ، وكذا الاسم الحادى عشر ، أسماء سامية ، وأما ما عداها فأسماء سومرية ، وقد يكون لهذا دلالة : أن تبدأ الأسرة بملوك ساميين ، وتنتهى بملك سامى ، وفيما بينهم ملوك سومريون يرتبطون ببعضهم البعض من غير شك . وقد يوحى ذلك بأن التأثيرين — السامى والسومرى — قد أسهما في تكوين الأسرة واستمرارها على هذه الصورة ، بل ربما قد يشير ذلك الى أن الملوك انما كانوا خليطا من ذرارى السومريين ، ومن قبائل آمورية مهجرة . وعلى أية حال ، فإن الأسرة انما قد عرفت باسم أسرة «شش كو» . وهو اسم سومرى حاول بعض المؤرخين أن يربطه بالوركاء ، وحاول البعض الآخر أن يربطوه ببابل^(٢) .

وكان أول ملوك الأسرة «ايلوما اليو» (Iluma - Ilu) ، الذى أعلن انفصاله عن دولة حمورابى مكونا دولة فى الاجزاء التى استقل بها . وفشل ابن حمورابى وخليفته «شمشو ايلوننا» فى ارجاعه الى حظيرة الدولة ، لأن الحملة التى قادها ضد هذا الثائر باءت بالفشل ، ولم يهتم «شمشو ايلوننا» بالعودة مرة أخرى لاجبار الثوار على الطاعة . فضلا عن

(١) ملوك أسرة القطر البحري الاولى هم : ١ - ايلوما اليو
٢ - اتى - ايلى - نيبى ٣ - دمق ايليشو ٤ - اشكيبال ٥ - شونى
٦ - جولجيشار (كولكيشار) ٧ - ببشكالداراماتس ٨ - أدارا - كالاما
٩ - أكورولانا ١٠ - ميلامكوركورا ١١ - أيا - كاميل (ايا - جاميل)
(لبو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٤٤٦) .
(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ .

وقوع عدة ثورات في أعقاب موت حمورابي ، كما حدث في لارسا وأور والوركاء ، الى جانب المتمرّد الذي ظهر وقت ذاك في المناطق النائية ، بل ان هناك ما يشير الى ثورة قامت في بابل نفسها ، استهدفت تنصيب غيره على العرش في العام الرابع عشر من الحكم ، وان نجح في القضاء عليها .

وهناك نص يرجع الى العام العشرين من حكم «سمسو ايلونا» يفاخر فيه بأنه أخضع «(الارض الثائرة)» (اقليم البصر في الاغلب) ، الأمر الذي يدل على أن حملة أرسلت الى هناك ، وربما كان النصر حليفه فيها ، وان لم يكتب له فيها نصرا مؤزرا ، فطبيعة البلاد في اقليم القطر البحري ، بمستنقعاتها وظروف سكانها ، انما تجعل الحاكم في بابل يرضى بمظهر النصر والخضوع الاسمى ما دام لا يستطيع أن يباشر سلطانا فعليا عليها ، وحتى تحقيق ذلك الامر لم يتم على الصورة المرجوة .

وأيا ما كان الامر ، فلقد نجح «ايلوما اليو» في أن يقود ثورة جديدة ناجحة ، استطاع بعدها أن يقيم دولة مستقلة في هذه الارحاء — هي دولة القطر البحري، وأن يضم اليها لارسا ، فضلا عن «نيبور» العاصمة الدينية القديمة^(٣) .

وجاء بعد ذلك «اتى — ايلي — نيبى» ، ثم «دمقى ايليشو» ، وفي عهده حاول الملك البابلى «دمى — ديتانا» استرجاع الجنوب ، فقام بحملة استعادم فيها مدينتى «نفر» و «ايسين» ، بعد أن دمر أسوار المدينة الاخرة ، غير أن «دمقى ايليشو» سرعان ما استعادها مرة ثانية .

ولسنا نعرف شيئا بعد هذه المرحلة عن سير الامور في القطر البحري ، وكل ما وصل الينا أن انهيار الاسرة انما قد تم في العصر الكاسى ، ويبدو أن «ايا — جميل» لم يكن أول حاكم التقى بالكاسيين ،

(٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٧ .

وقد نسبت اليه الحـوليات مهاجمة عيـلام ، ومع ذلك فقد استمر الكاسيون يوجهون هجماتهم الى دولة القطر البحري ، حتى قضوا على استقلالها على أيـام ملكهم «أجوم» الذي نجح في الاستيلاء على «دوريا - ايا» وهي أهم المدن هناك - ان لم تكن هي العاصمة - وتدمير معبد «ايا» المعبود الرئيسي على الاغلب •

وعلى أية حال ، فقد عاصرت أسرة القطر البحري ، أسرة بابل الاولى ، منذ عهد ملكها السابع - وربما الثامن - كما عاصرت الاسرة الكاسية في قرابة نصف عهدها الاول ، ولعل مما تجدر الإشارة اليه أن هناك من يذهب الى أن أسرة القطر البحري هذه ، ليست أسرة بابلية ، رغم أنها تعرف أحيانا باسم «أسرة بابل الثانية» ، ونستطيع القول - كما أشرنا من قبل - أن جانباً من شعب أرض البحر ، انما كان سامياً ، وأن الجانب الآخر كان سومرياً ، وأن ذلك الامتزاج بين الفريقين انما تم قبل قيام الاسرة بزمن طويل ، وفي أكبر الظن أن السومريين - بعد اندحارهم - انما قد تحركوا الى هذه المنطقة في جنوب العراق القديم ، حيث جمعوا قواهم ، وهددوا الاسرة الامورية •

وهناك ما يشير الى أن «ايلوما اليو» انما كان يزعم أنه من سلالة «دمق ايليشو» - آخر ملوك أسرة اسين ، ولعل الاحتفاظ بهذه الفكرة - فضلاً عن الاصرار عليها - انما يبدو واضحاً في أن ثالث ملوك أسرة القطر البحري ، قد أطلق على نفسه نفس الاسم للذي يزعمون أنهم من سلالته (دمق ايليسو) (٤) •

(٤) نجيب مسخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، سامي الاحمدى : المرجع السابق ص ٩٨ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ - ٤٨٣ ، وكذا

A. L. Oppenheim, in ANET, 1966, P. 267.

L. W. King, Op. Cit., P. 21-22.

ثانيا : أسرة بابل الثالثة - أو الدولة الكاشية

(١) تقديم :

شهد القرن الثامن عشر قبل الميلاد هجرات واسعة من أواسط آسيا، فأنحدرت قبائل كثيرة في أوقات متفاوتة ، كانت كلها قبائل غير متقدمة في حضارتها ، بدوا رحلا من الجنس «الهندو - أوربى» أو الآرى ، نزلوا بنسبائهم وأطفالهم وأمتعتهم وحيواناتهم ، ليستقروا في البلاد التي تفيض بالخير الى الجنوب منهم ، في مناطق آسيا الصغرى وشمال بلاد النهرين وفي سورية وشمال مصر ، وقد عرفت هذه القبائل بعد استقرارها في كل قطر ، من هذه الاقطار باسم خاص ، فعرفوا في آسيا الصغرى باسم «الخاتيين» ، ثم باسم «الحيتيين» ، وعرفوا في المناطق الشمالية الغربية من نهر الفرات باسم «الحرريين» أو «الخوريين» ، وعرفوا في مرتفعات بلاد النهرين باسم «الكاسيين» أو «الكاشيين» ، بل ان فريقا من هذه القبائل وصلت الى البلقان ، اما عن طريق الدوران حول البحر الاسود ، واما عن طريق البسفور والدردنيل ، فأحدثت كثيرا من عدم الاستقرار هناك ، ولم يقف أمر تلك الهجرات عند هذا الحد ، بل نزل بعضها في مناطق سورية وفلسطين ، وبعد أن استقروا فيها بعض الوقت وامتزجوا بأهلها ، اتخذ هذا الخليط من الناس طريقه غربا الى مصر ، فاستولوا على الدلتا ، وعرفوا باسم «الهكسوس»^(٥) .

وهكذا انتشرت الاضطرابات في غربى آسيا ، وزاد الطين بلة بالنسبة الى بلاد النهرين ومجاوراتها غربا ، أنها كانت تمر بفترة عصيبة ، وتقدم لنا سجلات مدينة «مارى» الشهيرة بعض الاضواء على التاريخ السياسى للمنطقة في منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، فلقد جاء في رسالة الى «زمرى ليم» حاكم مارى من أحد أعوانه - وقد أشرنا اليها من قبل - .

(٥) انظر عن الهكسوس (محمد بيومى مهران : حركات التحرير في مصر القديمة - القاهرة ١٨٧٦ ص ١٠١ - ٢٢٣) .

«ليس هناك ملك بقادر على أن يقول أنه أقوى الملوك ، ذلك لأن عشرة أو خمسة عشر ملكا يتبعون حمورابى ملك بابل ، ومثل هذا العدد يتبعون «(ريم سين)» ملك لارسا ، ومثل هذا العدد يتبعون «(ايال بى ايل)» (اييل) ملك اشنونا ، ومثل هذا العدد يتبعون «(أموت بى ايل)» ملك قطنة ، وعشرين ملكا يتبعون «(يريم ليم)» ملك يمشد»^(٦) .

غير أن هذا التوازن بين قوى تتكون من عدد صغير من الدول بصورة ما ، لم يستمر طويلا ، وذلك حين نجح حمورابى فى هزيمة لارسا ومارى ، وربما قد حكم آشور لفترة قصيرة ، ثم سرعان ما يتغير الموقف حين يهبط الكاشيون الى السهل من الجبال الشرقية ، ويدعمون حكمهم فى الجانب الشرقى من بابل ، ويجيء الحوريون الى آشور ، ولم يمض طويل وقت حتى يصبحوا عنصرا سياسيا هاما هناك ، وسرعان ما اتجهوا نحو الجنوب الشرقى ، وهاجموا «(ألاخ)» عاصمة يمشد ، ومن ثم فقد بدأت الاضطرابات تنتشر فى سورية من جراء هذه الهجرات التى تدفقت عليها من الشرق ، وهكذا عمت الفوضى المنطقة بأسرها^(٧) .

وعلى أية حال ، فلقد بدأت بابل تحس بتسللات الكاسيين (Kassites) ، فضلا عن الحوريين والخاتيين ، ولكن الامر الذى لا ريب فيه ، أن الكاسيين انما كانوا أقربهم خطرا عليها ، حيث قاموا بدور الجوتين القدماء فى مرتفعات العراق القديم ، وان استطاع حمورابى — كما استطاع خلفه سمسو ايلونسا ، وولده أبى شوج — أن يردوا الخطر ، فانكسرت حدة الكاسيين الى حين ، واكتفوا بالتسلل السلمى البطيء الى مدن العراق المتحضرة وعملوا فيها أجراء ومرترقة ، بينما

(٦) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ٢٤٢ ، وكذا

G. Dossin, in Syria, 19, 1938, P. 117 F.

S. Smith, Alatakh and Chronology, P. 11.

7) T. Save - Soderbergh, JEA, 37, 1951, P. 54.

S. Smith, Op. Cit., P. 35.

ظلت قبائلهم الكثيفة الطامعة في الخيرات والسيطرة تتربص بدولة بابل
الدوائر (٨) *

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أنه ليس هناك اتفاق بين
المؤرخين على أصل الكاسيين هؤلاء ، فهناك من يرددهم الى المرتفعات
الشرقية وينسب اسمهم الى اسم معبودهم «كاشو» ويربط بينهم وبين
جماعات متأخرة عنهم في الزمن ذكرها بطليموس الجغرافى باسم
(Kossaeans) ، وذكرهم غيره باسم (Kissians) ، ويرجح البعض
أنهم من منطقة لورستان الجبلية *

وعلى أية حال ، فالكاسيون أو الكاشيون كالخوريين — من العناصر
الآسيائية ، التي امتزجت في النصف الاول من الالف الثانية قبل الميلاد
بالعناصر «الهندو — أوربية» ، وبما اكتسب الكاشيون اسمهم من اقليم
في شمال عيلام يدعى «كاش شن» جاء ذكره في نص لـ «بوزور
انشوشنك» ويدعوهم اليونانيون «كاسيوى» (Kassaioi) ويرون أن
بلادهم تقع في شرق بابل وشمالها الشرقي ، ومن ثم فانه يبدو أنه عند
نزولهم للسهل خلال الالف الثانية ق.م انما كانوا يتقدمون من سلسلة
زاجروس الوسطى ، والمعروفة الان باسم «لورستان» (Luristan)
الى الجنوب من همدان مباشرة — ومن ثم فهي محطة أقاموا فيها حينما
من الدهر ، وليست وطننا أصليا لهم ، كما ظن البعض ، ويرجح البعض
أنهم آريون ، وربما كانوا من أقرباء الحكام الميتانيين فيما بعد ، الذين
فرضوا أنفسهم على العناصر غير الآرية في «سوبارتو» في شمال بلاد
النهرين (٩) *

(٢) المظاهر العامة للعصر الكاشي :

لا ريب في أن فترة الحكم الكاشي — رغم طولها ، والذي امتد

(٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ .

(٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٠٩ ، ٢١١ ، عبد العزيز

صالح : المرجع السابق ص ٤٨٢ ، وكذا

حوالى ٤٣٨ عاما (١٥٩٥ - ١١٥٧ ق م) - انما هي من أشد فترات التاريخ العراقى القديم غموضا ، وأكثرها ظلمة ، وذلك بسبب قلّة الاثار ، فضلا عن الوثائق ، التى تتصل بهذه الفترة ، هذا فضلا عن أن المغزاة الجدد لم يكن لهم أى أثر جنسى أو لغوى بدرجة ملحوظة فى تاريخ بلاد النهرين ، بل ان الكاشيين ، رغم اقامتهم الطويلة فى بلاد النهرين ، ورغم أن المؤرخين يسمون أسرتههم بالأسرة البابلية الثالثة - على الرغم من أنهم كانوا أغرابا فى بابل وعن محيطها كله - فان أمر العراق القديم لم يخلص لهم أبدا ، ففضلا عن دولة القطر البحرى الاول التى نازعتهم السيادة على المناطق الجنوبية فى بداية عصرهم حتى تغلبوا عليها ، تحكم الآشوريون فى المناطق الشمالية والشمالية الشرقية ، من نهر دجلة ، وتحكم الحوريون فى المناطق الغربية والشمالية الغربية من نهر الفرات ، بغير حدود صريحة فاصلة بين امتداد هؤلاء أو هؤلاء^(١٠) .

هذا ويذهب البعض الى أن اللغة الكاشية انما ترجع الى مجموعة اللغات التى تأخذ بطريقة الالتصاق (Agglutination) مثل المجموعة الآسيائية ، وان كنا على غير يقين من ذلك ، اذ لم ترد الينا حتى الان أية نصوص مدونة باللغة الكاشية حتى نتعرف على قواعدها^(١١) .

هذا وقد ساد الكاشيون جزءا كبيرا من العراق ، ولكن أعدادهم كانت قليلة ، وحضارتهم القومية كانت خشنة ضئيلة ، فاكتفوا بأن اعتبروا أنفسهم طبقة أرستقراطية حاكمة بين السكان الاصليين ، وانتفعوا بحضارة بلاد النهرين وقلدوا فنهم فى مبانيهم ومعابدهم وتمثيلهم ، واعتبروا اللغة البابلية السامية لغة الكتابة الراقية ، الى جانب لغتهم الخاصة ، كما ساوى الكاشيون بين آلهتهم وبين الالهة البابلية ، فجعلوا «شيباك» مساويا «لردوخ» ، و «خارجى» مطابقا «لأنليل» ،

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٧ .

(١١) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٥ ، وكذا

G Contenau, Op. Cit., P. 19, 23.

ولعل هذا انما يشير الى أن الكاشيين قد عبدوا أرباب بلاد النهرين ، الى جانب أربابهم القوميين ، بأسمائها القديمة أحيانا ، وبأسماء آرية جديدة أحيانا أخرى (١٢) .

على أن هذا لا يمنع من القول أن القوم قد أضافوا الى حضارة العراق القديم شيئاً يذكر لهم ، ذلك أن البابليين لم يكونوا يعرفون الحصان قبل عهد حمورابي ، ومن ثم فقد كانوا يسمونه «الحمار الجبلي» وأحيانا «الخيول الوحشية» ، ومن ثم فلم تستأنس الخيول ، ولم يشع استخدامها حتى أخريات الاسرة البابلية الاولى ، فما أن جاء الكاشيون حتى أدخلوا سلالات جديدة من سهوب آسيا ، طغت شيئاً فشيئاً على الحمير الجبلية وسلالة السيبي القديم ، ثم سرعان ما استخدموا الحصان بأعداد كثيرة ، حتى أصبحت الخيول تصدر من العراق الى مصر ، وتقدم لنا نصوص من «نفر» أثباتا بالخيول وأسمائها وأسماء أسلافها ، وكلها تشير الى عناية الكاشيين الفائقة بالخيول ، بل أن هناك من يذهب الى أن الكاشيين قد أدخلوا الحصان والعجلة الى العراق القديم ، كما فعل الهكسوس في مصر (١٣) .

ولعل من أفضل ما أدخلوه الى العراق انما كان «طريقة التوقييت» ، فبدلاً من الطريقة السامية (المنقولة عن السومريين) فيما يختص باعطاء العام لقباً يشير الى حدث هام ، أو عبادة معينة ، نرى الكاشيين يدخلون طريقة جديدة أبسر من السابقة تشير الى التأريخ بسنن حكم ملوكهم ،

(١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٣ - ٤٨٤ ، سامي الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ ، وكذا

S. Moscati, The Face of The Ancient Orient, London, 1960, P. 154

(١٣) جورج كونتينو : الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور - ترجمة سليم التكريتي - بغداد ١٩٨٦ ص ١٠٤ ، أحمد سوسة : تاريخ حضارة وادي الرافدين - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٦ ص ٤٢٠ ، نجيب مبحائيل المرجع السابق ٢١٠/٥ ، ٣٨/٦ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 221.

H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom in Thebes, New York, 1947, P. 153.

هذا فضلا عن تغيير بعض وحدات الاوزان والمقاييس ، كما كان من التطورات اليسيرة التي حدثت بصناعة الاختتام الاسطوانية في عصرهم كثرة صناعتها من اليشب وبداية صناعتها من العقيق اليماني ، وكثرة تسجيل دعوات التعبد وتمجيد الارباب عليها ، على حساب كثرة صور الاشخاص والاشياء ، ثم دخلت صناعة الحديد الى العراق في النصف الاخير من عصرهم •

هذا وقد أتبع الملوك الكاسيون سياسة ملوك الشرق القديم في اكتساب ود رجال الدين ، وتأکید القرى من الارباب عن طريق منح الهبات والاقطاعات للمعابد واعفائها من الضرائب ، وكانوا ينفقون على بعض هذه الهبات من خزائنها ويسجل رجالهم أخبارهم (١٤) •

هذا وقد ظهر في العصر الكاشي النحت البارز على الآجر المصنوع بالقالب ، واستخدم في قرائن معمارية بحتة ، ففي واجهة معبد «انانا» الذي شيده الملك الكاشي «جانداس» (Gandash) في الوركاء نرى موضوعا لمعبود ومعبودة يتكرر ان باستمرار في أسفل جدار الواجهة، وبين كل معبود وآخر ، فاصل من الآجر ، مما جعل كل منهما داخل تجويف ضمن جدار الواجهة ، وقد أمسك كل منهما بيده — وأمام صدره — اناء يتدفق منه الماء الذي سال على هيئة جداول جارئة ، نفذت على هيئة خطوط بارزة ومتعرجة على فواصل الواجهة ، والمعبود هنا هو «اله الجبل» وقد مثل وهو يرتدي ثوبا مزينا على هيئة حراشف — هي رمز الجبل عند العراقيين القدماء — كما كان للواجهة اطار من أعلى وأسفل ، صنع من آجر مقلوب هكون من دوائر بارزة على هيئة أقراص ، وقد عثر على هذه الواجهات من هذا العصر في عدة مدن مثل أور ونفر وعرقوف ، وكذا في

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٤ ، نجيب ميخائيل

المرجع السابق ٢١٢/٥ ، وكذا

A. J. Clay, Documents from The Temple Archives of Nippur dated in The Reigns of Cassite Rulers, 1926.

نسوسة في عيلام ، مما يشير الى انتشاره وقت ذاك (١٥) .

وهناك نوع آخر على ألواح الطمي العادية ، فضلا عن تلك التي على نصب حجرية صغيرة تسمى «كودورو» (Kudurru) (١٦) ، وهي أذجار وظيفتها تحديد الملكية أو مساحة الأرض وحدودها واسم واهبها، وكانت تودع في الأماكن المقدسة والمعابد ، وقد شاع استخدامها في العهد الكاشي بدرجة كبيرة ، رغم أن أصولها الأولى إنما تعود الى الألف الثالثة قبل الميلاد ، اعتمادا على ما عرف بالكودورو الصغيرة من لارسا (١٧) .

وقد استغل الفنانون سطوح هذه النصب لتصوير هيئات ملوكهم ، أصحاب الفضل في منح الاقطاعيات ، تصويرا مختصرا حيناً ، وتفصيلاً حيناً آخر ، بحيث يفصل ملامحهم وملابسهم وأغطية رؤوسهم ، فضلا عن تصوير رموز أربابهم الذين أشهدوا على منحها ووضعوها تحت رعايتهم ، ومنها تلك التي تعود الى الملك «ميلي شباك» حيث صور في مشهد بالنحت البارز ، وهو يقود ابنته ليقدمها الى الالهة ، حيث ترى الالهة هنا تلبس تاجاً ينتهي من الأعلى بصف واحد من الريش ، وتجلس على عرش أقيم بأرجل على هيئة أرجل الأسد وهي تحيي الملك بكلتا يديها، ويفصل بين الملك والالهة شمعدان، بينما نرى في أعلى المشهد رموزاً للالهة السماوية، سين وشمش وعشتار، المتمثلة بالهلال وقرص الشمس والنجمة على التوالي .

وهناك رموز حيوانية تصرف الفنانون في تشكيل صورها ، ورموز

(١٥) طارق عبد الوهاب مظلوم : النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث ص ٦٣ - ٦٤ (من كتاب حضارة العراق القديم - الجزء الرابع - بغداد ١٩٨٥) .
(١٦) انظر عن «الكودورو» :

G. Roux, Op. Cit., P. 230-231.

L. King, in Babylonian Boundary Stones, 1912.

U. Seidl, Die Babylonischen Kudurru - Reliefs, in BM, 4, 1968.
P. 7-220.

(١٧) طارق عبد الوهاب مظلوم ، المرجع السابق ص ٦٤ - ٦٥ .

أخرى معمارية ترمز الى واجهات الهياكل والمقاصير البدائية . الأمر الذى جعل منها مصدرا من مصادر المعرفة بعمارة المعابد الاولى ، بل ان أهيتها انما تفوق النواحي المعمارية بكثير ، فهى ليست بهامة من ناحية مظهرها القانونى أو الاجتماعى أو الدينى فحسب ، بل من ناحية قيمتها التاريخية كذلك ، اذ أنه من المعروف أن بها اشارات للملوك والاحداث التاريخية نستطيع عن طريقها أن نملا فراغا فى بعض الوثائق والمصادر الأخرى ، فضلا عن الاشارة الى استمرار المظاهر الحضارية ، رغم الكبوات السياسية (١٨) .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن القبائل التى استقرت فى وسط جنوب العراق ، انما قد تملكت فى العصر الكاشى مقاطعات زراعية واسعة ، فقد كان الملوك الكوشيون يمنحون الاراضى لبعض الافراد ، كى تصبح اقطاعيات لهم ولأبنائهم من بعدهم ، وقد امتلكت كل قبيلة اقطاعية كبيرة شيدت بها مدنا وقرى ، وبذلك يظهر أن النظام القبلى المرتبط بحق الارض ، انما قد أدخل الى العراق فى العهد الكاشى (١٩) ، خاصة وقد توسع الملوك وقت ذاك فى منح الاقطاعيات العقارية الى المقربين اليهم من العسكريين والمدنيين ، ويبدو أنهم حرروا ملكيتها بحيث أصبحت أشبه بالاملاك الخاصة لأصحابها ، لا سيما لأفراد الطبقة الحاكمة ، وهناك وثيقة تشير الى أن الملك «مبلى شباك» قد منح ابنه وابنته اقطاعية واسعة فى أرض البحر ، بعد أن استصلحها أعوانه وأعدوها للزراعة وأنشأوا فيها قرى جديدة ، وأعفاها من التكاليف التى كانت تفرضها الدولة على الاراضى الزراعية ، وهى تكاليف عرفت بها بلاد النهرين قبل عهده بعصور طويلة ، حيث كانت الدولة تحصل على جزء من باكورة المحاصيل الزراعية ، كما كانت تستخدم مواشى الاقطاعيات

(١٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٤ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٤ ، طارق مظلوم : المرجع السابق ص ٦٥
H. Frankfort, The Art and Architecture of The Ancient Orient, London, 1954, Pl. 71.

(١٩) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ - ١٠٥ .

لمصلحة أرضها الزراعية الخاصة حين تشاء ، وتسخر العمال الزراعيين حين الضرورة في خدمة المرافق الملكية والمرافق العامة ، مثل شق الترع وتطهيرها وتشبيد جسورها ، وقطع الحشائش المائية والاعشاب البرية (٢٠) .

وأما تماثيل هذا العصر المجسمة التي تم اكتشافها فقليلة ، فهناك تماثيل ربما للملك «كوريجا لزو» الاول جالسا ، فضلا عن تماثيل صغيرة لحيوانات وأشخاص ، والتي يبدو فيها اهتمام الفنان الكاشي في التفاصيل ومحاولة اخراج شكل واقعي قدر الامكان ، ومن هذه التماثيل الصغيرة رأس صغيرة للبوّة من الطين المحروق ، يعتبر آية من آيات الصناعة في تمثيل شرطة العين وتجويفها ، وتكوين الانف والفم والتعبير عن شعيرات الوجه ، بخيوط بسيطة متمكنة ، ورأس صغير لرجل من الطين المحروق الملون أيضا ، مثلته بأثف أقنوى بعض الشيء ، وأجادت التعبير عن بروز شفقه العليا عن السفلى ، وعن تصفيفه لشعره (٢١) .

(٣) أهم الملوك الكاشيين :

ليس هناك مستند تاريخي يشير الى الاحداث التي أدت الى انتقال البسلطة من الاسرة البابلية الاولى الى هذه الاسرة الكاشية (الاسرة البابلية الثالثة) ، فضلا عن الوسيلة التي استطاع بها «جانداش» (Gandash) — أول ملوك الاسرة الكاشية — أن ينهى حكم «سمسو ديتانا» — آخر ملوك أسرة بابل الاولى —

وعلى أية حال ، فلقد جاء بعد «جانداش» الملك «كاشتلياش الاول» ، والذي ربما كان من أسرة كاشية قوية ، حتى أنه استطاع أن ينتزع العرش لنفسه ، وان كان «أجوم الثانى» هو أول ملك كاشي استطاع

(٢٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٥ .

(٢١) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٦ ، عبد العزيز صالح :

المرجع السابق ص ٤٨٦ ، وكذا

H. Frankfort, Op. Cit., Pls. 70 B, 70 C.

أن يسيطر على كل بلاد بابل ، كما أعاد تمثالى المعبود ((مردوك)) وزوجته «ساربانتيوم» (زربانتيوم = Sarpanitum) اللذين نقلهما الحيثيون - عندما احتلوا بابل - الى «هانا» وهى عانة الحديثة على الفرات ، وعلى مبعدة ٣٢٠ كيلا من بابل ، حيث ازدهرت هناك مملكة أمورية تأثرت تقاليدها كثيرا بالمدينة البابلية - كما قاد حملة ضرب بها مملكة القطر البحرى التى تمتعت باستقلالها منذ عهد «سمسو ايلونا» ♦

ثم هناك الملك «كرندش» الذى اشتهر بكثرة مبانيه فى المدن البابلية. حيث شيد معبدا للمعبودة «عشتار» فى الوركاء ، امتازت عمارته بتدعيم أركانه الخارجية بأكتاف ذات مستويين لم تمارسها بلاد النهرين الا قبيل عصورها التاريخية - كما فى معبد أريدو - ثم هجرتها . كما امتازت بعض المشكاوات الخارجية للمعبد نفسه بتحوير زخارفها تحويرا محدثا عن طريق استغلال بطونها فى تماثيل أرباب وربات من اللبن تبرز من جسم البناء نفسه ، مع تشكيل رأس كل معبود وجذعه الاعلى تشكيلا كاملا ، والاكتفاء بتشكيل الخطوط العامة لبقية جسمه على هيئة الثوب الطويل المحبوك ، وتشكيل لبنات هذا الثوب بما يرمز الى مدرجات الجبال بالنسبة للارباب ، وتموجات الماء بالنسبة للربات ♦

وتتقضى بعد ذلك فترة تكاد تكون غامضة تماما بالنسبة لنا يأتى بعدها الملك «كوريجالزو» الاول ثم ولده «كدشمان انليل الاول» الذى وصلت لنا بعض رسائله للفرعون «أمنحتب الثالث» (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق.م) ، والامر كذلك بالنسبة الى خليفته «بورنا بورياش الثانى» (١٣٧٥ - ١٣٤٧ ق.م) الذى خلفه ولده «كارونداش» . ثم «نازى بوجاش» ♦

وجاء «كوريجالزو» الثانى (١٣٤٥ - ١٣٢٤ ق.م) . والذى ينسب اليه تأسيس عاصمة جديدة للكاشيين هى «دور كوريجالزو» (بمعنى مدينة أو حصن كوريجالزو) - وتقع فى مكان «عقرقوف» الحالية على

مبعدة ٣٢ كيلا ، غربى بغداد — ومن المعروف أن الكاشيين انما كانوا يحكمون فى أول الامر من العاصمة بابل ، ولكنهم فى منتصف حكمهم أسسوا مدينة «دور كوريجالزو» واتخذوها مقرا للحكم ، وقد أقام بها الملك «كوريجالزو» الثانى قصرا يشبه قصر الملك «زمرى ليم» حاكم مارى ، ورغم أن ما بقى من قصر «كوريجالزو» لا يكفى لاعطاء صورة كاملة عنه ، ولكنه يشير الى أنه كان يتكون من عدة أجنحة متلاصقة ، لكل منها ساحة كبيرة فى الوسط ، وقد تتجاوز ساحة القصر بضعة مئات من الامتار فى كل ضلع من أضلاعها ، ومن أهم ما عثر عليه فى القصر هو الجزء المتبقى فى الزاوية الشمالية حيث الممرات المسقوفة الطويلة التى تحيط بالساحة،والتي تحمل سقفها ركائز مربعة ، كما تشير بقايا الغرف الى وجود قاعات طويلة وعريضة ، يبلغ طول المتبقى منها ٤٠ مترا ، مما يشير الى أنها كانت قاعات استقبال ، وربما كانت احدى قاعات العرش ، ذلك لأن الممرات المسقوفة ومداخل القاعات انما قد زينت برسوم متتالية للأشخاص ، تبدو وكأنها تقدم التحية أو فروض الطاعة لشخص فى الداخل ، أما فى الزاوية الشرقية من البناء ، فقد عثر على ثلاث ممرات طويلة متوازنة تخترق أرضها قنوات مياه ، وعلى جانبى الممر كوى مرتفعة عن الارض ذات سقوف معقودة ، كما أن الممرات نفسها كانت معقودة السقف أيضا ، وربما كان لخزن الرقم الطينية فى جو رطب يناسب الغرض منه (٢٢) .

وأما زاقورة «عقرقوف» (دور كوريجالزو) فكانت تتكون من خمس

(٢٢) مؤيد سعيد : العمارة من عصر فجر السلالات الى العصر البابلى الحديث — كتاب حضارة العراق — الجزء الثالث — بغداد ١٩٨٥ ص ١٥٤ — ١٥٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٥ ، سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ١٠٣ — ١٠٤ .

T. BAQIR, Excavations at Aqar Quf, Iraq, 1944-1945, and Iraq, 8, 1946, P. 73-92.

S. N. Kramer, T. BAQIR and S. Levy, Fragments of a diorite Statue of Kurigalzu in Iraq Museum, in Sumer, 4, 1948, P. 1 F.

S. N. Kramer, ANET, 1966, P. 57-59.

G. Roux, Op. Cit., P. 229-230.

طبقات من اللبن تغلفها من الخارج طبقة من الآجر ، وتبلغ مساحتها (٦٧٦ × ٦٩ م) ، وسلاسلها الجانبية لا تبدأ مع بداية حافة الضلع ، وإنما مع نهاية الضلع الجانبية ، ثم تدور بزاوية قائمة حول جسم الزاقورة لترتقى الى السلم الجانبى ، وهناك سلم فى الوسط يلتقى بالسلم الجانبى فى مركز الضلع ، هذا وقد شيدت أمام سلم الزاقورة الوسطى مصطبة من اللبن مساحتها (٣٥ × ٣٥ م) تحيط بها ساحات عديدة لمعبد لم يكتمل اكتشافه كله بعد ، وهذه الساحات متصلة بعضها ببعض ، وتحيط بكل ساحة مجموعة من الغرف المستطيلة (٢٣) .

وعلى أية حال ، فلقد مر الكاشيون بعد ذلك بفترة ضعف ، ربما بسبب هجمات الآشوريين المتكررة عليهم ، والتي أدت الى أن تكون لهم السيادة على العراق ، وربما بسبب تولى العرش الكاشى ملوك ضعاف ، ومع ذلك فإن نهاية الكاشيين لم تكن على أيدي الآشوريين ، وإنما كانت على أيدي العيلاميين ، بقيادة ملكهم «شترك نخنته» (Shutruk - Nakhunte) (١٢٠٧ - ١١٧١ ق م) الذى تقدم نحو بابل فى عام ١١٦٠ قبل الميلاد ، وذبح ملكها «زابايا - شوما - ادينا» ، ونهب كثيرا من آثارها ، ثم منحها لولده «كوتير - ناهونتى» (Kutir - Nahunte) وأما آخر ملوك الكاشيين «انليل - نادين - اهى» (Enlil - Nadin - Ahhe) (١١٥٧ - ١١٥٩ ق م) فلا نلتقى به فى قائمة الملوك ، وان التقينا به فى بعض النصوص محرفا (٢٤) .

(٣) العلاقات الخارجية :

كانت مصر على أيام أمنحتب الثالث (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق م) قد بلغت ذروة مجدها وقوتها واثرائها ، وكان فرعونها ملك الملوك فى الشرق القديم

(٢٣) مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ١٦٥ .

24) G. Roux, Op. Cit., P. 244-245.

D. J. Wiseman, in CAH, II, Part, 2, P. 446.

R. Labat, in CAH, II, 2, P. 486-487.

H. Tadmor, in JNES, 17, 1958, P. 137.

دون منازع ، وان تواضع الرجل ، أوراى أنه من حسن السياسة أن يسمح للملك بابل وأشور وميتاني وحاتي بأن يعدوه أخا أكبر لهم جميعا •

على أن هذه الاخوة انما قد ظلت محصورة في نطاق الرسائل المتبادلة بين فرعون ، وبين أولئك الذين خيل اليهم أنهم قد أصبحوا أخوة لفرعون مصر ، ذلك لأن مكانة مصر السياسية وقت ذاك ، وما كانت تتمتع به من نفوذ كبير على دول الشرق القديم ، انما يجعل من هذه الاخوة منحة من الفرعون ومن ثم فقد تنافست دول المنطقة جميعا على اكتساب ود مصر ، وصار فرعونها مركزا للمراسلات مع ملوك الشرق وحكامه ، الذين كانوا لا يفتأون يرجون فرعون أن يفيض عليهم من ذهبها ، نظير هداياهم من الجوارى الحسان ، وهكذا استقرت الامور لأمنحتب الثالث ، وارتبط بعلاقات المصاهرة مع معظم ملوك الشرق الأدنى القديم وأمرائه^(٢٥) ، وان اختلفت الامور الى حد ما على أيام ولده اخناتون (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق م) •

وتشير «رسائل العمارنة»^(٢٦) — والتي تتحدث عن هذه المصاهرات — الى أن مصر انما كانت صاحبة النفوذ في المنطقة ، ودليلنا على ذلك الطلب الذي تقدم به ملك بابل يطلب فيه السماح له بالزواج من أميرة مصرية ، وقد رفض الطلب رفضا صريحا ، في حين كانت الأميرات البابليات وغيرهن يحضرن بأعداد وفيرة الى البلاط المصري^(٢٧) •

وأما عن العلاقات الخارجية السلمية للدولة الكاشية فقد سارت في نطاقها العادى المحدود ، ومن ثم فقد سرت قوافلها التجارية في مساراتها

(٢٥) محمد بيومى مهران : اخناتون — عصره ودعوته — القاهرة ص ٢٤٥ •

(٢٦) انظر عن رسائل العمارنة (محمد بيومى مهران : اخناتون ص ٢٣٣ - ٢٤٥) •

(٢٧) الكسندر شارف : تاريخ مصر — ترجمة عبد المنعم أبو بكر ص ١٣٦ ، وكذا

S. A. B. Mercer, The Tell - el - Amarna Tablets, I, Toronto, 1939, P. 13, 63.

J. A. Kundtson, Die El-Amarna Tafeln, I, Leipzig, 1908, P. 73.

القديمة مع بلاد الشام ومصر ، وكانت النصوص المصرية قد ذكرت اسم بابل مرتين خلال عصور دولتها الحديثة ، حتى عصر «تحتمس الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) ، ثم أغفلته تماماً ، ربما بعد انتقال أزمة الحكم الى الكاشيين ، واستخدمت بدله كلمة «سنجار» لدلول يتسع عن المدلول الاقليمي لكلمة بابل ، كما ذكرت اسم جبل سنجار ، وهو جبل يقع غربى الموصل (٢٨) .

على أن العلاقات المصرية البابلية انما اكتسبت طابع الصداقة الشخصية خلال القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وتمخضت هذه الصداقة عن مصاهرة البيتين الحاكمين أكثر من مرة ، كما حدث على أيام «كدشمان انليل الاول» ، حيث تزوج الفرعون أمنحتب الثالث بأبنة الملك البابلى ، رغم وجود شقيقة الملك البابلى نفسه فى البلاط الفرعونى ، أى أن الفرعون انما أراد أن يجمع بين المرأة وعمتها ، وقد أرسل الملك البابلى يشكو من عدم توفيقه فى معرفة ، ان كانت أخته — والتي أرسلت كزوجة الفرعون — لا تزال حية أم ماتت (٢٩) .

على أن الفرعون — رغم ترحيبه بمصاهرة الملوك الاسيويين — انما كان ضنينا بأميرات بيته ، ولعله كان يرى أن دماء الفراعين ليست من دماء عامة الدم ، وانما هى دماء عزيزة مقدسة ، وأن بناته اللائى يجرى فى عروقهن الدم المقدس ، أرفع من أن تحتويهن مضاجع الملوك من غير آل فرعون (٣٠) .

وهكذا نقرأ فى رسائل العمارنة عن الملك البابلى «كدشمان انليل

(٢٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٨٦ ، وكذا H. Gauthier, Dictionnaire.

des Noms Geographique, II, Paris, 1928, P. 20 F.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 208.

AM, I, P. 10-14.

وكذا

(٣٠) أحمد بدوى : فى موكب الشمس — الجزء الثانى — القاهرة

١٩٥٠ ص ٧٣٨ .

الاول» الذى سأل أمنحتب الثالث أن يزوجه من امرأة مصرية ، فرفض الفرعون هذا الملتبس باحتقار وتعال ، بحجة أنه «لم يسبق أن أرسلت أميرة مصرية الى أى انسان ، وحين يعيد الملك البابلى سؤاله ، لم يكن نصيبه هذه المرة بأفضل من الاولى ، ومن ثم نراه يطلب من الفرعون أن يزوجه من أية امرأة ، ولم يشترط سوى أن تكون مصرية ، ما دام فرعون لم يشأ أن يزوجه من ابنته ، وهو يلتبس هذه المرأة حتى يمـوه على شعبه بأنه قد تزوج من امرأة مصرية ، ولعله شرف كان يصبـو الى تحقيقه (٣١) .

هذا وهناك رسالتان من «بورنا بورياش الثانى» (١٣٧٥ - ١٣٤٧ ق.م) تشيران الى نوع من الاضطراب كان قد بدأ فى فلسطين فى عهد «اخناتون» (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م) ، حتى أن قائد احدى القوافل البابلية قد تعرض للنهب مرتين من الامراء الفلسطينيين الخاضعين للفرعون (٣٢) ، هذا فضلا عن حادث آخر فى فلسطين قتل فيه بعض رجال الملك البابلى ، ومن ثم فقد أرسل الى اخناتون يطلب منه تأديب هؤلاء الامراء الخاضعين ، قائلا «كنعان أرضك ، وملوكها خدمك» (٣٣) ، ثم يؤيد طلبه بهدية هى : ثلاث مينات من اللآزورد ، وخمسة خيول مقطورة ، وخمس عربات (٣٤) .

على أن مصر ، رغم علاقات المصاهرة التى تربطها ببابل ، انما كانت تشجع آشور ضد بابل ، ومن ثم فهناك اشارة سريعة فى رسالة من «بورنا بورياش» الى اخناتون ، يطلب منه فيها أن لا يتدخل فى شئون

(٣١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢١٧ ، محمد بيومى مهران : مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٢٤٠ ، وكذا

J. A. Kundtson, Op. Cit., P. 73.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 13, 63.

32) F. J. Giles, Ikhnaton, London, 1970, P. 160.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., L. 73 F.

وكذا

33) F. J. Giles, Op. Cit., P. 161.

S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 25.

وكذا

(٣٤) ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص ٥٥ .

الاشوريين ، الذين كان يعتبرهم الملك البابلي من رعاياه ، غير أن فرعون لم يعر هذه الاشارة كبير اهتمام^(٣٥) .

وكان ملوك بابل — شأنهم في هذا شأن ملوك الشرق الادنى وأمرائه — انما يلحون في طلب الذهب من مصر ، يبدو هذا وضحا في الرسائل المتبادلة بين «كدشمان انليل الأول» و «أمنحتب الثالث» والذي كان الموضوع الاساسى فيها رغبة الملك البابلي الملحة في الحصول على منحتة من ذهب فرعون^(٣٦) ، والامر كذلك بالنسبة الى «بورنا بورياش الثانى» الذى يطلب من فرعون ذهباً كثيراً^(٣٧) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن علاقة بابل آشور انما كانت قوية الى حد ما ، ولعل أول قبس يستطيع أن يلقى شيئاً من الضوء عليها انما يرجع الى عهد الملك الكاشى «كراينداتس» الذى عقد معاهدة مع معاصره الاشورى «آشور — بل — نشييشو» Ashur - Bel - Nisheshu . اثبتت الحدود بين البلدين ، الامر الذى ينسب الى أن لونا من النزاع قد شجر من قبل ، وانتهى في عهدهما بهذه المعاهدة ، وبعد جيل من الزمان عقد «بورنا بورياش» معاهدة مماثلة مع معاصره الاشورى وقد ظلت العلاقات بين البلدين مدى قرون ثلاثة تتأرجح بين مسالة وعدوان ، وإن لم تستطع آشور خلالها أن تصل الى درجة من القوة تمكنها من السيطرة على الجنوب .

ومن المعروف أن «بورنا بورياش الثانى» قد وطد علاقته بالملك «آشور أو بلط الاول» وتزوج من ابنته ، التى أنجبت له «كدشمان خاربى الثانى» ، الذى تلاه فى الحكم ، غير أن ثورة قامت ضده أدت الى قتله ، ومن ثم فقد تدخل جده «آشور أو بلط الاول» ، فقضى على الثورة ، وأقام حفيده الثانى «كوريجالزو» الثانى ، الذى كان أول ملك

35) S. A. B. Mercer, Op. Cit., P. 29.

36) Ibid., P. 31.

37) Ibid, P. 29.

كاشى ينقل الحرب الى أرض عدوه العيلامى حتى تمكن من هزيمته فى منطقة دىالى ، ثم طارده فى بلاده وغزا عاصمته سوسه (٣٨) .

وتمر الايام ، ويدب الضعف فى الاسرة الكاسية ، ويتهدها الاشوريون والعيلاميون ، وهكذا رأينا الملك الاشورى «توكلتى نينورتا الاول» (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م) يهاجم بابل على أيام الملك «كاشتيلياش الرابع» (١٢٤٢ - ١٢٣٥ ق.م) ، ويستولى عليها ، ويعزل الملك البابلى ، ويجعل من «كاردونياش» (اسم الاقاليم البابلية فى العهد الكاشى) ولاية من ولاياته ظلت كذلك حتى موته ، وقد استعمل الاشوريون القسوة فى بابل ، فدمروها وسلبوا كنوزها .

غير أن البابليين سرعان ما أعلنوا الثورة ضد الملك الاشورى ، بل وجهوا حملة ضد آشور نفسها ، بقيادة «أدد - شوما أوصر» (١٢١٨ - ١١٨٩ ق.م) الذى نجح فى أن يرد للبابليين كرامتهم ، بل وأن يطارد الاشوريين حتى مشارف آشور نفسها ، ثم تابع سياسته خليفته (١١٧٣ - ١١٦١ ق.م) ، غير أن آشور سرعان ما نجحت فى عهد «أشور - دان الاول» (١١٧٩ - ١١٣٤ ق.م) فى أن توقع الهزيمة بالملك البابلى «زبابا - شوما - ادينا» فى عام ١١٦٠ ق.م ، وأن تسترد الاقاليم المجاورة لها .

وفى عهد الملك العيلامى «شترك نخنته» هاجم العيلاميون العراق ، واستولوا على بابل فى نفس العام (١١٦٠ ق.م) وذبخوا ملكها ، ونهوا «أوبس» (قرب طيسفون عاصمة الساسانيين فيما بعد) ، فضلا عن «دور كوريجالزو» ، ويفاخر الملك العيلامى بأنه استولى على أكثر من ٨٠٠ قرية ، ثم حمل الى سوسة أغلب آثار البلاد الفنية ، مثل نصب سرجون الاكدي ، ونصب «نارام سن» ومسلة «مانيشتوسو» ، ونصب

(٣٨) سامى الاحمدى : المرجع السابق ص ١٠٤ ، نجيب ميخائيل
المرجع السابق ص ٢٢١ - ٢٢٢ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 229.

تشريعات حمورابي ، ونصب أخرى كاسية وغير كاسية كثيرة ، وأكبر الظن أنهم قد أجبروا الاسرى البابليين على نقلها بأنفسهم الى سوسة ، رغم ضخامتها ، وشدة ثقلها ، ثم منح الملك العيلامي المنتصر «شترك نخنته» بابل لولده «كوتير ناهونتي» الذي صلبه في حملته هذه (٣٩) .

ثالثا - أسرة بابل الرابعة - أسرة ايسين الثانية

رأينا من قبل ، كيف استطاع العيلاميون الاستيلاء على بابل في عام ١١٦٠ قبل الميلاد ، على يد الملك العيلامي «شترك نخنته» ، غير أن الكاشيين سرعان ما نجحوا في طردهم بعد قليل، تحت قيادة الملك البابلي «انليل - نادين - اهي» الذي استمر حكمه سنوات ثلاث (١١٥٩ - ١١٥٧ ق.م) عاد العيلاميون بعدها الى احتلال بابل من جديد ، وأسقطوا الحكم الكاشي نهائيا على يد الملك العيلامي «شيلاك - أنشوثناك» ، وفي هذه المرة لم تسلم ، حتى مقار عبادة القوم من التدنيس والتخريب ، وقد أخذ العيلاميون معهم تمثال «مردوخ» كبير الالهة البابلية .

على أن هذا الاحتلال لم يدم طويلا ، رغم أن العيلاميين قد تركوا حامية كبيرة في بابل ، ذلك لأن البابليين لم يذعنوا طويلا للحكم العيلامي، ومن ثم سرعان ما عمت بابل انتفاضة وطنية كبيرة بقيادة زعيم وطني من مدينة ايسين يدعى «مردوك - كابت - أهيشو» (١١٥٦ - ١١٣٨ ق.م) ربما في السنة الاولى من الاحتلال العيلامي ، وقد نجح البابليون هذه المرة في طرد الحامية العيلامية ، فضلا عن تأسيس أسرة حاكمة جديدة عرفت باسم «أسرة ايسين الثانية» ، وهي نفسها أسرة بابل

(٣٩) سامي الاحمد : المرجع السابق ص ١٠٤ ، عبد العزيز صالح :
المرجع السابق ص ٤٩١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٣ ،
G. Roux, Op. Cit., P. 244.
وكذا
J. Wiseman, Op. Cit., P. 446.
R. Labat, Op. Cit., P. 486-487.

الرابعة ، تعاقب على الحكم فيها أحد عشر ملكا ، حكموا زهاء قرن من الزمان (حوالي ١١٥٦ - ١٠٣٥ ق م) (٤٠) .

وليس هناك من ريب في أن أعظم ملوك هذه الأسرة ، إنما هو ملكها الرابع «نبوخذ نصر الاول» (٤١) (١١٢٤ - ١١٠٣ ق م) ، والذي يعد واحدا من أشهر ملوك العراق القديم ممن استطاعوا مقارعة العيلاميين ، ووضع حد لاعتدائهم على البلاد ، بل وقاد حملة ضدهم حققت نصرا كبيرا ، أكسب «نبوخذ نصر» شهرة واسعة بين معاصريه وبين الاجيال اللاحقة ، ومن ثم فقد صار هذا الحدث التاريخي مناسبة عظيمة يتغنى بها المقوم ، بل ان صدى هذا الحادث انما بقي يتردد عبر أجيال لاحقة ، حيث أشارت اليها «نصوص القائل» الاشورية في القرن السابع قبل الميلاد .

هذا فضلا عن أن هذا النصر انما قد رفع من روح الملك «نبوخذ نصر» المعنوية ، بحيث أصبح قادرا في الوقت نفسه على تحصين حدوده الشمالية ، من أي عدوان يمكن أن تتعرض له ، ولئن انتحل «نبوخذ نصر» لقب «فاتح أمورو» ، الا أن مما يشك فيه كثيرا أن ذلك كان صحيحا بل ربما لم يعد الامر غارة على اقيم الفرات الاوسط (٤٢) .

(٤٠) فاضل عبد الواحد : سلالة ايسين الثانية - كتاب العراق في التاريخ ص ١٠٧ - ١٠٩ ، ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٨ - ٤٤٩ وكذا انظر

J. A. B. Brinkman, A Political History of Post-Kassite Babylonia (1158-722), Rome, 1968.

(٤١) نبوخذنصر ، ويعنى اسمه «نابو - كودورو - أوصر» (Nabu - Kuduri-Usur) «الاله نابو يحمي ذريتي» ، ذلك لأن كلمة «كودورو» (Kudurri) لها معنيان ، الواحد «حجرة الحدود» (Frontier Boundary) وهي عبارة عن حجر تنقش عليه رموز الالهة ، مع نص مكتوب يعين حدود الاراضي والحقول الزراعية الممنوحة لشخص ما ، والثاني وهو الأرجح ، الذريرة أو الوريث (فاضل عبد الواحد المرجع السابق ص ١٠٩ ، وكذا (G. Roux, Op. Cit., P. 228, 257

(٤٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٨ ، فاضل عبد الواحد المرجع السابق ص ١٠٩ - ١١٧ . وانظر

G. Roux, Op. Cit., P. 257-258.

L. King, BBS, 6, P. 29-36.

غير أن أسرة ايسين الثانية سرعان ما تتعرض — بعد وفاة نبوخذ نصر الاول — الى تحديات قوية تمثلت في اختعاش الاشوريين وبعوتهم كقوة مؤثرة في شمال بلاد النهرين في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، فضلا عن ضغوط القبائل الارامية على بابل ، والتي بدأت تنتشر على طول الفرات ، وتتدخل في الشؤون البابلية .

وفي عهد «أداد — ابل — ادينا» (Adad-Apal-Iddina) (١٠٦٧) نصر الاشوريين وضعه الاشوريون على عرش بابل ، ربما على أمل أن يوقف طوفان الاموريين المنهم نحو جنوب العراق ، وفي هذا العهد خرب آل «سوتو» (Sutu) معبد الاله شمش في سيبار ، وعلى أية حال فرغم أن الملك البابلي قد عقد أواصر الود والمصاهرة مع معاصرة الاشوري «أشور — بيل — كالا» (١٠٧٤ — ١٠٥٧ ق م) الذي تزوج من ابنته ، غير أنه لم يستطع أن يكفل الامن الداخلي في دولته ، وأحدثت التحركات الارامية القبلية الداخلية كثيرا من الاضطرابات حتى تعاقبت ثلاثة أسر حاكمة في نحو نصف قرن (من الخامسة الى السابعة) وكانت الاسرة الثامنة التي تلتها أفضل حظا في طول أمد حكمها ، ولكن كان عليها أن تنتظر مصيرها المحتوم على أيدي الاشوريين في عصرهم الحديث ، ثم يليها أسرتان بابليتان ، هما الاسرتان التاسعة والعاشرة (٤٣) .

وأما هذه الاسرات البابلية من الخامسة الى العاشرة فهي : —

١ — أسرة بابل الخامسة (أسرة القطر البحري الثانية) :

وتتكون هذه الاسرة من ثلاثة ملوك هم : سمير — شيباك (١٠٢٤

(٤٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٢ ، نجيب مبخائيل : المرجع السابق ص ٢٢٥ وما بعدها ، فاضل عبد الواحد : المرجع السابق ص ١١٧ — ١١٨ ، وكذا

G Roux, Op. Cit., P. 260-261.

L. King, Op. Cit., II, P. 143-179.

F. Malbran, in JA, 1972, P. 15 F.

— ١٠٠٧ ق.م) ٢ — ايا — موكين — زيري (١٠٠٧ ق.م) ٣ — كاشو
— نادن — آهي (١٠٠٦ — ١٠٠٤ ق.م) *

٢ — أسرة بابل السادسة (أسرة يازي) :

وتتكون من ثلاثة ملوك هم : ١ — «أبولاماش — شاكين — شومي»
(١٠٠٣ — ٩٨٧ ق.م) ٢ — نينورتا كودوري — أوصر (٩٨٦ — ٩٨٤
ق.م) ٣ — شيريكتي — شوقا مونا (٩٨٤ ق.م) *

٣ — أسرة بابل السابعة (الأسرة العيلامية) :

وتتكون من ملك واحد هو «مار — بيتي — ابلا — أوصر» (٩٨٣ —
٩٧٨ ق.م) *

٤ — أسرة بابل الثامنة (أسرة اي) :

وتتكون من ٢٢ ملكا ، حكمت حوالي ٢٤٥ عاما في الفترة (٩٧٧ —
٧٣٢ ق.م) ، وعاصر سقوطها عصر الملك الاشوري «تجلات بلاسر
الثالث» (٧٤٥ — ٧٢٧ ق.م) *

٥ — أسرة بابل التاسعة :

وتتكون من ١٦ ملكا ، وحكمت ١٠٥ سنة ، في الفترة (٧٣١ —
٦٢٦ ق.م) ، وعاصر سقوطها الملك الاشوري «أشور بانيبال» (٩٩٩ —
٦٢٦ ق.م) *

٦ — أسرة بابل العاشرة (الأسرة الكلدانية) :

وتتكون من ستة ملوك ، وحكمت ٨٧ عاما في الفترة (٦٢٦ — ٥٣٩

ق.م) ، حيث انتهت في ١٣ أكتوبر عام ٥٣٩ ق.م ، على يد العاهل
الفرسي «كيروش الثاني» (٥٥٨ - ٥٣٠ ق.م) (٤٤) .

(٤٤) انظر عن هذه الاسر (ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٤٩-٤٤٨).

• (٤٥١)

البَابُ السَّادِسُ

الأشـوريون

الفصل الأول

الآشوريون فيما قبل عصر الامبراطورية

(١) الموقع والسكان :

كان الاشوريون يسكنون — بادية ذى بدء — الارضين التى تقع على جانبى نهر دجلة ، من خط عرض ٣٧ شمالا ، وحتى مصب نهر العظيم جنوبا ، وتحدها من الشمال والشرق سفوح الجبال الشاهقة ، وهى — على أية حال — ارضين على هيئة مثلث من الدجلة والزاب الاعلى والاسفل (الزاب الكبير والصغير) ، وتحاذيه من الشمال والشرق جبال عالية وهضاب وارضين تتخللها النجاد والاغوار ، فهى ليست ارضا منبسطة ، بل هى بلاد ذات طبيعة جبلية فى أغلب الامر ، تحصر بينها الرقعة الخصبة التى تمثل وديان الانهار ، الانفة الذكر ، وهذه الرقعة الخصبة من الاراضى صالحة للزراعة ، عرفت بها بضعة سهول ، من بينها سهول أربيل وكركوك •

هذا وكانت الجبال من الشمال والشرق بمثابة حدود طبيعية للاقليم ، أما فى الجنوب والغرب فالطريق مفتوح الى الجنوب بغير حدود طبيعية حتى الخليج العربى ، والى الغرب حتى الفرات ورافده وما وراءه ، ومن ثم فالحدود السياسية جنوبا وغربا خاضعة لمدى التوسع الاستعمارى ، تتقلص مرة ، وتمتد أخرى ، تبعا لمدى السلطان السياسى للاقليم •

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن كلمة «أشور» (Assur) ، انما تعنى فى الواقع ، الاقليم المعروف بهذا الاسم ، كما تعنى المدينة التى تحمله ، والمعبود الذى كان يعبد هناك ، وربما كانت هذه التسمية نسبة الى اسم أول عاصمة لهم ، وهى مدينة «أشور» ، ومن ثم فقد أطلق الاسم على الاله القومى للاشوريين وظلت هذه التسمية حتى القرون الاخيرة من الالف الاولى قبل الميلاد ، أى حتى بعد زوال كيان الاشوريين السياسى •

وأما معذى كلمة «أشور» فغامض ، ويذهب الدكتور طه باقر الى أن من معانى الصيغة «آشر» ، «الرحمن» وأنه من المحتمل أن يكون اللفظ سومرى الاصل ، كما جاء فى النصوص القديمة ، وعلى أية حال ، فلقد وردت كلمة «آشور» فى المصادر الارامية والعربية تحت اسم «أثور» ، وأما فى المصادر المسمارية فقد عرفت بلاد الاشوريين باسم «مات آشور» ، أى «بلاد آشور» ، كما وردت كلمة آشور فى هذه المصادر من القرن الثالث عشر قبل الميلاد «آش شر» ، ووردت أيضا تحت صورة «آ - نو - ار» و«آشر» ، وأما فى المصادر المصرية ، فلقد ذكرت - لأول مرة - فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، باسم «اسور» على أيام الفاتح المصرى «تحتتمس الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) ، وذكرت أن أميرها قد أهدى الى الفرعون كمية من اللازورد الحمر ، وأحجارا كريمة أخرى ، كما ورد اسم آشور فى التوراة على أنه من أبناء «سام بن نوح» ، كما ذكرها «بطليموس الجغرافى» (١٢١ - ١٥٠ م) فى كتابه الذى أخرجه حوالى عام ١٥٠ م باسم «جغرافية بطليموس» .

هذا ورغم أن هناك خلافا حول «أصل الاشوريين» ، غير أن الراجح أنهم من شعبة سامية هاجرت من شبه الجزيرة العربية - الموطن الاصلى للساميين^(١) - ومن ثم فلم يكن الاشوريون بالاقوام الغربية أو الاجنبية عن معظم سكان العراق الآخرين الذين عاشوا قبلهم أو بعدهم ، فهم ينتمون الى الاصول نفسها ، والى الشجرة ذاتها ، التى تفرعت عنها الاقوام الاكدية والبابلية (الامورية) والكلاية والارامية والعربية ، وهى الاقوام الرئيسية التى استوطنت العراق منذ مطلع الالف الرابع قبل الميلاد وما بعده ، وكان منبت تلك الشجرة الاولى فى شبه الجزيرة العربية ، وهكذا - كما يقول «أندريه بارو» - لم يكن الاشوريون الذين ظفروا بالسيطره على بلاد الرافدين فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، من الوافدين الجدد الى المنطقة قط ، فالواقع أنه خلال

(١) انظر (محمد بيومى مهران : الساميون والآراء التى دارت حول موطنهم الاصلى - الرياض ١٩٧٤) .

الألفى سنة السابقين ، لا يوجد أقدم منهم من يزعم انتسابه الى هذه البلاد ، فنحن نجدهم يستوطنون منطقة أعالي دجلة منذ بداية فجر التاريخ •

ويذهب الباحثون الى أن الاشوريين انما قد سلكوا الى شمال العراق أحد طريقين — أو هما معا — ، الواحد : شرقا الى وادي الفرات ، ثم اتجهوا شمالا حيث استقروا هناك ، والاخر : شمالا الى سورية، ومنها نزحت الجماعات المرحلة في صورة الساميين الغربيين الى الشرق ، موطن الاستقرار الجديد •

وأيا ما كان الامر ، فإن الاشوريين لم يداؤ في أرض فضاء ، وانما سكنوا بقاعا سبقهم اليها قوم آخرون . عرفنا منهم «سوبارتو» (Subartu) الذين كانوا يشغلون من قبل الاقليم الواقع بين دجلة وزاجروس ، وهم ليسوا بساميين على أية حال . ومن ثم نستطيع أن نتخيل صراعا ينشب اثر تقدم موجات الساميين الزاحفة من المغرب أو الجنوب ، أو منهما معا ، بينهم وبين المواطنين الاصليين من السوباريين ، وقد انتهى هذا الصراع بغلبة العناصر الوافدة واستقرارها هناك . وان ظل البابايون فيما بعد لا يفرقون كثيرا بين الاشوريين والسوباريين ويعتبرونهم جنسا واحدا ، وربما كان سبب ذلك الاندماج المباشر بين العنصرين على مر العصور ، بل ويرجح البعض أن السومريين نزلوا في هذه النواحي قبل الساميين الغربيين ، وجعلوا منها مركزا لحضارتهم الشمالية •

هذا وتشير لغة الاشوريين الى أصولها السامية ، فلقد تحدث القوم بلهجة من لهجات اللغة الاكدية ، وهي اللغة التي انتشرت في أنحاء العراق منذ أواسط الالف الثالثة ، وحتى أواخر الالف الاولى قبل الميلاد ، واستخدموا الخط المسماري ذاته الذي ابتدعه السومريون ، وطوره الاكديون والبابليون ، كما اتصفت معتقداتهم الدينية وأفكارهم وحياتهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من نظمهم المختلفة . بالصفات

العامة التي اتصفت بها مثيلاتها عند بقية سكان العراق القديم ، حتى بات من الصعب علينا أن نميز بين أصول العناصر المختلفة ، أهى سومرية أم أكديّة ؟ بابلية أم آشورية ؟ بل ان التشابه الحضارى بين الشمال والجنوب ، لا سيما بين الاكديين والاشوريين فى عهدهم القديم ، قد دفع البعض الى الاعتقاد بأن الاشوريين انما كانوا قد استقروا — فى بادية أمرهم — فى جنوب العراق ، ثم نزحوا الى الشمال فى فترة متأخرة نسبيا^(٢) هذا فضلا عن أن هناك من يذهب الى أن الاشوريين — رغم أنهم كانوا يتكلمون لغة سامية ، ومن ثم فهم يعتبرون من الشعوب السامية — غير أن المنطقة التي سكنوها فى شمال العراق انما قد تعرضت لغزوات شعوب الجبال والشعوب «المهندو — أوربية» وقاست كثيرا على أيديهم ، كما أصبح سكان آشور خليطا من أجناس مختلفة ، ولم يكونوا ساميين من دم نقى ، ورغم أن الاسرة الحاكمة كانت تحمل أسماء سامية ، الا أنه لا يمكن معرفة أصلها ، الامر الذى أدى الى أن يتطبع الاشوريون بطباع غير سامية ، ويظهرون قسوة ، مخالفين بذلك التقاليد السامية القديمة على أيام الدولة الاكديّة^(٣) .

(٢) العواصم الاشورية :

١ - آشور :

كانت مدينة آشور هى أولى عواصم الاشوريين ، وقد أقيمت فوق

(٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٣٧ - ٢٣٩ ، عامر سليمان : العصر الاشورى - كتاب العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ ص ١١٩ - ١٢٠ ، طه باقر : مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة - الجزء الاول - بغداد ١٩٥٥ ص ١٦٣ - ١٦٧ ، أندريه بارو : بلاد آشور - ترجمة عيسى سلمان ، وسليم التكريتى - بغداد ١٩٨٠ ص ١٧ - ١٨ ، ول ديورانت : قصة الحضارة - الجزء الثانى ص ٢٦٥ - ٢٦٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٨ - ٤٩٩ ، تكوين ٢٢/١٠ ، وكذا

Urk., IV, 668, 6, 671, 8.

G. Roux, Op. Cit, P. 177-178, 182.

J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 37.

T. J. Gelb, Hurrians and Subarians 1944.

M. F. Unger, Op. Cit., P. 100-101.

(٣) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٨ .

ربوة صخرية تحف بها مياه نهر دجلة التي أصبحت حماية طبيعية لها ، ربما ، فيما يرى البعض ، منذ الالف الثالثة قبل الميلاد ، وتعرف خرائبها اليوم باسم «القلعة» أو «قلعة شرقاط» ، وتقع على مبعدة ٩٦ كيلا جنوبى مدينة الموصل الحالية ، وقد استمرت مدينة آشور مركزا سياسيا للبلاد على مدى فترة طويلة من التاريخ العراقى القديم .

هذا وقد عثر فى خرائبها على أسس لمعابد بعض الالهة مثل آشور وآنو وأدد ، ولعل من أشهر هذه المعابد معبد الاله آشور الذى بنى على أيام الملك «آشور شمشى أداد» الاول (١٨١٣ - ١٧٨١ ق.م) ويعتبر من النماذج الاساسية فى تفسير عمارة المعابد الاشورية ، ودليلا لطرز المعابد الاشورية فى العصر الاحدث ، وقد جمع بين الطرز المعروفة فى جنوب العراق ، والتي بنيت على هيئة بيوت ذات فناء فى الوسط ، ومنها معبد شوسن فى تل أسمر ، وبين الطرز التي عرفت فى فجر الاسرات ، ذات الغرف المقدسة الطويلة ، كما عثر كذلك على تماثيل لبعض الملوك ، فضلا عن عدة مسلات ، وجد على أحدها اسم «سمورامات» (سميراميس) زوج الملك «شمسى أداد الخامس» (٨٢٣ - ٨١١ ق.م) والتي أصبحت وصية على العرش ، بل ان هناك من الاثار التي عثر عليها فى آشور ، انما يرجع الى الالف الثالثة قبل الميلاد ، من ذلك النوع السومري .

٢ - كالح :

كانت مدينة «كالح» (Kalah) (كالحو = كالحو) - والمعروفة حاليا باسم «نمرود» (Nimrud) - هى العاصمة الاشورية الثانية ، وتقع على الضفة اليسرى لنهر دجلة عند ملتقاه بنهر الزاب الاعلى ، وعلى مبعده ٣٠ كيلا جنوبى نينوى وعلى مبعده ٣٥ كيلا جنوب شرقى الموصل ، وقد أسسها «شلمنصر الاول» (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق.م) ، وسكنها البابليون الذين قام بتهجيرهم «توكلتى نينورتا» الاول (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق.م) ، وأما التوراة فتنسب تأسيسها الى من تدعوه «نمرود» ،

هذا وقد شيد فيها الملك «أشور ناصر بال الثانى» (٨٨٣ — ٨٥٩ ق.م) قصرا ، ثم اتخذها عاصمة لدولته .

هذا وقد قام بالحفر فيها (A. H. Layard) فى الفترة (١٨٤٥ — ١٨٥١م) وكذا (M. Mallowan) فى عام ١٩٤٩م ، وكشفت الحفريات عن معبد للاله «نينورتا» يتكىء على زاقورة مربعة ، طول ضلعها ٥١م ، وارتفاعها ٤٥م ، كما عثر على مسلة نقش عليها رسم «أشور ناصر بال الثانى» ، هذا فضلا عن قصر يعده الاثاريون ، أول القصور الكبيرة لمملكة آشور الجديدة ، وبه كثير من النقوش التى تصف أعمال «أشور ناصر بال الثانى» ، وتصف البناء وظروف تشييده ، وحفر قناة لرى المنطقة .

والى الجنوب من قصر «أشور ناصر بال الثانى» كان قصر «أداد نيرارى الثالث» (٨١٠ — ٧٨٣ ق.م) والذى سكنه أيضا «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٤ — ٧٢٧ ق.م) ، والى الجنوب منه قصر «اسر حدون» (٦٨٠ — ٦٦٩ ق.م) وغير ذلك من المباني الدينية والسكنية ، وعلى أية حال ، فلقد دمرت هذه المدينة فى عام ٦١٢ ق.م ، على أيدي الماديين .

٣ - كاو - توكلتى - ننورتا :

أسس هذه المدينة الملك «توكلتى - ننورتا - الاول» (١٢٤٤ — ١٢٠٨ ق.م) ، واتخذها عاصمة لدولته وأضفى عليها اسمه «كار - توكلتى - ننورتا» ، وان ذهب رأى أن الذى شيد المدينة هو «أشور نادين - ابلى» (١٢٠٧ — ١٢٠٤ ق.م) ، وان نسبت الى أبيه «توكلتى - ننورتا» ، وتقع على مبعده ٣ كيلا من مدينة آشور ، وقد شيد بها قصر بقيت منه أطلال طفيفة ، يفهم منها أنهم زخرفوا بعض جدرانها بقطع من القاشانى المزخرف ، ولوحات مرسومة اقتبسوا عناصرها من عالم الحيوان والنبات ومن الخطوط الهندسية ، ونجسوا فى تحقيق التناسب والحيوية فيها الى حد معقول ، وصوروا فيها الملك يقاتل بعربته الحربية منفردا حينا ، ومشاركيا فى الحرب الى جوار جنوده ، حينا آخر .

٤ - دور شاروكين :

وكانت «دور شاروكين» (Dur - Sharrkin) خورسباد = Khorsabad هي العاصمة الاشورية الرابعة ، وقد أسسها «سرجون الثانى» (٧٢٢ - ٧٠٥ ق.م) فى سنوات سبع (٧١٣ - ٧٠٦ ق.م) ، وتقوم أطلالها الان فى مكان «خرسباد» جنوب الزاب الاسفل ، وعلى مبعده ١٦ كيلا شمال شرق الموصل ، ١٢ كيلا شمال «نينوى» وهى «خرسباد» (خورسباد) الحالية (وكلمة خرسباد محرفة من خسرو أباد) وقد بنيت هذه المدينة على هيئة مربع ضلعه ١٧٦٠ مترا ، وكان يؤدى الى المدينة طريق مبلط عرضه ١٢ مترا ، ويحيط بالمدينة سور ذو أبراج ، يزيد عددها عن ١٥٠ برجاً ، وكان للمدينة ثمانية أبواب يزينها ثيران مجنحة لها رؤوس بشرية ، تعتبر عند الاشوريين بمثابة الملاك الحارس الذى يقى المدينة من الشرور والمخاطر ، وكانت شوارع المدينة مستقيمة ومتعامدة ، ولم يبق من المدينة الان غير أطلال قصر سرجون ، وبعض الاقسام المجاورة له ، وتدل الاثار التى عثر عليها بقصر سرجون هذا على مدى ما وصل اليه فن البناء والنحت وسبك المعادن وصناعة الزجاج ، كما عثر بالقصر على عدد كبير من التماثيل البارزة والثيران المجنحة ونماذج من الخزاف المنقوشة تمثل أشكال ثيران وأسود ، كما عثر فى مخازن القصر على أدوات وآلات من الحديد تبلغ زنتها ٢٠٠ طناً .

وقد تم اكتشاف المدينة فى عام ١٨٤٣م ، وقد ظن - فى بادىء الامر - أنها انقاض «نينوى» ، ولكن تبين بعد ذلك أنها «دور - شاروكين» ، وأجريت الحفائر تحت اشراف القنصل الفرنسى «بوتس» الذى أرسل اكتشافاته الى فرنسا فى عام ١٨٤٧م ، حيث شكلت الجناح الاشورى فى متحف اللوفر بباريس ، ثم قام فيكتور بلاس وتوماس باتمام التنقيبات فى الفترة (١٨٥٢ - ١٨٥٥م) ، ثم جدد المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو الحفريات فى الفترة (١٩٢٨ - ١٩٣٥م) ، وكشفت الحفريات عن قصر سرجون الضخم ، والذى يحتوى على أكثر من مائتى غرفة ، وثلاثين

في عام ١٨٥٢م حيث عثر على قصر «أشور بانبيال» وغيره ، فضلا عن عدة معابد ، وعلى رأس من البرونز ، ربما تمثل الملك سرجون الاكدي ، كما عثر في تل النبي يونس على قصر يرجع الى أيام الملك (اسر حدون) (٦٨٠ - ٦٦٩ ق.م) (٥) .

٦ - حران :

كانت «حران» (Harra = Harra) () - وتقع على نهر بلخ ، على مبعدة ٩٦ كيلا من اتصاله بالفرات ، والى الغرب من تل حلفا ، وعلى مبعدة ٤٤٨ كيلا الى الشمال الشرقي من دمشق - هي العاصمة السياسية السادسة والاخيرة للآشوريين ، وذلك بعد سقوط «نينوى» في عام ٦١٢ قبل الميلاد ، على أيدي «البابليين والميديين» (Babylonian - Median) ، واضطر الملك الآشوري «أشور أو بلط الثاني» (Assur-Uballit) (٦١١ - ٦٠٩ ق.م) أن يتخذ من «حران» عاصمة له ، غير أن «نبوخذ نصر الثاني» (٦٠٥ - ٥٦٢ ق.م) نجح في أن يستولي عليها ، وأن يقضى على الجيش الآشوري في عام ٦٠٩ ق.م (وربما في عام ٦٠٨ ق.م) ، وأن يقضى على الدولة الآشورية نهائيا (٦) .

(٥) انظر عن العواصم الآشورية (تكوين ٨/١٠ - ١٢ ، يونان ٢/١ ، ٢/٣ - ٧ ، قاموس الكتاب المقدس ٩٩٠/٢ ، أندريه بارو : المرجع السابق ص ٣٣٣ ، ٣٤٠ ، ٣٤٢ - ٣٤٣ ، جيمس هنري برستد : انتصار الحضارة ص ٢١٧ - ٢١٨ ، ليو أوبنهايم : المرجع السابق ص ٤٨٦ ، ٥٠١ ، هنري عبودي : معجم الحضارات السامية القديمة - طرابلس - لبنان ١٩٨٨ ص ٩٠ - ٩١ ، ٤٠١ - ٤٠٣ - ٤٠٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٢ - ٥٠٣ ، محمد عبد القادر : الساميون في العصور القديمة - القاهرة ١٩٦٨ ص ٢٢٨ - ٢٢٩ .

M. F. Unger, Op. Cit., P. 161-162, 794-796.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 37, 79, 95, 114, 123-125, 133.

W. Andrae, Op. Cit., Abb. 49, Taf. 2-3, 51.

G. Roux, Op. Cit., P. 270-272, 291-292.

A. H. Layard, Nineveh, and its Remains, London, 1849.

M. E. L. Mallowan, Nimrud and its Remains, 2 Vols, London, 1966.

(٦) محمد ببومي مهران : اسرائيل ٦٢/١ ، ٩٨١/٢ ، وكذا

M. F. Unger, Op. Cit., P. 455.

=

فناء ، وأجنحة خاصة ، وستة معابد ، وزاقورة من سبع طبقات ، وقد دهنت بألوان مختلفة •

وقد اتخذ سرجون الثانى من مدينته هذه ، عاصمة لدولته ، الا أنها سرعان ما هجرت بعد موته ، وان كان هناك من يذهب الى أنها قد ظلت مقرا للحاكم (ربما حاكم المنطقة) قرابة قرن من الزمان بعد ذلك •

٥ - نينوى :

كانت «نينوى» (Nineveh) — وتقع الآن تحت تلى قوينجق والنبي يونس^(٤) ، على الضفة الشرقية لنهر دجلة ، على فم رافد صغير يدعى «الخسر» (الخور) على مبعده ٤٠ كيلا من التقاء الدجلة بالزاب الاعلى ، قبالة الموصل — وكان العبرانيون يعممون اسم «نينوى» ليشمل كل المنطقة حول التقاء الزاب الاعلى بالدجلة •

وقد اتخذ «سنحريب» (٧٠٥—٦٨١ ق م) «نينوى» عاصمة له، وان لم تعمر طويلا ، حيث سقطت فى أيدي الميديين عام ٦١٢ ق م ، وهناك ما يشير الى أن سنحريب قد أهتم بها كثيرا ، ولكى يضمن لها موردا مائيا كافيا ، وصلها بالانهار التى تجرى من الجبال الشرقية ، وذلك ببناء قناة صناعية هائلة ، كشف عنها المعهد الشرقى بجامعة شيكاغو فى عام ١٩٣٣ م •

وقد ظلت هذه المدينة مجهولة حتى كشفت عنها الحفريات التى بدأت منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادى ، ففي عام ١٨٤٧م عثر على أطلال معبد سنحريب ، والذي كان يحتوى على أكثر من ألفى نقش ، وحوالى ثمانين غرفة ، من بينها مكتبة «أشور بانيبال» (٦٦٨ — ٦٢٦ ق م) والتى تحتوى على آلاف اللوحات المسمارية ، ثم عادت التنقيبات

(٤) من المعروف أن يونس عليه السلام ، انما أرسل الى أهل نينوى (انظر : سيرة ابن هشام ٢/٢٦٦) ، وانظر القصة بالتفصيل (محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، الجزء الرابع — فى العراق — بيروت ١٩٨٨ ص ١٧٥ — ١٩٢) •

(٣) مراحل التاريخ الاشورى :

تذهب جمهرة المؤرخين الى أن التاريخ الاشورى انما ينقسم الى
مراحل ثلاثة •

الاولى : العهد الاشورى القديم : وتبدأ من فجر التاريخ الاشورى ،
وحتى نهاية حكم أسرة بابل الاولى •

الثانية : العهد الاشورى الوسيط : وتبدأ من نهاية حكم أسرة بابل
الاولى ، وحتى بداية القرن التاسع قبل الميلاد •

الثالثة : العهد الاشورى الحديث ، أو عصر الامبراطورية ، ويشغل
الفترة (٩١١ — ٦٠٩ ق م) ، وان ذهب البعض الى تقسيم هذه الفترة
الى مرحلتين ، الواحدة : عصر الامبراطورية الاولى (٩١١ — ٧٤٥
ق م) ، والثانية : عصر الامبراطورية الثانية (٧٤٥ — ٦٠٩ ق م) •

على أن هناك فريقا ثانيا انما يذهب الى أن التاريخ الاشورى انما
ينقسم الى مرحلتين فقط ، الواحدة : في الفترة (٢١٠٠ — ٩٠٠ ق م) ،
وكان القوم أثناءها يناضلون في سبيل النهوض سياسيا وعسكريا ،
والثانية : في الفترة (٩٠٠ — ٦٠٩ ق م) ، وفيها نجح القوم في تكوين
الامبراطورية الاشورية •

على أن هناك وجها ثالثا للنظر ، يذهب أصحابه الى تقسيم التاريخ
الاشورى الى مراحل أربعة رئيسية هي :

الاولى : مرحلة التبعية السومرية — الاكدية ، وقد شغلت الالف
الثالثة قبل الميلاد •

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 258

M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 273.

J. Laessle, Op. Cit., P. 124.

G. Roux, Op. Cit., P. 347.

الثانية : العصر الاشورى القديم ، ويقابل تقريبا العصر البابلي القديم •

الثالثة : العصر الاشورى الوسيط : ويبدأ من حوالى أواسط الالف الثانى قبل الميلاد ، وينتهى باعتلاء «أدد — نيرارى الثانى» العرش الاشورى فى عام ٩١١ قبل الميلاد •

الرابعة : العصر الاشورى الحديث : وهو العصر الامبراطورى للدولة الاشورية ، وقد تميز بالقوة والازدهار ، وانتهى عند سقوط العاصمة «نينوى» فى عام ٦١٢ ق م •

وسوف نأخذ بهذا التقسيم الاخير •

(١) عصر التبعية السومرية — الاكدية

كانت بلاد آشور طوال الالف الثالث قبل الميلاد خاضعة للنفوذ الحضارى — وربما السياسى — للدولة السومرية الاكدية ، التى قامت فى الجزء الجنوبى والاوسط من العراق القديم ، ولا ريب فى أن معلوماتنا عن آشور فى النصف الاول من هذه الفترة (حوالى ٣٠٠٠ — ٢٤٠٠ ق م) جد قليلة ، لا تتجاوز فى كثير من الاحايين بعض المخلقات المادية من أبنية وفخار وغيرها ، وربما كان هذا الموضع يشبه الى حد كبير مثيله فى بلاد سومر فى الفترة ذاتها ، حيث نشأت فى آشور عدة مدن ومراكز حضارية فى المنطقة ، كمدينة آشور ونينوى وغيرهما ، وربما كان بعضها على هيئة دويلات مدن صغيرة ومستقلة •

وعندما قامت الدولة الاكدية التى كانت سياستها المركزية تسعى لتوحيد جميع الدويلات والمراكز الحضارية فى الشمال والجنوب ، كان لابد من وقوع بلاد آشور ضمن نفوذها وسيطرتها ، وهناك ما يشير الى أن مدينة آشور نفسها انما كانت تمثل أحد المراكز الادارية المهمة التابعة للدولة الاكدية ، كما عثر فى نينوى فى الطبقة السادسة من معبد عشتار

على أسطوانات حجرية منقوشة بكتابة ترجع الى عصر الملك الاكدي «نارام - سن» (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق م) ، هذا فضلا عن رأس تمثال نحاسي يظن أنه للملك سرجون الاول أو «نارام - سن» ، وتمثال من البرونز لشباب جالس وعليه كتابة تشير الى عهد «نارام - سن» •

هذا وقد كشف في آشور عن عدد من النصوص القصيرة التي تذكر اسم الملكين «ريموش» (٢٣١٥ - ٢٣٠٧ ق م) و «مانيشتوسو» (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق م) ولدى الملك «سرجون الاول» (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق م) ، هذا فضلا عن الكشف عن أبنية ضخمة ، من بينها قصر واسع ، وجزء من زاقورة معبد انليل تحمل طابعا أكديا •

وهناك ما يشير الى أن التأثيرات الاكدية في بلاد آشور لم تكن مقصورة على الاساليب والطرز المعمارية والفنية والدينية ، وانما شملت كذلك اللغة والكتابة ، فاللهجة الاشورية القديمة انما تحمل تاثيرات اللهجة الاكدية القديمة ، كما اقتبس الاشوريون الكتابة المسمارية من السومريين والاكديين ، ثم استخدموها في التدوين طوال حياتهم السياسية ، هذا فضلا عن احتفاظ الاشوريين بذكرى طيبة عن الاكديين ، حتى أن بعض ملوك قد سموا أنفسهم بأسماء أكدية مروغة ، كما فعل الملك «سرجون الاول» من هذا العصر ، (وقد حكم في حوالي منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، كما أشرنا من قبل) ربما نسبة الى الملك الاكدي «سرجون الاول» أيضا •

وفي أكبر الظن أن آشور قد لاقت ما لقيه السومريون والاكديون على أيدي الجوتيين ، وقد كشفت الحفريات عن آثار التخريب من هذه الفترة ، والتي تمت على أيدي الجوتيين في كل من مدينتي آشور ونيوى ، وإن كان المؤرخون على غير يقين من تبعية الاشوريين للجوتيين ، أو أن القوم قد أقاموا لهم حكومة محلية غير تابعة للجوتيين ، وأيا ما كان

الامر ، فما أن تم طرد الجوتيين ، حتى قامت أسرة أور الثالثة (٢١١٣-٢٠٠٦ ق.م) ، وسرعان ما وقعت آشور تحت نفوذها ، وقد كشفت الحفريات في نينوى عن معبد أقيم من أجل «أمار - سين» (٢٠٤٧ - ٢٠٣٩ ق.م) ملك أور ، مما يشير الى تبعية آشور لحكم السومريين في أور (٧) .

(٢) - العصر الآشوري القديم

يشغل هذا العصر الآشوري القديم الفترة (٢٠٠٠ - ١٥٢١ ق.م) ، وهي تقابل تقريبا العصر البابلي القديم (٢٠٠٦ - ١٥٩٥ ق.م) ، حيث قامت في هذه الفترة أسر حاكمة مستقلة في آشور وفي كثير من المدن العراقية الرئيسية ، وكان الصراع في هذه الفترة بين هذه الاسرة المحلية الحاكمة على أشده للسيطرة على الطرق التجارية والاراضي الزراعية ، وقد استمر هذا الصراع - كما رأينا من قبل في هذه الدراسة - حتى عصر حمورابي ، الذي أعاد للعراق القديم وحدته ، فضم تحت لواء دولته جميع الدويلات والمدن العراقية في الشمال والجنوب ، بما في ذلك بلاد آشور ، ونستطيع - طبقا للمعلومات المتوفرة لدينا - أن نميز بين مراحل ثلاثة رئيسية مرت بها بلاد آشور في هذا العصر .

كانت المرحلة الاولى (٢٠٠٦ - ١٨١٤ ق.م) ، مرحلة غامضة ، ربما لا تعدو في بعض الاحايين أسماء الملوك ، وربما بعضهم ، الى جانب أعمالهم العمرانية ، كما وردت في جداول الملوك الآشوريين التي دونت في فترة متأخرة ، وكذا في بعض نصوص الابنية التذكارية ، هذا فضلا عن بعض المعلومات من النصوص المكتشفة في المستوطنة التجارية الآشورية في منطقة قبادوقيا في آسيا الصغرى .

وعلى أية حال ، فلقد استطاع «بوزور آشور الاول» أن يؤسس

(٧) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٤ .

أسرة حاكمة في آشور ، نجح حفيده «ايلوشوما» (١٩٤٠ - ١٩٠٦ ق.م) في أن يوطد دعائمها ، وأن يقيم علاقات ثابتة مع معاصر البابلي ، بل وأن يقوم بحملة على بلاد بابل ، ربما للسيطرة على الطرق التجارية الموصلة الى بلاد عيلام والخليج العربي ، سالكا الطريق الواقع الى الشرق من دجلة ، ثم ادعى بأنه حرر مدينتي أور ونفر اللتين كانتا تقعان على الطريق التجاري الى الخليج العربي^(٨) .

وهناك عقد يرجع الى العام العاشر من حكم الملك البابلي الشهير «حمورابي» يذكر فيه اسم الملك الاشوري «شمشي أداد» ، الامر الذي قد يشير الى أن حمورابي ربما كان في العقد الاول من حكمه خاضعا لهذا الملك الاشوري^(٩) .

ثم يبدأ الغموض بعد ذلك يخيم على تاريخ آشور ، وربما وقعت آشور تحت نفوذ مملكة اشنونا ، على أن الغريب من الامر أننا في وسط هذا الضباب ، سرعان ما تتوافر لدينا المعلومات عن علاقة آشور التجارية مع شرقي بلاد الاناضول ، فلقد أشارت النصوص المسمارية المكتشفة في «كانش» — وهي كول تبة الحالية ، على الضفة اليسرى لنهر هاليس ، شمالي قيصرية — بمنطقة قبادوقيا الى وجود جماعات من التجار الاشوريين كانت تقطن في شرقي بلاد الاناضول في مراكز تجارية ذات تنظيمات ادارية وقانونية خاصة بها .

ورغم أننا لا نعرف على وجه اليقين متى بدأ اتصال الاشوريين التجاري بآسيا الصغرى ؟ وكيف حدث هذا الاتصال ؟ وهل تم سلما أم عنوة ؟ غير أن أكبر الظن انما قد تم منذ ظهور الكيان السياسي للاشوريين ، وأنه كان في بدايته — على الاقل — اتصالا سلميا ، وأنه

(٨) نفس المرجع السابق ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٩) سامي الاحمدى : المرجع السابق ص ٨٨ - ٨٩ ، وكذا

C. J. Gadd, Hammurabi and The End of his Dynasty, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, P. 177.

كان نشاطا تجاريا واسعا ، وآية ذلك اقامة هذه المراكز التجارية الاشورية المتعددة بمنطقة وسط الاناضول ، والتي يمكن تحديدها بحوض نهر هاليس وتخومه المباشرة ، وما وراء هذا الحوض جنوبا حتى سهل قونيا وأقاليم قليقيا ، وشرقا حتى مشارف أعالي الفرات ، وأنه كان لاستغلال ثروات هذه البلاد ، وممارسة نشاط تجاري كبير بها ، دون أن يتكبدوا في ذلك جهدا حربيًا يذكر ، حيث خلت نصوصهم من الإشارة الى توجيه حملات حربية الى هذه البلاد .

على أن هناك من الباحثين من يذهب الى أن هذه المراكز التجارية انما قد مارست نشاطها من خلال كونها مستعمرات أقامها الاشوريون للسيادة وفرض النفوذ على آسيا الصغرى ، وكانت «كانش» بمثابة مركز للإدارة الاشورية الحاكمة ، وقد اعتمد أصحاب هذا الاتجاه على أنه من الصعب أن يحقق الاشوريون هناك استغلالا اقتصاديا كاملا، دون سيطرة سياسية ، فضلا عن عبادة الاله آشور في هذه المراكز التجارية بآسيا الصغرى ، وتشابه بعض التنظيمات الادارية بهذه المراكز التجارية مع مثيلاتها في آشور^(١٠) .

وأكبر الظن أن هذه المراكز التجارية انما كانت خاضعة سياسيا لأمراء الدويلات المحلية ، مع تمتعها بنوع من الاستقلال الذاتي والحماية العسكرية ، مقابل ضرائب معينة كانت تدفع للأمراء المحليين ، وأما علاقة هذه المراكز بالدولة الاشورية ، فربما كانت من نوع علاقة الفرع بالاصل وآية ذلك أنها كانت تدين بالديانة الاشورية ، وتعيش الحياة الاشورية ، مع بعض التأثيرات المحلية ، ومن ثم فقد تشابهت العقود التجارية والقوانين الاشورية التي كشف عنها في «كانش» بتلك التي كانت في بلاد آشور نفسها .

(١٠) محمد عبد اللطيف : المراكز التجارية الاشورية في وسط آسيا الصغرى في العصر الاشوري القديم - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ١٨،٤،٣ ،
CAH, I, Part, 2, Maps, 9-10, P. 373,
J. Lewy, on Some Institutions of The Old Assyrian Empire, in HUCA, 27, 1956, P. 13-21.

وعلى أية حال ، فلقد كانت هذه المراكز التجارية الاشورية في آسيا الصغرى (وتسمى كاروم) ^(١١) تقوم بدور الوسيط بين الدولة الاشورية الام ، وبين الدويلات المحلية في بلاد الاناضول ، وهكذا كانت القوافل التجارية الاشورية تذهب محملة بالمنسوجات والملابس الاشورية والبابلية وخامات القصدير — وهى مستوردة أصلا — وتعود الى بلاد آشور بالذهب والفضة والنحاس — وربما الرصاص — والاحجار الكريمة ^(١٢) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد زاد هذا النشاط التجارى على أيام «ايلو شوما» ، وهناك نص من عهد ولده «اريشوم الاول» (١٩٠٦ — ١٨٦٧ ق م) يشير الى أنه أقام حزية الحركة للفضة والذهب والنحاس والرصاص ، فضلا عن القمح والصوف ، الى جانب سلعتين أو ثلاثة من

(١١) أطلق الاشوريون على كل مركز من مراكزهم التجارية اسم «كاروم» (Karum) ، وتعنى في الاكدية رصيف أو حائط ميناء يقع على نهر أو قناة ، تجمع عنده ضرائب الدخل على الوارد ، ثم اتسع مفهومه ليعنى السوق على جانب الرصيف ، ثم مجموعة تجار المدينة ، ولم يقصد الاشوريون بتعبير «كاروم» فى نصوص الألواح القبادوشية ميناء نهري غالبا ، اذ لم يقع كاروم كانش أو «خاتوش» (بوغازكوى) أو غيرهما ، على نهر ، وإنما يعنى غالبا مجموعة الرجال الذين تولوا ادارة المركز التجارى ، وهم من التجار وأصحاب رؤوس الاموال الاشوريين ، وقد شيدت «الكارو» غالبا فى الاماكن الملائمة على طرق القوافل ، كمركز تجارى للسلع المتبادلة بين آشور وآسيا الصغرى ، فضلا عن جباية المكوس التى كانت تحصل من القوافل التجارية ، مثل ضريبة الطريق وضريبة العشر وضريبة الخمسة فى المائة التى كان الكاروم يقوم بتحصيلها ، ربما لحساب الدولة الاشورية ، وقد استخدم القوة فى تحصيلها أحيانا ، كما كان للكاروم سلطة قضائية ، وجهاز ادارى على رأسه «حاكم الكاروم» الذى انتحل لقب (Rubaum) ، والذى كان يمثل السلطة التنفيذية للكاروم ويرأسها ، وغير خاضع غالبا لحكام آشور ، كما كان للكاروم مقر مركزي يسمى «بيت الكاروم» (بيت كاريم - Bit-Karim) (وكان بمثابة غرفة تجارية وبيت تخليص للتجارة ، ووكيلا للقصر (انظر : محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٧٢ — ٨٨ ، وكذا

J. Bottero and Others, Op. Cit., P. 196.

J. Lewy, CAH, I, Part, 2, P. 37, 47, 709, 722, 760 F.

(١٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٥ — ١٢٦ ، وكذا

J. Lewy, Op. Cit , P. 24-28.

السلع الرخيصة — وكان أرخصها القطن — وأن هذا الامتياز قد منح للتجار الآشوريين ، الأمر الذي يشير الى دعم النشاط التجارى مع آسيا الصغرى التى أقيم فيها عدد كبير من المراكز التجارية الآشورية التى نالت اهتمام هذا الملك ، كما نالت اهتمام خليفته «ايكونوم» (١٨٦٦ — ١٨٥٥ ق.م) و «سرجون الاول الآشورى» (١٨٥٥ — ١٨٤٠ ق.م) (١٣)

ولعل من الاهمية بمكان أن الوثائق الآشورية انما تشير الى أن العنصر الامورى انما قد شارك فى مجتمعات المراكز التجارية الآشورية القديمة فى آسيا الصغرى ، وأن الاختلاط بين الاسماء الآشورية والامورية فى هذه المجتمعات ، ما يشهد بامتزاج هذه العناصر كسكان يتعايشون معا فى نطاق المركز التجارى الواحد *

وكان الاموريون أقرب العناصر للآشوريين ، وأكثرهم ارتباطا بهم اجتماعيا ودينيا ، وقد اعتمدوا عليهم بدرجة كبيرة فى مزاولة نشاطهم التجارى ، أما السكان الوطنيون ، وخاصة العناصر «الهندو — أوربية — فقد نظر اليهم الآشوريون بازدراء ، وأطلقوا عليهم صفة «برابرة» (١٤) .

وليس هنا من ريب فى أن الوجود الامورى فى هذه المجتمعات انما كان سببا فى التقارب بين الاموريين والآشوريين فى آسيا الصغرى ، وطبقا لدراسة عقود الزواج والطلاق ، فان معظم زيجات الآشوريين بالاناضول انما كانت من هؤلاء الاموريين ، كما كان رجال الاعمال الآشوريين كثيرا ما يستعينون بهؤلاء الاموريين ، وكثيرا ما كانوا يعهدون اليهم بتولى أمر قوافلهم التجارية (١٥) *

13) CAH, I, Part, 2, P. 1001.

J. Lewy, in JAOS, 78, 1958, P. 99-101.

J. Lewy, in HUCA, 27, 1956, P. 40, 65, 66.

A Goetze, in JLSA, 30, 1954, P. 350.

J Laessoe, Op. Cit., P. 37 F.

14) H. Lewy, Anatolia in The Old Assyrian Period, in CAH, 2, 1971,

(١٥) محمد بيومى مهران : بلاد الشام — الاسكندرية ١٩٩٠ ص

J. Lewy, Amurritica, in HUCA, 32, 1961, P. 65.

٦٨ — ٧٠ ، وكذا

هذا ويذهب البعض الى أن الاموريين في الاناضول انما كانوا يشبهون الاشوريين الى الدرجة التي يصعب معها التفرقة بينها ، وخاصة أن الفريقين من الجنس السامي ، هذا فضلا عن اقتران اسم المعبود «أشور» بالمعبودات الامورية ، وأن هناك آشوريين قد تعبدوا للاله الامورى «أموروم» ، كما تشير الى ذلك النصوص القبادوشية^(١٦) .

وهناك ما يشير الى أسماء تتضمن أسماء آلهة سامية غربية (أمورية) مثل «داجان» و «أموروم» اللذين عبدهما الاشوريون ، واقتترنت بعض أسمائهم بهما ، فأما «داجان» فقد انتشرت عبادته في «قبادوقيا» بوسط اسيا الصغرى منذ العصر الاكدي ، كما انتشرت في السهل الميزوبوتامى منذ القرن العشرين قبل الميلاد ، على الاقل ، وأما «أموروم» فيمكن اعتباره معبودا قوميا للاموريين ، ذلك لان اسمه انما يدل على الارض ، والشعب والمعبود ، أسوة بأشور المعبود القومى للاشوريين ، كما اقترن اسم «أموروم» باسم «أشور» في عدد من نصوص كول تبة^(١٧) .

هذا وتدل النصوص القبادوشية على أن الاموريين انما كان لهم تأثير كبير على الاشوريين في وسط الاناضول ، حتى حمل هؤلاء الاشوريون — فيما تروى النصوص — أسماء تدل على عبادتهم للمعبود «أموروم» ، وان كان مما لا شك فيه أن التأثير الاقوى للاشوريين ، فهم أصحاب السيادة في مجتمعات المراكز التجارية بوسط الاناضول^(١٨) .

وكانت المرحلة الثانية من العصر الاشورى القديم، عندما بدأ القوم فترة انتعاش اقتصادى وسياسى في أعقاب فترة التدهور والاضمحلال،

16) H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 721.

(١٧) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٥٩ - ٦١ ، وكذا

17) J. Lewy, in HUCA, 32, 1961, P. 62, Notes, 25-27, 187.

H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 720.

(١٨) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٧١ ، وكذا

J. Lewy, in HUCA, 32, 1961, P. 34-35.

H. Lewy, in CAH, I, Part, 2, 1971, P. 718-720.

وتتمكن «شمشى - أداد» الاول (١٨١٣ - ١٧٨١ ق م) - وهو زعيم
أمورى من الاقوام التى سيطرت على الاوضاع السياسية فى معظم
الدول البابلية التى قامت فى بداية العصر البابلى القديم - تمكن
«شمشى - أداد» هذا من تأسيس أسرة جديدة فى بلاد آشور ، حوالى
١٨١٣ قبل الميلاد ، تمكنت من أن تحكم آشور بشكل مستقل ، حتى قضى
على استقلالها الملك «حمورابى» ، وتشير النصوص المسمارية - وخاصة
تلك التى كشف عنها فى مارى ، الى قوة شخصية «شمشى - أداد»
وحزنته السياسية ، حتى تمكن من تأسيس دولة سيطرت على المنطقة
الشمالية والغربية من العراق القديم ، حيث قهر أقاليم مارى و «ترقا»
ووادى الخابور ، ربما فى نهاية العقد الاول من القرن الثامن عشر قبل
الميلاد ، وهكذا ضم الى دولته مملكة «مارى» ، وعين ولده الاصغر نائبا
عنه فيها (١٩) .

هذا وكانت علاقة الاشوريين وقت ذاك مع مملكة «قرقميش»
(جربلس الحالية) و «قطنه» - وهى تل المشرفة الحالية ، على مبعده
١٦ كيلا شمال شرق حمص (٢٠) - علاقة ودية ، اتسمت بنشاط تجارى
بين الفريتين ، غير أن العلاقات الاشورية مع مملكة «يمخد» - وعاصمتها
حلب - انما كانت علاقات عدائية ، وذلك بسبب وقوف «يمخد» الى
جانب ملوك مارى ضد الاشوريين .

وعلى أية حال ، فلقد تمكن «شمشى - أداد» الاول من بسط نفوذه
على المداقة الشرقية من بلاد آشور ، كما قام بعدة حملات على القبائل
الجوتية ، كما أقام علاقات ودية فى سنواته العشر الاخيرة مع الملك
البابلى «حمورابى» . وربما اضطر الى أن يعترف بسلطانه فى أخريات
أيامه ، وعلى أية حال ، فلقد روت نصوصه أنه تلقى فى عاصمته نينوى

(١٩) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٦ - ١٢٧ ، وكذا
H. Lewy, in CAH, II, Part, 2, 1971, P. 712.
20) A. H. Gardiner, Onom I, 1947, P. 166.

— والتي أصبحت عاصمة آشور وقت ذاك ، ولأول مرة — جزى ملوك «توكريش» وملوك القطر الأعلى ، كما أقام نصباً باسمه في منطقة لبنان (لا — آب — آ — آن) على شاطئ البحر الكبير (البحر المتوسط) ، ومن ثم ، فاذا صحت روايته هذه ، فإن توسعه إنما يعد أقدم توسع آشوري في بلاد الشام •

هذا وكان «شمشي أداد الاول» يظن في نفسه أنه الخادم المختار للمعبود انليل — معبود مدينة نيبور — ومن ثم فقد شيد في هذه المدينة، على أنقاض معبد قديم ، معبداً جديداً ، لئله انليل ، وقد أطلق عليه اسم «بيت الثور الوحشي لكل البلاد» ، كما أطلق على المدينة اسم «شوبات انليل» بمعنى «مسكن انليل» •

وجاء بعد «شمشي — أداد» الاول ، ولده «ايشمي داجان» الاول (١٧٨٠ — ١٧٤١ ق.م) ، والذي حكم قرابة أربعة عقود من الزمان ، غير أنه فشل في الحفاظ على دولة أبيه ، ومن ثم فقد أنسلخت بعض الاقاليم عن سيطرته ، وعقد حلف بين مملكة «يمخد» و «اشنونا» ضده، هذا فضلاً عن أن «حمورابي» إنما كان يعمل وقت ذاك على توحيد جميع الدويلات العراقية في دولة مركزية واحدة ، مركزها بابل ، ومن ثم فقد اصطدمت سياسته مع آشور وغيرها من الدويلات المستقلة ، وقد نجح، آخر الامر ، في القضاء على استقلالها ، وضمها الواحدة بعد الاخرى الى حدود دولته (٢١) •

وكانت المرحلة الثالثة من العصر الاشوري القديم ابان خضوع آشور لبابل على أيام حمورابي ، وربما استقلت آشور عن بابل بعد وفاة حمورابي ، غير أن الامور كانت فيها مضطربة ، كما كانت حدودها

(٢١) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٢ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٨ ، وانظر عن توحيد «حمورابي» للعراق القديم (أعلاه ص ٢٢٢ — ٢٢٨) • وكذا
ANET, P. 274.

مقصورة على بلاد آشور الأصلية ، وظل الأمر كذلك حتى اعتلاء
(بوزور - آشور) الثالث العرش في عام ١٥٢١ قبل الميلاد ، حيث يبدأ
العصر الاشوري الميسيط (٢٢) .

٣ - العصر الاشوري الميسيط

تميز العصر الاشوري الميسيط ، والذي دام أكثر من ستة قرون
(١٥٢١ - ٩١١ ق.م) بأحداث هامة وتغيرات سياسية وعسكرية
 واجتماعية وحضارية هامة كذلك ، فمن الضعف الى القوة ، ومن التدهور
الاقتصادي الى الانتعاش والرفاهية ، ومن الجمود والركود الحضاري
الى الازدهار ، ومن المتبعية والاحتلال الى السيادة ، كما أن هذه الفترة
من تاريخ العراق القديم انما تعاصر أحداثا هامة من تاريخ الشرق الأدنى
التقديم ، فهي تعاصر في مصر عصر الدولة الحديثة (عصر الامبراطورية
المصرية) في أعقاب طرد الهكسوس ، حتى انهيار الامبراطورية المصرية
(١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق.م) ، وهي تعاصر أيضا الامبراطورية الحيثية ، ثم
هي تعاصر الكاشيين في جنوب العراق الذين كثيرا ما نازعوا آشور
السلطان .

هذا وكان من القوى الجديدة التي ظهرت في هذه الفترة ، وأثرت
كثيرا في بلاد آشور ، قوة «الحوريين» ، وهم قوم من منطقة القوقاز ،
انتشروا في بلاد الاناضول وسوريا وأعلى ما بين النهرين وشرقي بلاد
آشور ، وأقاموا دولة قوية هي «الدولة الميتانية» ، واتخذوا من مدينة
«واشوكاني» (Washukkanni) عاصمة لهم ، وهي «تل الفخارية»
(Tell - Fekheriya) الحالية، وقد استغلت الدولة الميتانية ضعف الامبراطورية
الحيثية وانقساماتها الداخلية ، فمدت نفوذها على المناطق الواقعة فيما
بين بحيرة «وان» (Lake Van) وأواسط الفرات ، ومن جبال زاغروس
وحتى الساحل السوري ، وكانت بلاد آشور من المناطق التي وقعت
تحت نفوذها وسيطرتها المباشرة ، ومع ذلك فلقد ذكرت قوائم الملوك

(٢٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٧ - ١٢٨ .

الاشوريين أسماء عدد من الملوك الذين حكموا في بلاد آشور في فترة السيطرة الميتانية ، وربما كانوا ملوكا محليين تابعين للملوك الميتانيين المحتلين .

غير أن قوة الدولة سرعان ما انقابتها الضعف ، وانقسمت الى دويلتين ، الواحدة تسيطر على منطقة بحيرة وان ، والاخرى تسيطر على بلاد آشور وأجزاء من سورية ، وقد استغلت آشور هذا الضعف واستقلت عن الميتانيين ، ثم تمكنوا بعد فترة من القضاء على الدولة الميتانية وضم أراضيها الى الدولة الاشورية ، وقد تم ذلك على يد الملك «أشور أوبل» (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق.م) الذي انتصر على الملك «أرتاتاما الثاني» (١٣٦٦ - ١٣٥٩ ق.م) ، كما أعاد بناء الدولة الاشورية ، حتى غدت قوة يحسب حسابها في المنطقة ، ثم سرعان ما عقدت معاهدة مع بابل ، والتي كان يرى ملكها «بورنا بورياش الثاني» أن آشور من مواليه ، ولكنه اضطر فيما بعد أن يتقبل الوضع الجديد ، وأن يتزوج من ابنة «أشور أو بلط» التي أنجبت له «كدهشمان خاربى» الذى تلاه على العرش البابلى ، غير أن ثورة قامت ضده أدت الى قتله ، ومن ثم تدخل جده «أشور أو بلط» ففضى على الثورة ، وأقام حفيده الثانى الملك «كوريغالزو الثانى» مكانه على عرش بابل ، كما أشرنا من قبل .

وأخيرا ، فإن المؤرخين انما ينسبون الى «الملك آشور أو بلط» أنه أول من استعمل كلمة «أشور» مسبوقة بعلامة القطر ، اسما لدولته ، كما جاء ذلك على خاتم اسطوانى ، وأما الاسم القديم «سوبارتو» فقد أصبح مقصورا على جزء صغير من ميثانى في شمال بلاد النهرين (٢٣) .

(٢٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٢٩ - ١٣١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٤٩٠ ، ٤٩٩ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٥ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٣ - ١٧٥ ، ل. دبلابورت : المرجع السابق ص ٢٩٦ - ٢٩٧ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٣ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 229, 233.

وجاء بعد ذلك على عرش آشور مجموعة من الملوك العظام ، عمل البعض منهم على توسيع سلطان الاشوريين الى جهات الشرق الادنى القديم ، فنشأت بذرة الامبراطورية الاشورية التي نمت ونضجت فيما بعد منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وكان أول هؤلاء الذين خلفوا «(أشور - أو بلط)» الاول (١٣٦٥ - ١٣٣٠ ق م) الملك «انليل - نراري» (١٣٢٩ - ١٣٠٨ ق م) والملك «(أدد - نراري)» الاول (١٣٠٧ - ١٢٧٥ ق م) والملك «(شلمنصر الاول)» (١٢٧٤ - ١٢٤٥ ق م) (٢٤) . والذي يعد من أعظم الملوك الاشوريين ، لاسيما في ميدان الفتوحات الخارجية ، فلقد تميز عهده بالفتوحات العسكرية المتتالية على الاقوام الجبلية ، وعلى مملكة «(أورارتو)» (Urartu) (أرمينيا) ومملكة «خاني جلابات» (Khanigalbat) الميتانية التي ضمت أراضيها الى الدولة الاشورية وأما أهم أعماله العمرانية فكان تأسيس مدينة «كالح» (كلصو = كلخو = نمرود) ، واتخاذها عاصمة له (٢٥) .

وجاء على عرش آشور بعد «(شلمنصر الاول)» ولده «توكلتى نينورتا الاول» (Tukulti - Ninurta) (١٢٤٤ - ١٢٠٨ ق م) الذي اتبع سياسة أبيه في حملاته العسكرية ، وتضمن حدوده الشمالية والغربية ، ومن ثم فقد امتدت معاركه شمالا بغرب حتى بحيرة «(وان)» (فان) ، وغربا حتى ماري وقبائل الاخلامو ، التي قاتلتها من قبل جيوش أبيه ، هذا فضلا عن نهجه لسياسة تهجير سكان الاقلاميم والبلدان المتمردة الى أماكن أخرى، وهى السياسة التي سار على منوالها الملوك الاشوريين من بعده،

J. Laessoe, Op. Cit., P. 82-92.

Delaporte, Les Hittites, P. 93 F.

(٢٤) انظر هذه التواريخ (ليو أوبنهايم ، بلاد ما بين النهرين ص

٤٥٧ - ٤٦٢) .

(٢٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٤٦ ، عبد العزيز

صالح : المرجع السابق ص ٥٠٠ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٥ - ١٧٦ ، وكذا

J. M. Munn - Rankin, Assyrian Military Power, 1300-1200 B. C., in CAH, II, Part, 2 A, Cambridge, 1980, P. 279-284.

وأما بالنسبة الى بابل ، فلقد ساءت العلاقات بين الكاشيين والبابليين ، وانتهت الادور بسيطرة الاشوريين على بابل ، ودخولها تحت النفوذ الاشورى المباشر ، وذلك بعد هزيمة الملك البابلي «كاشتلياش الرابع» (Kashtiliash, IV) (١٢٤٢ — ١٢٣٥ ق م) .

وقد سجل الملك الاشورى نصره على بابل في نقش جاء فيه «معتزدا على آشور وانليل وشمش ، الالهة العظمى ، سادتي ، وبمساعدة عشتار ، ملكة السماء والارض ، التي سارت على رأس الجيش ، وأجبرت كاشتلياش حاكم «كار — دونياش» (بابل) على القتال ، وهزمت كتائبه وقهرت جيشه ، وفي وسط المعركة قبضت يداي على كاشتلياش . الملك الكاشي ، وداسست أقدامى على رقبتة الملكية كأنها مسند قدم ، وأحضرتة أسيرا مقيدا أمام آشور ، سيدي ، ووضعت سومر واكد الى نهاية حدودهما تحت سلطاني» . ومن ثم فقد انتحل الملك الاشورى «توكلتي نينورتا الاول» ألقاب «ملك كرديناش ، ملك سومر واكد ، ملك سيبار وبابل ، ملك تلمون وملوخوا» ، كما أقام لنفسه عاصمة جديدة أضفى عليها اسمه ، هي «كار — توكلتي — نينورتا» ، على مبعدة ٣ كيلا من مدينة آشور ، غير أن السنوات الاخيرة من حكم «توكلتي — نينورتا الاول» كانت غامضة ، وربما وقعت مؤامرة غامضة في آشور ، حيث ثار عليه ولده وقتله (٢٦) .

وهكذا دخلت آشور في فترة ضعف واضمحلال ، وتقلصت حدودها حتى أن اللوك الاشوريين لقبوا أنفسهم بلقب «ايشاكو» — بمعنى الحاكم — وقد شهدت هذه الفترة نهاية الاسرة الكاشية ، وقيام أسرة

(٢٦) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٢ ، وكذا J. M. Munn, Op. Cit., P. 284-288.
J. Laessoe, Op. Cit., P. 97.
G. Roux, Op. Cit., 243-244.
S. Smith, Early History of Assyria, London, 1928.
G. Dossin, in Iranica Antiqua, II, 1962, P. 149 F.

جديدة في بلاد بابل هي «أسرة ايسين الثانية» ، وانتهزت بابل الفرصة وشارت على الساطة الاشورية ، ولم تكتف بنين استقلالها ، وتخلصها من النفوذ الاشوري ، وانما فرضت نفوذها على آشور حينما من الدهر ، هذا فضلا عن استردادها لكرامتها الدينية باسترداد تمثال معبودها الاكبر «مردوك» ، وان قنعت بهذا النصر ، لتقى أطرافها الجنوبية من العيلاميين (٢٧) .

على أن الامور سرعان ما تتغير في عام ١١١٥ قبل الميلاد ، عندما يعتلى عرش آشور الملك «تجلات بلاسر الاول» (Tiglath - Pileser, I) (١١١٥ - ١٠٧٧ ق.م) - أول ملك آشوري يقود جيشه حتى البحر المتوسط (مع الاخذ في الاعتبار أن محاولة «شمشي أداد الاول» مازالت في مرحلة الحرس) - وأيا ما كان الامر ، فلقد نجح «تجلات بلاسر الاول» في القضاء على الاخطار المحدقة بالدولة الاشورية ، كأقوام «المشكو الفريجيين» التي كانت تتدفق بمجموعات كبيرة من آسيا الصغرى ، فضلا عن القبائل الجبلية التي كانت تمدها بالعون ، ومن ثم فقد هد حدوده حتى بحيرة «وان» (فان = Van) ، كما ضم الى مملكته بلاد الارمن ، وفي نفس الوقت ، فلقد استطاع «تجلات بلاسر الاول» أن يقضى على أخطار المدن السورية التي كانت تعرقل التجارة الاشورية ، وعلى القبائل الارامية التي كانت تغير على حدوده الغربية ، بل ان الرجل انما نجح كذلك في أن يستولى على بابل نفسها ، وعلى بعض المدن الشمالية الكبرى مثل «دوركوريجالزو» و «سييار شمش» و «سييار - أنونيتوم» و «أوبس» ، ورغم ذلك فان آشور لم تقض على بابل أو تعاملها معاملة الاعداء المهزومين .

وانطلاقا من كل هذه الانتصارات ، فلقد زعم لنفسه عدة أوصاف وألقاب ، فوصف نفسه بأنه «الملك الحق لوجال كالاجا» (وفي الاكدية :

(٢٧) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ .

شارودانو) ، ملك العالم ، ملك آشور ، ملك الاطراف الاربعة ، البطل
المام ، المؤيد بوحى آشور ونيورتا ، والارباب الكبار سادته ، الذين
دحروا أعداءه» •

ثم يقول «قهرت يداى من خلف نهر الزاب الاسفل ، حتى النهر
الشمالى الذى يقع الى الشمال ، ثلاث مرات سرت ضد بلاد نيرى ،
وجعت ثلاثين ملكا من نيرى يسجدون عند قدمى ، وأخذت منهم أسرى»
وتسلمت منهم خيلا ، وغرخت عليهم جزية وهدايا ، ثم سرت الى لبنان
وقطعت أشجار الارز لمعبدى «أنو» و «أداد» الالهين العظيمين ، سيدي ،
وجئت به ، واتجهت الى بلاد أمورو ، واستوليت على جميع بلاد
أمورو ، وتسلمت جزية جبيل وصيدا وأرواد» ، وفى «سيميريا» ركب
العاقل الاشورى «بحر أمورو العظيم» (البحر المتوسط) ، ثم اتجه
الى البر ، وقتل فى طريقه «حصان البحر» أو «درخيلا» ، كما اصطاد
بعض من أمراء وحكام بلاد النهرين الثور البرى فى جبال لبنان (٢٨) •

هذا وقد انفسح المجال أمام آشور فى هذا الوقت نتيجة ظاهرتين،
الواحدة : انكماش القوة المصرية الضاربة ، بعد كفاحها العنيف مع
شعوب البحر (٢٩) ، ونتيجة لمشاكلها الداخلية ، وانكماش نفوذها
بالتالى فى شمال شورية ، والاخرى : خمود حمية شعوب البحر، خلفاء
الحيتيين فى آسيا الصغرى ، وزوال هيبتهم من نفوس جيرانهم، وترتب

(٢٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٤٧ ، عبد العزيز
صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٣٢
محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٦ - ٢١٧ ، فيلب حتى : تاريخ
سوريا ولبنان وفلسطين ص ١٥٠ ، لبنان فى التاريخ ص ١٧٣ ، وكذا
A. L. Oppenheim, Op Cit., P. 275.
D. D. Luckenbill, ARAB, I, 1968, P. 300 F
J. Lewy, in HUCA, 19, 1946, P. 476
ARAS, I, 1927, Parag. 302.

(٢٩) انظر عن شعوب البحر (محمد بيومى مهران : مصر والعالم
الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٣٥ - ٢٤٣ ،
مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٣٧٣ - ٣٨٤) •

على هاتين الظاهرتين ، أن زعمت حوليات «تجلات بلاسر الاشوري» أن آشور وأربابه العظام منحوه البأس والسلطان ، وأوحوا اليه بأن يعمل على توسيع حدود أرضهم ، ومن ثم فقد أخضع اثنين وأربعين شعباً ، وحارب ستين ملكاً وانتصر عليهم ، وأنه قد هاجم أرض «ناييري» (في أرمينيا ؟) وأجبر أمراءها الثلاثين على أن يسجدوا عند قدميه ، واحتجز أبناءهم رهائن عنده ، وأنه بلغ جبال لبنان ، وغزا أرض أمو و ، وتلقى جزي جبيل وصيدا وأرواد ، ثم هاجم أرض خاني الكبرى ، وفرض الجزية على ملكها «ايل تشوب» ، وغزا الصحراء بذييله ورجاله ، وبعث من ربه آشور ، وهاجم «الاخلامو – الاراميين»^(٣٠) ، من أرض سوخي حتى قرقيش ، وأسر منهم وقتل ونهب ، وانتصر على ست مدن من مدنها على سفح جبل بشري ، وحرقتها ودمرها ونقل غنائمهم الى آشور ، وهاجم في نهاية حكمه «الاخلامو – الاراميين» ثمانين وعشرين مرة ، بحيث عبر الفرات مرتين في عام واحد ، وتغلب عليهم من «تدمر»^(٣١) في أرض «أمورو» و «عنات» في أرض سبيخي ، حتى مدينة رابيقيو في كاردونياش (بابل ؟) ، وقد جرب حظه مع بابل نفسها ، فانهزمت جيوشه أمام جيوش ملكها «مردوك – نادين – آخي» حيناً ، وانتصرت عليه حيناً آخر ، ودخاتها لأمد قصير^(٣٢) .

ومن البدهي أن حوليات «تجلات بلاسر الاول» لم تخل من ادعاء واضح في تعداد الشعوب التي أخضعها ، والتي قد لا يزيد أغلبها على مدن وقبائل متفرقة ، وفي تأكيد انتصاراته المستمرة ، على الرغم من أن تعدد حروبه مع جماعات بعينها ، مثل جماعات الاراميين ، إنما يدل

(٣٠) انظر عن «الاخلامو – الاراميين» (محمد بيومي مهران : بلاد الشام – الاسكندرية ١٩٩٠ – ص ١٩٩ – ٢٠٠) .
(٣١) انظر عن «تدمر» (محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم – الرياض ١٩٧٧ ص ٥٣٣ – ٥٤٠) .
(٣٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٤ – ٥٠٥ ، وكذا D. D. Luckenbill, Op. Cit., P 271, 287, 300 F.

على عجزه عن الوصول الى نتائج حاسمة معهم ، غير أن هذه الحوليات ، لم تخل في الوقت نفسه من أهمية تاريخية في تصوير مناطق انتشار الاراميين بين قرقيش وتدمر وبابل ، ولم تخل من دلالتها على خطة رسمت طريق التوسع الاشوري بعد عهده ، في جنوب شرق آسيا الصغرى ولبنان وشمال سورية ، اذبعاعا لشهوة المجد ، والافادة من أخشابها ، وضمان تنفيذ موانئها التجارية لرغبات آشور ، أو على الأقل ، لضمان تعاملها معها ، وان كان «تجلات بلاسر» قد عبر عن هذا الضمان بتلقى جزاها ، وكانت سياسته في معاقبة أعدائه نبراسا متواضعا للمعاملة الاشورية حين بلغت عنفوانها ، فكررت حولياته أنه حرق مدنا ، وشرد أهلها وقطع رؤوس زعمائها وعلقها على أسوارها واعتتر أبناء المستسلمين له رهائن عنده (٣٣) .

وعلى أية حال ، فإن أعمال «تجلات بلاسر الاول» لم تكن مقصورة على الحروب فحسب ، وانما شملت كذلك مشاريع عمرانية ، لعل من أهمها تعمير العاصمة الاشورية القديمة «أشور» التي انتقل اليها ، واتخذها عاصمة لادبراطوريته ، هذا فضلا عن تجديد أسوار «نينوى» التي ددمت ، كما بنى - أو بنى له رجاله - قصرين ، فيما بين سورية والعراق ، الواحد في «تل برسيب» (تل أحمر) ، على الضفة الشرقية للفرات جنوبي قرقيش ، والاخر في «خادانو» (أرسلان تاش) ، على مقربة من تل برسيب وقرقيش ، وزخرفوا جدران القصرين برسوم حروبه وزيارات صيده وأساطير قسوته ، وتأثروا فيها الى حد ما بالملوب السورى ، كما ذكرت نصوصه أنه أمر باستيراد نباتات جديدة لقرع في بساتينه ، واستيراد قطعان من الماعز الجبلية لتطلق في ساحات الصيد والقنص المخصصة له (٣٤) .

(٣٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٥ .
(٣٤) طه باقر : المرجع السابق ص ١٧٧ ، هنرى عبود : المرجع السابق ص ٤٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٥ ، وكذا
J. Laessoe, Op. Cit., P. 57.
D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 464.

غير أن فترة الانتعاش والقوة العسكرية هذه ، سرعان ما انتهت باغتيال «تجلات بلاسر» الاول ، وبالتالي فقد دخلت آشور ثانية في فترة ضعف وارتباك سياسى واقتصادى ، دامت حتى نهاية العصر الاشورى الوسيط فى عام ٩١١ قبل الميلاد .

(٤ - التشريعات الاشورية

عُثرت البعثة الالمانية فى حفرياتها فى مدينة «أشور» فى الفترة (١٩٠٣-١٩١٤م) على لوحات تشريعية نسخت على الطين (Clay Tablets) وليس على لوحة حجرية (Stela) لتشريعات حمورابى - ترجع الى أيام الملك الاشورى «تجلات بلاسر» الاول (١١١٥ - ١٠٧٧ ق م) . وان ردها البعض الى ما قبل عهده بزمان طويل ، وربما الى أواسط الالف الثانية قبل الميلاد ، وردها فريق ثالث الى الفترة فيما بين عامى ١٤٥٠ - ١٢٥٠ ق م، ومن ثم فهم يعود الى العهد الاشورى الوسيط .

وهناك مصادر أخرى للتشريعات الاشورية -، جاءتنا من الوثائق والمستندات القانونية التى وجدت كذلك فى آشور - وتشبه لغة القوانين الاشورية من هذا العهد الوسيط ، لغة السجلات الملكية التاريخية، ولكنها غفلت من أية اشارة أو دلالة الى معرفة مقننها أو مشرعيها ، ولكن يستنتج منها أن أحكامها كانت سارية فى مدينة آشور ومجاوراتها، وهى - بحالتها التى وصلتنا بها - لا تؤلف قانونا كاملا ، أو وحدة قانونية ، مثل قانون حمورابى ، وموادها لا تكمل بعضها البعض الاخر ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مواد القانون الاشورى لم تكن فى الاصل سوى قرارات أو أقضية سابقة صدرت بخصوص قضايا معينة ، فدونت وصيغت بهيئة مواد قانونية .

وعلى أية حال ، فالمعروف أن المكتشف حتى الان من القوانين الاشورية انما هو جد قليل ، لا يتفق وشهرة الدولة الاشورية وانجازات ملوكها ، ويرجح البعض أن ذلك انما كان بسبب اعتماد الاشوريين على

القوانين السابقة — وخاصة قانون حمورابى — وآية ذلك اكتشاف استنساخ لفقرات من قانون حمورابى فى مكتبة الملك «أشور بانيبال» الشهيرة ، كما أن المجموعة القليلة المعروفة لنا من القوانين الاشورية انما تتفق فى أحكامها مع القوانين البابلية التى سبقتها بنحو ألف عام ، هذا فضلا عن انهماك الملوك الاشوريين فى الشئون العسكرية والعمرانية التى شغلتهم الى حد ما ، عن شئون الادارة والتنظيم ، ومنها اصدار القوانين ، الى جانب أن الاشوريين انما قد حكموا امپراطورية واسعة ضمت شـوبا وأما مختلفة ، ذات ثقافات وأفكار وعادات تباينة، الامر الذى يتذر مه ، الى حد ما ، ايجاد المبادئ القانونية التى يمكن أن تجتمع عليها شعوب الامبراطورية •

ومع ذلك كله ، فهناك مجموعتان رئيسيتان من القوانين الاشورية، الواحدة ترجع الى العهد الاشورى القديم (حوالى ٢٠٠٠ — ١٧٥٠ ق.م) ، وقد عثر عليها فى المستوطنة التجارية الاشورية فى «كانش» (كول تبة) فى آسيا الصغرى ، وهى مواد ترتبط بقضايا الشئون الاقتصادية ، وخاصة التجارية ، ورغم أنها لم تكتشف فى آشور ، غير أن طبيعة النصوص ، فضلا عن لغتها ، انما تشير الى أنها من نفس القوانين التى كانت تسود آشور •

وأما المجموعة الثانية ، فهى التى كشف عنها فى مدينة آشور فى الفترة (١٩٠٣ — ١٩١٤م) ، كما أشرنا آنفا ، وقد تعرضت هذه القوانين لما تعرضت له القوانين السابقة من شئون الاسرة وأمور البيع والشراء والترويض والرهن والاعتداء على الغير — أدبيا وماديا — وأنها قد سخرت كثيرا من العقوبات العامة والخاصة لصالح الدولة ، ومن ثم فقد سخرت المذنبين فى أعمال الملك (مشاريع الدولة) لفترات تتراوح بين عشرين وأربعين يوما ، وهددت بالخصى والاعدام على الخازوق فى بعض عقوباتها ، وأجازت رهن أفراد الاسرة ضمانا للديون ، وحرمت

الاشتغال بالسحر ، وجعلت عقوبته الاعدام ، ولأمر ما جعلت أمور النساء محورا لعدد كبير من بنودها ، وأساعت الظن بهن الى حد كبير .

وهكذا قضت على زوجة الرجل الحر ، سارقة المعبد ، أن ترد المسروقات ، وأن ينفذ فيها قضاء اله المعبد (مادة ١) ، وأما اذا جدفت أو تدخلت في حديث لا رابطة له ، فانها تتحمل العقوبة وحدها ، ولا وزر على زوجها أو أولادها (مادة ٢) ، واذا سرقت امرأة من بيت زوجها المريض أو الميت ، وسلمته الى رجل آخر ، فانها يعدمان ، أما اذا كان زوجها حيا ، فعلى الزوج أن يقيم الاتهام ، وله أن يوقع عليها العقوبة المناسبة (مادة ٣) وأما اذا تسلم المسروقات من الزوجة عبدا أو أمة ، يقطع أنف العبد أو الامة ، وتسلم أذنهما ، عوضا عن المسروق ، كما يصلح الزوج أذن زوجته ، أو يعفو عنها ، وعندئذ يشمل العفو العبد أو الامة ، ولا ترد المسروقات ولا يعرض عنها (مادة ٤) ، وأما اذا سرقت الزوجة من بيت رجل آخر شيئا يزيد قيمته عن ٥ مينا من الرصاص ، فلزوجها حرية افتدائها ، على الا يصلح أذنيها ، فاذا لم يرغب زوجها في افتدائها ، فان صاحب المسروقات يأخذها ويقطع أنفها (مادة ٥) ، كما نصت القوانين على أنه اذا كان للزوجة وديعة بالخارج فان مستلم الوديعة يعتبر سارقا (مادة ٦) ، وقضت على من تضع يدها على مواطن بتغريمها ٣٠ مينا من الرصاص ، وجلدها عشرين عصا (مادة ٧) فاذا أصابت خصيته قطعوا اصبعها ، واذا أضرت الخصيتين فقاؤا عينيها الاثنتين .

وقضت الشرائع على من يضع يده على زوجة آخر ، وعاملها كما يعامل الطفل ، فانهم عند مطاردته واتهامه يقطع أحد أصابعه ، فان كان قد قبلها تسحب شفته السفلى بحد سلاح بلطة وتقطع (مادة ٩) ، وأما اذا دخل رجل وامرأة بيت رجل آخر ، وقتلا ، أو قتل أحدهما رجلا أو امرأة ، فان المقتلة يسلمون الى «سيد الحياة» ، وله أن يحكم بالاعدام أو العفو ، بشرط الاستيلاء على ما يملك أو تملك ، فاذا لم يكن لدى

المقاتل ، أو المقاتلة ، ما يؤخذ منه ، فعندئذ يخصى ابنه أو ابنته (مادة ١٠) •

ونصت المادة (١٢) أنه إذا أمسك رجل بسيدة تسير في الطريق ، وراودها عن نفسها ، فرفضت ودافعت عن نفسها ، ولكنه اغتصبها عنوة ، يعدم ، ولا لوم على المرأة ، وأما إذا تركت امرأة بيت زوجها وترددت على بيت رجل آخر ، فإن اضطجع معها ، وهو يعلم أنها زوجة رجل ، يقتل كلاهما (مادة ١٣) وأما إذا اضطجع معها في ماخور المعبد أو في الطريق ، وهو يعلم أنها زوجة رجل ، يقضى عليه بمثل قضاء الزوج في زوجته ، فإذا لم يعلم أنها زوجة ، فلا جريمة على الزانى ، وللزوج أن يوقع العقوبة التي يراها على زوجته (مادة ١٤) وأما إذا ضبط رجل رجلا آخر مع زوجته ، وأثبت الاتهام ، يعدم الاثنان ، وأما إذا جرى بالزانى الى حضرة الملك أو أمام القضاة وثبت الاتهام ، فيحكم على الزانى بما يحكم زوج المرأة عليها ، فإن قتلها قتل ، وإن صلم أذنيها ، خصى وشوه وجهه ، وإن عفا عنها عفى عنه (مادة ١٥) ، وأما إذا كان النحل برضى الزوجة ، فلا لوم على الزانى ، وللزوج أن يوقع على زوجته العقوبة التي يراها ، أما إذا زنى بها عنوة ، فإن عقوبته عند رفع الدعوى راثبات الاتهام تكون مماثلة لعقوبة الزوجة (مادة ١٦) •

وقضت المادة (١٧) باختبار النهر على من يتهم امرأة رجل آخر بالزنى مع كثيرين ما لم يثبت ذلك بشهود ، وأما إذا قال ذلك سرا لجاره ، وزعم أنه لديه على ذلك شهودا ، فإن لم يفعل يجلد أربعين جلدة بالعصا ثم يسخر شهرا في عمل الملك ، ثم يخصى ويدفع غرامة وزنة من النحاس (مادة ١٨) ، وأما إذا اتهم رجلا بأنه مأبون ، توقع عليه نفس العقوبة ، ويزيد الجلد الى خمسين (مادة ١٩) ، وأما إذا اضطجع رجل مع جاره وأقيمت عليه الدعوى وأثبت الاتهام ، فإنهم يضطجعون معه ، ثم يخصى (مادة ٢٠) •

ونصت الشرائع على أن من يتسبب في اجهاض ابنة رجل آخر ،

يدفع وزنتين وثلاثين مينا من الرصاص ، ثم يجلد خمسين جلدة بالعصا ،
ويسخر شهرا في خدمة الملك (مادة ٢١) ، وأن من يدفع امرأة الى
الدعارة ، وهو لا يعلم أنها زوجة ، ويقسم على ذلك ، يدفع وزنتين من
الرصاص الى زوجها ، فان كان يعلم أنها زوجة ، يدفع التعويض ،
ويقسم على أنه لم يضاجعها ، فاذا أقرته المرأة على ذلك ، فانه بعد دفع
التعويض يؤخذ الى النهر ، فان عاد منه يعامل نفس المعاملة التي عامل
بها الرجل الاخر زوجته (مادة ٢٢) ♦

ونصت المادة (٢٣) انه اذا أخذت زوجة رجل زوجة رجل آخر الى
بيتها ، وسلمتها الى رجل ليضطجع معها ، وكان الرجل يعرف أنها زوجة
رجل ، يعامل كمن يضطجع مع زوجة ، وتعامل صاحبة البيت كزانية ،
ومع ذلك اذا لم يوقع الزوج عقوبة على زوجته الزانية ، فلا عقوبة
على الزانى ، ولا على صاحبة البيت ويطلق سراح الزانى ، أما اذا كانت
الزوجة لا تدرك الموقف ، وأن صاحبة البيت أتت بالرجل عن طريق
الحيلة واضطجع معها ، فاذا أعلنت عند خروجها من البيت أنها أغتصبت
يطلق سراحها ، ويقتل الزانى وصاحبة البيت ، أما اذا لم تعلن الزوجة
أنها أغتصبت ، يوقع عليها زوجها العقوبة التي يراها ، ويقتل الزانى
وصاحبة البيت ، وقضت المادة (٢٤) انه اذا شردت امرأة من بيت
زوجها الى بيت رجل عادى (أشورى) ، وبقيت معه ثلاثة أيام ، كان
لزوجها أن يشوه أذنيها أو يعنف عنها ، وأن يطالب بصلم أذن من
آرتها ، وتغريم زوجها ان كان شريكا لها بغرامة كبيرة ♦

ونصت المادة (٢٥) أنه اذا مات زوج امرأة ، وليس لها ولد ،
وكانت تعيش في بيت أبيها ، ولم يقسم أخوتها المتركعة بعد ، فان من
حقهم أن يستولوا على المولى التي منحها زوجها اياها ، وأن يقيموا
دعوى لاسترداد ما بقى ، وليس هناك ما يكرهم على الالتجاء لأختبار
النهر أو اجراء القسم ، أما اذا كانت المرأة تعيش في بيت أبيها ، ومات
زوجها ، وكان له-- ذا الزوج أولاد ، فانهم يأخذون المولى التي كان

زوجها قد أعطاها اياها ، فاذا لم يكن له أولاد ، فانها تأخذ الحلى لنفسها (مادة ٢٦) ، أما اذا كانت المرأة تعيش في بيت أبيها ، ويتردد عليها زوجها ، فان منحة الزواج التي كان زوجها قد منحها اياها ، يستطيع أن يستردها ، ولكنه لا يمس متعلقات بيت أبيها (مادة ٢٧) •

واعتبرت الشرائع الزوجة متضامنة مع زوجها في ديونه وأخطائه وجرائمه (مادة ٣٢) ، ونصت المادة (٣٣) على أن المرأة التي مات زوجها ، وهي تعيش في بيت أبيها ، فان كان لها أبناء بقيت معهم حيث تشاء ، فاذا لم يكن لها أبناء فمن حق والد زوجها أن يتزوجها هو، أو يزوجه لأحد أبنائه ، فاذا كان زوجها أو أبوه ميتين ، وليس لها ابن ، تصبح أرملة ، وتذهب حيث تشاء •

وقضت الشرائع على زوجة المحارب الغائب أن تنتظره خمس سنوات، فاذا كان لها أولاد ينفقون عليها استمرت في عصمته (مادة ٣٦) أما اذا علمت بأسره ، فعليها أن تنتظره عامين فقط ، على أن يكفل القضاء لها ما تتعيش به — ان كانت غير ذات ولد — سواء من ايجار أرض زوجها أو داره ، أو معاشات القصر الملكي ، ثم يسمح لها بالزواج من آخر ، على أن يستردها زوجها الاول ، ان عاد من الاسر (مادة ٤٥) •

وقضت الشرائع على من يغتصب فتاة بكرا بغير رضاها ، بتجريده من زوجته ، وتسليمها الى والد الفتاة لينكحها من يشاء ، وبأن يسلمه المعتدى مهر البكر ، فان شاء بعد ذلك زوجها له ، وان شاء زوجها لغيره (مادة ٥٥) ، وأما اذا كانت العذراء قد أسلمت نفسها لرجل ، يقسم الرجل بذاك ، فلا تمس زوجته ، ويعطى مغويها الثلث الاضافي فضة ثمنا للعذرية ، ويعامل الاب ابنته على الصورة التي يرضاها (مادة ٥٦) •

وجعلت التشريعات للزوج ولاية كاملة على زوجته ، وسمحت له بأن يعنفونها ، اذا أخطأت أو يطبق عليها بنفسها العقوبات البدنية التي فرضها القانون على مثل حالتها ، فاذا كانت هذه العقوبات مما يسبب

عاهات دائمة ، مثل فقء العين أو صلم الاذنين أو الجلد المبرح ، نفذها أمام القضاة ، وبحضور موظف مسئول ، فاذا أتت أمرا لم يتناولها القانون ، جاز له أن يحلق شعرها أو يعرك أذنيها ، دون عقاب (مواد ٥٧ - ٥٩) •

وسمحت الشرائع لوالد الخطيب الذي فقد ولده بأن يزوج خطيبته لأحد أولاده الآخرين الذين بلغوا العاشرة ، أو أحد أحفاده من خطيبها المفقود ، ولا يحق له أن يزوجها بولد دون العاشرة ، الا برضى أبيها (مادة ٤٣) ، وسمحت للارامل من غير ذات الولد بأن تتزوج الواحدة من أحد أبناء زوجها (من زوجة أخرى ؟) (مادة ٤٦) •

وأصرت الشرائع على خروج الحرائر محجبات من الرأس الى القدم ، لاسيما اذا خرجن وحدهن ، وعلى أن تسلك الجوارى سبيلهن ، اذا اصطحن ساداتهن ، وأعفت من الحجاب الكاهنات اللائى وهبن عفافهن للمعبد ، ولم يتزوجن ، وحرمته على العاهرات والاماء تمام التحريم ، فاذا أتينه جردن من ثيابهن ، وضربن بالعصا ، وصب القار على رؤوسهن ، وأوجبت على المواطنين فى هذه الحالة أن يقبضوا عليهن محجبات ، ويشهدوا عليهن ، وتوعدت من يتغاضى عن ذلك بجلده وتسخيره وثقب أذنيه (مادة ٤٠) ، وانسقرطت لحصانة المخلية أن يشهد سيدها خمسة من جيرانه أو ستة ، على أنها أصبحت زوجته ، وحينئذ يحق لها أن تتحجب ، ويحق لابنائها أن يرثوا فى اقطاعيته (مادة ٤١) •

ولم تهمل التشريعات جانب المعبودات ، فقضت على من تثبت عليه البينة بالتجديف وسب المعبد بضربه أربعين عصا ، وقضت على من يتهم آخر بهذه الخطيئة ويعجز عن اثباتها بنفس العقاب البدنى ، مع تسخيره فى أعمال الملك شهرا •

واعترفت التشريعات برهن أفراد الاسرة فى دين ، ولكنها حرمت على الدائن أن يزوج ابنة مدينه الرهينة ، دون موافقة أبيها ، فان مات

أبوها وانتقلت ولايتها الى اخوتها ، يستطيع هؤلاء أن يحرروها من الدين خلال شهر ، والا جاز للدائن أن يزوجه بمن يشاء ، أو يبيعها اذا جاء ذلك في نصوص الدين ، ولكنها حرمت عليه أن يبيع الرهينة قبل نفاذ الاجل ، وقضت عليه بالضرب والسخرة والغرامة وفقد دينه ، ان فعل ، فان ماتت الرهينة عنده ميتة غير طبيعية ، عوض أهلها عنها بمثلها (مواد ٣٩ ، ٤٨) •

واشترطت في البيوع العقارية أن يعلن المنادى عن العين المباعة ثلاث مرات خلال شهر ، حتى يتسنى لأصحاب الحقوق أن يسجلوا حقوقهم لدى المسجل الحكومي خلال هذا الشهر ، فان خلت العين من الالتزامات ، وجب تسجيلها في حضرة ممثل ملكي — أو وزير — وكاتب المدينة والمسجلين والمنادين ، اذا تمت الصفقة في العاصمة ، أو أمام عمدة أي بلد آخر ، وثلاثة من أعيانها •

واستمرت التشريعات في أحكام أخرى كانت لها أشباهها في التشريعات القديمة ، لاسيما في شؤون الموارث والايجارات والعمل وما اليها (٣٥) •

(٣٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٠٧ - ٥٠٩ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم - الجزء السادس - الاسكندرية ١٩٦٧ ص ٨٢ - ٩٣ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٩ - ٣٠١ ، رضا جواد الهاشمي : القانون والاحوال الشخصية - حضارة العراق - الجزء الثاني ص ٨٢ - ٨٤ ، ل. د. ديابورت : المرجع السابق ص ٣٥٨ - ٣٦١ وكذا

T.J. Meek, The Middle Assyrian Laws, in ANET, 1966, P. 180-188.

E. F. Weidner, in AFO, 12, 1937, P. 50 F.

G. R. Driver and J. C. Miles, The Assyrian Laws, Edited With Translation and Commentary, 1935.

الفصل الثاني

عصر الامبراطورية

عصر الامبراطورية

يقسم المؤرخون عصر الامبراطورية الاشورية — والذي امتد ثلاثة قرون (٩١١ — ٦١٢ ق.م) — الى عصرين ، الواحد : عصر الامبراطورية الاولى ، ويشمل الفترة (٩١١ — ٧٤٥ ق.م) ، والثاني : عصر الامبراطورية الثانية ، ويشمل الفترة (٧٤٥ — ٦٠٩ ق.م) ، وان امتد رسميا حتى عام ٦٠٩ ق.م .

أولا : عصر الامبراطورية الاولى

(١) اداد - نيرارى الثانى (٩١١ — ٨٩١ ق.م)

يبدأ المؤرخون عصر الامبراطورية الاشورية الاولى بالملك «أداد — نيرارى الثانى» (٩١١ — ٨٩١ ق.م) Adad - nirari ، والذي قام بحملة الى الارضين الواقعة جنوب الزاب بغية تثبيت مركز الدولة الاشورية عليها ، وضمان أمن وسلامة الطرق التجارية القادمة من الجنوب ، فضلا عن اشعار سكان المنطقة وسكان بلاد بابل باستعادة الدولة الى أيام قوتها السابقة ، وقد حققت الحملة أهدافها ، وتمت السيطرة على مدينة «الربخا» (كركوك الحالية) وجعلت منها مقاطعة آشورية .

هذا وقد عمل «أداد — نيرارى — الثانى» على تأمين حدوده الجنوبية ، الامر الذى اضطره الى اشعال الحرب ضد بابل مرتين ، غلبتها جيوشه فى المرتين ، ثم عقد معها معاهدة حدودية ، اعترفت فيها بابل بسيادته على أرض السواد ، من الخابور فى الغرب ، الى ما يجاور بغداد فى الجنوب الشرقى ، ثم اتجه بعد ذلك نحو الغرب ، لاسترجاع الاشراف الفعلى لدولته على تخومها الغربية ، حول نهري الفرات والخابور ، حيث كانت القبائل الارامية — والتي وصفت فى النصوص الاشورية بأنهم أهل برارى — قد اقتطعت — هى وحلفاؤها — أجزاء من الاراضى الاشورية ، وسيطرت عليها ، ومن ثم فقد قام «أداد — نيرارى» — بحملة عليها وأخضعها ، وأعاد لاشور حدودها القديمة ،

كما استولى على عدد من المدن على طول نهر الفرات ، ثم توجه شمالا حتى وصل الى المنطقة التي كانت تعرف بمملكة «خاني جليات» وتمكن من القضاء عليها ، وأسر أميرها ، وضم أراضيها الى حدود الدولة الآشورية^(١) .

(٢) توكلتى - نينورتا الثانى (٨٩٠ - ٨٨٤ ق م)

جاء «توكلتى - نينورتا الثانى» (٨٩٠ - ٨٨٤ ق م) (Tukulti - Ninurta, II) على عرش آشور بعد أبيه «أداد - نيرارى الثانى» ، وقد وجه همته لاقامة الحصون على الحدود ، حيث وضع حاميات قوية ، عنى بأن تسيطر على المنافذ المختلفة الى الشمال والغرب ، حتى يضمن طرق التجارة عبر طوروس والى سورية ، وحتى يأمن تسرب لا تؤمن عواقبه .

هذا وقد نهج الرجل نفس السياسة التي انتهجها أبوه من قبل ، فبدأ بحملة على بلاد «نائيرى» فى الجنوب الغربى من بحيرة «وان» (فان Van) وأخذى الى المنطقة التي تقع فيما بين الزابين - الأعلى والأسفل - وثالثة الى بلاد بابل ، حيث وصل الى «دور كوريجا لزو» و «سييار» دون معارضة تذكر ، وقد استمر فى زحفه غربا فشمالا ، حتى وصل نهر الخابور ومنطقة نصيبين ، وأخيرا قسام بهجوم على منطقة «مشكو» (مشكى - Mushki) فى آسيا الصغرى ، وهكذا كانت آشور - عند وفاته - تشمل كل شمال العراق ، من الخابور حتى زاجروس ، ومن نصيبين حتى عنات وسامرا^(٢) .

(١) عيد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١١ ، عامر سليمان :
المرجع السابق ص ١٤٣ - ١٤٤ ، وكذا

D. D. Luckenbill, ARAB, I, 1926, Parag. 355-360.

G. Roux, Ancient Iraq, 1980, P. 263.

J. A. Brinkman, Op. Cit., P. 181.

(٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٤ - ١٤٥ ، طه باقر :
المرجع السابق ص ١٨١ - ١٨٢ ، وكذا

(٣) آشور ناصر بال الثاني (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م)

وجاء على عرش آشور بعد «توكلتي - نينورتا الثاني» ولده «أشور ناصر بال الثاني» (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م) (Ashurnasirpal, II) وفي الأكديّة (Assur - Nasir - apli) ، بمعنى «الاله آشور يحمي ولده ووريثه»^(٣) ، وقد تميز عهده بازدهار حضاري وتفوق عسكري ، حيث تشير النصوص المسمارية الكثيرة التي تركها لنا الى النشاط العسكري الكبير الذي شغل النصف الاول من حكمه ، ورغم أن جزءا كبيرا من أخبار هذا النشاط قد فقد ، فان ما عثر عليه مدونا على ألواح في معبد «نينورتا» في مدينة «كالح» (نمرود) انما يلقي كثيرا من الضوء على الحملات العسكرية التي قام بها المعامل الآشوري ، وان دل - في الوقت نفسه - على قسوة بالغة اشتهرت بها حروب الآشوريين ، وقد كتب مؤرخه يصف - مثلا - سقوط مدينة «كينابو» التي كان يحكمها «هولاي» ، «لقد قتلت ٦٠٠ من العساكر بحد السيف ، وأحرقت بالنار ثلاثة آلاف أسير ، ولم أبق على أحد منهم حيا ليصبح رهينة في يدي ، وقد وقع أمير المدينة أسيرا في يدي ، لقد كومت جثثهم حتى صارت في علوها ، وكأنها برج ، وأحرقت فتيتهم بالنار ، وأما الملك فلقد سلخته وعلقت جلده على جدار مدينته دامداموسا ، وأما المدينة نفسها فقد دمرتها وحرقتها بالنار»^(٤) .

والواقع أن الآشوريين - كما صوروا أنفسهم - انما كانوا أشرس الشعوب الشرقية القديمة في معاملة أعدائهم ، وهكذا - وكما رأينا من

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 400-430.

G. Roux, Op. Cit, P. 263.

A. Dupont - Sommer, Les Arameens, Paris, 1949, P. 18, 31.

W. Schramm, Die Annalen des Assyrischen Königs, Tukulti - Ninurta, II, Bi. Or, XXVII, 1970, P. 147-160.

3) J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 99, No. 1.

G. Roux, Op. Cit., P. 267, No. I.

وأنظر

(٤) محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٨ .

النص السابق — فلقد صبغت نصوص هذا الفاتح الاشوري انتصاراته بطابع القسوة الشديدة ، فتحدثت عن أن رجاله كانوا يسلخون جلود كبار الاعداء أحياء ، ويثبتونها على آثارهم وأبواب عاصمتهم بالمسامير، وكانوا يعذبون بعضهم على الخوازيق ، ويقطعون أيديهم ، ويجمعون جماجمهم في أكوام ، ثم يحرقون مئات من الاسرى ، ولا يستثنون النساء ، ويجدعون أنوف آخرين ، ويصلمون آذانهم ، ويبترون أصابعهم ويفقأون أعينهم ، وان لم تمنع أمثال هذه المعاملة «أشور ناصر بال الثانى» من أن يشيد بفضل أربابه في تأييده ، ويكرّر اهتمامه بتقديم المقرابين اليهم ، وحرصه على تخصيص أخشاب أرز جبال أممانوس لأبناء احتفالات معابدهم ، ولسنا مضطرين بطبيعة الحال أن نأخذ بحرفية هذين المذنبين من المعلومات ، ففي كل منهما مبالغة ، مبالغة في تصوير القسوة لتكون عبرة ، ومبالغة في تصوير التقوى للتغطية على الأخطاء ، وما ينطبق من هذا الحكم على نصوص «أشور ناصر بال الثانى» ، ينطبق على نصوص غيره من الملوك القدماء^(٥) .

وعلى أية حال ، فلقد استهل «أشور ناصر بال الثانى» عهده بتجديد شامل للنظم العسكرية ، فكون جيشا جديدا ومتطورا ، شكل فيه سلاح المشاة من الجنود الاشوريين ، بينما اعتمد سلاح العربات — الى حد كبير — على فرسان من الحلفاء ، وعن طريق هذين السلاحين انبثق فن حصار المدن ، والذي تطلب تزويد الجيش بالآلات حربية أشبه بالدبابات في الجيوش الحديثة ، الامر الذى لم يصل اليه من قبل ، شعب آخر في المنطقة ، فيما يرى سمث^(٦) ، وقد اعتمد تصميم هذه الآلات أساسا على معول لهدم الاسوار ، وهو أشبه ما يكون بالمدفع ، وقد ثبت في

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٣ .

(٦) عبد القادر خليل : السياسة الخارجية للملك أشور ناصر بال الثانى — المجلة التاريخية المصرية — المجلد ٣٤ — لعام ١٩٨٧ ص ٤٥ وكذا A. A. Olmstead, History of Assyria, New York, London, 1923, P. 81. S.M.A. Sidney, The Foundation of The Assyrian, CAH, III, 1965, P. 12.

هيكل مغطى بمواد مختلفة ، وقد وضع هيكلها بأكمله فوق عجلات تراوحت فيما بين أربع وست عجلات في القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن اقتضرت على أربع بعد ذلك^(٧) .

على أن هناك من يرى أن هذه الآلات — وان لم تظهر صورها على الجدران الآشورية ، قبل عهد «أشور ناصر بال الثاني» — فلقد أشارت وثائق «ماري» و «بوغازكوي» الى استخدامها منذ القرن الثامن عشر قبل الميلاد^(٨) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد بدأ الرجل حملاته في الجبهة الشرقية،ومن ثم فقد قام بحملة نجحت في اخضاع الاقوام الجبلية ، ومدت النفوذ الآشوري الى ما وراء حدود آشور السابقة ، ويحدثنا الملك الآشوري أن قواته قد عبرت جبلا شديدة الانحدار ، وسلكت مسالك وعرة ، لم تمهد من قبل لمرور الجنود والعربات ، وأن هذه المناطق تسمى أرض «توم» (Tumme) وأن قلعتها تدعى «جوب» (Gubbe) ، وقد فر رجالها الى جبل شديد الانحدار ، لا تستطيع الطيور — من شدة ارتفاعه — أن تبلغ منتصفه ، ومع ذلك فلقد نجح الفارون في اقامة تحصيناتهم عند قمته ، غير أن جنود الملك ، وهو على رأسهم ، سرعان ما وصلوا اليه ، بعد أيام ثلاثة ، فدمروا معسكرهم ، وشتتوا شملهم، وصبغوا الجبل بدماء مأتين من قتلهم ، ثم استولوا على المدن الحصينة في أرض «توم» والتي تقع الى الشرق من آشور^(٩) .

ويتجه العاهل الآشوري بجيوشه الى منطقة «كيروري» (Kirruri) في شمال آشور ، وهي منطقة كانت تابعة للسيادة الآشورية ، وكانت

7) T. Madhloum, Assyrian Siege-Engines, in Sumer, 21, 1965, P. 9 F.

8) T. Madhloum, Op. Cit., P. 9.

A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 81.

9) A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 84.

D. D. Luckenbill, Op Cit., P. 143.

وكذا

وكذا

تمد الملك بالخيول والبغال والماشية والضأن وأوانى البرونز والخمر ويشير الملك الى أن منطقتي «جيلزان» (في شمال آشور) و «هوبوشيك» (في شمال غرب آشور) قدمتا له — أثناء وجوده في كيورى — جزيتها من الخيل والذهب والفضة والقصدير والنحاس والالوانى النحاسية ، الامر الذى يشير الى أن المنطقتين إنما بقيتا على الولاء لملك آشور^(١٠) ، وعلى أية حال ، فسرعان ما اتجه الملك الى أرض «كيرهى» Kirhi فعبر ممر «هوارن» ، حيث لقي هناك مقاومة عنيفة ، ولكنه تمكن من الاستيلاء على «نيشيتون» عاصمة «كيرهى» (غرب هوبوشيك) ، وفر رجالها الى جبل مرتفع ، وكأنه سحابة في السماء ، غير أن جنوده سرعان ما تعقبوا الفارين ، فأعدم الملك منهم ٢٦٠ رجلاً ، وقطع رؤوسهم ، واستخدم جثثهم كلبنات في بناء الاعمدة ، ثم استولى على ممتلكاتهم ، وقبض على ملكهم «بوجو» بن «بويا» ، وأخذ أسيراً الى مدينة «أربيل»^(١١) (Arbela) ، وهناك سلخ جلده حياً ، ونشره على جدران المدينة ، ثم أقام لنفسه تمثالا سجل عليه انتصاراته^(١٢) .

ثم أرسل «أشور ناصر بال الثانى» بعد ذلك ، حملتين لاخضاع منطقة زامو (Zamua) (وادي السليمانية) ، واوليم «تسخان»^(١٣) — شمال غرب آشور — نجحتا في تثبيت السيادة الاشورية عليها ، كما اشتد الصراع بين «أشور ناصر بال الثانى» وبين «بيت زمانى» ، وقد أخضعها مؤقتا ، وكانت أقوى ولاية أمورية في الشمال هى بيت أدينى (بيت

10) A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 85.

(١١) أربيل : هو الاسم الاغريقى للمدينة الاشورية «أربا الو» بمعنى «الالهة الاربعة» أى المدينة ذات الالهة الاربعة ، وكانت مركز العبادة أشتار المحاربة ، وتقع على سفح زاجروس ، ومكانها الان مدينة «أربل» الحالية (هنرى عبودى : معجم الحضارات السامية ص ٦٣) .

(١٢) عبد القادر خليل : المرجع السابق ص ٥٠ - ٥٢ وكذا D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 143, Parag. 441.

(١٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا E. G. Kraeling, Aram and Israel, 1918, P. 53.

عاديّنى) ، ذلك لانها انما كانت تشغل مركزا استراتيجيا على الطريق العام من «حران» الى سورية ، وكانت عاصمتها «تل بارسيب» — وهى تل أحمر الحالية ، على الضفة اليسرى لنهر الفرات ، جنوبى قرقيش — وقد تدخلت اماره «بيت عاديّنى» فى اشعال الثورة بين الدويلات الامورية لمضايقة آشور ، وآية ذلك تلك الثورة التى اندلعت فى «سورو» (Suru) عاصمة بيت خالوب فى عام ٨٨٣ ق.م ، فتدخل «أشور ناصر بال» وقضى على الثورة ، وأدب الثائرين ، كما تسلم الجزية من بعض الدويلات الارامية الاخرى^(١٤) ، وفى عام ٨٧٨ قبل الميلاد قامت ثورة جديدة فى «لاق» و «خنداق» و «سوخذو» فحضى عليها العاهل الاشورى بعنف ، خاضعة وقد كان من ورائها ملك باتل ، كما قام بتأديب «بيت عاديّنى» لتكف عن تحريك هذه الثورات ، ومن ثم فقد تقدم نحوها ، وأجبر ملكها على دفع الجزية^(١٥) .

وفى عام ٨٧٦ قبل الميلاد ، ظهر الملك الاشورى أمام «قرقيش» وطلب المرور ، ولم يقاوم ملكها ، وقبل أن يدفع اقاوة كبيرة ، منها عشرون تالنتا (Talents) من الفضة (حوالى ألف رطل) ، وعبر الجيش الاشورى الفرات ، واخترق سورية الى الساحل ، وقد نهجت الممالك الحيثية الاخرى نهج قرقيش ، وقد يشير هذا الفشل الذى منيت به الدويلات الحيثية فى الاتحاد لمواجهة الغازى الاشورى ، الى ما بينها من خصومات ، لاندري عنها شيئا^(١٦) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد استمر «أشور ناصر بال الثانى» فى طريقه غربا نحو سورية الشمالية ، ثم اتجه الى الجنوب ، وعبر نهر العاصى ودخل لبنان ، ونزل الى البحر المتوسط بدون مقاومة ، وهناك تلقى

(١٤) بولس عياد عياد : الاراميون فى مصر — القاهرة ١٩٧٥ ص ١٦
G. Roux, Op. Cit., P. 268.

وكذا

15) E. G. Kraeling, Aram and Israel, New York, 1018, P. 56-69.

16) O. R. Gureny, The Hittites, (Penguin Books), 1969, P. 44.

خضوع المدن الفينيقية ، صور وصيدا وجبيل ، حوالى عام ٨٧٦ ق م ، وأرغمها على أن تدفع الجزية ، وأن يقدم له سكانها الذهب والنحاس والفضة والقصدير والحديد والمنسوجات الملونة وكميات من خشب الابنوس والارز والصندل والعاج ، وأقام بهذه المناسبة لوحة تذكارية عند نهر الكلب . شمالى بيروت^(١٧) ، وهنا — عند نهر الكلب — تلقى المعاهل الاشورى هدايا «عمرى» (٨٧٦-٨٦٩ ق م) ملك اسرائيل^(١٨) ، وهكذا — ولاول مرة — منذ عهد «تجلات بلاسر الاول» يصل ملك آشورى الى البحر المتوسط ، ويتلقى الجزية من عدد من المدن الفينيقية .

ويحدثنا المعاهل الاشورى فى حوارياته التى عثر عليها فى معبد نينورتا فى مدينة كالح ، فيقول : «لقد تحركت من بلاد بيت أدنى وعبرت الفرات عند قمة فيضانه بمعاير من جلد الماعز ، وقدمت نحو قرقميش ، وهناك تلقيت جزية من «سنجارا» (Sangara) ملك الحيثيين (ثم يعدد ألوان الجزية من فضة وذهب وخناجر من ذهب ، ونحاس وحديد وأثاث خشبى مطعم بالعاج ، ومائتين من الفتيات متدثرات بالكتان الرقيق المحلى بأهداب ذات ألوان مختلفة من الصوف المصبوغ بالاحمر القانى والقرمزي ، وأنياب الفيلة والعربات) واستوليت على فرسان ومشاة قرقميش ، ثم جاءنى ملوك كل الولايات المجاورة ، فقبلوا قدمى ، وأخذت منهم رهائن ، ثم تحركوا معى الى لبنان (لاب — نا = Dab - Na - Na ، ثم انتقلت من قرقميش مخترقا الطريق بين جبال «مونزيجانى» (Munzigani) و «همرجا» (Hamurga) مخطفا بلاد «أهانو» (Ahanu) على يسارى ، وتقدمت نحو مدينة «حرازو» (Hazazu) لصاحبها «لوبارنا» (Lubarna) وتسلمت هناك ذهباً وملابس كتانية ، ثم عبرت نهر «عبر» (نهر أفزين الحالى) حيث قضيت الليل ،

وكذا

D. Barmaki, Op. Cit., P. 28.

18) A. Lods, Op Cit., P. 377.

17) F. C. Eislén, Study in Orient History, New York, 1907, P. 43.

ومن ضفافه انتقلت الى مدينة «كونولوا» (Kunulua) مقر «لوبارنا» وقد قبل قدمى ، رهبة من قوتى ، وخوفا من جيشى الجبار ، ثم قدم لى الجزية (ثم يعدد ألوان الجزية ، ومن بينها ذهب وحديد وماثسية وأقمشة كتانية مصجلة بالصوف المبرقش ، والمختلف الألوان ، وأثاث خشبى ومغذيات) وأخذت فرسانه ومشاقه واستوليت منه على رهائن، ثم تقبلت جزية «جوسى» صاحب «ياهانى» من ذهب وفضة وصفيح وحديد وماثسية وكتان تأهداب صوفية مبرقشة •

وارتحلت من «كونواوا» مقر «لوبارنا» وعبرت العاصى (الاورنت = Arantu = Orontes) وقضيت الليل على ضفته ، ومن هناك اتخذت طريقى بين جبلى يراق ويعتورى وقضيت الليل على ضفاف «سانجورا» ومن هناك اتخذت طريقى بين جبال «ساراتينى» و «دوباتى» وقضيت الليل على ضفاف بحيرة ... ثم دخلت «أرايىو» قلعة «لوبارنا» ، واستوليت عليها ، وجمعت القمح والقش من بلاد «لوهوتى» (Luhuti) وخزنتهما هناك ، وأقامت فى قصره احتفال «تاشلتو» (Tasiltu) ، ثم أسكنت مواطنين آشوريين فى المدينة ، ثم فتحت مدنا أخرى من مدن «اوهورتا» وهزمت أهلها فى معارك عنيفة ، فقضيت عليهم ، وهدمت أسوارها وحرقتها بالنار ، ووضعت الأحياء من أهلها على الخوازيق أمام المادن التى كانوا يسكنونها •

وفى هذه المرحلة استوليت على كل جبال لبنان المترامية الاطراف ، ووصلت الى البحر الكبير فى بلاد أمورو ، وغسلت أسلحتى فى البحر العظيم ، وقدمت قرابينى من الماشية للالهة جميعا ، وكانت جزية شاطئ البحر من سكان صير وصيدا وجبيل (بيبلوس) ومحالاته ومايزة وكايزة وأمورو وأرواد ، التى هى جزيرة فى البحر ، تتكون من ذهب وفضة وصفيح ونحاس وأوانى نحاسية ومازبس كتانية ، ذات أهداب مبرقشة ، وقردة كبيرة وصغيرة ، وعاج وأبنوس وأخشاب ، وتقبلت جزيتهم ، وقبلوا أقدامى •

ثم صعدت الى جبال أمانوس (خاماني (Ha-Ma-Ni)) وقطعت
كتلا من الارز والصنوبر والسرو ، وقدمت أضاحى قربانا لالهتي ، وأقامت
هناك نصبا منحوتا يخلد أعمالى الباهرة التى تتم عن بطولتى ، وأما
كتل الارز من جبال أمانوس ، فأمرت بارسالها الى معبد «ايسارا»
(Esarra) لبناء الهيكل المسمى «ياسماكو» (Iasmaku) للاعياد لخدمة
معابد «سن» و «شمش» الالهين اللذين يمنحان الضوء» (١٩) .

هذا ولم يقتصر اهتمام «أشور ناصر بال الثانى» على المجال
الحربى ، وانما تعداه الى الميدان العمرانى ، ومن ثم فقد أعاد بناء
مدينة «كالح» (نمرود) — التى أسسها شلمنصر الاول (١٢٧٤-١٢٤٥ ق.م) —
واتخذها عاصمة للامبراطورية الاشورية ، وأمر بحفر قناة
«باتى — خيجالى» (Patti-Hegalli) لاغراض الدفاع والرى معا ، ثم
بنى القصر الذى كشف عن جزء منه ، فيما بين عامى ١٨٤٩ ، ١٨٥١ م ،
وكان يشغل مساحة قدرها ٤٠ ألف قدم مربع ، كما قام بتأثيثه وتزيينه ،
وقد استغرق هذا العمل خمس سنوات (١٨٨٣ — ١٨٧٩ ق.م) ، استخدم
فيها الآلاف من العمال والفنيين المحليين ، فضلا عن أعداد كبيرة من
الحرفيين والفنيين الذين جئ بهم من المناطق المفتوحة ، ولاسيما من
سورية ، وتم افتتاح المدينة فى عام ١٨٧٩ قبل الميلاد ، فى احتفال مهيب
دعى اليه قرابة سبعين ألف شخص من مختلف الاقاليم .

هذا وقد عثر عام ١٩٥١ م على لوح الاحتفال — ومحموظ الان
بمتحف الآثار بالموصل — وقد صور الملك على اللوح محاطا برموز آلهة
السماء ، وقد جاء بالنص المنقوش على اللوح ، أن الملك قد أقام احتفالا
— بمناسبة اتمام القصر والحدائق المحيطة به — دعا اليه ٦٩٥٧٤
شخصا من كل أنحاء الامبراطورية ، نزلوا ضيوفا على الملك على مدى

(١٩) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٢ — ٢٥٤ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 475-479.
A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 275-276.

عشرة أيام ، شربوا فيها خمرا ، وأكلوا على المائدة الملكية ، وأن الملك قد ذبح ٢٢٠٠ عجلا ، وستة عشر ألف خروف ، وقد شرب ضيوف الملك ألف قربة خمر ، وعشرة آلاف برميل من البيرة ، ثم ينتهي النص بقول الملك : استضنت على مدى عشرة أيام سعداء الناس من جميع أنحاء البلاد ، مع أهل كالح ، وقدمت لهم الخمر ، وأعددت لهم الحمامات والدهنون العطرية ، ومنحتهم الأوسمة ، ثم أعدتهم الى بيوتهم في سلام وهناء (٢٠) .

هذا وتعد الآثار المكتشفة في مدينة «نمرود» (٢١) من أروع الآثار الآشورية ، وتعكس لنا المدى الذي وصله الفن والعمارة في القرن التاسع قبل الميلاد ، وقد كشف عن كثير من القصور الفخمة والمعابد والأسوار والبوابات ، فضلا عن مئات من ألواح الجدران التي كانت تغلق جدران قاعات القصور الداخلية ، وهي منحوتة نحتا بارزا دقيقا بمناظر مختلفة من الحياة الملكية والمعارك العسكرية ، والحياة اليومية ، وقد لون بعضها بألوان زاهية ظلت تحتفظ بها حتى يومنا هذا ، وهذا وقد زينت مداخل القصور والقاعات الرئيسية بتمثيل ضخمة لحيوانات مركبة ، عرخت بالثيران المجنحة ، تعبر عن قوة الآشوريين ، فضلا عن حكمة وصلابة قوادهم ، فلتد حاول الفنان أن يعبر عن ثبات الثور وسيطرته على الأرض والسماء ، الى جانب قوته الطبيعية، فمثله بخمسة أرجل ، وبأجنحة كبيرة ، كما عبر عن حكمة الآشوريين ومعرفتهم ، فجعل

(٢٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٦ - ١٤٧ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢١٩ ، وكذا

D. J. Wiseman, A New Stele of Assur - Nasir - Pal, Iraq, 14, 1952, P. 23-39.

G. Roux, Op. Cit., P. 271-272.

وكذا

(٢١) أنظر

M. E. L. Mallowan, Twenty - Five Years of Mesopotamian Discovery, London, 1956, P. 50-64.

وكذا

M. E. L. Mallowan, Nimrud and its Remains, 2 Vols, London, 1966. AFO, 15, 1974-1977, P. 230-238.

وكذا

للثور رأس انسان ، وأما وضع الثيران المخصصة في المداخل الرئيسية فكانت بهدف حماية المبنى وساكنيه من الشرور ، فضلا عن اشعار الزائر ، ولأول وهلة ، بقوة الدولة وملكها ، هذا وقد كشف في نمرود أيضا عن أعداد من النصوص المسمارية وعلى مسلة لأشور ناصر بال وتمثال لخليفته شامنصر الثالث ، وعلى مجموعة من القطع العاجية ، أبرزها قطعة تمثل قناعا لرأس فتاة جميلة عرفت عند الباحثين باسم «مونليزة النمرود» أو «فتاة البئر» حيث عثر عليها في أحد آبار المدينة.

هذا وتسجل حوايات «أشور ناصر بال الثاني» الكثير من المعابد التي أنشأها في عاصمته كالح ، فهناك معابد للآرباب : انليل ونيورتا وأداد وشالا (Shala) وجولا (Gula) وسين ونابو وعشتار ، ومعبد للآلهة «سبتي» (Sibitti) ومعبد لـ «إشتار - كتموري» (Ishtar - Kitmuri) وغير ذلك من المعابد التي كرست لكبار الهة (٢٢) .

(٤) شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق م)

جاء «شلمنصر الثالث» (Shalmaneser, III) (شلمانو - أشاريديو = Shulmanu - Asharedu) - (بمعنى الآلهة شلمانو رفيع المقام) بعد أبيه «أشور ناصر بال الثاني» ، الذي أفاد من جهوده ، ومن ثم فقد استطاع أن يسود آسيا الغربية ، من الخليج العربي حتى جبال أرمينيا ، ومن الحدود الميدة حتى سواحل البحر المتوسط ، ولم يكن أقل اعتزازا بجبروته من أبيه ، فوصفته نصوصه بأنه «الأفعوان الكبير» (أوشوم جال = Usum - Gal) - وهو لقب وصفت به الآرباب ، وانتحله حمورابي والماوك الاشوريون ، ولعل فيه بعض الشبه بالصل الملكي المصري - وعلى أية حال فلقد وصف شلمنصر الثالث كذلك بأنه

(٢٢) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٧ - ١٤٨ ، وكذا J. Laessoe, People of Ancient Assyria, London, 1963, P. 103-106.

قد طحن أعداءه جميعا ، وأنه المقتدر الذي لا يعرف الرحمة في الحروب (٢٣) .

وعلى أية حال ، فلقد استمر النشاط العسكرى الاشورى على أيام «سلمنصر الثالث» ، وتحول العديد من المدن الاشورية الى حصون ومعسكرات — كمدينة آشور وكالح — وقد تركز نشاط «سلمنصر الثالث» على الجبهة الغربية والشمالية الغربية ، وهى أكثر الجبهات تهديدا لمصالح آشور الاقتصادية وأخطرها على أمنها ، ففى بداية عهده تشكل حلف من قرقيش و «بيت عادينى» وسمل فى الشمال الغربى هدد طرق المواصلات التجارية الى آسيا الصغرى ومنطقة قليقيا .

وفى عام ٨٥٦ ق.م ، تمكن «سلمنصر الثالث» من الحاق الهزيمة بالحلف ، والاستيلاء على «تل برسيب» (٢٤) «تل أسمر الحالية» — عاصمة ولاية بيت عادينى — وضمها الى الامبراطورية الاشورية ، ثم فرض الجزية على الدويلات المتحالفة معها ، وكانت هذه الانتصارات تهديدا لبقية الدويلات السورية ، بما فيها المدن الساحلية والجنوبية (٢٥) .

وهكذا رأينا «سلمنصر الثالث» يتقدم فى عام ٨٥٣ ق.م ، الى وسط وجنوب سورية ، ولم تكن الولايات الصغيرة فى سورية وفلسطين وقت ذاك بقادرة على أن تقف أمام هذا الخطر الداهم طويلا وكل ما كان فى قدرتها أن تقوم به ، هو أن توحد قواتها ضد الخطر المشترك ، وفى الواقع فإن حكام الولايات جميعا سرعان ما تناسوا خلافاتهم الشخصية ، واتحدوا من أجل الدفاع عن أنفسهم ، وهنا يدرك الاراميون وبنو

(٢٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 273.
ANET, 1966, P. 276.

(٢٤) أنظر
F. Thureau - Danguin and M. Danguin, Til-Barsib, Paris, 1936.
(٢٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٨ — ١٤٩ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 274-275.

اسرائيل أن الخلاف بينهم — اذا ما قورن بمقاومة الغزو الاشوري —
فلن يعدو أن يكون خلافا على الحدود ، وان عادت الخلافات مرة أخرى،
بمجرد انسحاب شلمنصر الثالث (٢٦) .

وعلى أية حال ، فلقد تجرأ شلمنصر الثالث ، وهاجم دمشق ، والتي
لم تكن صيدا سيار ، على الرغم من طول منافستها مع جيرانها من
الاراميين والبدو والعبرانيين ، فعزمت على الوقوف في وجه جبروت
الاشوريين (٢٧) ، ومن ثم فقد عملت على تكوين تحالف قوى ، انضم اليه
أمير ولاية «موصري» في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، فضلا عن
أمير عربي آخر يدعى «جندب» (جنديبو = Gindibu) شارك في
المعركة الفاصلة بمدد محمول على ألف بعير ، الى جانب ما شارك به
أمرء ارواد واسرائيل وعمون وأرقناتا وغيرهم ، وكانت قواتهم تتكون
من ٦٢٩٠٠ من المشاة ، ١٩٠٠ من الخيالة ، ٣٩٠٠ عجلة حربية (٢٨) .

وهكذا ، وفي صيف ٨٥٣ قبل الميلاد ، تكون في «قرقر» (قرقار =
Karkara = Qarqar) — وهي موقع على نهر العاصي شمالي حماة —
حلف من الملوك السوريين والعرب ، يضم اثني عشر ملكا ، على رأسهم
«بنحدر الثاني» ملك دمشق ، و «أخاب» ملك اسرائيل (٨٦٩ — ٨٥٠
ق.م) حيث حدثت المعركة الشهيرة ، ورغم تفاخر «شلمنصر» بالنصر
في موقعة «قرقر» هذه ، وزعمه أنه ذبح ١٤٠٠ محارب ، وأن السهل
كان أصغر من أن يحتل الاعداد الضخمة من الجثث ، وأن الارض
الواسعة لم تكن تتسع لنفن قتلاه ، الذين امتلأ بجثثهم نهر العاصي ،
حتى أقام منها جسرا على النهر ، وأنه — أي شلمنصر الثالث — قد

26) M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 216.

(٢٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٥ .

(٢٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, P. 278.

S. A. Cook Israel and The Neighbouring, CAH, III, 1965, P. 263.

استولى على مركبات أعدائه ، فضلا عن خيلهم وسلاحهم ، ورغم كل هذه المزاعم ، فان الحقائق التاريخية تقول : ان نصره لم يكن حاسما ، ولم يؤد أبدا الى استسلام حماة ودمشق واسرائيل (٢٩) .

ولعل من الطريف هنا أن نقدم وصفا لحملة شلمنصر الثالث هذه — كما قدمتها نصوصه — فلقد جاء فيها — على لسان الملك نفسه — «حينما اقتربت من حلب (خالمان) خشي أهلها الحرب وارتموا على قدمي فتلقيت جزاهم فضة وذهبا ، وضحييت أمام أداد حلب ، ورجعت من حلب ، وبلغت مدينتي ارهوليني الحموي ، فهاجمتها وهاجمت عاصمة أرجانا ، واستوليت على جزاه وممتلكاته ، وحرقت قصوره ، ثم واصلت المسير الى قرقر فدمرتها ومزقتها وحرقتها ، وكان أميرها قد استنجد بألف ومائتي عجلة حربية ، وألف ومائتي خيال ، وعشرين ألف من مشاة أداد ادرى الأمورى ، وسبعمائة عربية وسبعمائة خيال وعشرة الاف من مشاة ارهوليني الحموي ، وألف عربية وعشرة آلاف من مشاة أخاب من أرض اسرائيل ، وخمسمائة جندي من «قوى» وألف جندي من موصري ، وألف راكب جمل من جنديبو المعريبي (جندب العربي) و ٠٠٠ ألف من بأسا بن رهوبى العمونى ، وكلهم اثنا عشر ملكا تأهبوا للملاقاة فى معركة حاسمة ، فقاتلتهم بقوات أسور العظيمة التى هبأها لى مولاي أشور ، وبالسلاح التى قدمها لى مرشدي نرجال ٠٠٠ وأوقعت بهم الهزيمة بين مدينتي قرقر وجيلزار ، وذبحت ألفا وأربعمائة من جنودهم (١٤٠٠) بالسيف ، وانحطت عليهم انحطاط أداد ، حين يرسل عواصفه المطيرة مدرارا ، وبعثت جثثهم فى كل مكان ، ومألت السهل كله بها ،

29) J. A. Montgomery, Arabia and The Bible, Philadelphia, 1934, P.27.

J. Finegan, Op. Cit., P. 204.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 279.

G. Roux, Op. Cit., P. 275.

Daniel David Luckenbill, ARAB, I, Chicago, 1926, Parag. 611.

J. B. Pritchard, The Ancient Near East, Princeton, 1950, P. 188.

وأجريت دماءهم ... وضاق السهل عن نزول أرواحهم (الى العالم السفلي) • وجعلت جثثهم معبرا الى على نهر الأراننتو (الأورنت) (٣٠) •

وعلى أية حال فقد اضطر العاهل الاشوري الى اعادة الكرة مرات بهدف اخضاع سوريا وفينيقيا ، وفلسطين ، حتى استطاع في عام ٨٤٢ ق.م ، ارغام المدن الفينيقية — وخاصة صور وصيدا — على دفع الجزية له (٣١) •

ويقول الملك الاشوري في حولياته عن نصره هذا «في السنة الثامنة عشرة للملكي ، عبرت الفرات للمرة السادسة عشرة ، وكان حزائيل ملك آرام يثق بجيوشه ... ولكنني حققت سقوطه ، وزيفت الى «بعلي رأسي» ، وهو رأس في البحر ، وأقمت صورتي هناك ، وفي ذلك الحين تلقيت الجزية من رجال صور وصيدا ، ومن ياهو بن عمري» (٣٢) •

وعلى أية حال ، فان «المسلة السوداء» (Black Obelisk) — والتي كُشف عنها «سير أوستن ليارد» (A. H. Layard) في عام ١٨٤٦ ، في قصر شلمنصر في مدينة نمرود ، والمحفوذة الان في المتحف البريطاني — (٣٣) تمثل على وجهها الثاني من أعلى حاملي الجزية الاسرائيليين وموظفيهم في ملابس مشغولة ، ذات أكمام قصيرة ، وعمامة تشبه غطاء الرأس ، والشكل العام ييسدهم عن أن يكونوا «حيثيين قحا» ، وتشهد للتأثير القوي للحيثيين الاراميين ، حيث يمثل نصب الملك «شيشنق» شكلا آخر ، ينظر اليه كأموري (٣٤) •

(٣٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٥

31) A. Lods, Op. Cit., P. 377.

32) D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 672.

33) C. J. Gadd, The Stones of Assyria, 1930, P. 48.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.

A. H. Layard, Nineveh and its Remains, I, 1849, P. 181.

(٣٤) محمد بيومي مهران : اسرائيل ٢ / ٩٠٨ وكذا

J. Fingan, Op. Cit., P. 264-265.

G. Roux, Op. Cit., P. 373.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 99.

وهناك ما يشير الى أن «شلمنصر الثالث» انما اضطر الى التوجه غربا ، للمرة الثانية ، وذلك للقضاء على الدويلات الرئيسية التي كانت في الحلف السورى ضد الاشوريين ، فدحر قوات دمشق فى عام ٨٤٢ ق.م ، وان لم يحتل دمشق نفسها ، فى حين قدم له ملوك صور وصيدا الجزية — كما أشرنا آنفا — .

وأما بلاد بابل ، فكان ملكها «مردوك زاكير شوى» الاول ، مواليا للاشوريين ، غير أن انقسامها ما حدث فى البلاط البابلى ، انتهى بقيام ثورة أهلية أيدتها القبائل الكادية فى الجنوب والمدن الواقعة فى منطقة دىالى ، شرقى بلاد تابل ، مما اضطر الملك الاشورى «شلمنصر الثالث» الى تجهيز حملتين عسكريتين على المنطقة أنهت التمرد وأعادت الامن الى بلاد بابل ، وبدهى أن ذلك انما كان فى مصلحة الملك الاشورى ، فقد أصبحت له اليد العليا على الملك البابلى بعد أن ناصره .

وهناك ما يشير الى وصول التتوات الاشورية الى ساحل الخليج العربى لتهدة قبائل كلديا ، وتلقى هدايا ملوكها، أو جزاها على حد قول نصوص شلمنصر الثالث ، التى روت قوله فيها : «هبطت الى كلديا ، وقهرت مدنها ، وسرت حتى البحر الذى يسمونه «البحر المالح» (الخليج العربى) ، وتسلمت فى بابل جزية «أدينى بن داكورى» من الفضة والذهب وخشب «أوشو» والعاج ...» وقد صور فنانونه جزية «بيت داكورى» هذه يحملها أهلها بين صفوف النخيل ، ويشرف عليها حراسه وكتبتة ، وسجلوها على أبواب قصره المكسوة بصفائح البرونز فى بلاوات^(٣٥) .

وأما فى الجبهة الشمالية والشرقية فكانت دولة «أورارتو» (Urartu) أو «أرارات» Ararat تغذى فيها الاضطرابات ، مما اضطر الملك

(٣٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٣ - ٥١٤ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٩ ، وكذا
D. Oates, Iraq, 15, 1963, P. 20-21.

الاشوري الى ارسال حملات تأديبية الى المنطقة الجبلية ، استطاعت
أن تعيد الامن الى منطقة أعالي بلاد النهرين واقلیمی «تبال» و «قو»
(قليقيا) *

وهناك ما يشير الى أن السياسة العسكرية التي اتبعها «شلمنصر
الثالث» لم تلق التأييد الكامل داخل بلاد آشور ، فلقد حدث تمرد
ترعمه أحد أبنائه «أشور — دانين — أبلي» Ashur - Danin - apli
وأيدته كثير من المدن الاشورية الهامة — مثل آشور ونيينوى وأرابيل
وأرابخا (كركوك) — وعلى أية حال ، فلقد تولى ولي العهد «شمشى —
أداد الخامس» مهمة القضاء على هذا التمرد ، الذي استغرق سنوات
أربع ، توفي ابانها «شلمنصر الثالث» (٣٦) *

(٥) شمشى — آداد الخامس (٨٢٣ — ٨١١ ق م)

جاء «شمشى آداد الخامس» (Shamshi - Adad, V) بعد أبيه
(شلمنصر الثالث) ، وبعد أن قضى على ثورة أخيه ، غير أن هذه الثورة
انما ساعدت بعض الاقاليم النائية في الانفصال عن الدولة الاشورية ،
وقد تم ذلك على وجه الخصوص في المنطقة الجبلية في الشمال والشمال
الشرقي في منطقة تلاد «نائيري» nairi ، مما اضطر «شمشى —
أداد الخامس» الى ارسال عدد حملات عادة السيطرة عليها ، هذا فضلا
عن حملة ضد ملك بابل — الذي تورط في حلف مع ملك عيلام وزعماء
القبائل الكلدية والارامية في الجنوب والشرق ضد آشور — وقد نجحت
الحملة في القضاء على الحلفاء في عام ٨١١ ق م (٣٧) *

(٦) آداد — نيرارى الثالث (٨١٠ — ٧٨٣ ق م)

جاء «آداد — نيرارى الثالث» (Adad - Nirari, III) بعد أبيه (شمشى

(٣٦) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٠ ، وكذا

G Roux, Op. Cit., P. 276-277.

37) G. Goossens, in Histoire Universelle, I, Paris, 1956, P. 390.

أداد البخامس» ، وكان ما يزال قاصرا ، فتولت أمه «سمورامات» (Sammuramat) — والتي عرفت في المصادر الكلاسيكية باسم «سميراميس» (Semiramis) —^(٣٨) الوصاية عليه ، وحكمت نيابة عنه سنوات خمس •

وهناك ما يشير الى قيام تحالف جديد في بلاد الشام ضد الدولة الاشورية ، غير أن القوات الاشورية سرعان ما قضت عليه ، وتشير حـوليات «أداد — نيراري الثالث» الى أن قواته قدمت الى غينيقيا مرتين ، في عامي ٨٠٤ ، ٨٠٣ ق.م ، وأنه قد تسلم الجزية من دويلات مختلفة في الشام «من الفرات حتى البحر العظيم ، التي تغرب فيه الشمس ، أخضعت بلاد حاتي وبلاد أمور كلها ، وبلاد صور وصيدون وعمري (اسرائيل) وأدوم وفلسطين (الفلسطينيين) وفرضت عليهم جزية كبيرة»^(٣٩) •

(٣٨) روى المؤرخون الكلاسيكيون أسطورة عن «سميراميس» تقول : أن أمها كانت الهة تعبد في عسقلان قرب البحر ، ويرمز اليها بصورة نصفها سمكة ، ونصفها حمامة ، ولما ولدت ابنتها على هيئة بشرية سوية تركتها للحمام يرعاها ، ولهذا سميت «محبوبة الحمام» وذلك لان الاسم «سمو — رامات» مركب من كلمتين ، الاولى «سمو» ومعناها «الحمامة» ، والثانية «رامات» (مات) ومعناها «المحبوبة» ، ومن ثم فمعنى الاسم «محبوبة الحمام» •

ثم عثر عليها كبير رعاة ملك آشور ورباها ، وتزوجها حاكم نينوى «أونيس» ، ولكن ملك آشور العظيم «نينوس» طمع فيها وأجبر زوجها على التخلي عنها ، فانتحر ، ولجأت هي الى الحيلة لتنتقم له ولنفسها ، فمكرت بالملك الغاصب ، وطلبت منه أن يعهد اليها بالعرش والسلطان خمسة أيام فرضى ، واستغلت هي سلطانها المؤقت ، وأمرت بسجن الملك ثم قتله ، واستأثرت بالعرش بعده أكثر من أربعين عاما (عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٧ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٤ — Herodotus, I, 184. وكذا

Strabo, XV, I, 5, II, 5, XVI, I, 2.

Diodorus Siculus, II, 4-20.

W. Hiers, Semiramis, Wien, 1971.

39) G. Roux, Op. Cit., P. 279-280.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 281.

وكذا

=

هذا وقد تعاقب على العرش الآشوري بعد «أداد — نيرارى الثالث» عدد من الملوك الضعاف — شلمنصر الرابع (٧٨٢ — ٧٧٣ ق.م) و «أشور — دان الثالث» (٧٧٢ — ٧٥٥ ق.م) و «أشور — نيرارى الخامس» (٧٥٤ — ٧٤٥ ق.م) — لم يكونوا كفؤا لمواجهة التحديات التي مارستها «أوراراتو» في الشمال ، والقبائل الكلدية في الجنوب ، والحلف الآشوري في الغرب ، فضلا عن التمزق الإداري داخل الدولة الآشورية نفسها ، ومن ثم فقد انكمشت سلطتهم ، وضعف نفوذهم ، وعمت آشور ضائقة اقتصادية حادة بسبب قطع الطرق التجارية المؤدية الى سورية وآسيا الصغرى وبلاد بابل ، فاجتاحت آشور ثورة أهلية عارمة ، تزعمتها مدينة نمرود ، قضت على الملك الحاكم وأسرتة ، ونصبت بدلا عنه الملك «تجلات بلاسر الثالث» (Tiglathpileser, III) — الاخ الاصغر للملك آشور — نيرارى الخامس — والذي عرف في المصادر البابلية باسم «بول» (٤٠) .

وأيا ما كان الامر ، ففي حماة هذه المشكلات الداخلية والخارجية سجلت النصوص الآشورية حدوث كسوف كلى للشمس ، وافق عام ٧٦٣ قبل الميلاد (أى في عهد آشور — دان الثالث) ، ورتبت عليه ما شاعت من تعليقات عقائدية وخرافية ، خاصة وأن الكسوف قد حدث في وقت ، تفتى فيه طاعون عظيم فتك بكثير من الناس ، وعلى أية حال ، فلقد اعتبر حادث كسوف الشمس هذا ، أساسا لضبط التقويم الآشوري اذا أمكن بالحساب الفلكى المدقيق ارجاع هذا الكسوف الى حزيران (يونيه) عام ٧٦٣ ق.م ، فصارت نقطة يقاس منها تسلسل التاريخ الآشوري ،

وكذا =

H. Tadmor, The Historical Inscriptions of Adad-Nirari, III, in Iraq, 35, 1973, P. 141-150.

D. D. Luckenbill, ARAB, I, Parag. 732-48.

A. R. Millard and H. Tadmor, Iraq, 35, 1973, P. 57-64.

(٤٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥١ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 280.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, Parag. 1198.

واستعين بها كذلك لضبط التقويم البابلي ، بالاستعانة بحوادث من التاريخ البابلي عاصرت ما يماثلها من التاريخ الاشوري^(٤١) .

ثانيا : عصر الامبراطورية الثانية

(١) تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق م)

يعتبر المؤرخون عصر الملك «تجلات بلاسر الثالث» (Tiglathpileser, III) بداية «عصر الامبراطورية الاشورية الثانية» ، وقد عرف الملك الجديد باسمين ، الواحد «تجلات بلاسر» — كما جاء في النصوص الاشورية — والثاني «بول» (Pul) أو «بولو» (Pulu) — وهو الاسم الذي أطلقته عليه المصادر البابلية عام ٧٢٨ ق م ، أثناء الاحتفال بعيد رأس السنة الجديدة — ويحتمل الاسمان أكثر من تفسير واحد ، فقد يكون اسم «بولو» هو اسمه الشخصي ، ويدل بهذا على أنه لم يكن من صلب البيت الحاكم ، واذا صح هذا أمكن افتراض أنه من قادة الجيش نظرا لما تجلّى من مهارته الحربية فيما بعد ، ولما اعتلى العرش تيمنا باسم الفاتح القديم «تجلات بلاسر» وتسمى باسمه ، أو يكون اسم «بولو» مجرد مرادف بابلي ، اخترعه البابليون لغرض في نفوسهم ، وأيا ما كان الامر ، فلقد عرف هذا الملك في التوراة باسم «نول» ، ولعله تصحيف يهودي لاسم «بول» البابلي^(٤٢) .

هذا وقد عرف «تجلات بلاسر الثالث» بأنه كان اداريا من الطراز الاول ، ويذهب الباحثون الى أن الاشوريين قد بدأوا منذ أيامه يقسمون امبراطوريتهم الى عدد من المقاطعات الرئيسية يدعى كل منها «بيخانو»

(٤١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ ، طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٥

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 281-282.

D. D. Luckenbill, ARAB, Parag. 734 F.

(٤٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٨ ، ملوك ثان ١٥ /

١٩ - ٢٠ ، وكذا

G Roux, Op. Cit., P. 286.

أو «ناكو» ، ويشرف عليها سيد المقاطعة (بيل بيخاني) ، وهو الذي يمثل الملك في المقاطعة ، وينفذ أوامره ، وكانت واجباته تشمل الشؤون الادارية والمالية والعسكرية والدينية ، وكان مقر الحاكم في عاصمة المقاطعة ، ويساعده في ادارة شئون مقاطعته مجموعة من الاداريين والكتبة والمساحين والمحاسبين والرسل والفلكيين وقراء الفأل وضباط التجنيد ومرافبي الري والمساعدين العسكريين والمترجمين وغيرهم ، وكانت المقاطعة مقسمة بدورها الى وحدات ادارية أصغر تدعى «قنو» (وتعنى حرفيا حلقة) ، وكان مركز ال «قنو» في المدن الرئيسية ، ويشرف عليها «رئيس المدينة» ، وهو الذي كان يقوم بجمع الضرائب وحفظ النظام ، فضلا عن الاشراف على الشؤون الادارية العامة ، هذا فضلا عن أن «تجلات بلاسر» الثالث انما عمل على تقسيم بلاد آشور الشرقية — من الناحية الادارية — الى قسمين ، الواحد : مقاطعة «أرابخا» (Arrapha) (كركوك حاليا) ، وقد امتدت حتى شرقي بغداد ، واثنى : شمل الارضين الواقعة الى الجنوب منها ، والتي تفصل بين عيلام وبابل (٤٣) .

هذا وقد عرف «تجلات بلاسر» أيضا بأنه كان قائدا عسكريا فذا ، استطاع ابان سنى حكمه ، القضاء على الفوضى والاضطراب السياسى والاقتصادى الذى ساد آشور في أعقاب الثورة الاهلية ، كما كتب له نجحا بعيد المدى في اعادة هئية الدولة في مختلف الجبهات ، هذا وقد بدأ «تجلات بلاسر الثالث» ميدان الفتوحات ببابل القريبة منه ، فهيمن عليها بعد جهود ، وعهد بأمرها الى صنيعة له تدعى «نابو نصر» (Nabu - Nasir) ، غير أن وفاة «نابو — نصر» انما كانت سببا في تمرد احدى القبائل الكلدية ضد آشور ، وان ظلت المقاطعات الاشورية شرقي بابل على ولائها لآشور ، والامر كذلك بالنسبة الى سكان بابل المحليين (٤٤) .

(٤٣) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٤٠ - ١٤١ ، ١٥١ .
(٤٤) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥١ ، عبد العزيز صالح :
المرجع السابق ص ٥١٨ - ٥١٩ وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 284-285.

وأما بالنسبة لبلاد الشام ، فلقد بدأت آشور ترى — منذ عهد تجلات بلاسر الثالث — أن امتلاكها لبلاد سورية وفلسطين إنما هو الشرط الاساسى لنجاح امبراطوريتها ، فهو لم يكن بالنسبة لحكام بلاد النهرين من الاشوريين ، بسبب ثروة سورية وفلسطين من أخشاب نادرة في الشرق الأدنى القديم ، وبسبب ثروتها المعدنية وساحلها الطويل على البحر المتوسط ، وتجاريتها الغنية فحسب ، ولكنه كان كذلك — وفي نفس الوقت — المدخل الى جنوب شرقى آسيا الصغرى من ناحية ، ومصر من ناحية أخرى ، ومن ثم فقد اتخذ «تجلات بلاسر الثالث» الخطوات الجادة مباشرة لضم الأجزاء الأساسية من سورية وفلسطين الى الامبراطورية الاشورية ، وتثبيت سيادة آشور على فلسطين وسورية، وانطلاقاً من كل هذا ، فان الرجل لم يقنع — كغيره من الحكام الاشوريين — بقبول الجزية ممن يخضعهم لسلطانه من أمراء سورية وفلسطين^(٤٥) .

وهكذا بدأ «تجلات بلاسر الثالث» يتجه نحو بلاد الشام ، وأقام معسكره الرئيسى ، فيما بين عامى ٧٤٣ ، ٧٤١ ق م ، فى «أرباد» (وهى أربادو بالاشورية — وتقع فى مكان تلى أرفاد الحالية ، على مبعدة ٢١ كيلا شمالى حلب) ، ومن هناك أرسل حملة الى دمشق ، ثم فرض الجزية على المدن الفينيقية ، وطبقا لما جاء فى «المسلة السوداء» فقد خضع له كذلك «مناحيم» ملك اسرائيل (٧٤٥ — ٧٣٦ ق م) ، وطبقا لرواية التوراة ، فلقد أحنى له رأسه ، وخفض له جناح الذل ، وابتاع رضاه بالمال الذى فرضه على بنى قومه من أصحاب الاملاك وقدمه للعاهل الاشورى على هيئة أوان من ذهب وفضة وورصاص^(٤٦) .

على أن دمشق سرعان ما بدأت فى اعلان الثورة فى عام ٧٣٩ ق م ،

45) Martin Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 253.

(٤٦) محمد بيومى مهران : اسرائيل — الجزء الثانى — الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٩٣٤ — ٩٣٥ ، ملوك ثان ١٧/١٥ — ٢٢ ، وكذا A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 281.

بل وبدأت تقوم بدور قيادي — ولاحر مرة — وذلك عندما تكونت كتلة سياسية بزعامة «رصين» ملك دمشق ، ومن ورائه كل تحالف الدويلات الأرامية ، ضد الاشوريين ، وسرعان ما انضم الى «رصين» الفينيقيون والمدن الفلسطينية والدويلات العربية في شمال غرب بلاد العرب، فضلا عن دويلتي أدوم واسرائيل ، ولم يبق خارج الحلف سوى «أحاز» ملك يهودا (٧٣٥ — ٧١٥ ق م) ^(٤٧) ، ومن ثم فقد هوجمت القدس (أورشليم) بقوات دمشق والسامرة ، بغية ازاحة «أحاز» عن عرشه وتتويج أحد الاراميين في مكانه ، ليضم يهوذا الى الحلف القائم ضد ملك آشور ^(٤٨) .

ومن ثم فقد قرر «أحاز» أن يستدعى قوات آشور لحمايته ، كما أرسل الهدايا من خزائن المعبد والقصر للعاهل الاشوري «تجلات بلاسر» (تغلت فلاسر في التوراة) سائلا اياه ، — بل وملحا في سؤاله — أن ينقذه من ملكي دمشق والسامرة ، على شريطة أن يكون له «عبدا وابنا» ^(٤٩) ، هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن الملك الاشوري لم يستجب لنداء «أحاز» ، غير أن هناك ما يشير الى أن «تجلات بلاسر» ، انما كان في تلك الاوانة في شمال سورية ، ورتما كان مع جيشه في مكان ما في مجاورات دمشق ، وعلى أية حال ، فمن الواضح أن الاحداث بدأت تتحرك سريعا ، وقد أنقذ التدخل السريع الحاسم «أحاز» من موقفه الصعب ، قبل أن تسقط اورشليم (القدس) في أيدي المهاجمين من الاسرائيليين والاراميين ، وان كان «تجلات بلاسر» بالتأكيد ما كان في حاجة الى ترسلات أحاز ملك يهوذا ، ليقوم بحملته ضد سورية وفلسطين ، فلقد كان في هذه الفترة — على أية حال — انما يهدف الى اخضاع سورية وفلسطين لآشور تماما ، ومنذ عام ٧٣٨ ق م ، وقد

47) G. Roux, Op. Cit., P. 285.

وكذا

Werner Keller, The Bible as History, London, 1967, P. 241-242

(٤٨) ملوك ثان ١٦/٥ ، اشعيا ١/٧ — ٣ وكذا

E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 116.

(٤٩) أخبار أيام ثان ١٦/٧ — ٨ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 363.

أصبحت «حماة» من أملاكه ، فقد كان يرنو بناظره نحو دمشق
— بنادى ذى بدء — ثم اسرائيل فيما بعد^(٥٠) .

وفي عام ٧٣٣ قبل الميلاد ، تقابل الملك الاشورى مع ملك دمشق ،
فهرب «رصين» الى عاصمته دمشق . ومن ثم فقد قام العاهل الاشورى
بمحاصرة العاصمة الارامية (دمشق) واتلاف ما حولها من حدائق
ومدن ، هذا فضلا عن الاغارة على حلفاء الاراميين والانتصار عليهم ،
مما جعل دمشق تصبح في عزلة تامة^(٥١) .

ونقرأ في التوراة أن «تجلات بلاسر» قد أخذ «عيون وابل بيت معكة
ويانوج وقادش وحاصور وجلعاد والجليل وكل أرض نفتالى ، وسباهم
الى آشور»^(٥٢) ، هذا ونشير احدى الحوليات الاشورية من عهد
«تجلات بلاسر» الى أنه قد استولى على كل مدن اسرائيل — ماعدا
السامرة — ومن ثم فاننا نستطيع أن نستنتج من ذلك — ومن قوائم
الاقاليم الاشورية — أن تجلات بلاسر الثالث انما قد ترك ملك اسرائيل
«فقع» (٧٣٥ — ٧٣٢ ق م) جبل أفرام والمدينة الملكية السامرة ،
وأما بقية المناطق الاسرائيلية فقد أدمجت في نسق الولايات
الاشورية^(٥٣) .

وأيا ما كان الامر ، فإن الممالك الصغيرة في سورية وفلسطين — والتي
كانت قبل ذلك ، وعلى مدى قرنين من الزمان قادرة على حفظ كيائها ،
دونما تدخل من الخارج تقريبا ، وجدت الان نفسها أمام آشور القوية
الطامعة الطاغية ، وقد نجح «تجلات بلاسر» في أن يجتاح في عدة

(٥٠) محمد بيومى مهران : اسرائيل ٩٣٧/٢ — ٩٣٨ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 259-260.

51) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118-119.

M. Noth, Op. Cit., P. 260-261.

وكذا

(٥٢) ملوك ثان ١٥ / ٢٩ ، وكذا

E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 118.

53) M. Noth, Op. Cit., P. 261.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, P. 341.

وكذا

حملات الى الغرب مدينة دمشق ، بعد حصار دام عامين ، وأن يقتل ملكها «رصين» ، وهكذا ، وبسقوط دمشق في عام ٧٣٢ ق.م ، حان الوقت للاشوريين أن يضموا سوريا بأكملها الى امبراطوريتهم ، وانتهت قوة الاراميين السياسية ، وأصبحت السيادة على الدويلات الارامية الآشور ، وبالتالي فقد زال الحاجز الذي كان يحول دون سقوط السامرة (٥٤) .

ونقرأ في التوراة أن «فقح» فقد عرشه وحياته في مؤامرة على رأسها «هوشع بن أيلة» وأن الاخير قد نصب نفسه ملكا في السامرة على ما بقي لاسرائيل ، وان كنا لا ندري أكان ذلك برضى من تجلات بلاسر (٥٥) ؟ أم أنه كان بريئا من دم «فقح» ، فحمله هوشع وفرض عليه جزية ثقيلة ، وأيا ما كان الامر ، فلقد أصبح «هوشع» ملكا على اسرائيل (٧٣٢ - ٧٢٤ ق.م) من قبل الاشوريين ، يدين لهم بالولاء ، ويدفع لهم الجزية عن يد وهو صاغر (٥٦) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن تجلات بلاسر انما اتبع وسائل أربعة لتثبيت قبضته على أطراف دولته ، وهي تعيين حكام آشوريين على مدنها الكبيرة ، دون الاكتفاء بحكامها المحليين ، وايفساد مندوبين فوق العادة لتفقدوها وتنفيذ مطالب دولته منها ، وربما كان من أولئك المندوبين من يلقبون بلقب «رابشاق» الذي ذكرته لهم قصص التوراة ، وفرض عبادة الارباب الاشوريين على بعض أهل المدن العنيدة (مثل غزة) ثم تشريد أهل المناطق المفتوحة الخطرة ، وتهجير أغلب الأيدي العاملة منهم الى بلاد أخرى بعيدة عنهم ، حتى لا تقوم لبلادهم قائمة ، مع احلال غيرهم من مناطق بعيدة محلهم حتى يضغطوا على

54) E. G. Kraeling, Op. Cit., P. 119.

وكذا

(٥٥) ملوك ثان ٣٠/١٥ ، محمد بيومي مهران : اسرائيل ٢/٩٣٩ ،

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 341.

وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, P. 284

56) S. A. Cooke, Op. Cit., P. 382.

السكان الاصليين ، أو يظلوا بينهم أغرابا مستضعفين ، وتهجير بعض آخر الى دولة آشور نفسها ، حتى يظلوا تحت اشراف حكامها ، وحتى يمكن استغلالهم في خدمتها استغلالا مباشرا ، فضلا عن يستعبدون منهم استعبادا تاما عند خاصة أهلها ، وكان من هذا القبيل أن عمد في عامه الثالث الى تهجير ثلاثين ألفا ، وثلاثمائة شخص من سكان المنطقة السورية التي تمتد من حماه الى البحر ، الى منطقة تسمى «كو» وتهجير آخرين الى منطقة تدعى «الابا» ، ويبدو أنه أحل محلهم سكانا جلبهم من منطقة «لواومو» في جبال زاجروس ، ومن نائيري ، قرب بحيرة فان ، وهجر بأمره في عام آخر عددا كبيرا من أهل «بيت خومريا» ، أى أرض عمري^(٥٧) ، الى آشور ، بل وادعت نصوصه أنه هجر بأمره أكثر من مائة ألف من أنصار المتنافسين في بابل نفسها ، بعد أن أخضعها لحكمه المباشر^(٥٨) .

وأما علاقة الاشوريين ببلاد العرب ، فلقد رأينا من قبل أن «شلمنصر الثالث» أول من ذكر العرب في حوارياته^(٥٩) ، عن معركة قرقر عام ٨٥٣ ق م ، وأن أمير ولاية «موصري» — في شمال غرب الجزيرة العربية — قد انضم الى حلف الملوك السوريين ضد شلمنصر ، فضلا عن أمير عربي آخر يدعى «جندب» (جندبيو) شارك في المعركة بمدد محمول على ألف بعير^(٦٠) ، ورغم أن النص الاشوري لم يشر الى موقع ولاية

(٥٧) عرفت اسرائيل في الوثائق الاشورية باسم «أرض عمري» أو «أرض بيت عمري» ، وحتى بعد سقوط أسرة عمري في عام ٨٤٢ ق م ، فقد كان ملك اسرائيل بالنسبة الى الاشوريين هو «ابن عمري» ، وربما يعزى هذا بدرجة ما الى أن الاسرائيليين انما قدامتصلوا — لأول مرة — بأشور أثناء عهد أسرة عمري ، وربما أثناء عهد عمري نفسه ، وهو الذى أرسل بهداياه الى الملك «أشور ناصر بال الثانى» (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م) عندما تقدم هذا الاخير حتى نهر الكلب شمالى بيروت ، محمد بيومى مهران : اسرائيل ٨٩٩/٢ ، وكذا

(٥٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥١٩ .
59) N. Abbot, Pre-Islamic Arab Queens, in AJSL, 58, 1941, P. 4.

60) J. Montgomery, Op. Cit., P. 27.

M. Noth, Op. Cit., P. 245-246.

S. A. Cook, in CAH, III, 1965, P. 363.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 279.

وكذا

جندب هذه ، فان القرائن تشير الى أنها انما كانت في أطراف البادية، بل ان «ألويس موسل» انما يذهب الى أنها تقع الى الجنوب من دويلة دمشق^(٦١) ، كما أن هناك من يشير الى أن العاهل الاشوري قد مد حدوده حتى الكويت ، ومن ثم فقد اتصل بالقبائل التي تقطن هذه البقاع من بلاد العرب^(٦٢) .

وعلى أية حال ، فلقد بدأ الاشوريون يهتمون ببلاد العرب منذ القرن التاسع قبل الميلاد ، وربما فكروا في بسط نفوذهم عليها ، ربما بسبب الرغبة في حماية طرق القوافل القادمة من جنوب بلاد العرب ، محملة بالبخور وغيره من المنتجات التي كانوا يتوقعون الى الحصول عليها ، وربما اتقاء لغارة مفاجئة قد يقوم بها الاعراب في شمال الجزيرة العربية ضد الامبراطورية الاشورية ، وأيا ما كان السبب ، فاننا نقرأ في حواشي «تجلات بلاسر الثالث» (٧٤٥ — ٧٢٧ ق م) التي عثر عليها في «كالح» (نمرود) عن جزية من «زبيية» (زبيبي) ملكة بلاد العرب — وربما كان مقرها دومة الجندل (أدوماتو عند الاشوريين ، دومة في التوراة) ، وهي مدينة الجوف الحالية ، على مبعدة ٤٠٠ كيلا شرقي البتراء — والامر كذلك بالنسبة للملكة «سمسي» (شمس) التي قدمت للعاهل الاشوري جمالا ونياقا^(٦٣) ، فضلا عن تعيين تقيم يمثله في بلاطها^(٦٤) . ويقول النص الاشوري : «أما شمس ملكة بلاد العرب ، فلقد قتلت ١١٠٠ من رجالها ، واستوليت على ثلاثين ألف جمل ، وعشرين ألف رأس من الماشية وخمسة آلاف اناء توابل ، وكل ممتلكاتها ، وأخذت منها هذه وغيرها ، وأما هي فقد هربت الى مدينة «بازو» Bazu ، وهو اقليم ليس به ماء ، ثم أدركت مدى قوة جيشي ، فجاءت لي بالجمال والنياق ، ووضعت عليها حاكما»^(٦٥) .

61) A. Musil, Arabia Deserta, P. 477.

62) G. Roux, Op. Cit., P. 277.

63) N. Abbot, Op. Cit., P. 4.

64) A. Musil, in The Arabia Deserta, New York, 1930, P. 477.

65) A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 284.

وهكذا يبدو واضحاً أن الملكتين العربيتين (زببية وشمس) إنما قد اضطرتتا إلى تقديم فروض الطاعة للملك الآشوري ، وربما كان ذلك بعد استيلائه على غزة ، وقطع طريق البخور^(٦٦) ، بل أن النص الآشوري إنما يشير كذلك إلى أن الملك الآشوري إنما قد أخذ الجزية من «تيماء» — على مبعدة ١٢٥ كيلاً شمال مدائن صالح — كما أخذها كذلك من غيرها من الواحات العربية^(٦٧) ، فضلاً عن «سبأ» — وهي الجبالية السبئية التي خلفت المعينيين في ديدان (العلا الحالية) على مبعدة ٢٤ كيلاً جنوبى مدائن صالح — ومن هنا فإن «سبأ» إنما ترد في النص بعد تيماء مباشرة^(٦٨) .

(٢) شلمنصر الخامس (٧٢٦ - ٧٢٢ ق م)

مات تجلات بلاسر الثالث ، وخلفه على عرش آشور ولده «شلمنصر الخامس» (Shalmaneser, V) وفي عهده أعلن «هوشع» ملك إسرائيل (٧٣٢ - ٧٢٤ ق م) العصيان ضد آشور ، ونقرأ في التوراة «أن ملك آشور وجد في هوشع خيانة ، لأنه أرسل إلى «سوا» ملك مصر ، ولم يؤد جزية إلى ملك آشور حسب كل سنة»^(٦٩) ، والمعروف تاريخياً أنه لا يوجد ملك في هذه الفترة من تاريخ مصر يحمل اسم «سوا» ، ومن هنا كان الخلاف بين المؤرخين حول هذا ال «سوا» ، وربما كان الملك المقصود في نص التوراة هو الملك «أوسركون الرابع» (٧٣٠ - ٧١٥ ق م) من الأسرة الثانية والعشرين^(٧٠) .

66) A. T. Olmstead, A History of Assyria, Chicago, 1933, P. 189.
(٦٧) عبد الرحمن الانصارى : لمحات عن بعض المدن القديمة في شمال غربى الجزيرة العربية - مجلة الدارة - العدد الاول - الرياض ١٩٧٥ ص ٨٢ .

68) A. Musil, The Nothern Hegaz, N. Y., 1926, P. 288.
A. Van den Branden, Histoire de Thamoud, P. 7.

وكذا
(٦٩) ملوك ثان ١٧/٤ - ٥ .
(٧٠) أنظر عن الآراء التى دارت حول «سوا» (محمد بيومى مهران إسرائيل ١٩٤٠/٢ - ١٩٤٥ وكذا

K. A Kitchen, Op. Cit., P. 373-374.

A. H. Gardiner, JEA, 50, 1964, P. 94.

وعلى أية حال ، وأيا كان اسم ملك مصر الذى استنجد به «هوشع» ضد آشور ، فلقد تقدم الملك الاشورى «شلمنصر الخامس» نحو «السامرة» (٧١) — عاصمة دويلة إسرائيل — واستمر فى حصارها نحواً من أعوام ثلاثة ، وإذا أمكننا أن نضع سقوط السامرة فى السنة التاسعة من حكم هوشع ، فإن هذا الحدث التاريخى الخطير ، انما يكون قد تم فى ربيع عام ٧٢٢ ق.م ، فى وقت كان «شلمنصر الخامس» ما يزال ملكاً على آشور ، وطبقاً لما جاء فى سفر تاريخى بابلى ، يرجع الى عام ٥٠٠ ق.م ، ويتحدث عن الفترة من عام ٧٤٥ ق.م ، الى عام ٦٢٦ ق.م ، أن موت «شلمنصر الخامس» انما كان فى شهر Toletu ، وأن اعتقال «سرجون الثانى» عرش آشور انما كان فى اليوم الثانى من نفس الشهر ، وهذا يتأخر به الى ديسمبر من عام ٧٢٢ ق.م ، كما يعتبر هذا السفر تدمير مدينة «الشامريين» — والتى يمكن أن توجد بالسامرة — من الاحداث الهامة فى عهد «شلمنصر الخامس» ، وتؤرخ المعركة بعام ٧٢٢ ق.م ، وفى الغالب فيما بين الربيع والخريف من هذا العام ، وان كان هناك من يقرأ اسم المدينة على أنها «الشابريين» بدلاً من «الشامريين» ، ويرى أنها ليست مدينة السامرة ، وان كان هذا الاحتمال ضعيفاً (٧٢) .

هذا وطبقاً لما جاء فى رواية «يوسف اليهودى» — كما جاءت فى الحوليات السورية — (٧٣) فلقد اجتاح «شلمنصر الخامس» فينيقيا

وكذا =

R. Sayed, VI, 17, 1967, P. 116-118.

S. Yeivin, VI, 2, 1952, P. 164.

R. Borger, JNES, 19, 1960, P. 49-53.

Von Bissing, RT, 34, 1912, P. 125.

A. T. Olmstead, Western Asia in The Days of Sargon of Asseria, Chicago 1908, P. 56, 70.

(٧١) أنظر عن السامرة (محمد بيومى مهران : إسرائيل ٩٠٠/٢ —

٩٠٢) .

72) J. Finegan, Op. Cit., P. 208.

A. T. Olmstead, Op. Cit., P. 45.

وكذا

A. T. Olmstead, AJSL, 21, P. 181 F.

73) Josephus, Antiquities, IX, 14, 2.

ومدنها ، وكانت صيدا وصور البرية وعكا ترغب في تحرير نفسها من السيطرة المالية لمدينة صور التي في الجزيرة وزعامتها ، ومن ثم فقد اعترفت بسيادة الفاتح الاشوري ، وأعطته أسطولا يتكون من ستين سفينة ، يعمل فيها نحو ثمانمائة مجدف فينيقي ، وقد تفرق أسطول شلمنصر في معركة مع سكان الجزيرة ، ولكن عددا كافيا من جنوده بقي ليقوم بمحاصرة الجزيرة من الساحل ، وكانت الابار الموجودة داخل المدينة القائمة في الجزيرة كافية لحاجات السكان ، وأخيرا انتهى الحصار الذي دام سنوات خمس بمعاهدة تحفظ لصور كرامتها^(٧٤) .

(٣) سرجون الثاني (٧٢٢ - ٧٠٥ ق م)

تولى «سرجون الثاني» Sargon, II (شارو — كين Sharru - Kin) عرش آشور بعد «شلمنصر الخامس» الذي لا نعرف علاقته به ، على وجه اليقين ، وان كان هناك من يذهب الى أنه ابن للملك «تجلات بلاسر الثالث» ، وعلى أية حال ، فلقد كان «سرجون الثاني» على رأس أسرة حكمت الدولة الاشورية حتى نهاية كيانها السياسى ، ونسبت اليه (الاسرة السرجونية) .

وهناك ما يشير الى أن بعض الاقاليم والمقاطعات الاشورية البعيدة قد استغلت فرصة اعتلاء سرجون العرش — ربما بشكل غير شرعى — وأعلنت التمرد بتحريض من دولة «أورارتو» وعيلام ومصر وبغض المدن السورية ، فضلا عن القبائل الجبلية والكلمية ، وقد تمكن «مردوخ — ابل — ادينا» (مردوخ بالادان الثانى فى التوراة) من اغتصاب العرش البابلى ، بعون من عيلام ، ورغم محاولات سرجون الثانى القضاء عليه فى الفترة الاولى من اعتقاله العرش ، غير أنه ظل ملكا على بابل لمدة سنوات عشرة (٧٢٠ - ٧١٠ ق م) ، وذلك لانشغال سرجون بالجبهة الغربية ، وقد قاست بلاد بابل فى عهده من ضائقة مالية ، بسبب تحكم القبائل الكلمية والعيلامية فيها ، وكان البابليون يستغيثون بسرجون

(٧٤) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٥٣ ، محمد بيومى مهران : بلاد الشام — الاسكندرية ١٩٩٠ ص ١٥٨ .

الثانى ، الذى ما ان نجح فى توطيد مركزه فى الجبهة الغربية ، حتى اتجه الى بلاد بابل وفتح مدينها ، ونصب نفسه نائبا عن الاله فيها ، غير أنه أعاد تنصيب «مردوخ — ابل — ادينا» (Marduk - Apal - Iddina) زعيما على قبيلته الكلدية^(٧٥) .

على أن الخطر الرئيسى الذى كان يواجهه الدولة الاشورية ، انما هو دولة «أورارتو» فى الشمال (أرمينيا المعاصرة) ومملكة «زكرتو» شرقى بحيرة وان (فان) ، فضلا عن الميديين الايرانيين ، ولم تتمكن الحملات التأديبية من القضاء على الاضطرابات التى أثارتها هذه القوى فى المنطقة مما اضطر «سرجون الثانى» الى القيام بحملة عسكرية كبيرة على المنطقة فى عام ٧١٤ ق.م ، وقد عرفت هذه الحملة لدى الباحثين «بحملة سرجون الثامنة» ، وأخذت تفاصيلها فى التقرير الذى كتبه سرجون على شكل رسالة للاله آشور ، أبى الارباب ، الجبار الذى يسكن فى معبد «جبل البلدان العظيم» ، ثم يرسل تحياته الى الالهة الاخرى التى تختص بالمصير ، والى الالهات اللواتى لهن هياكل فى المعبد ، وبعد أن يرسل بتحياته الى مدينته وبلاطه يتمنى السلام لنفسه ولجيشه ، ثم يربط توقيت الحملة بشهر «دوزو» المكرس للمعبود نينورتا ، والذى كان موعدا لحملة التى انطلقت من عاصمته «كالح» (نمرود) .

ثم يمشى فى وصف الصعاب التى قابلته فى عبور الانهار ، أبان فيضائها ، وكيف عبر الزاب الاعلى والاسفل ، دون أن يعترى جنوده خوف أو ملل ، حتى بدأت الانهار أمامهم ، وكأنها قنوات صغيرة ضيقة ، وكيف عبر الجبال العالية ، المغطاة بأشجار كثيفة ، التى تتخللها الوديان المظلمة كظلام غابة الأرز ، وكيف انطلق الفرسان والمشاة والعربات الحربية فوق الجبال كالنسور ، وعندما وصلت الحملة أرض العدو ، تقدم ملكها وعائلته ونبلاؤه ومستشاروه بجزاهم من الماشية وخيول

(٧٥) طه باقر : المرجع السابق ص ١٨٦ - ١٨٧ ، عامر سليمان :
المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 287-288.

العربات وسائقها ، ثم قبل الملك أقدام العاهل الاشوري ، وسأله أن يعيد حدود دولته الى سابق عهدها ، فأجابه سرجون الى سؤاله ، وقبل جزيته وجزية مختلف امرائه ، ثم نصب عليهم حاكما آشوريا *

ثم تصف الوثيقة سرجون بأنه جد حريص على طاعة قوانين «شمس» ، وأنه يصغى باجلال الى كلمات الالهة الكبار ، ولا يتجاوز وصاياها ، وأنه مستقيم ورحيم ، يكره الباطل ولا ينطق بسوء ، وأنه شجاع لا يخشى العدو ، فرمى بنفسه بين صفوفه كالسهم ، وألحق به هزيمة شنعاء ، وجنى كثيرا من الغنائم ، وأسر مائتين وستين من أقارب «روساس» (Rusas) ملك «أورارتو» الذي سرعان ما امتطى صهوة جواده ، وانطلق هاربا بجيشه ، وسرعان ما سقطت المعقل بعد ذلك ، الواحدة تلو الاخرى ، عندما أحرق الاشوريون المحاصيل ، ونهبوا مخازن الغلال ، ثم يهضم سرجون فيقول : لقد قدت حيوانات معسرى نحو الريف القريب من المدينة ، فدمرت الحيوانات المحاصيل ، فضلا عن السهول *

غير أن ملك «موساسير» mussasir — وتقع فيما بين غربى بحيرة قزوين وجنوبى بحيرة فان — قد نقض العهد الذى قطعه على نفسه أمام الالهة — آشور وشمس ونبو ومردوخ — ولم تصل هداياه ، أو يأت ليقبل قدمى سرجون ، ومن ثم فقد استحق العقاب السريع *

وهكذا تمكنت الحملة من تحقيق أهدافها ، والقضاء على أسباب الاضطرابات فى المنطقة ، على الرغم من الصعوبات الكثيرة التى واجهها الجيش الانشورى أثناء تقدمه فى المنطقة الجبلية^(٧٦) *

(٧٦) جورج كونتنيو : الحياة اليومية فى بلاد بابل وأشور — ترجمة سليم التكريتى وبرهان عبد التكرينى — بغداد ١٩٨٦ ص ٢٦٠ — ٢٦٥ ، عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٣ — ١٥٤ ، وكذا

J. Laessoe, Op. Cit, P. 113-114.

H. W. Saggs, Iraq, 20, 1958, P. 182-212.

D. D. Luckenbill, Op Cit., Parag. 139-189.

A. L. Oppenheim, JCS, 19, 1960, P. 133-147.

G Roux, Op Cit , P. 289-290

وأما بالنسبة لبلاد الشام ؛ فان سرجون الثانى انما يحدثنا عن تمرد في شمال الشام تزعمته مدينة «حمّاة» (Hamath) ، وأنه استطاع أن يقضى على هذا التمرد في «قرقر» (Qarqar) عام ٧٢١ ق.م ، كما يحدثنا عن سقوط السامرة — عاصمة دويلة اسرائيل قائلا : «في بداية حكمي ، وفي السنة الاولى منه ، حاصرت السامرة واستوليت عليها ، ونقلت من أهلها ٢٧٢٩٠ مواطنا ، واستوليت على خمسين عربة من السلاح الملكي ، ثم ملأتهما بسكان أكثر مما كان فيها ، فأحلت بها مواطنين جدد ، من بلاد كنت قد استوليت عليها ، وعينت حكاما عليها ، وفرضت عليها الجزية والضرائب ؛ كما يفعل الاشوريون» (٧٧) .

وانطلاقا من هذا ، فان سقوط السامرة انما قد تم في أوائل السنة الاولى من عهد «سرجون الثانى» (٧٢٢ — ٧٠٥ ق.م) ، وأن ذلك قد حدث بعد فترة ما من ديسمبر عام ٧٢٢ قبل الميلاد ، ومن ثم فربما كان ذلك في أوائل عام ٧٢١ ق.م ، الامر الذى يتناقض مع رواية «شلمنصر الخامس» (٧٢٧ — ٧٢٢ ق.م) التى تنسب سقوط السامرة الى أيامه (٧٨) ، بل ان هناك وجها للنظر يذهب الى أن السامرة انما سقطت في عام ٧١٥ ق.م (٧٩) ، وهناك آخر يرى أنها سقطت في عام ٧١١ ق.م (٨٠) .

وعلى أية حال ، فاذا كانت السامرة قد سقطت في ربيع أو حتى خريف عام ٧٢٢ ق.م ، فقد بقيت شهور قليلة من هذه السنة ، حتى وفاة «شلمنصر» في ديسمبر من تلك السنة ، وأن ذلك ربما قد جعل الامر

77) A. G. Lie, The Inscriptions of Sargon, II, Part, I, The Annals, P. 5.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 284-5.

وكذا

(٧٨) محمد بيومى مهران : اسرائيل ١٢/٢ - ٩٤٠ - ٩٥٠ ، بلاد الشام ص ٣٨٦ - ٣٨٩ ، وكذا

J. Fingan, Op. Cit., P. 210.

79) BIFAO, LI, P. 27.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 342.

وكذا

80) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 210.

سهلا بالنسبة الى سرجون الثانى — فى نقوش كتبت فى فترة من عهده — من أن ينسب الى نفسه — فيها وتفاخرا — الامر الذى قام به فى الواقع سلفه «شلمنصر الخامس» ، وأن نفى سكان السامرة انما قد بدىء به بالكاد على أيام شلمنصر الخامس ، غير أن الانجاز الفعلى لهذا النفى، ربما كان من عمل سرجون الثانى ، دون غيره^(٨١) ، هذا فضلا عن أن سرجون ربما كان قد شارك فى احتلال السامرة مع أخيه شلمنصر الخامس ، قبل اعتلائه العرش ، ولعل من المفيد هنا أن نتسیر الى أن رواية التوراة انما تذهب الى أن شلمنصر قد حاصر السامرة ، وأنهم قد «أخذوها» فربما تشير صيغة الجمع هنا الى اشتراك «سرجون الثانى» مع «شلمنصر الخامس» فى نهاية الحصار ، ولكنها من ناحية أخرى ، قد تشير ببساطة الى «الجيش الاشورى» فى صيغة الجمع كذلك^(٨٢) .

وأيا ما كان الامر ، فان سرجون الثانى قد هجر أكثر عناصر السكان أهمية — ربما النبلاء والاغنياء — الى «حليج وخابور نهر جوزان ، وفى مدن مادی» ، وبعد سنوات قليلة — وربما فى عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق.م — وبعد قلاقل فى سورية وفلسطين ، ساهم فيها معظم سكان الولايات المختلفة ، بما فيها دمشق والسامرة ، تكررت العملية على درجة كبيرة ، ثم سرعان ما شارك سكان غربى الجزيرة العربية فى هذه الاضطرابات بنصيب كبير أو قليل ، وحين نجح العاهل الاشورى فى القضاء على هذه الاضطرابات ، عمل — كما تقول التوراة — على أن يأتى بقوم آخرين، وأن يسكنهم هذه الاقاليم ، ومن بينهم مجاميع من العرب ، حددهم النص الاشورى «بقبائل تامودى وايبا ديدى ومرسيما نو وجبايا ،^(٨٣)

81) A. T. Olmstead, AJSL, 47, P. 262.
J. Finegan, Op. Cit., P. 210.

وكذا

(٨٢) ملوك ثان ١٨/١٠ وكذا

J. Finegan, Op. Cit., P. 210, No. 291.

(٨٣) أنظر عن هذه القبائل العربية الشمالية (الويس موصل : شمال الحجاز — ترجمة عبد المحسن الحسينى — الاسكندرية ١٩٥٢ ص ٩١ ، محمد بيومى مهران : دراسات تاريخية من القرآن الكريم — الرياض ١٩٨٠ .

والعرب الذين يعيشون بعيدا في الصحراء ، الذين لا يعترفون برؤساء وموظفين ، والذين لم يكونوا قد أقتوا بجزاهم لأى ملك ، سبيت الاحياء منهم ونقلتهم الى السامرة» (٨٤) .

ونقرأ في التوراة أن العاهل الاشورى قد جاء كذلك يقوم من بابل وكوث — وهى تل ابراهيم على مبعدة ٢٤ كيلا شمال شرق بابل — ومن «عوا وحمماه وسفروايم ، ومن سوسة وعيلام» (٨٥) ، وربما كان الاشوريون يهدفون من وراء ذلك كسر التحالفات القديمة — بادخال أجانب في البلاد، ربما كانوا في بعض الحالات من الاشوريين أنفسهم — وبداية لظروف جديدة أكثر ملائمة للامبراطورية الاشورية الطموح ، وعلى أية حال ، فمن الصعب أن نقدر أهمية هذا التهجير ، وان كان على الاقل قد عمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية بدرجة أكثر فاعلية عما سبقه من اجراءات ، وليس هناك من ريب ، في أن الغزوات الاشورية انما قد عجلت بنهاية الدويلات السامية المنهارة، كما أن الاحوال القديمة قد تغيرت ، واختفت المعالم القديمة ، واضمحلت المشاعر المحلية والقومية ، ودمرت الدويلات الحاجزة ، وأدى سقوط الممالك الارامنة الى اضعاف «أفرايم» (اسرائيل) وكشف سقوط الاخيرة دويلة يهوذا (٨٦) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد أعاد الاشوريون تنظيم مملكة السامرة ،

84) A. L. Oppenheim, ANET, P. 296.

(٨٥) ملوك ثان ١٧/١٤ ، عزرا ٩/٢٤ .
(٨٦) عوا : مكان في بلاد بابل غير معروف الان ، وأما «حماء» فهى مدينة على نهر العاصى ، شمال حمص ، احتلها الاشوريون حوالى عام ٧٢٠ ق م ، وأسماء السلوقيون «ابيفانيا» ، وأما «سفروايم» ، فهما بلدتان على ضفتى الفرات على مبعدة ٢٥ كيلا جنوب غرب بغداد ، ويرى «رسام» أنهما «أبو حبة» الحالية ، ويرى آخرون أنهما «شومورية» شرقى بحيرة حمص ، وأما «سوسة» فهى عاصمة عيلام ، وهى دولة قديمة ارتبطت ببلاد النهرين بعلاقات مختلفة — ودية وعدائية — وتقع غربى مملكة فارس ، وشرقى مملكة بابل ، وجنوبى مملكتى آشور وميديا .

على أنها اقليم آشوري يخضع لامرة حاكم آشوري ، ثم غزو الحاميات العسكرية الاشورية بجنود من مستوطنين ، أتوا بهم من بلاد بعيدة ، حدث لها ما حدث لفلسطين من غزو وتهجير ، وأخيرا فان هؤلاء الجدد سرعان ما تزاوجوا مع السكان الاصليين ، وهجروا تقاليدهم الى حد ما ، وظهر جنس جديد ، هم «السامريون» نسبة الى عاصمتهم «السامرة» ، قريب الشبه بجيرانه اليهوديين دما وثقافة ، وان اختلفوا في ميولهم السياسية^(٨٧) .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى أن «سرجون الثاني» انما قد اتجه — بعد سقوط السامرة — الى فينيقيا ، وكان «ايلو ايلي» — الموالي لمصر — هو ملك صور ، فدافع عن مدينته ضد الاشوريين وظهر كأهم شخصية في منطقة الساحل الفينيقي في عهد «سرجون الثاني» ويبدو أنه فرض سلطته على جزء كبير من فينيقيا ، حتى أنه حاول اخضاع قبرص كذلك^(٨٨) ، غير أن هناك من يرجح أن قبرص دفعت الجزية للملك «سرجون الثاني» ، وربما دخل قسم من الجيش الاشوري جزيرة قبرص ، كما أقيم نصب نقشت عليه صورة سرجون ، ومن ثم فقد روت نصوصه أنه أخضع سبعة ملوك من اقليم «ايا» في قبرص ، غير أن آشور لم تكن بالدولة البحرية التي تستطيع أن تمتد نفوذها على قبرص بمجهود يمينها ، كما ادعت نصوصها ، وانما يبدو أن صور وصيدا كانوا يسيطرون بالفعل على الجزيرة ، فلما دانت المدينتان لنفوذ سرجون ، سارعوا بالتالي الى اعلان ولائهم في قبرص ، حتى لايتصدى أعوان الاشوريين لعرقلة نشاطهم التجارى على سواحل الشام ، وفيما بينها وبين قبرص^(٨٩) .

87) C. Roth, A Short History of The Jewish People, London, 1969, P. 28-29.

(٨٨) فيلب حتى : المرجع السابق ص ١٥٣ ، وكذا A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 284.

(٨٩) طه باقر : المرجع السابق ص ١٩٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٤ .

هذا وتشير نصوص العام الحادى عشر الى أن «عزورى» (Izuri) ملك أشدود قد عمل على منع الجزية ، «وأرسل رسلا بالعدوات ضد آشور الى الملوك المجاورين ، ومن ثم فقد ألغيت حكمه وعينت بدلا عنه أخاه الأصغر «أهيميتى» (Ahimiti) ، غير أن الحيثيين ، هم دائما وراء الغدر والخيانة ، كرهوا حكم «أهيميتى» ، ونصبوا عليهم يونانيا ، هو «يامانى» ليس له حق فى العرش ، ولا يدرك المسئولية مثلهم ، وفى غضبة مفاجئة ، أسرع فى عربتى — ومعى فرسانى فقط ، وهم لا يتخلون عنى حتى فى البلاد الصديقة — نحو أشدود ، فهرب «يامانى» (Ia - Ma - Ni) الى «مصر» (Musru) التابعة الان لاثيوبيا ، ولم يعرف المكان الذى اختبأ فيه ، ثم تقدمت نحو أشدود وحاصرتها، وغزت مدن أشدود ، جت (Gath) و «أشدوديمو» (Asdudimmu) (٩٠) ، وأخذت معبوداتها وسكانها وذهبها وفضتها وأمتعتها غنيمة ، ثم أعدت تنظيم هذه المدن ، ووضعت ضابطا من قبلى حاكما عليهم ، وأتيت بمواطنى من المناطق الشرقية التى أخضعتها ، وأسكنتهم هناك ، وأصبحوا مواطنين آشوريين يحملون نيرى ، وأرسل ملك اثيوبيا الذى يعيش فى بلاد بعيدة لا يمكن الوصول اليها ، ليسأل عن أبائى الملكيين ويقول : انه يسمع منذ زمن طويل عن آشور القوى ، وعن نبو ، وعن مردوك ، ان الضوء الخلاب لعظمة ملكى أعماه ، ثم ألقى (باليونانى) فى القيدود وصفده فى أربطة الحديد ، ثم ساقوه الى آشور فى رحلة طويلة» (٩١) .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن «سرجون الثانى» انما حدثنا فى حوليات السنة الاولى أنه أخذ الجزية «من بيرو ، صااحب موصرى، ومن شمسى مائة بلاد العرب ، ومن أتعمارا «يثع أمر» أمير سبأ ، تبرأ وخيلا وجمالا» (٩٢) ، وأن أمير سبأ هذا انما كان يحكم — فيما يرى مومل —

90) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 286.

91) D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 62.

92) A. G. Lie, The Inscriptions of Sargoa, 11, King of Assyria, Part, I, The Ammals, Paris, 1929, P. 5.

في شمال بلاد العرب ، على مقربة من البادية — اما في أعالي الحجاز ،
أو في نجد — واما في المناطق الجنوبية من الاردن^(٩٣) ، كما يشير
«سرجون الثاني» أيضا الى أنه تلقى الهدايا من ملوك ساحل البحر ،
وآخرين من البادية ، تبرا وأحجارا كريمة وعاجا وحبوبا وأبنوسا وكل
أنواع العطور ، وخيلا وجمالا^(٩٤) .

هذا ويذهب بعض الباحثين الى أن ملوك ساحل البحر والبادية
هؤلاء ، انما كانوا يحكمون أرضا واسعة ، تمتد من البحر الاحمر وحتى
البادية ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أنهم كانوا يحكمون
المنطقة التي تقع الى الشرق من مكة المكرمة ، وحتى حدود سبأ
الشمالية^(٩٥) ، بل أن «هومل» ليذهب الى أن نفوذ الملك الاشوري انما
قد وصل الى سبأ نفسها ، ومن ثم فقد أسرع ملكها يحمل الجزية الى
سرجون ، حتى لا تقع أملاكه آخر الامر تحت سلطان الاشوريين^(٩٦) ،
وأيا ما كان الامر ، فإن سرجون انما يشير كذلك الى أنه تلقى هدايا من
ملك «دلون»^(٩٧) (جزيرة البحرين) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة الى أن سرجون الثاني انما قد
ذكر في معرض حديثه عن «دلون» أنه أخضع الى سلطانه «بيت ياكين»
في ساحل البحر الى تخوم دلون ، والراجح أن إقليم «بيت ياكين»
انما قد امتد حتى شمل دولة الكويت ، أو جزء منها ، كما أن العاهل
الاشوري قد غزا ، فضلا عن ذلك ، مجان وملوखा ، وربما للسبب
التقليدي ، وهو الحصول على أحجار من «مجان»^(٩٨) .

93) A. Musil, Northern Hegaz, P. 479.

94) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 286.

95) E. Glaser, Op. Cit., P. 260 F.

96) F. Hommel, Grundriss, P. 58.

97) J. H. Belgrave, Welcom to Bahrain, London, 1965, P. 87.

G. Roux, Op. Cit., P. 261.

وكذا

(٩٨) عبد الحميد زايد : الشرق الخالد - القاهرة ١٩٦٦ ص ١١٧ .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه ، أن «سرجون الثانى» لم يستقر فى عاصمة واحدة ، فلقد اتخذ فى أول أيام حكمه مدينة أشور عاصمة له ، ثم انتقل منها الى «كالح» (نمرود) ، وفى منتصف حكمه اتخذ من «نينوى» عاصمة له ، وأخيراً ، وفى السنة التاسعة من الحكم (حوالى عام ٧١٣ ق.م وربما فى عام ٧١٧ ق.م) بدأ فى بناء عاصمته الجديدة «دور — شاروكين» (Dur - Sharrukin) — أى مدينة سرجون أو حصن سرجون ، وقد اختار لها موضعاً فى قرية كانت تدعى «مكابا» ، وهى «خرسباد الحالية» على مبعدة ١٦ كيلاً شمال شرق نينوى ، وقد استمر بناء المدينة حوالى سبع سنين (٧١٣ — ٧٠٦ ق.م) ، ولكنه لم يتمتع بها طويلاً فقد مات فى العام التالى (عام ٧٠٥ ق.م) ، وقد ترك بعض أجزائها غير كاملة ، ولم يكتف خلفاؤه بهجرها والانتقال الى نينوى ، وإنما شوهوا كثيراً من منحوتاتها ، ونقلوا بعضها الى قصورهم فطمست معالمها ، وان ظل اسمها فى ذاكرة الأجيال المتأخرة ، فلقد عرف العرب اسم «سرجون» ، وشوه الساسانيون اسم المدينة ، وأطلق عليها اسم «(خسرو — أباد)» أو «مدينة خسرو» ومن هنا جاء اسمها الحالى محرفاً الى «خرسباد» أو «خورسباد»^(٩٩) .

(٤) سنحريب (٧٠٥ — ٦٨١ ق.م)

جاء «سنحريب» (Sennacherib) (سين — آخى — اريب) = (Sin-Ahhe-eriba) بعد أبيه «سرجون الثانى» الذى مات غيلة ، على أن الامبراطورية كانت وقت ذاك تنعم باستقرار نسبى ، نتيجة لجهود سرجون العسكرية الكبيرة ، ولاسيما فى الجبهة الشمالية ، ومن ثم فقد كان عهد «سنحريب» عهد رخاء اقتصادى تمثل فى نشاطه العمرانى الذى شمل كثيراً من المدن الاشورية ، وخاصة «نينوى» التى اتخذها عاصمة له عند توليه الحكم ، بدلاً من عاصمة أبيه «دور — شروكين» (خرسباد الحالية) .

(٩٩) طه باقر : المرجع السابق ص ١٩١ — ١٩٢ ، وكذا G. Roux, Op. Cit., P. 291-292.

وقد اهتم «سنخريب» بعاصمته نينوى كثيرا ، فأعاد بناء أسوارها ببواباتها ، وبلغ محيط المدينة شعبه المنحرف قرابة اثني عشر كيلا ، وشيد القصور والمباني الملكية في الموقع المعروف حاليا باسم «تل قوينجق» في حين تركزت المعابد في موقع «تل النبي يونس» ، وقد كشفت الحفريات التي أجريت في «تل قوينجق» عن الفن الاشوري المعمارى ، فضلا عن التأثيرات السورية على الطرز المعمارية والفنية ، والتي تشير الى مدى افادة «سنخريب» من الحرفيين السوريين الذين جلبهم معه ، وأسكنهم في نينوى ، كما عمل «سنخريب» على فتح الشوارع والساحات الكبيرة وفق تصميم كامل للمدينة ، هذا فضلا عن انشاء حدائق وبساتين داخل المدينة ، زرع فيها مختلف أنواع النباتات والاشجار التي كانت تنمو في المناطق الجبلية ، فضلا عن تلك التي وصلتها الجيوش الاشورية في سورية ولبنان ، كما قام بعمل بركة صناعية كبيرة جمع فيها شتى أنواع الطيور والاسماك والحيوانات المائية ، الى جانب ارواء البساتين والحدائق .

هذا وقد اهتم سنخريب بتوصيل المياه العذبة الى نينوى ، ومن ثم فقد قام بتنفيذ مشروع رى ماتزال آثارها باقية ، حتى يوم الناس هذا ، فلقد أتى بالمياه العذبة الى نينوى من مكان قريب من منبع نهر «الكومل» — على مبعده ٨٠ كيلا من نينوى — أو «الجومل» (Gomel) من مجاز جبلى في «باغيان» وذلك عن طريق قناة شيدت بحجر الكلس ، ونظرا لمرورها في مناطق ، فيها الوديان وفيها المرتفعات ، فقد شيدت لها قناطر على بعض الوديان ، بلغ طول احداها ٣٠٠ ياردة ، وعرضها ٢٤ ياردة ، وقد نحت عند صدر القناة — عند القرية المعروفة الان باسم «خنس» — على وجه حجرة شاذقة صورة كبيرة للمعبودات ، وقد سجل عليها موجزا بأخبار تشييد المشروع (١٠٠) .

(١٠٠) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٥ - ١٥٧ ، طه باقر :
المرجع السابق ص ١٩٣ ، وكذا
J. Loessoe, Op. Cit., P. 114.

وعلى أية حال ، فإن السلام النسبي الذي تمتعت به آشور في أول عهد سنخريب لم يدم طويلا ، فسرعان ما اضطربت الامور في بلاد بابل وفي بلاد الشام ، فلقد عز على بابل أن تتجب زعيما من أهلها الاصليين يستعيد لها مجدها القديم ، فتعاقب على حكمها في عهد «سنخريب» (سينا خريب) ما لا يقل عن ستة ولاة ، ليس فيهم بابلي أصيل واحد ، ومن ثم فقد استطاع أحد العبيد أن يصل الى العرش البابلي لمدة شهر ، ثم ظهر على المسرح «مردوخ بالادان الثاني» (٧٠٣ ق م) — وكان سرجون الثاني قد أخضعه من قبل (وقد حكم في الفترة ٧٢١ — ٧١٠ ق م) ، ثم عفى عنه بعد القضاء على حركته — غير أن «مردوخ بالادان الثاني» انما يقوم بتمرده هذه المرة (أى عام ٧٠٣ ق م) بعون من «شتروك ناهونتي الثاني» ملك عيلام ، وبعض أمراء العرب ، ولكن «سنخريب» ظهر عليهم ، فغلبهم عام ٧٠٣ ق م ، على مقربة من كيش ، ووضع حاكما من قبله ، هو «بعل ابني» الكلداني (٧٠٣ — ٧٠٠ ق م) الذي نشىء في نينوى ، ولكن «بعل ابني» Bel - Ipni عاد بدوره فقامر مع «مردوخ بالادان» (Merodac - Baladan) والعيلاميين فاقْتيد أسيرا ، ووضع دكانه «أشور — نادن — شومي» (Ashur - Nadin - Shumi) من أبناء الملك سنخريب (٧٠٠ — ٦٩٣ ق م) ، وقد حارب في بابل وميزوبوتاميا العليا ، ثم ضد الكاشيين ، ثم لقن أهل الحدود عند ميديا درسا آخر . واضطر «مردوخ بالادان» في نهاية الامر الى أن يهرب الى عيلام ، الامر الذي أدى الى انشاء أول أسطول حربي كبير في تاريخ الاشوريين ، اشترك في بنائه صنّاع من صيدا وصور وتبرص وعملوا فيه عاما كاملا في تل ترسيب على الفرات ، وفي نينوى على دجلة ، وتحرك الاسطول الى نقطة الانطلاق براغد «كارون» عند مدينة «ناجيتي» ، وانتهى الامر بهزيمة «مردوخ بالادان» ، ومع ذلك فلم ترسخ بابل ، وانما استمرت في ثوراتها ، فحوصرت مدى عام ، ثم فتحت عنوة في عام ٦٨٩ ق م ، وخرّبها رجال سنخريب تخريبا عنيفا ، وسلطوا نهر الفرات على أنقاضها حتى أغرقوها ، وبمنطق المنتصر المعوج لم يتورع ابن سنخريب عن تبرير هذا التخريب على

حساب البابليين المخلوبين نقوله : «لقد كانوا من قبل يذلون الضعيف،
وشاع الطغيان في مدينتهم والرشا والنهب ، وكان الولد يسب أباه في
الطريق ، والعبد يهين مولاه ، والجارية تبغى سيدتها ، ولقد عطلوا
المقرايين ووضعوا أيديهم على كنوز «اساجيل» (معبد الارباب) ، وباعوا
الفضة والذهب والاحجار الكريمة منه الى عيلام ، فغضب مردوك انليل
الالهة ، ودبر أمره على قهر البلد وتشتيت أهلها» ، غير أن سنحريب
بعد عامين من هذه الاحداث (أى فى عام ٦٨٧ ق.م) ، أشرك معه فى
الحكم ولده «اسر حدون» وجعل منه حاكما على بابل ، وكان الامير
الصغير ابنا لامرأة بابلية ، وزوجا لبابلية أيضا ، فأعاد لبابل بعضا من
عزها القديم ، وحاول تجديدها ، واحياء ما تهدم من مبانيها (١٠١) .

وهناك ما يشير الى أن سنحريب انما قام بعدة حروب فى غرب
بحيرة وان (فان) وفى قليقيا ، وفتح المستعمرات اليونانية فى آسيا
الصغرى الساحلية ، ، وبنى فى طرطوس مدينة آشورية يدير منها
أملاكه هناك (١٠٢) ، ونقرأ فى نص آشورى أن سنحريب قد أرسل حملة
الى منطقة الخليج العربى ، نجحت فى القضاء على أرض البحر (١٠٣) ،

(١٠١) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٧٦ - ٢٧٨ ،
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٦ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 242, 246-247, 318-322, 350, 353-354.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 301-302.
S. Parpola, Iraq, 34, 1972, P. 21-34.
J. A. Brinman, in JCS, 25, 1973, P. 89-99.
G. Roux, Op. Cit., P. 294-279.
102) G. Roux, Op. Cit., P. 294-295.
H. R. Hall, Op. Cit., P. 486-488 وكذا

(١٠٣) كان هناك رأى سائد يذهب الى أن أرض البحر انما هى
الاعوار الواقعة الى الشمال من الخليج العربى ، غير أن هناك اتجاها
جديدا يجعلها جزءا من شبه الجزيرة العربية نفسها ، متضمنة شواطئ
الخليج العربى ، حتى جزيرة البحرين ، وربما كانت تشمل كذلك النفود
حتى خليج العقبة (انظر

(P. K. Hitti, History of The Arabs, 1960, P. 38.

واجباره على الفرار الى عيلام (١٠٤) *

كان موت «سرجون الثانى» فى عام ٧٠٥ قبل الميلاد ، وتولية «سنحريب» (٧٠٥ — ٦٨١ ق م) بمثابة الاشارة للثورة التى انتشرت كالنار فى الهشيم بين الولايات الموالية لآشور ، وفى هذه الاثناء تدخل «مردوخ بالادان» ملك بابل ، الذى كان يقود الثورة فى الاراضى الغربية ، بطريقة أكثر حزمًا فى السياسة اليهودية ، ونظرا لشفاء «حزقيا» ملك يهوذا (٧١٥ — ٦٨٧ ق م) من مرضه الخطير الذى كان قد أصيب به ، ولثقة فى التخلص من قبضة الاشوريين ، فان «حزقيا» استقبل بعثة من قبل الملك البابلى ، تحمل اليه السلام ، وتحضر اليه الهدايا ، وقام حزقيا بفتح خزائنه ، ومحتويات مخازنه الحربية ، وتم التحالف مع بابل ، الذى اشترك فيه العرب وآخرون *

وأما مصر ، فقد كان لها هناك فى اورشليم حزب قوى يبنى التحالف معها ، ويطلب الحماية منها ، وينجح الان فيما فشل فيه من قبل ، فلا يسمع حزقيا لنصائح «اشعيا» النبى (٧٣٤ — ٦٨٠ ق م) ، ولا يضيع على نفسه فرصة موت سرجون الثانى ، ومن ثم فان ملك يهوذا انما يطلب من مصر التدخل فى شئون فلسطين لتدعيم مركز الثائرين ، ومساعدتهم على التخلص من النير الاشورى ، وهكذا تكون حلف يضم فينيقيا وفلسطين ومؤاب وأدوم وعمون (١٠٥) ، فضلا عن القبائل العربية فى شمال الجزيرة العربية ، وعلى رأسها «تعلخونو» ملكة «أدوماتو» (دومة الجندل) ، وفوق الجميع كانت مصر ، وأخيرا حزقيا ملك يهوذا ، حيث «عصى على ملك آشور ، ولم يتعبد له» على حد تعبير التوراة (١٠٦) *

(١٠٤) جورج فضلو حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى - ترجمة السيد يعقوب بكر - القاهرة ١٦٥٨ ص ٣٨ .
(١٠٥) أنظر عن ممالك مؤاب وأدوم وعمون (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٥٤٧/٢ - ٥٥٨ ، بلاد الشام ص ٢١٥ - ٢٢٦) .
(١٠٦) ملوك ثان ١/٢٠ - ١٩ ، محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٩٥ - ٣٩٦ ، وكذا
M. Noth, Op. Cit., P. 267-268.

وهكذا انتهزت مصر وبابل فرصة قيام ملك جديد في آشور لاثارة المتاعب في طريقه ، وكانت بابل تسعى لرفع نير آشور عن كاهلها ، وان لم يكتب لها نجحاً في مساعيها ، وكانت مصر تستهدف استعادة نفوذها على فلسطين ، وهكذا تجددت العداوة الكامنة بين القسوتين الكبيرتين — مصر وأشور — في عهد سنحريب (١٠٧) .

وعلى أية حال ، فتلقد نهج سنحريب نهج سلفه ، فأعاد فتح المدن الفينيقية والسورية ومملكة يهوذا ، بعد أن أعلنت صور وعسقلان العصيان ، فسارع اليهما سنحريب وأخضعهما عام ٧٠٠ ق م ، ثم عين «أبو بعل الثانى» ملكاً على صيدا ، وحدد له الجزية التى يلتزم بأدائها ، ثم بعد ذلك قدم ملك «أرواد» و «أورملكى» ملك جبيل (بييلوس) الولاء لملك آشور ، وقام سنحريب بعد ذلك بنقل عمال فينيقيين الى عاصمته نينوى ، ليقوموا بصنع سفن لهم تشبه سفنهم ، وقد جهزت هذه السفن ببجارة من صور وصيدا ، فغصلا عن اليونانيين ، وربما القبارصة كذلك ، واستطاع سنحريب أن يقوم بهذا الاسطول بحملة بحرية (نهرية) على الدجلة لاختضاع شعوب «بيت ياقين» أو «بيت ياكين» Bit - Iakin والعيلاميين ، وأن يعود من هناك بأسرى ، وذلك في عام ٦٩٤ ق م (١٠٨) .

وفي عام ٧٠١ قبل الميلاد ، كان الجيش الاشورى قد اتجه الى فلسطين لغزوها ، واخضاع مدنها الساحلية ، الواحدة تلو الاخرى ، وفي هذه الاثناء ظهرت قوة مصرية فى الجنوب الغربى من فلسطين قرب «التقية» أو «التكة» — وهى خربة المقنع الحالية ، على مبعده ٩ كيلا جنوبى عثرون ، ١١ كيلا شمالى تبنة (تمنة) — وأكبر الظن أن المصريين لم يستخدموا قوة كبيرة وقت ذاك ، وعلى أية حال ، فان سنحريب يصف منافسيه بأنهم «ملوك مصر» — أى حكام المدن — وربما كانوا

(١٠٧) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٩٦ .

(١٠٨) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ ، وكذا

G. Roux, Op Cit., P. 296-297.

دن الأنداء فضلا عن النبالة وفرسان الفرعون «طهراقا» (٦٨٩ — ٦٦٤ ق.م) ، ومن الواضح أن الإشارة في التوراة عن تدخل «ترهاقة» (طهراقا) ملك كوش ضد سنحريب ، إنما هي خطأ تاريخي ، ذلك لأن «شباكا» إنما كان ما يزال في عام ٧٠١ ق.م ، ملكا ، وأن ابن أخيه «طهراقا» لم يخلفه على العرش ، إلا في عام ٦٨٩ ق.م (١٠٩) .

وأيا ما كان الأمر ، فإن قوات «سنحريب» قد اخترقت بلاد يهوذا ، وفتحت حصونها واحدا اثر آخر ، ثم احتلت ستا وأربعين مدينة مسورة ، مع عدد من المدن الصغرى ، أو بمعنى آخر ، فإن بلاد اليهودية كلها تقريبا قد سقطت في أيدي الاشوريين ، وكل ما استطاع حزقيا الحفاظ عليه إنما كان اورشليم ، كما أن واحدة أو اثنتين من القلاع الحصينة في الجبهة الغربية استمرت تقاتل الاشوريين ، ومنها «لاخيث» التي اتجه اليها سنحريب وأدكم الحصار عليها جنوده ، وهنا لم يكن أمام حزقيا شيئا يفعل في هذا الموقف الميئوس منه إلا الخضوع لسنحريب ، والا جزية كبيرة يدفعها له صاغرا ذليلا ، ومن ثم فقد أرسل حزقيا الى العاهل الاشوري في «لاخيث» — ويرجح الآن أنها «تل الدوير» على بعد ٨ كيلا غربى بيت جبرين (١١٠) — يقول : «قد أخطأت ، أرجع عني ، ومهما جعلت على حملته ، فوضع ملك أشور على حزقيا ملك يهوذا ثلاث مئة وزنة من الفضة ، وثلاثين وزنة من الذهب ، فدفع حزقيا جميع الفضة الموجودة في بيت الرب ، وفي خزائن الملك» (١١١) .

وبيئسو أن سنحريب قد أدرك أنه من خرق الرأى أن يترك اورشليم

(١٠٩) قاموس الكتاب المقدس ١٠٣/١ ، والتر امرى : مصر وبلاد النوبة — ترجمه نثقة حندوسة — القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٢٧ ، وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 450.

M. Noth, The History of Israel, London, 1965, P. 268.

(١١٠) أنظر

W. Albright, ZAW, 6, 1929, P. 3.

W. M. F. Petrie, Tell el-Hesi (Lachish), 1891.

(١١١) ملوك ثان ١٨/١٣ — ١٦ .

الحصينة من ورائه في يد حزقيا ، ومن هنا فقد أرسل قسما من جيشه ، تحت امرة ثلاثة من قواده لحصار اورشليم والاستيلاء عليها ، وهكذا بدأ حصار اورشليم ، وأرسل ضباط سنحريب رسالة سخرية الى حزقيا الذي بدا في مدينته «كالطير في القفص» ، وانتشر الرعب بين القوم الذين خيل اليهم أن ساعة اورشليم الاخيرة قد دنت ، ويفتح سنحريب لاجيش بعد ذلك ، ثم يتجه الى «التكة» لمهاجمة الجيش المصرى الذى كان يقوده «طهراقا» ، وفى أثناء ذلك حدث ما يدعو «سنحريب» الى العودة الى نينوى ، وأنقذت اورشليم ، وسمح لحزقيا بأن يحتفظ بعرش يهوذا - كتابع لاشور - وان أجبر على دفع الجزية المتأخرة ، وأن يرسل بناته ومحظياته الى سنحريب فى نينوى ، ومن المتفق عليه أن سنحريب قد أوقع على حزقيا عقابا قاسيا ، وأنه جعل سلطانه مقصورا على دويلة المدينة الصغيرة اورشليم ، واستولى منه على كل بلاد يهوذا ، التى وهبها للملوك الفلسطينيين الموالين له ، وهم «متنى» ملك أشدود ، و «سلبيل» ملك غزة ، و «بادى» ملك عقرون ، الذى استعاد سلطانه القديم ، وفرض عليه جزية ثقيلة ، ٣٠ وزنة من الذهب ، ٨٠٠ وزنة من الفضة ، وأحجارا كريمة ، وكتل ألواح كثيرة من الحجر الأحمر ، ومخادع مطعمة بالعاج وغير ذلك (١١٢) .

هذا وقد اختلفت الاراء فى الاسباب التى دعت سنحريب الى العودة المفاجئة الى بلاده - خاصة وأن العاهل الاشورى لم يشر الى تلك الاسباب - ومن ثم فهناك من يزجج ذلك الى اضطراب خطير فى نينوى نفسها ، على أن هناك وجها آخر للنظر يذهب الى أن جحافل من الفيران أكلت قسى الغزاة وجعابهم وحمائل دروعهم ، فكانت النتيجة أنهم أصبحوا عزلا من السلاح ، ومن ثم فقد ولوا الادبار ، وسقط الكثيرون

(١١٢) ملوك ثان ١٧/١/١ - ٣٧ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 288.

M. Noth, Op. Cit., P. 268-269.

P. R. Dougherty, JBL, XLIX, 1930, P. 160-171.

K. Fullerton, AJSJL, XLII, 1925, P. 1-25.

منهم صرعى^(١١٣) ، وأخيرا ترجعها التوراة الى أن «ملاك الرب قد خرج وضرب من جيش آشور مئة ألف وخمسة وثمانين ألفا ، ولما بكروا صباحا اذا هم جميعا جثث ميتة ، فانصرف سنحريب ملك آشور ، وذهب راجعا وأقام في نينوى»^(١١٤) .

وهكذا بات من الصعب علينا أن نعرف أسباب عودة سنحريب على وجه اليقين ، ذلك لأن كلا من روايتي التوراة و «هيرودوت» انما تجعلها لأسباب غير عادية، فالأولى ترجعها الى قدرة «يهوه» — رب اسرائيل — ومن ثم فهي تعبر عن وجهة النظر اليهودية في هذه الاحداث ، والثانية ترجعها الى قدرة الاله «هيفايستوس» — الاله المصري بتاح^(١١٥) — وعلى أية حال ، فلئن صدقت احدي الروايتين — أوهما معا — فذلك نوع من خوارق الامور ، وان كان الامر غير ذلك ، فربما كانت هناك أسباب داخلية في نينوى نفسها ، دعت سنحريب الى العودة الى بلاده ، ليكون على مقربة من الاحداث ، وهذا ما نرجحه ونميل الى الاخذ به ، خاصة وأن سنحريب قد مات غيلة بعد ذلك^(١١٦) .

وأما علاقة الملك الاشوري «سنحريب» بالقبائل العربية في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وعلى رأسها «تلخونو» ملكة «أدوماتو» (دومة الجندل) فاننا نقرأ في نقوش ولده الملك «اسرحدون» (٦٨٠ — ٦٦٩ ق م) أن أباه «سنحريب» انما قد أخضع «أدوماتو» وأخذ أصنامها الى عاصمته نينوى ، والامر بذلك بالنسبة الى الاميرة «تبوءة» (Tabue) (تاربو) ، ويذهب «ألويس موسيل» الى أن سلطة الملكة «تلخونو» (Telhunu) قد امتدت من دومة الجندل وحتى حدود بابل، وأن الملكة العربية انما قد وقفت الى جانب الثوار البابليين ضد

(١١٣) هيرودوت يتحدث عن مصر — ترجمة محمد صقر خفاجة ، ومراجعة وتقديم أحمد بدوي — القاهرة ١٩٦٦ — ص ٢٧٠ — ٢٧٢ .
(١١٤) ملوك تان ٣٥/١٩ — ٣٧ ، أشعياء ٣٦/٣٧ .

115) J. Laessoe, Op. Cit., P. 114.

(١١٦) أنظر : محمد بيومي مهران : اسرائيل ٩٧٠/٢ — ٩٧٨ ، بلاد الشام ص ٣٩٧ — ٤٠٠ .

سنحريب ، ومن ثم فما أن انتهى العاهل الاشوري من القضاء على التمرد البابلي، حتى اتجه الى دومة الجندل ، وفرض الحصار عليها (١١٧) .

وهناك مايشير الى أن خلافا وقع بين «تلخونو» (تلخونو) وبين «حزائيل» (حز - ايلي) - سيد قبيلة قيدار - الذي تولى قيادة الجيوش ضد سنحريب ، الامر الذي أدى الى استسلام الملكة ، وفرار حزائيل الى البادية ، فضلا عن أسر الاميرة «تبوءة» وأخذها الى العاصمة الاشورية ، تمهيدا لاعدادها لتكون ملكة على قومها في «أدوماتو» ، تعمل بأمر آشور ، وتنفذ سياسة ملوكها فيما يختص بالاعراب (١١٨) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هناك نقشا عثرت عليه بعثة المانية يفيد تقديم هدايا من أحجار كريمة وعطور للعاهل الاشوري «سنحريب» من «كرب ايلو» السبئي ، والذي يرى العلماء فيه المركب «كرب ايل بين» (١١٩) ، وان كان الاشوريون قد أطلقوا عليه لقب «ملك» . وهنا فليس هناك من تعاليل لهذا الخطأ التاريخي ، سوى أنهم كانوا يجهلون ألقاب الحكام في سبأ في تلك الفترة (١٢٠) ، ويبدو أن سنحريب قد حقق كذلك نجاحا على الاعراب ، كان سببا في أن يفرض نفوذه عليهم بدرجة كبيرة ، تدعو «هيرودوت» الى أن يطلق عليه لقب «ملك»

117) A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 299.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, P. 518.

G. Roux, Op. Cit., P. 308.

A. Musill, in The Arabia Deserta, New York, 1930, P. 480.

(١١٨) جواد على : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - الجزء الاول - بيروت ١٩٦٩ ص ٥٩٢ ، وكذا

British Museum Tablets, K., 3087, 3405.

(١١٩) أنظر عن «كرب ايل بين» (محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧ ص ٢٧٨) .

(١٢٠) جواد على : المرجع السابق ١٨٠/٢ ، وكذا

BASOR, 137, 1955, P. 10.

Encyclopaedia Biblica, 19, P. 785.

D. Nielsen, Handbuch, I, P. 76.

العرب والاشوريين» (١٢١) أو ان كان أستاذنا الدكتور أحمد بدوى - طيب الله ثراه - يرى أن أكبر الظن أن المقصود بالعرب هنا قد كانوا سكان وادى النهرين ، ومن يليهم من أهل البقاع المجاورة الذين خضعوا يومئذ لسلطان سنحريب (١٢٢) .

ومن ثم فعلينا ألا نبالغ كثيرا في هذه الامور ، فمن المستبعد أن يكون الاشوريون قد وصلوا الى جنوب بلاد العرب ، وغرضوا الجزية على دولة سبأ ، وربما كان الأرجح أن بعض الجاليات السبئية كانت مستقرة على طول الطريق بين شمال شبه الجزيرة العربية وسورية وفلسطين ، وهذه هى التى تعرضت لغارات الاشوريين ، وحتى الجزية التى يزعم الاشوريون أنهم أخذوها من الملكات العربيات أو الامراء العرب ، انما كانت هدايا أكثر منها جزية ، وأن السبئيين انما كانوا ينظرون الى أنفسهم كأنداد للوك آشور ، أو حلفاء لهم ، وربما كان هناك تحالف بين الفريقين ضد البدو الجامحين من أبناء الشمال (١٢٣) .

(٥) اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق م)

كانت نهاية «سنحريب» محزنة ، وطبقا لما جاء فى السجلات الاشورية ورواية التوراة ، فلقد اغتاله أحد أبنائه فى ظروف غامضة ، وتولى العرش بعده ولده «اسرحدون» (Esarhaddon) آشور - أcha - أدين = (Ashur - aha - Iddin) ، بمعنى الاله آشور أعطى أcha ، وقد خلف لنا «اسرحدون» وثيقة يروى فيها طريقة اختياره - رغم أنه لم يكن الابن الاكبر والوريث الشرعى - للعرش ، ثم المؤامرات التى حيكت

121) Herodotus, II, 141.

(١٢٢) أحمد بدوى : هيرودوت يتحدث عن مصر ص ٢٧١ .
(١٢٣) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤١ - ٣٤٤ ، محمد أبو المحاسن عصفور : معالم حضارة الشرق الادنى القديم ص ١٥٢ ، فؤاد حسنين : التاريخ العربى القديم ص ٧٦ ، ٨٧ ، وكذا

P. K. Hitti, Op. Cit., P. 38.

ضده ، وأخيرا انتصاره على أخوته ووصوله الى العرش بعد مرحلة
المفوضى والاضطراب التي سادت البلاد حينما من الدهر (١٢٤) .

ولاشك في أن مهمة أسرحدون الاولى في تلك الظروف انما كانت
المقضاء على الفتن والاضطرابات التي وقعت — وخاصة في الجيتس —
بعد اغتيال سنحريب ، فضلا عن التمرد الذي وقع في بعض الاقاليم
التي استغلت فرصة الاضطرابات ، غير أن السياسة التي اتبعها
أسرحدون في معالجة المشكلة البابلية كانت تختلف اختلافا كبيرا عن
سياسة والده ، ولعله أفاد من الاخطاء التي وقع فيها أبوه ، التي جنب
ممارسته الفعلية في حكم بابل في عهد أبيه . فاذا أضفنا إلى ذلك
— ما أشرنا اليه من قبل — من أن أسرحدون انما كان ابن لأميرة بابلية .
وزوجا لأخرى بابلية ، لكان من الطبيعي أن يتبع الرجل مع بلاد بابل
سياسة اللين والترحيب ، فعمل على احيائها واعادة تعمير ما كن أبوه
قد دمره ، كما أعاد للسكان أملاكهم التي كانت قد سلبت منهم أثناء
سيطرة القبائل الكادية ، ثم ولى عليهم ولده الأكبر «شمش سوموكن» .
وتجاوز عن سلطان الكلدانيين في أرض البحر ، مع طاعتهم لوأده . وربما
لم يفعل ذلك بدافع العاطفة وحدها ، وانما بدافع الرغبة في انقراض
لتنفيذ حلمه الكبير بغزو مصر ، وأيما كان الهدف من وراء هذه السياسة
فالذي لا ريب فيه أنها وجدت قبولا حسنا ، ونجحا كبيرا بين صفوف
البابليين ، حتى غدت بابل نفسها قاعدة عسكرية للقوات الاسورية في
مواجهة الاخطار المتوقعة من الشرق دائما ، كما لم تلق محاولات حاسم
عيلام في احتلال بابل وتحريض القبائل ضد الاشوريين أي صدى عند
البابليين .

وأما في الجبهة الشمالية والشمالية الغربية فقد كانت بعض القبائل
السيثية (Scythian) قد توغلت في المنطقة ، كما عادت الى الظهور بعض

(١٢٤) ملوك ثان ٣٦/١٩ - ٣٧ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 299.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 290.

الكمرية (Cimmerian) ، فوقعت بينها وبين القوات الاشورية صدامات مسلحة ، في حين أبرمت معاهدات صداقة مع بعض الامراء الميديين Medes ، ويبدو أن السياسة العامة التي اتبعها اسرحدون في معالجة المشاكل هي الجنوح للسلم ، كلما كان ذلك ممكنا ، حتى وان اقتضى الامر خسران بعض الاقاليم (١٢٥) .

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن اسرحدون لم يتبع سياسة اللين هذه في بلاد الشام ، ويحدثنا التاريخ أن ملك صيدا «عبد ملكوتى» — خليفة أتوبعل الثانى الذى عينه سنحريب ملكا على صيدا — قد ظن أن في وسعه أن يستقل بصيدا ، ومن ثم فقد ارتبط ببعض الامراء المجاورين في حلف أدرك أهدافه «اسرحدون» فعجل بالقضاء عليه ، وباءت المحاولة بالفشل ، بعد أن أغتصبت صيدا في عام ٦٧٨ ق.م ، وعوملت بقسوة حتى لا تعود لمثلها ، وحاول «عبد ملكوتى» الفرار بحرا ، ولكنه أقتيد أسيرا ، «وصيد كالمسمكة من البحر» ، ثم أعدم ، وانتقم اسرحدون من أهل صيدا أبشع انتقام ، فدمر المدينة ، وهدم عمرانها ، ودك بيوتها ، وأطاح بتدصيناتها وأسوارها ، وقذف بأحجارها في البحر ، وكانت هذه الكارثة أول الكوارث التى توافقت على صيدا عبر التاريخ .

وسرعان ما أمر اسرحدون سكان صيدا بالانتقال عنها الى بلاده ، وأحل محلهم أقواما من الخليج العربى ، أو من شرق الامبراطورية الاشورية ، وأمر بتعمير مدينة جديدة في موضع صيدا أسماها «كار — اسرحدون» أى «مدينة اسرحدون» ، وان ذهب «فليب حتى» الى أنها

(١٢٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٧ — ١٥٨ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٦ — ٥٢٧ ، وكذا

J. Nougayrol, AFO, 18, 1958, P. 314-318.

G. Roux, Op. Cit., P. 300-302.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, Parag. 639 F.

مجرد حصن آشوري أقامه اسرحدون ، بجانب موقع صيدا ، بقصد
القاء الرعب في قلوب أهل صيدا (١٢٦) .

وأيا ما كان الامر، فلقد كانت معاملة اسرحدون لادينة صيدا ، آثارها
الشديدة على المعارضة الفينيقية ، ضد الاشوريين ، ومن ثم فقد رأينا
«ياكين أرسل» ملك أرواد ينسلم مدينته — فضلا عن ابنته — للعاهل
الاشوري ، كما خضعت مدن فينيقية أخرى — تحت زعامة «بعل» ملك
صور — لاسرحدون ، ووقعت معاهدة بين «بعل» واسرحدون ، غير أن
ملك صور سرعان ما مزقها حين شعر بأن الوقت أصبح مناسباً لنزع
الخير الاشوري .

وهناك نصب عند نهر الكلب — على مقربة من نصب رعمسيس
الثاني (١٢٩٠ — ١٢٢٤ ق م) يمثل اسرحدون واقفا بتيه وفخار ،
قرب كتابة أثرية تروى خبر الاستيلاء على منف وعسقلان وصور ، وفي
نصب آخر في «زنجري» (سما القديمة) — عند عينتاب في شمال
سورية — يقف اسرحدون ممسكا بحبل ربط به «بعل» ملك صور ،
و «طهراقا» ملك مصر ، من الانف ، وان كان من المؤكد تاريخيا أن
«طهراقا» لم يقع أبدا في الاسر ، ومن ثم فالمراد من النصب الدعاية
والتفاخر الكاذب (١٢٧) .

(١٢٦) محمد بيومي مهران : بلاد الشام ص ١٥٩ — ١٦٠ ، نجيب
ميخائيل : المرجع السابق ص ١٢٩ — ١٣٠ ، يوسف مزهر : المرجع السابق
ص ٥٠ ، فيليب حتى ، المرجع السابق ص ١٥٥ ، عبد العزيز سالم :
المرجع السابق ص ٣٢ — ٣٣ ، وكذا

D. Barmaki, Op. Cit., P. 29.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 289-290.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 527-528.

(١٢٧) فيليب حتى : المرجع السابق ص ١٥٥ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 582-585.

R. Mousterde, Le Nahr el-Kelb, Beirut, 1932, Pl. VI, P. 18.

A. T. Olmstead, History of Assyria, N. Y., 1923, P. 384.

H. R. Hall, Op. Cit., P. 499.

G. Roux, Op. Cit., P. 300-301.

R. Borger, Op. Cit , P. 107-109.

وأما عن دويلة «يهودا» فتحدثنا التوراة أن «منسى» ملك يهوذا (٦٨٧ — ٦٤٣ ق م) قد سعى الى بابل ، ثم أعيد مرة أخرى الى عرشه ، وليس هناك وثائق آشورية تؤكد ذلك ، وان كان هناك ما يشير الى أن اسرحدون قد استدعى مجموعة من مواليه الصغار — ومنهم منسى — للمساهمة في بناء القصر الملكي ، ولكن ليست هناك أية اشارة الى اعادة «منسى» الى عرشه ، وعلى أية حال ، فان هذا الامر الأخير انما قد حدث مع الامير المصري «نخاو» أمير «ساو» (سايس) ، ومن ثم فليس من الغريب أن يحدث مثل ذلك مع «منسى» ، حين تأكد الاشوريون من ولائه لهم ، غير أن الشيء المميز للنص التوراتي أنه يعزو حرية منسى وعودته الى عرش يهوذا الى خضوعه لرب اسرائيل (يهوه) ، وبدهى أن هذا ليس صحيحا ، كما أنه لا يتفق وسيرة منسى وأعماله الدينية ، كما قدمتها التوراة نفسها ، وحتى أن كثيرا من الباحثين انما يرون في منسى وما تم في عهده من مخالفات دينية انما كان سببا في سقوط اورشليم ونفى يهوذا (١٢٨) .

وأما عن علاقة اسرحدون بمملكة أدوماتو (دومة الجندل) ، فلقد أتى «حزائيل» — سيد قيدار ، والذي كان قد فر الى البادية عند سقوط أدوماتو في يد سنحريب — أتى الى نينوى ، وقدم فروض الطاعة الى اسرحدون ، الذي رد اليه أصنام قومه التي كان أبوه «سنحريب» قد أخذها أسيرة الى نينوى ، وان كان اسرحدون قد حرص على أن يسجل عليها تفوق اله آشور ، وأن ينقش عليها اسمه الشخصي ، فضلا عن تعيين الاميرة «تبوءة» ملكة على دومة الجندل ، الامر الذي لم يقدر له ما تمناه الاشوريون من نجاح للاميرة العربية ، بسبب العداء العميق

(١٢٨) محمد بيومي مهران : اسرائيل ٩٧٨/٢ — ٩٨٠ ، ملوك ثان ٣/٢١ — ٧ ، ٢٦/٢٣ — ٢٧ ، ارمياء ٤/١٥ ، جون الدر : المرجع السابق ص ١٠٤ — ١٠٥ ، وكذا

W. F. Albright, Op. Cit., P. 79.

C. Roth, Op. Cit., P. 35

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 295.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 293-294.

بين العرب والاشوريين ، والذي ما كان في استطاعة «تبوءة» — وربما
عدم رغبتها — في القضاء عليه (١٢٩) .

ولعل هذه العوامل هي التي دفعت اسرحدون الى أن يعيد «حزائيل»
الى زعامة قيدار ، في مقابل جزية قدرها خمسة وستون جملا ، وعشرة
مهور ، أكثر من ذي قبل ، وأن يعهد بالأمر نفسه الى ولد حزائيل المدعو
«ياتاع» بعد وفاة الاب في عام ٦٧٥ ق.م ، وان زاد الجزية الى الف
«منا» من الذهب ، فضلا عن ألف حجر كريم ، وخمسين جملا ، ومائة
زكينة «كونزو» ، مع عطور أكثر مما كان يدفع أبوه (١٣٠) .

ولنقرأ هذا النص الاشوري : «من أدوماتو قلعة العرب ، التي
فتحتها أبى سنحريب ، ملك آشور ، وأخذ كل ممتلكاتها وتمثيلها غنيمة،
وجاء بها الى آشور . . . جاء حزائيل ملك العرب بهدايا كثيرة الى
نينوى ، مدينة حكى ، وقبل قدمى ، والتمس أن أعيد التماثيل، وأخذتني
به شفقة ، فأصلحت ما حل بصور المعبودات وآلهة العرب وأعدتها معه،
بعد أن سجلت عليها قوة آشور ربى ، كما سجلت عليها اسمى ، وجعلت
«تاربو» (تبوءة) التي تربت في قصر أبى ملكة عليهم ، وأعدتها الى
بلادها مع آلهتها ، وفرضت عليه (حزائيل) جزية اضافية ٦٥ جملا ،
١٠ مهور ، أكثر من ذي قبل ، ولما مات حزائيل وضعت ابنه «ياتاع»
مكانه ، وفرضت عليه جزية اضافية : ١٠ مينا من الذهب ، ١٠٠٠ قطعة
من أحجار «بيروتى» ، ٥٠ جملا ، ١٠٠ زكينة «كونزو» مع عطور ،
أكثر مما كان يدفع أبوه ، وبعد ذلك حرض «وهب» العرب على الثورة
ضد «ياتاع» الا أنه كان طامعا في الملك ، ولكنى أنا اسرحدون ملك
آشور ، محب العدالة ، الذى يعد الانحراف دنسا ، أرسلت جيشى

(١٢٩) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٣٤٣

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 291.

— ٣٤٤ —

D Wiseman, The Vassal-Treaties of Isarhaddon, London, 1958, P. 4.

(١٣٠) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور

القديمة — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤٤ .

لمساعدة «ياتاع» ، واستطاع الجيش أن يخضع كل العرب ، وأمسكوا بالمدعو «وهب» ومحاربيه في القيود ، وجاءوا بهم الى ، فوضعت أطرافاً في رقابهم ، علقتهم على قائم بوابتي» (١٣١) .

على أن القيداريين سرعان ما عادوا الى الثورة من جديدة — وبقيادة ياتاع نفسه هذه المرة — غير أن ثورتهم لم يكتب لها ما تمناء الثوار من نجاح ، فلقد استطاع الاشوريون القضاء عليها ، واضطر «ياتاع» الى أن يغادر مخيمه لينجو بنفسه ، ففر وحيداً ، وصار الى الاصقاع البعيدة .

وهكذا كان البدو شوكة في جنب الدولة الاشورية ، تدفعهم مصر وبابل الى الثورة ، فان فشلوا كان في رحاب البادية خير مأوى يتوارون فيه عن الانظار ، فتعجز جحافل الاشوريين عن مطاردتهم ، وكانت البادية دائماً موطن المباليا والمحن التي يبتلى بها المغازي (١٣٢) ، وهكذا ما كان الواحد منهم تظاً قدماه شمالي بلاد العرب ، حتى تروعه المباليا ، ومن ثم يصور له ذعره الشديد «آفات ذات رأسين ، فضلاً زحافات مرعبة تدف بأجنحتهما» (١٣٣) ونقرأ في التوراة عن تهائم الجنوب ، «الأفعى» والثعبان السام الطيار» (١٣٤) ، ويؤكد «هيرودوت» أن الأفاعي منتشرة في كل بلاد العالم ، غير أن الحيات لا ترى الا في بلاد العرب (١٣٥) .

ونقرأ في نصوص اسرحدون عن دملة أخرى ضد قبائل عربية تنزل

131) A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 298-299.

A. Musil, Op. Cit., P. 482.

وكذا

A. Grohmann, Arabien, Munchen, 1963, P. 22.

J. Hastings, A Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1963, P. 832.

(١٣٢) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٢ — ٥٩٤ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 916, 946.

A. Musil, Op. Cit., P. 482.

P. K. Hitti, Op. Cit., P. 38-39.

133) D. Luckenbill, Op. Cit., II, Parag. 558.

(١٣٤) أشعياء ٣٠ / ٦ .

135) Herodotus, III, 109.

أرض «بازو» Bazu. أو «حازو» Hazu (١٣٦) ، وهما موقعان يقوم على تحديد مكانهما جذل طويل ، فالتوراة تتحدث عنهما ، (وهما هنا بوزا وحزوا) على أنهما من أولاد ناحور (١٣٧) ، أخى إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، ومن ثم فربما كان للأول صلة بأرض «يوز» (١٣٨) ، وإن ذكر «يوز» بعد «ددان وتيماء» فى سفر ارمياء (١٣٩) ، قد يفيد أنها كانت من مجاوراتهما ، على أن هناك من يرى أنها «بازو» التى جاءت فى نص سنحريب ، ومن ثم فهمى العربية الشمالية ، على أن آخرين انما يذهبون الى أنها تقع فى جنوب شرق الجوف (١٤٠) .

هذا ويذهب «ألويس موسل» — طبقا لما جاء فى النص الاشورى عن بازو — الى أنها تقع فى غرب وجنوب «تدمر» فى وادى السرحان عند الحدود الشرقية لحران ، وأن «حازر» انما تقع فى شرق وادى السرحان ، فضلا عن المنطقة الجبلية الى الشمال منه ، وأن الجيش الاشورى انما سلك طريقه الى هذه المناطق ، تلك الطرق التجارية المارة من الحواف الشرقية لحران الى دمشق (١٤١) ، على أن هناك وجها رابعا لانظر يذهب الى أنها فى داخل بلاد العرب ، بينما يذهب وجه خامس للنظر الى أنها «نجد» وأن البادية التى تحدث عنها اسرحدون انما هى «النفوذ» ، وأما «حازر» فهمى الاحساء (١٤٢) ، وأخيرا فلقد ذهب «رولينسون» الى أنها ربما كانت امارة الحيرة ، وما يتصل بها حتى جبل شمر (١٤٣) ، بينما اختار البعض أنها انما تقع فى اليمامة .

136) A. Musil, Op. Cit., P. 482.

(١٣٧) تكوين ٢٢ / ٢ - ٢٢ .

(١٣٨) قاموس الكتاب المقدس ؛ ٢٥٥ / ٢٧٣ .

(١٣٩) ارمياء ٢٥ / ٢٠ - ٢٤ .

(١٤٠) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٧ ، وكذا EB, P. 615.

A. Musil, Op. Cit., P. 483-484.

141) S. Smith, Babylonian Historical Texts, P. 18.

A. Musil, Op. Cit., P. 484.

142) Ptolemy, V, 19, 2.

J. H. D. Belgrave, Op. Cit., P. 96.

G. Rawlinson, The Five Great Monarchies, II, P. 470.

(١٤٣) جواد على : المرجع السابق ص ٥٩٥ - ٥٩٩ .

على أن أخطر غزوات اسرحدون ، تلك التي قام بها ضد «مصر»
— أرض الكنانة — فلقد كان الملك المصري «طهراقا» (٦٩٠ — ٦٦٤ ق.م) هو الذي ينظم المقاومة ضد الاشوريين في غربى آسيا ، ويتعاون مع امرائها — خاصة امراء صور وصيدا — في صد الاشوريين ، وكان من الواضح أنه منذ زمن بعيد كان يجب الوصول الى ما يحسم الامور بين البلدين — آشور ومصر — وكان «اسرحدون» قد جند كل امكانيات آشور لمهاجمة مصر في عام ٦٧٧ ق.م ، وربما الأرجح في عام ٦٧٤ ق.م، ولكنه لقي هزيمة نكراء بعد معركة دموية — كما روت المصادر البابلية — ونجت مصر من الغزو الاشورى ، ولكن الى حين ، ذلك لان هزيمة اسرحدون كانت قد توصلت الى درجة أفقدت الجيوش الاشورية هيبتها ، وشجعت الدول التابعة لها على محاولة التخلص من سيادتها ، مما اضطر اسرحدون الى الاستعداد لمحاولة الغزو ، حرصا على سمعة امبراطوريته ، وانتهازا لفرصة اطمئنان «طهراقا» الى أن هزيمة آشور بلغت حدا جعلها لا تفكر في العودة الى غزو مصر ، كما جعلت الامراء السوريين — وعلى رأسهم بعل صور — ينضمون تباعا الى طهراقا .

وهكذا ظهر اسرحدون في سورية فجأة في عام ٦٧١ ق.م ، فعاقب ملك صور على انضمامه لمصر ، ثم تقدم نحو مصر عن طريق سيناء ، بمساعدة بدو الصحراء الذين أمدوه بآلاف الجمال لنقل المؤن والمياه ، وكانوا أدلاءه في السير حتى وصل وادى طميلات ، ثم الى منف ، حيث قاتل دون انقطاع في معارك دموية ضد طهراقا ، ونجح في احتلال منف وتدميرها والسيطرة على مناطق الدلتا ، واضطر طهراقا الى الاتجاه الى الجنوب ، وظن اسرحدون أن مصر دانت له ، ووزع الامراء الذين رأوا في انتصاره فرصة لاسترداد حريتهم على حساب طهراقا ، فعين «نخاو» ملكا على سايس ومنف ، وأمن الملوك الصغار في مصر السفلى والوسطى ، وغير كثيرا من أسماء المدن المصرية الى أسماء آشورية ، نسبها الى آلهة بلاده ، وصور رجاله طهراقا جاثيا أمامه مخروما من أنفه بحبل يرجو عفوه ، مع أن طهراقا لم يقع في قبضته ولم يهادنه أبدا ، بل وأمر بترحيل جماعات من الاطباء والبيطريين والسحرة والكتبة

والموسيقيين ، بل والحدائثيين وصانعي الجعة والخبازين ، ومن لف لفهم الى عاصمته نينوى •

غير أن صدمة الغزو ، ووقوع مصر — ولأول مرة في تاريخها المجيد للغزو الاجنبى ، اذا سلمنا بأن وجود الهكسوس في مصر منذ قرابة ألف عام، كان تسللاً، ولم يكن غزواً كان عنيفاً — ولقيت أرض الكتانة من آشور أشد أنواع القسوة والهمجية، وهنا نسي المصريون كل شيء، إلا أن عنصرًا أجنبيًا غزا بلادهم ، واتصل امرأ الدلتا بالملك طهراقا في طيبة (الاقصر) طالبين منه أن يزحف الى الدلتا ، وسوف يجد في كل مكان من الذخيرة والامكانات البشرية والمادية ، ما يقوى به جيشه ، ولبي طهراقا النداء ليخلص الدلتا ومنف من ذل الاستعمار ، ويعزل الامراء الذين خضعوا لملك آشور ، ويعلم اسرحدون بما حدث ، ويجن جنونه ، ويخرج في حملة جديدة في عام ٦٦٩ ق م ، ولكنه يموت في «حران» ، وهو في طريقه الى مصر (١٤٤) •

(٦) آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق م)

خلف «آشور بانيبال» (Ashurbanipal) (آشور — بان — ابل = Ashur-ban-Apli) بمعنى (الاله آشور خالق الابن) — أباه في عرش آشور ، وكان اسرحدون قد وضع الترتيبات اللازمة لتفادي ما قد يحدث من مؤامرات كالتى حدثت في عهد أبيه ، ففى عام ٦٧٢

(١٤٤) محمد بيومى مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ٣٠٧ — ٣١٠ ، مصر — الجزء الثالث ص ٦٢٥ — ٦٢٧ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٠ — ٢٧١ ، ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص ٣١٦ وكذا

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 346-347.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 293-294.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 584-585.

F. Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, P. 103.

K. A. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973, P. 391-392.

A. Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1965, P. 209.

ق.م ، أعلن اسرحدون في اجتماع كبير في العاصمة ، حضره حكام المقاطعات وقادة الجيش وكبار الموظفين ، عن تعيين ولده «أشوربانيبال» وليا للعهد على بلاد آشور ، وتثبيت ولده الثاني «شمش شوم أوكن» وليا للعهد على بلاد بابل ، وذلك بعد أن أخذ موافقة العائلة الملكية وموافقة الالهة القومية ، ثم طلب من الحكام والقادة أن يقسموا اليمين أمامه ، معترفين بهذه الترتيبات ومعهما هدين الملك على تنفيذها ، كما أخذت وثائق مكتوبة تثبت جميع الترتيبات ، وحددت العقوبات على كل من يحنث بيمينه أو يغير من وصية الملك أو يعمل على عدم تطبيقها ، وقد نفذت الترتيبات بعد وفاة اسرحدون ، فاعتلى «أشوربانيبال» عرش آشور ، بينما اعتلى أخوه «شمش — شوم — أوكين» (Shamash-Shum-Ukin) عرش بابل (١٤٥) .

غير أن تقسيم الدولة على هذه الصورة ، لا بد وأن يؤدي — ان عاجلا أو آجلا — الى أن تتور المطامع في نفس كل من الاخوين ، فيحاول كل منهما أن يغتال نصيب الآخر من هذه الدولة المترامية الاطراف ، وهو أمر كان له — كما سنرى — أثره في تمزيق الدولة ، بل وفي ضياعها آخر الامر ، ومع ذلك فان المرحلة الاولى من عهد «أشوربانيبال» انما تكاد تمثل الذروة في سلطان الامبراطورية الاشورية ، ولكن لم تحل خاتمة القرن السابع قبل الميلاد ، حتى نشهد الانهيار القام على أيدي الميديين .

وعلى أية حال ، فلقد وصف «أشوربانيبال» بأنه كان أديبا ميالا للعلوم ، فارسا مغوارا ، وقائد عربات لا يشق له غبار ، يعرف كيف يصوب للهدف بقوسه وسهامه ، كما تعلم ممارسة السياسة والادارة حتى أتقنها على خير وجه ، وقد فرغ لهذه الشئون جميعا ، وخاصة خلال خروج أبيه الى حروبه ، فلقد كان اسرحدون يترك شئون البلاد — أثناء خروجه لحروبه — الى زوجته الملكة «نيكوا» التي كانت تشرك

(١٤٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٩ ، وكذا

G. Roux, Op. Cit., P. 304.

معها ولدها «أشور بانينال» اشراكا فعليا في ادارة شئون الدولة (١٤٦) .

وفي عام ٦٦٧/٦٦٦ ق.م ، جمع «أشور بانينال» جيشا من الاشوريين والسوريين وخرج به الى مصر ، حيث هاجمها برا وبحرا ، وسرعان ما التقى مع جيوش «طهراقا» في معركة مكشوفة رهيبه ، تحقق له النصر فيها ، وانسحب «طهراقا» الى الجنوب مع قلة من قسواته ، وقد وجد «أشور بانينال» أن الملوك الذين عيّنهم أبوه من قبل قد هربوا ، وأنه يحتاج الى اعادة تعيينهم ، وتقدم اسطوانه «رسام» المشهورة قائمة بأسماء هؤلاء الامراء الصغار ، فضلا عن المدن الهامة وبعض مدن مصر الوسطى كاهناسيا والاشمونين وأسيوط ، ثم يتابع الاشوريون طهراقا الى طيبة — معقل الوطنية المصرية العتيقة — ورغم دفاع أبنائها — الشجاع والمستميت — استولى الاشوريون عليها ، وأعملوا فيها السلب والنهب ، وان نجت من التخریب ، وهكذا تم احتلال طيبة — ولأول مرة في التاريخ — وفر طهراقا الى نباتا ، ومع ذلك فلم يستطيع الاشوريون البقاء في الصعيد ، وفضلوا — وربما الاصح أنهم اضطروا — الى تركه لأهله ، واكتفوا بأخذ الجزية ، مفضلين البقاء في الدلتا ، وهنا بدأت الحركات السرية تنتشر في الصعيد والدلتا ، ومالبت الامراء المصريون أن يهاجموا لانفسهم *

ومن أسف أن أمر الثورة قد كشف ، وأعمل الاشوريون السيف في مدن هؤلاء الامراء الثوار «ولم يستثنوا واحدا من تانيس والمدن الاخرى التي تعاهدت على الثورة ، فشنقوهم على الاسوار ، وسلخوا جلودهم وغطوا بها أسوار المدن» ، وأرسلوا زعماء الثورة الى نينوى مقيدين في الحديد ، حيث أهلكوا جميعا ، ولم يستثن غير «نخاو الاول» أمير سلو ، ربما لأنه اكتسب ود الاشوريين ، وربما لأنه وريث الأسرة الراحبة والعشرين ، وسليل أكبر بيت منافس لطهراقا ، ومن ثم فقد أبقوا عليه ، وقربه اليه «أشور بانينال» وخلع عليه وسلّمه عددا من

(١٤٦) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٩٢ - ٢٩٣ .

أختنامه الذهبية ، وأهداه هدايا كثيرة مرموقة باسمه ، وعين ولده «بسماتيك» (وهو الذى سيقدر له أن يطرد الاشوريين من مصر) أميرا على «أثريب» ، بل وأعطاه اسما آشوريا ♦

وعلى أية حال ، فلقد هدأت الدلتا ، أما الصعيد فكان يغلى كالمرجل ، ويبحث عن فرصة ليقوم قومة رجل واحد ضد الغازى الاشورى ، ولكن التوجيه كان ينقصه ، فولى وجهه شطر الجنوب ، وكان طهراقا قد مات ، وهو الذى كان فى نظر الكهنة فى طيبة ومنف — فضلا عن الصعيد — الحاكم الشرعى للبلاد ، يؤرخون الاثار باسمه ، ومن أيام حكمه ، وان كان هناك من يدعى الملك فى «ساو» ، فضلا عن الحاميات الاشورية ومن يدورون فى فلكها (١٤٧) ♦

وخاف طهراقا على عرش مصر والنوبة ، شاب متحمس يدعى «تانوت أمانى» (٦٦٤ — ٦٥٦ ق م) فلبى دعوة أهل الصعيد ، وجمع جيشا اتجه به الى الشمال ، حيث قوبل على طول الطريق بالتهليل والترحاب ، ونظروا اليه نظرتهم الى المنقذ من الغزاة الاشوريين ، حتى وصل منف وحاصر القوات الاشورية وسيطر عليها ، وطبقا لما جاء فى «الوحة الحطم» ، فلقد أتى اليه أمراء الدلتا ، وقدموا له آيات الولاء ، فسمح لهم بالعودة الى أقاليمهم ، ومباشرة شئونها ♦

وسرعان ما علم الملك الاشورى بذلك ، فأرسل جيشا الى مصر فى ٦٦٣/٦٦٤ ق م ، طوق به «تانوت أمانى» فى منف ، ففر الى طيبة ، حيث تبعه الاشوريون ودخلوا طيبة وهدموها ، على الرغم من مقاومة

(١٤٧) محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة ص ٣١٠ — ٣١٣ ، مصر — الجزء الثالث ص ٦٢٧ — ٦٢٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٢ — ٢٧٣ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, P. 294.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, 1968, P. 585.

G. Roux, Op. Cit., P. 304-305.

H. Von Zeissl, Athiopen und Assyer in Agypten, 1944, P. 39-40.

أهلها الصعايدة القسوية ، وشجاعة أميرها «منتومجات» ، واضطر
«تانوت أمانى» الى الفرار الى «نباتا» ، فقام الاشوريون بأكبر عملية
سلب ونهب فى تاريخ المدينة القديم ، وربما كانوا أول من سرق المسلات
المصرية ، كما لم تسلم تماثيل الفراعنة من عبثهم ، حيث يسجل الملك
الاشورى على نفسه أنه اغتصب ٦٥ تمثالا ، سجل عليها انتصاراته ،
وربما نقلها الى بلده كذلك .

وقد دوى صدى مأساة سقوط طيبة فى أيدي الاشوريين فى العالم
القديم كله ، ذلك لان الشرق القديم لم يكن بقادر على أن ينسى — أو
حتى يتناسى — أن طيبة ظلت كبرى عواصمه السياسية والدينية طيلة
عدة قرون ، وأن عمائرها الدينية كانت — وماتزال — أكبر من أن تدانى،
وهكذا كان احتلالها وتدميرها عنوة ، جعل النبى العبرانى «ناحوم»
(٦٥٠ — ٦٢٥ ق.م) يتخذ منه — بعد نصف قرن — العبرة على أن
نينوى الاشورية ، لم ولن تكون أعز من طيبة المصرية ، المنيعه برجالها،
الحصينة بمياهها (١٤٨) .

وأما فينيقيا ، فلقد حوصرت صور على أيام «أشور بانيبال» للمرة
الثالثة ، فأقامت الحصون الدفاعية على الارض الرئيسية ، ووضعت

(١٤٨) محمد بيومى مهران : حركات التحرير ص ٣١٣ — ٣١٦ ،
مصر ٦٢٩/٣ — ٦٣٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٢ ،
ناحوم ٨/٣ — ١٠ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, IV, Parag. 919-934.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 347-348.

G. Roux, Op. Cit., P. 305-306.

K. A. Kitchen, Op Cit., P. 394.

H. Schafer, ZAS, 35, 1897, P. 67-69.

PM, VII, P. 396-397.

Urk, III, 1905, P. 57-77.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 294-295.

D. D. Luckenbill, Op. Cit., Parag. 772.

A. Spalinger, Assurbanipal and Egypt, JAOS, XCIV, 1974, P. 318-328.

L F. Hartmann, JNES, 21, 1962, P. 25-37.

المتاريس في كل الطرق. — برا وبحرا — اضطر أهلها المحاصرون. أن يشربوا من ماء البحر ، كما اضطر بعلمها الى أن يستسلم في ظروف قاسية ، وفي صورة تدعو الى الشجن ، اذ سلم ابنته وبنات أخيه الى العاهل الاشوري المنتصر ، كزوجات تحمل كل منهن بائنتها الضخمة ، كما سلم ولده «ياحي ملكي» (Iahimilki) .

وكان هذا أكثر مما يطمع فيه آشور بانيبال ، فرد الابن ، اذ لم تكن له به حاجة ، واكتفى بالنساء اللواتي ضمنهن الى حريمه ، واستولى الاشوريون على خيرات صور ، وعلى أسطولها الذي استخدموه في اخضاع «ياكنلو» (Iakinlu) ملك أرواد ، الذي اضطر في نهاية الامر الى أن يستسلم ويبيع ابنته الى نينوى محملة بالهدايا ، ولم تحتل أرواد هذه المهانة فضاغت هلكها ، واضطر أبناؤه العشرة الى الاتجاه الى بلاط «آشور بانيبال» يحملون الهدايا ، وكل منهم يطمع في أن يوليه «آشور بانيبال» في مكان أبيه ، واستطاع أحدهم وهو «عزي بعل» (Iziba'l) أن يحقق الهدف وأن يجلس في مكان أبيه على عرش أرواد (١٤٩) .

وأما بلاد العرب الشمالية ، فهناك ما يشير الى أن «ياتاع» الذي كان قد فر على أيام «اسرحدون» سرعان ما عاد الى الظهور على أيام «آشور بانيبال» مظهرا الولاء للعاهل الجديد ، الا أنه سرعان ما أعلن الثورة من جديد ، منضمًا الى أخى الملك «آشور بانيبال» المدعو «شمش شوم أوكين» ، ويحدثنا «آشور بانيبال» أن الثائر الجديد ، «ملك عريبو» (بلاد العرب) : «لقد نقض الاتفاق الذي تحميه الاقسام لى ، ولم يذكر أنى عاملته برحمة ، بل نزع نير حكى الذى كان الاله

(١٤٩) نجيب ميخائيل : سورية ص ١٣٠ - ١٣١ ، وكذا

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 295-296.

JAOS, LXI, 1941, P. 258.

AFO, XIII, 1940, P. 233.

G. Roux, Op. Cit., P. 306.

أشور قد أحله فوقه ، وتخلص من الحبال التي كان يجرها . . . وامتنع
عن تقديم الهدايا والجزى الكبيرة ، واستمع — كما فعلت عيلام — الى
دعاية الثورة التي شنتها أكد ، ولم يكثرث بالايمان التي كان قد أقسمها
لى ، أنا آشور بانبيال ، الكاهن المقدس ، الخادم والدائم للصلاة
والابتهاال الى الآلهة ، ذلك الذى صاغته يد الاله آشور نفسه ، واستسلم
بقواته الى «ابياتى» (Abiate) و «عامو بن تيرى» (Aamu Son of Te'ri)
وساعدهما على مد يد المساعدة لأخى الشرير «شمش شوم أوكين»
وحرض سكان بلاد العرب على الانضمام له ، ثم أخذ ينهب الشعوب
التي منحى اياها آشور وعشتار وبقيّة الآلهة العظام ، لتصبح تحت
قبضتى ، ولأكون راعيا لها (١٥٠) .

وعلى أية حال ، فلقد نجح «أشور بانبيال» فى عام ٦٤٨ ق م فى
القضاء على الثورة ، واضطر «ياتاع» الى الاختفاء فترة من الوقت عند
أحد الامراء ، والذى اضطر آخر الامر الى أن يسلم «ياتاع» وزوجه
«أديا» (عديا = Adia) الى «أشور بانبيال» ، حيث وضع فى قفص
ليعرض على الناس عند أحد أبواب نينوى ، ويتسول الملك الاشورى
«لقد حبسته فى مربوط الكلاب ، ووضعته مع بنات آوى و الكلاب ، وأقمته
عند حراس الباب فى نينوى» ، وأما «ابياتى» الذى أمسك بقدمى لانقذ
حياته ، فقد أخذتني به الرأفة ، فجعلته يقسم بكبار الآلهة ، ثم عينته
بدلا من ابن حزائيل ، كملك على بلاد العرب» (١٥١) .

-
- (١٥٠) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٣٤٧ .
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 297-298.
وكذا
D. D. Luckenbill, ARAB, Parag. 880.
M. Streck, Assurbanipal und die Letzten Assyrischen Könige Bis Zum
Untergang, VAB, VII, Leipzig, 1916, P. 139 F.
(١٥١) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٤٧ — ٣٤٨ ، وكذا
D. D. Luckenbill, Op. Cit., P. 819.
A. Musil, Op. Cit., P. 88-65.
A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 298.
M. Streck, Op. Cit., P. 135 F.

وأما عن الأعراب ، فإن آشور بانيبال يقول عنهم «اشتدت عليهم
وحاة الجوع والعطش ، ولكي يسدوا رمقهم ، أكلوا لحوم صغارهم ،
وشقوا الجمال وشربوا دماءها ، كما شربوا الماء الملوث ليطفئوا ظمأهم ،
ولم يفلت أحد ممن صعدوا الى الجبل أو اختبأوا في البلاد من يدي ،
بل أمسكت بهم في يدي في مخابئهم — رجالا ونساء — فضلا عن الحمير
والجمال والماشية ، وأخذتها كلها غنيمة الى آشور وقد ملأوا الأرض
التي منحنى اياها آشور الى أقصى اتساعها ، ورتبت قطعانا ، ووزعت
الجمال — وكأنما هي ماشية — على أهل آشور ، حتى أن الجمال كان
يشتري في بلادى بأقل من ثاقل من الفضة في السوق ، هذا فضلا عن
العمال انما كانوا يأخذون الجمال والعبيد كهدايا ، وصناع الجعة
كمحنة ، والبستاني كأجر اضافي ، وقد سأل أهل بلاد العرب بعضهم
بعضا : ما بال العرب قد أحرق بها الشر ؟ فكان الجواب : تلك عاقبة
من ينكث العهد ، ويخرق المواثيق ، التي قطعناها للاله آشور ، ويعاند
«(آشور بانيبال)» الملك الذي يحبه الاله انليل (١٥٢) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن العاهل الاشوري انما قد
زين قصره في نينوى بنقوش تمت المعارك التي دارت بينه وبين العرب ،
والتي يبدو منها أن عرب الشمال انما كانوا رجالا متوسطي القامة ،
يرتدون ملابس صوفية ، بينما تركوا رؤوسهم عارية ، وشعورهم تتدلى
على أكتافهم ، كما كانوا ملتحين بلحي مدببة قصيرة ، وتصورهم المناظر
وهم يركبون الجمال ، وعلى الواحد منها رجلان ، الواحد لقيادة البعير ،
والآخر لضرب القوس (١٥٣) .

هذا وقد أدت تلك الأحداث الى أن يضطرب الأمن في الجبهة

(١٥٢) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٣٤٨ ، نجيب
ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٠٦ ، وكذا

D. D. Luckenbill, Op. Cit., II, P. 855.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 299-300.

153) B. Meissner, Zwi Reliefs Assorbanipals Mit Barstellungen Von
Arabein, in Oslamica, II, 1926, P. 392.

الشمالية والشمالية الشرقية ، وذلك لانشغال الجيش الاشوري في الجبهة الغربية ، الامر الذي اضطر «أشور بانينال» الى القيام بدملة الى هناك ، فيما بين عامي ٦٦٥ — ٩٥٥ ق.م (١٥٤) .

وأما في «بابل» فلقد استقر فيها الامير الاشوري «شمش — شوم — أوكين» فترة طويلة فنهض بها ، وكانت الامور تسير بين الاخوين في بداية الامر بهدوء ودونما أي اضطراب ، غير ان مملكة عيلام انما كانت دوما تعمل على التدخل في شئون بلاد بابل بغية السيطرة عليها ، مستغلة بعض القبائل الكلدانية والارامية المناوئة للآشوريين ، وهكذا بدأت تحمل على اشعال نار الفتنة بين الاخوين (أشور بانينال وشمش شوم — أوكين) (١٥٥) ، وسرعان ما بدأ الامير «شمش — شوم — أوكين» يستغل امكاناته ونفوذه في ولايته في التضييق على أخيه «أشور بانينال» ، ثم ضم اليه حلفا قويا من العيلاميين والامراء الكلدانيين في «أرض البحر» ، فضلا عن لفيف من السوريين وأمرأء البدو المتذمرين ، غير أن ميزان القوى سرعان ما أصبح الى جانب «أشور بانينال» ، ومن ثم فقد تسددت جيوشه الحصار على بابل لمدة عامين ، حتى تفشت فيها الأوبئة والمجاعات ، واضطرت الى التسليم ، وأشعل أميرها النار في قصره ، وهلك في لهيبه ، ثم رادت جيوش «أشور بانينال» بابل خرابا على خرابها ودمرتها تدميرا عنيفا ، في عام ٦٤٨ ق.م ، وربما في عام ٦٥٠ ق.م ، لم تفق منه الا بعد جيل كامل ، يوم هبت هبتها الأخيرة للانتقام لنفسها ، وللقضاء على دولة آشور كلها ، والغريب أن أنصار «أشور بانينال» لم يتورعوا عن تمثيله على لوحة صغيرة باسمها مستبشرا ، يرفع بيده سلة من الخوص المجدول الى ما فوق مستوى تاجه الطويل ، وسجلوا حوله نصوصا تشيد بفضلته في اعادة بناء «إساجيل» مقر مردوك (١٥٦) .

(١٥٤) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٥٩ ، وكذا G. Roux, Op. Cit., 306.

(١٥٥) عامر سليمان : المرجع السابق ص ١٦٠ .
(١٥٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٧ .

واتسد «أشور بانيبال» على الحداسيين الجنوبيين في أرض البحر ،
حتى اضطر واليهيم «نابو بعد شوماتي» خليف احيه «تسمش شوم
أوكين» الى الفرار الى عيلام ، وعين «أشور بانيبال» «دوباتسو» بلاطه
واليا عليهم ، غير أن «نابو بعل شوماتي» سرعان ما اضطر — اثر
مهادنة بين ملك آشور وملك عيلام — من أن يأمر تابعه بأن يقتله بسلاحه
حتى لا يعاني تعذيب أعدائه ، ومع ذلك فلقد مثل الآشوريون بجثته حين
سلمت اليهم ، فقطعوا رأسها ، وحرموا دفنها .

واستمرت الحروب الخاطفة بين آشور وعيلام ، تناول فيها الجانبان
النصر والهزيمة ، حتى استطاع «أشور بانيبال» أن ينتصر على
العيلاميين ، وأن يدمر عاصمتهم «سوسة» تدميراً شاملاً (حوالي عام
٦٤٠ ق م) ، وأن يستولى على كنوزها ، وأن يدمر معابدها ، وأن يأسر
معبوداتها ، وأن يفتح توابيت مقابرها الملكية ، ويستخرج عظم موتاهها
ثم ينقلها الى آشور ، حتى يحرمها الخلود في أرضها — على حد قوله —
وهكذا أنهى ملك آشور مملكة عيلام (١٥٧) .

بقيت الإشارة الى أن التاريخ انما ينسب الى الملك «أشور بانيبال»
أنه قد اشتهر بحبه للعلوم ، وأنه قد أسس مكتبته الشهيرة التي كشف
عنها في عاصمته نينوى في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي . وفي
الواقع فلقد سبقه الى ذلك سلفه «سرجون الثاني» الذي أنشأ مكتبته
في نينوى ، ثم زاد في هذه المكتبة ، وأسس أمثالها أولاده وحفدته ، غير
أن أكثرهم احتفاء بالثقافات القديمة وجمعها في مكتبته انما كان «أشور
بانيبال» ، الذي أرسل رقاعا الى ولاته على الأقاليم يأمرهم فيها
بالتحري عن الألواح المسمارية القديمة حيثما وجدوها ، ويقول لكل منهم
فيها : «لا يجوز لأي انسان أن يمنع شيئاً من الألواح عنك ، واذا عثرت
على أية لوحة أو رقية لم أعينها لك وتجد فيها صلاحية لقصرنا ، استول
عليها وأرسلها الي» ، وقد عثر في أطلال قصره في «نينوى» على لوحات

(١٥٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ، طه
بافر : المرجع السابق ص ١٩٩ ، ل . ديلاپورت : المرجع السابق ص
٤١٩ - ٤٢١ .

كثيرة زادت من معرفتنا بالآداب القديمة ، حيث أمدتنا مكتبة الملك «أشور بانبيال» بكثير من الآداب البابلية والآشورية ، لعل من أشهرها «ملحمة جلجاميش» وخرافة أدابا ، والمحوار بين السيد والخادم ، والحكم وقصة الخلق ولحمة الطاعون ، وكثير من المعارف (١٥٨) .

(٧) نهاية الامبراطورية الآشورية

كانت ظواهر الأمور في أخريات أيام «أشور بانبيال» تدل على أن امبراطوريته وظيفته الأركان في سائر أنحاءها ، غير أن الضعف سرعان ما يدب فيها ، ويحدثنا الملك الآشوري نفسه أن أياما سودا قد حلت في أرجاء مملكته ، وأنه كان يقاسى آلاما جسيمة — جسمانية وروحية — سلبت روحه ، وكما رأينا من قبل ، فلقد قام حلف أسهم فيه أخوه «شمش شوم أوكين» — الحاكم شبه المستقل في بابل — هذا فضلا عن أن العناصر البابلية نفسها كانت تسعى للتخلص من التفوذ الآشوري ، وارجاع عظمة بابل الى سابق عهدها .

وهكذا كان على آشور أن تواجه فضلا دمويا مع عيلام وبابل ، فضلا عن ثورات الولايات السورية ، والاشتباك مع ليديا في معارك طاحنة ، وقد أدت هذه الظروف القلقة في آشور ، وقويده مصر على «بسماتيك الاول» (٦٦٤ — ٩١٠ ق.م) الى الامتناع عن دفع الجزية لأشور ، وعقد محالفة مع «جيجس» ملك ليديا ، ثم اعلان استقلال مصر عن آشور ، ومن عجب أن المصادر المصرية — وكذا الآشورية — لم تذكر شيئا مفصلا عن ذلك ، حتى بات من الصعب علينا أن نتعرف بالضبط كيفية انتهاء الحكم الآشوري في مصر ، ولعل كل ما نستطيع أن نقدمه الان هو : أن بسماتيك الاول تمكن — بعد أن نجح في استعادة الوحدة القومية لمصر — من اعداد جيش قوى من الصعيد والدلتا ، انضم اليه جنود الايونيين والكاريين ، وقد اكتسح بذا الجيش الحاميات الآشورية

(١٥٨) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٤٣ ، وانظر
G. Contenau, Op. Cit., P. 315 F.

القوية التي كانت تعسكر في الدلتا وطردتهم نهائيا من مصر ، ففر هؤلاء الى فلسطين وتحصنوا في أشدود ، ورأى بسماتيك الاول — كما رأى أحمرس الاول من قبل ابان حرب الهكسوس — أنه لا أمن ولا أمان لمصر، الا اذا اجتث الشر من جذوره ، ومن ثم فقد تبعهم الى هناك ، وانتهاز الفرصة ليعيد لمصر شيئا من مركزها الممتاز في غربى آسيا (١٥٩) .

وعلى أية حال ، فلقد حدث بعد موت «أشور بانيبال» في عام ٦٢٦ قبل الميلاد ، نزاع حول وراثة العرش وقد وقع عبء ذلك على ولده وخليفته «أشور — ايتل — ايلانى» (٦٢٦ — ٦٢٤ ق.م ؟) (Ashur - etil - Ilani) الذى قضى فترة حكمه القصيرة في الدفاع عن عرشه ، ثم جاء من بعده «سن — شومو — ليشر» ، ثم «سن — شار — اشيكون» (Sin-Shar-Ishkun) ثم «أشور — أو بالظ الثانى» (Ashur - Uballit, II) (٦١١ — ٦٠٩ ق.م) (١٦٠) .

وعلى أية حال ، فلقد أدت الاضطرابات الداخلية الى سقوط العاصمة الاشورية «نينوى» فى أيدي البابليين والميديين فى عام ٦١٢ ق.م ، وان كان هناك من الباحثين من يذهب الى أن العاصمة الاشورية انما سقطت فى أغسطس من عام ٦١٣ قبل الميلاد ، بعد معركة دموية ضد الحلفاء ، بدأت فى شهر يونية عام ٦١٣ ق.م ، وأيا ما كان الامر ، فلقد قضى البابليون والميديون على دولة آشور ، وقتلوا ملكها «سن — شار — اشيكون» ، ودفعوه الى الاحتراق بنيرانها — فيما تروى المصادر الكلاسيكية — ثم دمروا «نينوى» تدميرا كاملا وعنيفا .

159) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, P. 252-253.

وكذا

J. H. Breasted, Ancient Records of Egypt, IV, Chicago, 1907, Parag. 989-995.

D. D. Luckenbill, ARAB, II, 1926, Parag. 784-785.

A. Spalinger, JEA, 13, 1927, P. 136-136.

Herodotus, II, 147-157,

(١٦٠) أنظر : ليو أوبنهايم : بلاد ما بين النهرين ص ٤٦٢، ثم قارن:

G. Roux, Op. Cit., P. 468.

وليس هناك من ريب في أن سقوط العاصمة الآشورية «نينوى» دوى في أنحاء العالم القديم وقت ذاك ، اذ اعتبره سكان الشرق الأدنى القديم ، رمزا لسقوط الظلم ، وفجرا جديدا للشعوب التي غلبت على أمرها ، وطالما رزحت تحت نير آشور ، التي لم ترع شيئا من المبادئ الإنسانية في معاملة الشعوب المغلوبة على أمرها ، والتي كتب عليها أن تحكمها آشور بالحديد والنار ، وأن تذيبها من العذاب ألوانا ، ربما لم يعرفها التاريخ القديم من قبل ، أو على الأقل لم يمارسها بالطريقة التي مارسها بها الآشوريون .

وعلى أية حال ، فلقد اقتسم الفريقان المنتصران — البابلى والميدى — مملكة آشور ، فاستولى الميديون على قسمها الشرقى ، وأخذ البابليون جنوبها ، واضطرت الحكومة الآشورية — بقيادة الملك «أشور أو بالث الثانى» — أن تجعل من «حران» عاصمة لها (١٦١) .

وفي هذه الاثناء كان «نخاو الثانى» (٦١٠ — ٥٩٥ ق.م) قد أصبح ملكا على مصر ، فتابع سياسة أبيه «بسماتيك الاول» في مساعدة آشور ، فضلا عن أن يجعل لمصر صوتا مسموعا في سياسة الشرق القديم ، وأن يحتفظ بأشور الضعيفة ، كحاجز بينه وبين القوى الخطيرة التي ظهرت في الشرق ، والتي تهدد الان آشور في المقام الاول ، ولكنها ربما تتجاوز ذلك الى الشرق الأدنى القديم كله في الغد القريب ، وأخيرا لى يسترجع الامبراطورية المصرية المفقودة في سورية وفلسطين ، وهكذا أسرع «نخاو الثانى» — على رأس جيشه — لمساعدة «أشور أو بالث الثانى»

(١٦١) أنظر : عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٢ ، محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية ص ٣٤٩ ، محمد عبد القادر : المرجع السابق ص ٢٤٧ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 258.

J. Laessoe, Op. Cit., P. 124.

G. Roux, Op. Cit., P. 346-347.

A. L. Oppenheim, Op. Cit., P. 303-305.

D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 57.

C. J. Gadd, The Fall of Nineveh, London, 1923.

المقابع في حران ، أملا في عون يأتيه من مصر ، وهكذا أرادت الاقدار أن يكون البلد الذي كان هدف الاشوريين لمدة جيلين مضيا ، هو الان عون آشور الكبير والوحيد (١٦٣) .

وهكذا ، وفي عام ٦٠٩ قبل الميلاد ، ظهر «نخاو الثاني» كخصم قوى ورئيسي لملك بابل «نابو بولاسر» وسرعان ما تتقدم القوات المصرية نحو حران لنجدة آشور ، ورغم أن فرعون لم يوفق في انقاذ آشور ، فلقد استمرت قواته تسيطر على منطقة عبر النهر وتخوم الفرات ، بعد أن استولوا في عام ٩٠٦ / ٩٠٥ ق.م ، على معقل كيمو خو ، وهزموا البابليين في «قوراماتي» ، وهما موقعان على الفرات الى الجنوب من قرقيش (١٦٣) ، وأما «حران» فلقد استطاع «نبوخذ نصر» بن «نابو بولاسر» ملك بابل ، من أن يستولي عليها ، وأن يقضى على الجيش الآشوري ، وذلك في عام ٦٠٩ قبل الميلاد (١٦٤) .

(١٦٢) محمد بيومي مهران : اسرائيل ٩٨٢/٢ ، مصر ٦٥٠/٣ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 273-274.

A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 219.

163) A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 358.

164) M. Noth, Op. Cit., P. 273.

الباب السابع
العصر البابلي الاخير
٦٢٦ - ٥٣٩ ق م

الفصل الأول

الدولة الكدانية

(١) تقديـم :

حكمت الدولة الكلدانية قرابة تسعة عقود من الزمان (٦٢٦ – ٥٣٩ ق.م) حكم فيها ستة ملوك^(١) ، وتمثل الفترة الأخيرة من عهود الاستقلال والحكم الوطنى فى العراق القديم ، ظلت البلاد بعدها تنتقل — على مدى حوالى اثنى عشر قرنا — من احتلال الى احتلال ، حيث صارت العراق ولاية تابعة مرة الى الفرس الأخمينيين ، ومرة الى الاغريق السلوقيين ، ثم الى الفرس الفريثيين ، ثم الى الفرس الساسانيين ، حتى جاء الفتح الاسلامى فى العقد الرابع من القرن السابع الميلادى .

وعلى أية حال ، فان المؤرخين ما يزالون مختلفين فى أصل الكلدانيين ، كما أنهم على غير يقين بشأن تاريخ بعينه ، يمكن القول أنه هو الوقت الذى دخل فيه الكلدانيون العراق ، فقد ظهروا — كقوة سياسية — فجأة ، ثم سرعان ما استقروا فى منطقة الخليج العربى ، حتى عرفت باسم «الخليج الكلدانى» كما أنهم كانوا على معرفة باللغة الاكدية ، على أن هناك فى سفر أيوب (١٤/١ – ١٧) من العهد القديم ما يشير الى أن مراع الكلدانيين إنما كانت على مقربة من مساكن السبئيين ، وان كنا لا نعرف على وجه اليقين ، المراد بالسبئيين هنا ، أهم القوم الذين كانوا يسكنون فى جنوب بلاد العرب ، أو أولئك الذين كانوا يسكنون فى شمال غرب بلاد العرب ، وقد اعتمد أصحاب الرأى الاول على وجود كتابات بالعربية الجنوبية القديمة فى مواقع من جنوب العراق — كما فى أور والوركاء ونفر — الامر الذى ربما رجح هجرتهم من «عمان» فى جنوب شرق الجزيرة العربية .

(١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٤٦ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٠٣ – ٢٠٥ ، سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٣ .

على أن هناك من يرجح أن الكلدانيين — أو قبائل كلدو ، أو كالدو — إنما كانوا فرعاً من الآراميين الرعاة، الذين جعلوا ضفاف الفرات قبلتهم منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد أو نحوه ، وأحست بابل بخطرهم على اقتصادياتها منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حين كتب كل من الملك البابلي «كادشمان أنايلى» والملك الحثي «خاتوسيل» إلى زميله بتعكير صفو الأمن على الطرق التجارية الواصلة بين الدولتين ، وبمرور الزمن زادت قوة الآموريين ، واستمر توسعهم في ازدياد ، حتى تمكنت قبائل «كالدو» آخر الأمر أن تمتد في جنوب العراق ، حتى الخليج العربى ، وأن تكون ست امارات ، كان أكبرها «بيت داكورى» و «بيت ياكين» ، وسيطرت قبائل أخرى على ما بين بابل وبورسييا •

(٢) نابوبولاسر (٦٢٦ - ٦٠٥ ق م) :

كان «نابو بولاسر» (Nabo - apla - usur) هو مؤسس الدولة الكلدانية (العصر البابلى الاخير — أو الحديث) ، ربما في ٢٣ نوفمبر عام ٦٢٦ قبل الميلاد ، وربما كان ابناً للأمير كدى يدعى «كاندا لانو» (Kandalanu) عينه «أشور بانيبال» على «بابل» بعد مقتل أخيه وعمل قائداً في الجيش الاشورى ، وحاكماً على الاقاليم الجنوبية ، ثم عمل لحسابه فزحف على بابل وولى عرشها بعد تفكك أواصر البيت الاشورى الحاكم ، وكن لم يتعد سلطانه في بداية أمره ما حولها ، ثم سرعان ما أعلن الثورة على آشور ، ولم تستطع القوات الاشورية في «نبيور» من هزيمته ، الأمر الذى مكّنه من أن يعلن نفسه ملكاً على «بابل» ، وأن يؤسس الدولة الكلدانية ، وأن يعقد حلفاً مع الملك الميذى «كى أخسار» (كياكسارس = Cyaxares) ، وأن يزوج ولده «نبوخذ نصر» من ابنة الملك الميذى^(٢) ، ثم يتحالف الفريقان — البابلى

(٢) ليس هناك من دليل فى المصادر البابلية على زواج (نبوخذ نصر) من الاميرة الميذية التى دعتها المصادر الكلاسيكية «أموهين» (أريتان أو أميتان) ، ومن عجب أن يذهب المؤرخون اليونان والرومان الى أن «نبوخذ نصر» قد شيد لزوجه الميذية الحدائق المعلقة فى بابل كى تذكرها

والميدى — ضد آشور ، ثم احتلان العاصمة الاشورية «نينوى» ، ثم
ينجح «نبوخذ نصر» في القضاء على الجيش الاشورى في «حران» (عام
٦٠٩ ق م) ، ثم يعمل على أن يرث الامبراطورية الاشورية في بلاد
الشام ، فضلا عن الحد من توسع المصريين في بلاد الشام (٣) .

ومن المعروف أن الفرعون «نخاو الثانى» (٦١٠ — ٥٩٥ ق م) كان
قد خرج على رأس جيشه في عام ٦٠٩ قبل الميلاد ، لمساعدة الملك
الاشورى «أشور أو باط الثانى» — القابع في حران — ضد البابليين
والميديين ، ولكنى يسترجع الامبراطورية المصرية المفقودة في غربى آسيا،
وهناك في «مجدو» اعترضه ملك يهوذا «يوثيا» (٦٤٠ — ٦٠٩ ق م) ،
ومنع الجيش المصرى من التقدم ، فأنذره «نخاو» بالحسنى ، ولكنه لم
يرعو ، الامر الذى أدى الى أن يشتبك الجيشان — المصرى واليهودى
— في معركة يكتب فيها النصر للمصريين ، ويدفع «يوثيا» حياته ثمنا
لهذه المغامرة ، كما يدفع اليهود ثمن خطيئتهم في عدم تقدير قوة المصريين
الحقيقية ، وبسبب سياستهم الم
فلسطين بالتالى خاضعة لمصر .

وعلى أية حال ، فسرعان ما تابع «ن

ببيتها الجبلية، بل أن أمر الحقائق المعلقة هذه قد ذكرتها المراجع القديمة
والحديثه ، رغم عدم وجود أى دليل تاريخى عليها ، حتى أن الاثاريون
الامان ظنوا في بداية هذا القرن العشرين أنهم اكتشفوا تلك الحقائق ،
عند عثورهم على بئر عميقة في منطقة من القصر الجنوبى غطيت بغرق
ثلاثية ، ظنوا أنها حوت جهازا يسحب الماء الى هذه الحقائق المعلقة ،
ثم أظهرت حفريات هيئة الآثار العراقية أن هذه المنطقة بالذات عبارة
عن حجرات خزن تحت الارض ذات عقادات قوية ، وروت المصادر
الكلاسيكية أن «نبوخذ نصر» قد زود قصره ببرندات (بالكونات) زرع فيها
شتى الاشجار التى جلبها من أقطار مختلفة ، وربما كانت هذه
«البلكونات» التى وضعت بها الاشجار هى التى أسماها الكتاب الكلاسيكيون
«الحقائق المعلقة» (انظر : سامى سعيد الاحمد : المرجع السابق ص ١٦٥)
(٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٠ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 273.

G. Roux, Op. Cit., P. 345.

سورية ، ليقوم بمحاولة أخيرة لمساعدة آشور ضد البابليين ، ورغم أن فرعون لم يوفق في إنقاذ آشور ، فلقد استمرت قواته تسيطر على منطقة عبر النهر وتخوم الفرات ، بعد أن استولى في عام ٦٠٦ / ٦٠٥ قبل الميلاد على معقل «كيمو خو» ، وهزم البابليين في «قوراماتا» ، وهما موقعان على الفرات إلى جنوب قرقميش ، كما نجح كذلك في أن يخضع المدن الساحلية مثل عسقلان وأشدود وغزة ، وهناك نص بالهيوغليفيّة عثر عليه في «صيدا» يشير إلى سيطرة «نخاو» على الساحل الفينيقي ، وقد يسر له ذلك امتلاكه للأسطول في البحر المتوسط^(٤) .

(٣) نبوخذ نصر الثاني (٦٠٥ - ٥٦٢ ق م) :

ورث «نبوخذ نصر» (وصحة اسمه في البابلية «نابو - كدوري - أوصر» (Nabu-Kudurri-usur) (بمعنى الإله نابو يحمي الحدود) أباه «نابو بولاسر» ، وما أن يمضى حين من الدهر ، حتى استقرت له الأمور تماما ، وفشلت كل محاولات مصر للابقاء على الأمبراطورية الآشورية .

وهنا ما يشير إلى تجدد العداء بين مصر وبابل ، ذلك لأن «نبوخذ نصر» لم يتخل مطلقا عن الوصول إلى الحدود المصرية ، ومن ثم فقد اتجه «نبوخذ نصر» في عام ٦٠١ ق م ، إلى مصر ، ولكنه رد عنها بعد

(٤) محمد بيومي مهران : إسرائيل ١٨٠/٢ - ٩٨٥ ، مصر - ٣ / ٦٥٠ - ٦٥٣ ، ملوك ثان ٢٩/٢٣ - ٣٥ ، أخبار أيام ثان ٢٥/٢٥ - ٢٥ ، ١/٢٦ - ٤ ، أرميا ٤٧/١ ، وكذا

A. Malamat, JNES, 9, 1950, P. 219-222.

J. Yoyotte, Nechao, P. 372.

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 358.

PM, 7, P. 384.

D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 23, 67.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 396-397.

M. Noth, Op. Cit., P. 280.

C. Roth, Op. Cit., P. 53-56.

G. Roux, Op. Cit., P. 346-347.

أن تحمل الكثير من الخسائر ، بل واضطر أن يعود الى بلاده ، وأن يبقى هناك عاما ، يسترد فيه أنفاسه ويستعيد قواه ، ويعيد تنظيم جيشه ، بل ان هزيمته هذه انما قد أنهت العداوة المباشرة بين البلدين لبضع سنوات تالية ، ومن ثم فقد تجددت السياسة الحربية الشمالية لمصر بقية عهد «نخاو» ، سواء نتيجة عقد معاهدة عدم اعتداء بينه وبين بابل ، وهذا ما رواه «هيودوت» ، وزاد عليه أن «نخاو» قد زوج اخته أو ابنته من «نبوخذ نصر» فصارت ملكة على بابل ، وهي رواية لم تتأكد بعد ، أو نتيجة لأنشغال «نخاو» بحدوده الجنوبية ، أو لرغبته في الاتجاه الى احراز سيادة بحرية لأغراض التجارة وأغراض الحرب ، وحماية السواحل معا ، وقد لوحظت كثرة ألقاب «قباطنة الأساطيل الملكية في الاخضر الكبير في نصوص عهده»^(٥) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن المصادر العربية انما تتحدث كثيرا عن حروب زعمت أنها دارت بين «نبوخذ نصر» (وقد أسمته بختنصر) وبين العرب (وقد ناقشناها بالتفصيل في كتابنا «تاريخ العرب القديم»)^(٦) — هذا فضلا عن حروبه ضد «عدنان» — جد العرب العدنانية — والتي دارت موقعتها الفاصلة عند «ذات عرق» ، حقق فيها المعاهل الكلداني نصرا مؤزرا على العرب ، كما عاد منها بجم غفير من

(٥) محمد بيومي مهران : اسرائيل ٩٨٨/٢ - ٩٨٩ ، مصر ٦٥٣/٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، وكذا K. A. Kitchen, The Third Intermediate Period in Egypt, (1100-650 B.C) 2nd Warminster, 1986, P. 407. J. D. Wiseman, Op. Cit., P. 29-31, 70-71. H. De Meulenaere, Op. Cit., P. 60-61. Herodotus, I, 184-186.

(٦) انظر : محمد بيومي مهران : تاريخ العرب القديم - الاسكندرية ١٩٨٩ ص ١٨٤ - ١٩٢ ، وانظر : تاريخ الطبري ٥٥٨/١ - ٥٦٠ ، الكامل لابن الاثير ٢٧٠/١ - ٢٧٢ ، المسعودي : مروج الذهب ١٣٠/٢ - ١٣١ ، الأكليل ٢٨٥/٢ - ٢٨٩ ، ابن حبيب : كتاب المحبر ص ٥ - ٧ ، معجم ياقوت ٣٢٨/٢ - ٣٣١ ، ابن كثير : البداية والنهاية ١٩٤/٢ ، تاريخ الخميس ص ١٦٦ - ١٧٦ .

السبائيا والاسرى ، أسكنهم الانبار (٧) .

وبدهى أننا لا نرفض مبدأ قيام حروب بين «نبوخذ نصر» والعرب، خاصة والربيل يسى جاحدا الى توسيع امبراطوريته ، ثم ان حروبه في سورية وفلسطين ، لا بد وأن تكون قد شملت الاعراب المقيمين هناك ، فضلا عن أولئك الذين يعيشون في شمال شبه الجزيرة العربية ، هذا الى جانب مجاورة عاصمته بابل الى العربية الشرقية ، وكل هذا يدعو الى الاحتكاك بين الطرفين ، والى تحرش العرب بجيوش نبوخذ نصر ، فضلا عن أحلام العاهل البابلي في شبه الجزيرة العربية (٨) .

غير أننا نرفض الاسباب التي دارت من أجلها تلك الحروب الطاحنة بين العرب والبابليين — كما تصورها المصادر العربية — فليس صحيحا أن العاهل البابلي انما قام بحروبه المزعومة هذه بأمر من «برخيا» اليهودي ، الذي تزعم المصادر العربية أنه أوحى اليه أن يذهب من نجران الى بابل ، وأن يأمر «نبوخذ نصر» بغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ، فيقتل مقاتلتهم ، ويسبي ذراريهم ، ويستبيح أموالهم ، عقوبة لهم على كفرهم ، وعلى قتلهم الانبياء بغير حق» (٩) ، وأن «نبوخذ نصر» قد نادى — ابان المركة الفروس ضد العرب بقيادة عدنان — «يا لثارات الانبياء» ، ثم سرعان «ما أخذت السيوف العرب من كل جانب ، وكتب للملك البابلي النصر ، بل وقد أصبحت بلاد العرب طوال أيامه خرابا» (١٠) .

ونحن في حل من اعادة مناقشتنا لهذه الروايات ، فذلك أمر سبق أن

(٧) تاريخ الطبرى ٥٥٨/١ - ٥٦٠ ، ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٢٧٠/١ - ٢٧٢ .

(٨) محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦ ص ٣٤٩ - ٣٥١ ، وكذا

D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 35.

(٩) تاريخ الطبرى ٥٥٨/١ - ٥٦٠ ، ابن الاثير ٢٧١/١ .

(١٠) ابن الاثير ٢٧٢/١ ، تاريخ الطبرى ٥٥٩/١ - ٥٦٠ .

ناقشنا في كتابنا «تاريخ العرب القديم» ، وعلى أية حال ، فالرواية — كما أشرنا اليها نقلا عن المؤرخين الاسلاميين — جد هشة ، وسهام الريب توجه اليها من كل جانب ، وليس بالوسع القول أنها ترقى فوق مظهر الشبهات ، ثم ان قصة الغزو هذه ليست الا ترديدا لنبوءات ارميا — كما جاءت في التوراة — وحتى هذه ، فقد اختلطت فيها فتوحات «نبونيد» في بلاد العرب ، بفتوحات «نبوخذ نصر» (١١) .

على أن هذا كله ، لا يمنعنا من القول بأن «نبوخذ نصر» قد أرسل حملة — في عام حكمه السادس — الى سكان البادية من العرب ، دونما تحديد بادية بعينها ، أو قبيلة بذاتها ، وأن الحملة قد نجحت في نهب مواشي أولئك الذين قدر عليهم أن توجه ضدهم ، وأخذ أصنامهم (١٢) .

وأما «دويلة يهوذا» فلقد ظلت فترة تفاضل بين الخضوع لمصر أو بابل ، وفاز الحزب المصري آخر الامر باليد العليا ، وثار «يهوياقيم» (٦٠٩ — ٥٩٨ ق.م) ملك يهوذا ضد سيده البابلي «نبوخذ نصر» (١٣) ، وربما ساعده على ذلك هزيمة البابليين أمام المصريين ، ومن ثم فقد انضم الى مصر ، رغم تحذيرات النبي ارميا (١٤) ، ونقرأ في التوراة : أن «يهوه» رب اسرائيل ، قد أرسل الى «يهوياقيم» جماعات من الكلدانيين والاراديين واوابيين والعمونيين ، لآباد يهوذا (١٥) ، والواقع أن «نبوخذ نصر» لم يتدخل بنفسه في هذا التمرد الذي قام ضده في عام ٥٩٨ ق.م ، لأنه رأى أن امبراطورية عظيمة مثل امبراطوريته لا تخلو من الثورات المحلية الصغيرة ولكنه سرعان ما غير رأيه ، وأسرع بنفسه

(١١) ارميا ٤٤ — ٥١ ، جواد على : المرجع السابق ص ٦٠٩ ، وكذا S. Smith, Events in Arabia in The 6th Century A. D, in BSOAS, 1954, P. 35.

(١٢) D. J. Wiseman, Op Cit., P. 31, 48, 71.

(١٣) A. Madamat, Op. Cit., P. 223.

(١٤) ارميا ١٤/٤٦ وما بعدها ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 359.

(١٥) ملوك ثان ٢/٢٤ .

الى يهوذا ، وبينما كان في الطريق اليها مات «يهوياقيم» وخلفه ولده «يهوياكين» على عرش يهوذا (١٦) .

وما أن وصل يهوذا ، على رأس قواته الرئيسية ، حتى أطبق الحصار على القدس (أورشليم) ولم يقاوم «يهوياكين» ، وانما خرج ومعه أمه وزوجاته وآل بيته ، وسلموا أنفسهم للفاتح الكلداني في مارس ٥٩٧ ق.م ، وتم نقلهم الى بابل ، وتتنظر التوراة الى هذا النفي على أنه مرحلة حاسمة في تاريخ يهوذا ، فلقد تم فيه ابعاد حوالي عشرة آلاف رجل ، يكونون هم وأسرههم قرابة الثلاثين ألفا ، معظمهم من أورشليم ، والبقية الباقية من مدن الجنوب (١٧) .

هذا وقد نشر «وايزمان» في عام ١٩٥٥م إحدى اللوحات المحفوظة في المتحف البريطاني وقد جاء فيها «(في السنة السابعة للملك (نبوخذ نصر) في شهر (Chisleu) جمع الملك جيشه وتقدم نحو أرض حاتي (سورية) وعسكر أمام مدينة اليهودية ، واستولى عليها في اليوم التالي من Adar (مارس ٥٩٧ ق.م) وأخذ الملك «يهوياكين» أسيرا ، وعين مكانه «صدقيا» ملكا بحسب قلبه (برغبته) ، وفرض عليه جزية ثقيلة ، وأحضره الى بابل» ، ولعل هذا التقرير البابلي الرسمي لا يختلف كثيرا عن نظيره التوراتي (١٨) .

ولعل هذا انما يلقي ضوءا جديدا على سياسة «نبوخذ نصر» نحو يهوذا، فهو يعين ملكا جديدا ، ولكنه في نفس الوقت يحتفظ للملك السابق بمركزه كملك — كما تدل على ذلك نقوش اكتشفت في قصر «نبوخذ نصر» ونشرها «فيدنر» (E. E. Veidner) ، فضلا عن اختتام من «بيت شمش» و «بيت مرسيم» ، وربما من «لاخيش» و «تل النصبة» ، وكلها

16) A. Malamat, Op. Cit., P. 223-224.

(١٧) محمد بيومي مران : بلاد الشام — الاسكندرية ١٩٩٠ ص ٤١٠ — ٤١١ ، ملوك ثان ١٠/٢٤ — ١٤ ، ارميا ١/٢٤ ، ٢٠/٢٧ ، ١٢/٢٩ — ٠٦ .
(١٨) ملوك ثان ٨/٢٤ — ٢٠ ، أخبار أيام ثان ٩/٣٦ — ١٠ ، وكذا W. Keller, Op. Cit., P. 280.

تؤكد مركز «يهوياكين» الملكى أثناء سببيه^(١٩) — وبدهى أن هذا بمثابة نوع من التهديد لخليفته فى الأرض المحتلة ، ولعل هذا هو السبب فى سلوك «صدقيا» المتردد ، والمتناقض كذلك ، والذي انتهى به آخر الامر الى الثورة على القوة التى وصل الى الحكم عن طريقها ، فلقد كان أعداؤه فى يهوذا من ناحية ، والملك البابلى (نبوخذ نصر) من ناحية أخرى ، يهددونه عن طريق الاشارة الى بديله الملكى «يهوياكين» ، ومع ذلك فقد انتهى الامر بثورة صدقيا على بابل ، مما أدى فى نهاية الامر الى السبى البابلى فى عام ٥٨٦ ق م^(٢٠) .

وعلى أية حال ، فلقد كانت السياسة المصرية على أيام «نسماتيك الثانى» (٥٩٥ — ٥٨٩ ق م) أكثر نشاطا ، وطبقا لبردية ديموطيقية متأخرة ، فلقد قام الفرعون فى السنة الرابعة من حكمه بحملة الى فينيقيا وان كان هناك من يرى أنها لم تكن لأغراض حربية ، ما دام الفرعون قد استدعى كهنة المعابد للاسهام فيها ، وفى عهد الفرعون «واح ايبر رع» (ابريس = حفرع فى التوراة) بدأت مصر تتجه الى ممارسة القوة لاستعادة فلسطين ، وكان سر تغيرها أمرين ، هما رغبة مصر فى الاغادة من امكانات قواتها البحرية النامية فى مراقبة موانئ الشام ؛ لتعطيل مصالح البابليين فيها ، وحتى لا يستغلوها ضدها ، ثم عودة البابليين الى التوسع الحربى فى فلسطين ، وحصارهم لاورشليم عام ٥٨٨ قبل الميلاد^(٢١) .

19) H. G. May, Three Hebrew Seals and Status of Exiled Jehoiakin, in AJSL. LVI, 1939 P. 146-148.

وكذا

W. F. Albright, King Joiachin in Exile, in BA, 4, 1942, No. 4.

J. Finegan, Op. Cit., P. 226.

A. Malamat, Op. Cit., P. 224.

(٢٠) محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ٤١٢ — ٤١٣ ، وكذا

A. Malamat, Op. Cit., P. 224.

(٢١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، ارميا

٣٠/٤٤ ، وكذا

A. H. Gardiner, Op. Cit., P. 360.

وأما «يهوذا» فلقد انقسم أهلها إلى فريقين ، الواحد : يتزعمه «حننيا» ، والآخر : ويتزعمه «ارميا» ويعلم أن «نبوخذ نصر» هو «خادم يهو» ، وأن القبضة حديدية ولن تتمزق ، وفي الواقع ، فلقد كان «ارميا» من أشد الأنبياء حقدا على قومه ، يدافع عن بابل ، ويعلم في المثل أنها ستسوط عذاب في يد الرب ، ويتهم حكام يهوذا بأنهم بلهاء معاندون ، وينتصرونهم بالآلة تسللهم للملك «نبوخذ نصر» ، حتى ليكاد من يقرأ أقواله في تلك الأيام يظن أنه من صنائع بابل المأجورين^(٢٢) ، ثم أخذ يتتبعاً بعودة ملك مصر إلى بلده ، ثم استيلاء البابليين على أورشليم ، وأنه يجب وضع أعناق الأمة تحت نير ملك بابل بأمر «يهو» رب إسرائيل ، وأما المنافين في بابل منذ أيام «يهوياكين» فقد كانت لهم آمال كبار بفجر من الحرية^(٢٣) .

ونشطت مصر في بث الموائن لها في أورشليم ، ورغم تحذيرات الأنبياء للحزب الموالي لمصر ، فطبعا لما جاء في التوراة ، فضلا عن أوستراكا من لاخيث ، فلقد أرسلت بعثة عسكرية إلى مصر ، وعقد تحالف سرى بين يهوذا وأدوم ومؤاب وعمون وصيدا ، بحضور صدقيا في أورشليم^(٢٤) ، وهناك إشارة ، في التوراة على أن صدقيا قد استدعى إلى بابل لتقديم تفسير عن ذلك كله ، وعلى أية حال ، فلقد قام الفرعون «ابريس» (٥٨٩ - ٥٧٠ ق.م) بدور رئيسي في اتخاذ القرار بالثورة ، ومن ثم «فقد تمرد صدقيا على ملك بابل»^(٢٥) .

(٢٢) أرميا ٥/٢١ - ١٠ .

(٢٣) أرميا ١/٢٨ - ١٤ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 399-400.

W. D. E. Oesterley, Op. Cit., P. 233.

W. Keller, Op. Cit., P. 384.

(٢٤) أرميا ٢٣/٢٦ - ٢٤ ، ٣٠/٢٧ ، حزقيال ١٥/١٧ ، وكذا

K. M. Kenyon, Archaeology in The Holy Land, London, 1970, P. 294-296.

(٢٥) ملوك ثان ٢٤/٢٠ ، أرميا ٥٩/٥١ ، وكذا

S. A. Cook, Op. Cit., P. 401.

W. Keller, Op. Cit., P. 281.

وهكذا اضطر «نبوخذ نصر» للقيام بحملة الى فلسطين ، وأخذ يحتل مدن يهوذا ، الواحدة تلو الاخرى ، ما عدا اورشليم ، ومدن الحدود في لاختش وعزبة (تل زكريا) (٢٦) ، ثم اضطرت لاختش أن تستسلم ، بعد مقاومة باسلة ، كما تشير الى ذلك حفريات أعوام (١٩٦١ - ١٩٦٧) ، ثم تلتها «عزبة» (٢٧) .

واتجه البابليون بعد ذلك الى اورشليم بكل قوتهم ، وفرضوا الحصار عليها ، ولكنها ظلت تقاوم قرابة ثمانية عشر شهرا ، على الرغم من انتشار المجاعة في المدينة ، والمكوس الثقيلة ، الى جانب نصائح ارميا بالخضوع لبابل (٢٨) ، وأخيرا وصات المساعدة العسكرية من مصر ، ومن ثم فما أن «سمع الكلدانيون المحاصرون اورشليم بخبرهم (أى خبر القوة المصرية) حتى صعدوا عن اورشليم» ، ورغم أن الوثائق المصرية سلمتة تماما في هذا الصدد ، إلا أنه - فيما يبدو - أن الجيش المصرى ظل فترة يحمى اورشليم ، ثم تحول عنها الى احتلال مدن الساحل الفينيقي ، بعد أن حول اهتمام البابليين عن اورشليم ، وبعد أن ترك فيها رجالا أقوياء من الحزب المصرى (٢٩) .

وما أن يمضى غير قصير وقت ، حتى عاد «نبوخذ نصر» الى حصار اورشليم ، وباعل اختلاف الرأى بين المحاصرين ، وانتشار المجاعة في المدينة ، فعلهما ، وأخيرا سقطت المدينة في أغسطس من عام ٥٨٧ ق.م ، وحاول صدقيا الهرب ، ولكنه أسر وهو يعبر وادى الاردن قرب أريحا ،

(٢٦) ارميا ٧/٣٤ ، وكذا

K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 294.

27) K. M. Kenyon Op. Cit., P. 291-293.

28) W. Keller, Op. Cit., P. 383.

وكذا

M. Noth Op. Cit., P. 286.

(٢٩) ارميا ٥/٣٧ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 285.

ثم أخذ الى نبوخذ نصر في «ربلة» التي اتخذها مركزا لقيادته ، وهناك ذبح أبناؤه أمام عينيهِ ، وسلمت عيناه ، وقيد مسلسلا في الاغلال الى بابل ، حيث مات هناك بعد فترة قصيرة (٣٠) ♦

ونهب الغزاة اورشليم ، وأشعلوا فيها النيران ، وأحرقوا القصر الملكي والمعبد ، وطبقا لرواية التوراة ، فان ذلك قد تم في اليوم السابع من الشهر الخامس ، من نفس السنة ، وضاع معبد سليمان ، ومعه البقية المفترض أنها باقية من 'التابوت الذي كفت الروايات عن ذكره ، بعد نقله الى معبد سليمان ، وكان قد أقيم في مكان 'خفي من المعبد كهدف تقليدي خاص بالعبادة ، مع أنه لم يلعب دورا هاما في العبادة العامة (٣١) هذا ولم تكشف حفريات (١٩٦١ - ١٩٦٧) عن أطلال منازل القرن السابع قبل الميلاد على المنحدرات الشرقية التي دمرت في هذه الفترة (٣٢) ♦

وهكذا انتهت دويلة يهوذا ، وادمجت في التنظيم الإداري للامبراطورية البابلية ، واتباعا للعرف الاشوري ، فان «نبوخذ نصر» قد أبعد البقية الباقية من الطبقة العليا الحاكمة من اليهودية ، وأرسلوا الى ربلة حيث لقوا حتفهم ، وأما بقية السكان فقد أقتيد الجزء الأكبر منهم (وقد قدره البعض بأربعين ألفا ، وقدره آخرون بخمسين ألفا) أسرى الى بابل ، وهذا ما عرف «بالسبي البابلي» ، وقد أبقى «نبوخذ نصر» المزارعين في أماكنهم ، ولم يجلب — كما فعل الاشوريون — سكانا جدد ، بل وترك الادارة لواحد من يهوذا — هو «جداليا» (٣٣) —

30) M. Noth, Op. Cit., P. 286.

وكذا

31) M. Noth, Op. Cit., P. 286-287.

32) K. M. Kenyon, Op. Cit., P. 291.

(٣٣) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٢٠ ، فيلب حتى : المرجع السابق ص ٢٢٠ ، طه باقر : المرجع السابق ص ٢٩٦ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٤١٥ - ٤٢٣ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 288.

W. Keller, Op. Cit., P. 402.

S. A. Cook, Op. Cit., P. 402-403.

وأما عن المدن الفينيقية ، فلقد ادعى البابليون الجدد السيطرة على فينيقيا وسورية وفلسطين — كورثة للامبراطورية الاشورية — ومن ثم فقد أرسل «نبوخذ نصر» في عام ٥٧٢ ق.م ، جيشا لحاصرة «صيدا» حتى استسلمت له ، وأما «صور» فقد استطاعت أن تصمد أمامه ١٣ عاما ، تحطمت متناوئتها بعدها ، فاستسلم ملكها «اثبعل الثالث» ، وعندئذ دخلتها قوات البابليين ودمرت مبانيها وسوتها بالارض ، وهكذا انتهت غزوات «نبوخذ نصر» بضياح استقلال صور وصيدا ، وان استطاعت صيدا بعد ذلك أن تحل محل صور في زعامة المدن الفينيقية^(٣٤) .

ولعل من الاهمية بمكان أن وثيقة الاخبار البابلية انما تشير الى تحرك عيلامى ضد بابل مما جعل «نبوخذ نصر» يخرج على رأس جيشه ، حتى اذا كان على مسيره يوم من تجمع العيلاميين ، اذا بهم ينسحبون ، ونقرأ في نفس المصدر عن تمرد عسكري ضد «نبوخذ نصر» في السنة العاشرة من الحكم قام به «بابا — آخى — بولط» ،الذى اتهم بالخيانة في السنة الحادية عشرة من الحكم ،ثم حكم عليه بالاعدام ،وتشير محاكمته الى أنه ورث عن أبيه أرضين منحها اياه «نابوبولاسر» ، ومن ثم فربما كان يطمح الى الوصول الى السلطة مستغلا فرصة غياب «نبوخذ نصر» المستمرة في حملاته العسكرية^(٣٥) .

وهناك ما يشير الى أن حروب «نبوخذ نصر» الكثيرة ، لم تشغله عن الاهتمام بالمدن الكبرى — وخاصة بابل وبور سيبور ولارسا والوركاء وسيبور وأور ودلبات — وقد نشطت حركة العمران في بابل ، كما لم تنشط من قبل ، وبلغ محيط عمرانها ١٨ كيلا ، وروى المؤرخون الاغارقة أن أسوارها كانت دائرية ، وقد أحاطت بها أربعة خطوط دفاعية ، أولها سور المدينة الداخلى ، وقد بنى من اللبن ، وكان ذا أبراج ، بلغ سمكها

(٣٤) محمد بيومى مهران : بلاد الشام ص ١٦٤ — ١٦٥ ، وكذا

D. Harden, Op. Cit., P. 54.

D. Baramki, Op. Ci., P. 30.

(٣٥) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٧ .

١٢٧ مترا ، ثم تلاه ، وعلى مبنعة ١٢ مترا ، سور آخر خارجي ضخم ، بلغ محيطه ١٩ كيلا ، وقد بنى من الأجر المثبت بالقار ، وبلغ سمكه ٨١ مترا ، وقد أطل على خندق واسع ، ودعم أصحابه أسابيه بجدار ساند يرتفع بارتفاع الخندق ، بلغ سمكه ٣٢٥ مترا ، أما خطا الدفاع الخارجيان ، فسمي أحدهما باسم السور الماذي ، وامتد من الشمال الى الجنوب ، من بادة «الحديثة» على نهر دجلة ، حتى «أبو حبة» على نهر الفرات ، وامتد الآخر من «خان الناصرية» على نهر الفرات حتى مدينة «كيش» على أحد فروعها (٣٦) .

ولعل من أهم مباني «نبوخذ نصر» في بابل ، قصره الجنوبي (قلعة نبوخذ نصر) ، وهو قصر كبير تكاد مساحته تبلغ ٥٢ ألف متر مربع ، وتربط الجدار الشمالي للمدينة ، وبني داخل حصن كبير ، على عادة القصور الملكية في بلادهم (٣٧) ، ومبطله من الشرق من الساحة الكبيرة المكسوفة ، الواقعة بين القصر وشارع الموكب (٣٨) ، وفي القصر أكثر من ١٧٢ غرفة ، وبها عدة بيوت سكنية للحاشية وخدم القصر ، ويطل جناح الملة غربا على نهر الفرات ، وبغزله عن النهر بناء كبير غريب ، يبلغ طوله ٢٥٠ الى ٢٥٠ مترا ، وسمك جدرانه ٢٥ مترا ، وفي وسطه ساحة مستطيلة تحتوي على بقايا غرف كثيرة ، ويعتقد - أنه اذا كانت هناك حقا حقائق معلقة في بابل - فلا بد أن تكون في هذا البناء ، لأنه على ضخامته ذو جبهة متدرجة على النهر بثلاث درجات ، مما يتيح انشاء حديقة مدرجة على النهر (٣٩) .

وأما نواة القصر فكانت الساحة الرئيسية ، وغرفة العرش (٥٢ × ١٧ مترا) والتي تميزت عن قاعات العرش الاشوري ببساطة طابعها ،

(٣٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .

(٣٧) نفس المرجع السابق ص ٥٥٦ .

(٣٨) سامي سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٦٩ .

(٣٩) مؤيد سعيد : العمارة من عصر فجر السلالات الى العصر البابلي الحديث - كتاب حضارة العراق - الجزء الثالث - بغداد ١٩٨٥ ص ١٧٨ .

واحتل عرشها مشكاة كبيرة (أو حنية أو مدرابا ضخما) ، وتوسط جدارها المواجه للمدخل ، وكسيت جدران بهو القصر الكبير بقوالب الآجر ذات المسطوح الخزفية الزرقاء الداكنة ، وزخرفت في أسافلها فريز من الاسود الحارسة ، صورت تصويرا جانبيا (على العكس من أسود خورسباد الاشورية التي تواجه الداخل) ، كما زخرفت في أعلاها بما يمثل أساطين ذات تيجان مركبة ، تصل بين تيجانها ، وتعلوها زخارف تكوينية تتألف من زهيرات محورة ، ومعينات صغيرة ، وتعاقبت في كل هذه الوحدات الزخرفية ألوان بيضاء وصفراء فوق الأرضية الزرقاء الداكنة ، فخلعت طابعا من البهجة على زخارفها الرقيقة^(٤٠) .

(٤) خلفاء نبوخذ نصر :

جاء بعد «نبوخذ نصر» ولده «أويل — مردوك» (Awel-Marduk) ولدة عامين اثنين (٥٦١ — ٥٦٠ ق م) ثم تلاه القائد البابلي ، زوج ابنة «نبوخذ نصر» والمدعو «نرجال — شار — أوصر» (Nergal-Shar-Usur) (Nerigalissar) (٥٥٩ — ٥٥٦ ق م) وقد عرف بنشاطه العمراني ، وبحملة مظفرة على (سيليسيا) ، وتفيض كتاباته مدحا ودعاء للمعبودين «مردوخ» و «نبو» وتثنيهم لتعميره لمعبيهما في بابل وبورسييا .

وجاء من بعده ولده «لاباشي — مردوك» (Labashi-Marduk) لفترة قصيرة جدا ، رأى البعض أنها شهران ، ورأى آخرون أنها تسعة ، انتهت بقتله في يونيو ٥٥٦ ق م ، في مؤامرة غير معروفة التفاصيل^(٤١) .

وجاء على عرش بابل «نابونيد» (نابونيدس = Nabonidus) (٥٥٦ — ٥٣٩ ق م) ، وهو موظف كبير من أصل آرامي ، ومن أسرة كهنوتية ، فأبواه كانا كهني معبد اله القمر في حران ، أو على الأقل كان

(٤٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٦ .
 (٤١) D. J. Wiseman, Op. Cit., P. 37-42, 75-77.
 G. Roux, Op. Cit., P. 351.

من أسرة يؤيدها الكهنة ، ولو أنه لم يعتبر نفسه في نصوصه غريباً عن الدوحة الحاكمة ، فادعى أن الرؤى والآيات تعاقبت لتبشره بتأنه سيكون خليفة «نبوخذ نصر» ، ومتبعاً لمسنته ، برضى من مردوك وبقية الآلهة ، هذا وقد أراد ، بعد اعتلائه العرش ، أن يحقق حسن ظنه بنفسه ، فأسرف في اظهار تتواها ازاء المعبودات بتجديد معابدهم وزيادتها ، وكان من أشهر ما جددده «زاقورة أور» التي اعتبر مشيدها «أور — نامو» من أسلافه ، وكذا معبد الشمس في سيبار ، الذي اعتبر مشيده «نارام سن» الأكدي من أجداده ، وأسرف في ادعاء حب العلم والشغف بجمع اللوحات والانار القديمة ، وشاركته في هذه الرواية ابنته التي عينها كبرى كاهنات رب القمر ، وادعى بأن الرب اختارها زوجة بنفسه ، بعد أن هدد الدنيا بسواد وجهه ، أى بخسوفه ، كما شاركته الدعوة الى رعاية المعابد سيدة عجوز ، تدعى «اداد كوبى» (Adad-Quppi) ، لعلها كانت أمه أو جدته تعدت المائة في عهده ، وكانت لا تزال ذات سلطان وقوة جسدية وعقلية كاملة ، وقد ماتت بعد أن بلغت الرابعة بعد المائة من عمرها (٤٢) .

وعلى أية حال ، فهناك ما يشير الى أن «نبونيد» (نابونيد = نبونائيد) ، انما قد اتجه ، على رأس جيشه — الى «حران» التي ظلت بأيدي الميديين منذ سقوط الدولة الاشورية ، وحررها وبدأ فيها بتعمير معبد «سين» الذي ادعى أنه أهمل نتيجة الاحتلال الاجنبى ، وفي عام ٥٥٣ ق م ، كان «نابونيد» في سورية ، ثم في منطقة جبال الالمانوس في شمال غرب سورية ، وفي نهاية العام قتل ملك أدوم ، الذي لابد أنه قد ثار عليه ، ووصل الى غزة ، كما نصب في صور الملك «حيرام الثالث» (٤٣) .

(٤٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦٠ ، مؤيد سعيد : العراق في التاريخ ص ٢٣٦ ، وكذا

C. J. Gadd, The Harran Inscriptions of Nabonidus, AS, 8, P. 46 F.

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 311-312.

G. Roux, Op. Cit., P. 352-353.

(٤٣) سامى سعيد الاحمدى : المرجع السابق ص ١٧٣ .

G. Roux, Op. Cit., P. 352.

A. L. Oppenheim, ANET, P. 305-307.

ونقرأ في النصوص البابلية أن «نابونائيد» (Nabu-Na'id) قد قضى عشر سنوات في المنفى في «تيماء»^(٤٤) — على مبعدة ١٠٤ كيلاً شمالي مدينة العلا ، في شمال غرب الجزيرة العربية — وهناك ما يشير الى أن الرجل قد جرد حملة على «أدوهو» (دومة الجندل) ، ثم سار من هناك الى تيماء ، حيث استولى عليها ، وقتل أميرها (ملكو) ، ثم أقام بها قصراً أقام فيه حيناً من الدهر ، حيث أصبحت «تيماء» وكأنها قد غدت خليفة لبابل ، ويحدثنا أحد نصوص الملك البابلي عن ذلك قائلاً «واتجه الملك الى تيماء في وسط بلاد العرب ، وبأشر مسير الحملة عن طريق لم يعود من قبل ، وذبح أمير تيماء بسيفه ، كما ذبح أولئك المقيمين في مدينته وفي الاقليم ، ثم استقر في تيماء ، وجعل هذه المدينة رائعة وفخمة ، وحولها الى ما يشبه قصور بابل»^(٤٥) .

وهكذا أقام «نابونيد» في تيماء ، ولم يعد منها الا في عام ٥٤٦ ق.م ، عندما دعاه رعاياه الذين كانوا على خلاف معه طوال تلك الفترة ، وربما كانت عودته بسبب التهديدات الفارسية لبابل^(٤٦) ، وان كانت هناك رسالة دؤرخة بالعام السابع من حكمه ، نستطيع أن نستنتج منها أنه لم يتخل أبداً عن ادارة الامور في العاصمة بابل ، وأنه كان يوالى ارسال توجييهاته لولده الذي كان شريكاً له في الحكم ، ونائباً له هناك ، مما يدل

44) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs Oxford, 1961 P. 363.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 35.

45) R. P. Dougherty, Nabonidus and Belshazzar, New Haven, 1932, P. 106.

A. Musi, Northern Nejd, N. Y., 1928, P. 225.

S. Smith, Events in Arabia in The 6th Century, A. D. in BSOAS, 1954, P. 53, 88.

G. Roux, Op. Cit., P. 356.

P. K. Hitti, Op. Cit., P. 39.

46) Gardiner, Op. Cit., P. 363.

R. P. Dougherty, Op. Cit., P. 107.

S. A. Cook, CAH, 4, P. 194.

وكذا

وكذا

على أنه لم يتنازل عن سلطاته كلها تماماً ، بل ان الوثائق جميعا انما تشير اليه بوصفه الملك (٤٧) .

وأيا ما كان الامر ، فاقد عشر في «حران» عام ١٩٥٦م (٤٨) على كتابة يتحدث فيها «نابونيد» من أنه قد أخضع «تيماء» — على مبعدة ٨٠ كيلا شمالي مدائن صالح ، ١٠٤ كيلا شمالي العلا — و «ديدان» (ددانو — العلا الحالية على مبعدة ٣٣٧ كيلا من المدينة ، على مبعدة ٢٤ كيلا جنوبى مدائن صالح) و «ندك» (الحائط) و «خير» (خبر) و «يثرب» (أثريبو = المدينة المنورة) ، وكانت مدينة الرسول — ﷺ — هى آخر موضع استطاع البابليون الوصول اليه في بلاد العرب ، وربما كان السبب في هذه الحملة ، انما هو مهاجمة العرب لمناطق خاضعة للبابليين ، وربما كان بسبب رغبة البابليين في السيطرة على الطريق التجارى البرى بين الشام وجنوب بلاد العرب ، وأيا ما كان السبب ، فان النص انما يشير الى أن «نابونيد» قد عقد صلحا مع مصر وميديا ، كما كبّد العرب في تلك المناطق التى كتب عليها أن تخضع له ، خسائر فادحة (٤٩) .

وذلك على مقربة من تيماء بقايا معبد ، عشر فيه على نقش — محفوظ الآن بمتحف اللوزو في باريس — ويرجع تاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد ، نقرأ فيه بلغة آرامية : أن كاهنا قد أتى الى تيماء بصنم جديد (صلم هجم) ، وبنى له معبدا ، وعين له كاهنا ، كما صورته فى زى بابلى ، ولعل هذا هو السبب أن البعض انما قد ذهب الى أن قدوم هذا الاله ،

(٤٧) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٣٣١ ، محمد بيومى مهران : العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٥٢ — ٣٥٣ .

48) C. J. Gadd, The Harran Inscriptions of Nabonidus in Anatolian Studies, VII, 1958, P. 35-92.

(٤٩) جواد على : المرجع السابق ٦١٤/١ ، وكذا

A. R. Burn, Op. Cit., P. 3, 8.

انما كان على أيام «نبونيد»^(٥٠) ، هذا فضلا عن أن هناك كتابتين ثموديتين ترجع الى عهد هذا الملك ، وقد جاء في الواحدة جملة «رمح ملك بابل» ، وجاء في الثانية «حرب ديدان» ، فاذا كان ذلك كذلك ، فإن حروب نبونيد في بلاد العرب الشمالية ، انما أصبحت تقويما يؤرخ الثموديون به^(٥١) .

ولعل من الغريب أن حوليات «نبونيد» قد أغفلت ذكر «تامود» (ثود) ، رغم أن نصوصا ثمودية قد أشارت الى حروب هذا الرجل — كما أشرنا آنفا — ورغم أن «نبونيد» قد كتب له أن يسيطر على شمال شبه الجزيرة العربية ، وجزء من وسطها ، تحددته نصوصه بالمدينة المنورة (أثريو = يثرب) ، ورغم أن الثموديين انما كانوا يقطنون في تلك البقاع التي كتب عليها أن تخضع لسلطانه ، بل ربما شاركوا في واحدة أو أخرى من المعارك التي دارت ضده ، وربما كان السبب في ذلك أن الرجل تعتمد أن يخفى هزيمة أصابته من الثموديين ، وذلك بتجاهلهم في نصوصه ، أو أن سلطانه كان متصورا على المراكز التجارية التي جاءت في حولياته ، مثل تيماء وديدان وخيبر ويثرب^(٥٢) .

(٥٠) جواد على : المرجع السابق ص ٦١٢ - ٦١٣ ، محمد بيومي
مهران : المرجع السابق ص ٣٥٣ ، وكذا

J. A. Montgomery, Op. Cit., P. 67.

S. Smith, Op. Cit., P. 79-80.

G. A. Cook, A Text-Book of North-Semitic Inscriptions Oxford, 1907, P. 195-196.

51) A. Van dan Branden, Les Textes Thamoudeens de Philby, II, P. 54.

52) A. Van Branden, Op. Cit., P. 54-55.

C. J. Gadd, Op. Cit., P. 80, 86.

الفصل الثاني

الغزو الفارسي

(١) قيام الدولة الفارسية :

لم تدم الامبراطورية البابلية الجديدة (الكلدانية) طويلا ، فلقد سارت — في واقع الامر — في طريق الانهيار السريع بعد موت «نبوخذ نصر» في عام ٥٦٢ ق.م ، وكان «نبونيد» (٥٥٥ — ٥٣٩ ق.م) — آخر ملوك الاسرة — قد سمح للتنظيم السياسى بأن ينهار ، ويسقط مع كهنة اله الامبراطورية «مردوك» . ومن سوء الحظ فلقد كانت الاحداث تأخذ مجرى آخر في المرتفعات الايرانية المجاورة ، والتي أصبحت بعد فترة قصيرة ذات تأثير حاسم في تاريخ الشرق الادنى القديم ، ومن المعروف أن السلطة الميدية قد ساهمت بطريقة حاسمة في سقوط الامبراطورية الاشورية — كما رأينا من قبل — كما أن ثمة انتصارهم قد أكسبتهم الجزء الجنوبي من الامبراطورية الاشورية ، فضلا عن بلاد الميديين نفسها ، وسرعان ما مدوا سيطرتهم الى أرمينيا وجبال آسيا الصغرى ، من ناحية الغرب على امتداد نهر «هاليس» ، وأما في الجزء الجنوبي الشرقى ، فقد أخضعوا الحكام الفرس من الاخمينيين ، الذين كانوا يحكمون عيالم القديمة ، ثم اتخذ ملكهم «هواخشير» (كياكساريس = Cyaxares) من «أكبتانا» — ومكانها الان مدينة همدان الحالية — عاصمة لمملكته (١) .

وعندما مات «كساريس» في عام ٥٨٥ ق.م ، خلفه على عرش ميديا ولده «استياجيس» Astyages (٥٨٥ — ٥٥٠ ق.م) ، والذي ربما كانت هناك بوادر ضعف قد شابته أخريات أيامه بسبب حكمه الطويل ، وربما بسبب ما أحاط بدولة الميديين من ترف مسرف ، ترتب على كثرة الاسلاب والمغانم ، وطفيان سياسى ترتب على غرور الحكام

(١) محمد بيومى مهران : اسرائيل ١٠٢٧/٢ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 300.

J. Junge, Dareios, I, König der Perser, 1944, P. 14 F.

الذين أسكرتهم نشوة انتصاراتهم المتكررة ، وقد روى الكتاب القدامى من الاغارقة أن «استياجيس» (ستاجيس) غضب ذات مرة على أحد كبار رجال دولته ، فقتل ولده أمامه ، وأرغمه على أن يأكل احشائه ، هذا فضلا عن طموح قبلى صدر عن جزء من الدولة للسيطرة على أجزائها الاخرى، وقد صدر هذه المرة عن اقليم «أنشان» — فى عيلام القديمة — وهو اقليم كانت حياته شاقة ، وكان حكامه يمتنون للبيت الماذى بصلة القرابة أو صلة المصاهرة ، واستطاعوا أن يحتفظوا بمكانتهم ازاءه طوال ثلاثة أجيال ، ولكنهم ظلوا يعنقدون أنهم أعرق أصالة منه ، وأحق بالملك منه ، وأقدر على تحقيق العدالة ، وقد حقق حلمهم ذاك أميرهم قورش^(٢) — كما سنرى — •

وهكذا كانت الصورة فى الجانب الفارسى تختلف عن الجانب الميذى، وقد انتهزت Parsua فرصة انهيار عيلام ، وضمت اليها مقاطعة «بارسا» (Parsa) — وهى المنطقة فيما بين أصفهان وشيراز — وعندما مات «تياسبيس» (Teispes) قسمت مملكته بين ولديه «أريارسمنيس» Ariarsmnes و «كيروش الأول» (Cyrus, I) ثم سرعان ما اتحدت المملكتان تحت قيادة «قمبيز الاول» (Cambyses, I) (٦٠٠ — ٥٥٩ ق.م) ابن «كيروش الاول» ، والذي تزوج من «ماندانة» (Mandane) ابنة «استياجيس» ملك الميدين ، وكان ثمرة هذا الزواج «كيروش الثانى» الذى أصبح فى عام ٥٥٨ ق.م ، ملك أنشان (Anshan) — وربما كانت هدينة مسجيدى سليمان الحالية — والتي أصبح يحكم منها ، حتى أسس عاصمته «بازار جادة» Pasargadae^(٣)

وهكذا أصبحت بلاد فارس موحدة ، كما أصبح لها حاكم واحد هو

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٥٩ ، محمد بيومى مهران : حركات التحرير فى مصر القديمة — القاهرة ١٩٧٦ ص ٣٣٩ .
3) E. Herzfeld, Archaeological History of Iran, 1935, P. 40.
وكذا G. G. Cameron, History of Early Iran, 1936, P. 219 F.
G. Roux, Op. Cit., P. 353-354.
M. Noth, Op. Cit., P. 300.

«كيروش» أو «قورش» الثاني Cyrus = Kurash (٥٥٨ - ٥٣٠ ق.م) ، وبدأ الحاكم الجديد يبحث له عن حليف ضد ميديا ، وكانت بابل هي الحليف الأقرب - والمنطقي كذلك - ذلك لأن بابل ، رغم أنها كانت منذ جيلين مضيا حليفة ميديا ، إلا أن ذلك انما كان مؤقتا ، انتهى عهده بتقديم آشور ، وتقسيم امبراطوريتها بين الحليفين ، وأصبحت ميديا الآن العدو الذي تخشاه بابل ، وهكذا عقد تحالف بين كيروش ملك «أنشان» و «نبونيد» ملك بابل في عام ٥٥٥ ق.م ، ضد الميديين ، وفي عام ٥٥٣ ق.م ، أعلن «كيروش» الثورة ضد الميديين ، ونجح بعد سنوات ثلاث من خلع جده لأمه «أستياجيس» الذي لم يستطع سوى مقاومة طفيفة ، قبل أن يتم ابعاده عن عاصمته «أكبتانا» ، واستولى «كيروش الثاني» على عرش ميديا ، وبالتالي فقد أصبح ملكا على الميديين والفرس سواء بسواء ، متخذاً من «أكبتانا» عاصمة له (٤) .

وهكذا رأت بابل بعينها الآن المملكة الفارسية الأكثر خطورة تظهر قوية بنجوارها ، بدلا من المملكة الميدية ، وبدأت دول غربي آسيا تنظر بقلق الى الفاتح الجديد ، وكانت «ليديا» هي البادئة ، بعد أن بلغت أوج مجدها وثرائها في عهد ملكها «كرويسوس» Croesus (٥٦٠ - ٥٤٦ ق.م) ، وأخضعت المدن الايونية والايولية في آسيا الصغرى لنفوذه ، حتى اهتد ساطانها من نهر هاليس الى بحر ايجه ، وطمعت في أن تنزل البحر وتسيطر على جزره ، وأصبحت شيئا عظيما في نظر اغريق الشرق والغرب معا ، ثم أقلقته نهضة فارس ، فأرادت أن تكون هي البادئة ، وطلبت عون اغريق شبه جزيرة «لاكيدايمونيا» وزعيمتها اسبرطة ، كما طلبت عون بابل ومصر (٥) .

4) A. T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1970, P. 34-36.

G. Roux, Op. Cit., P. 354-355.

Herodotus, I, 127-130.

Strabo, XV, 3, 8

Diodorus Siculus, II, 34, 6.

(٥) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦٠ .

وهكذا عقدت ليديا وبابل ومصر وبعض الشعوب الاغريقية حلفا فيما بينها ضد الفرس ، وبدأ كرويسوس ملك ليديا يناصب فارس العداء ، ودالب العون من حلفائه ، وكانت مصر هي الوحيدة التي احترمت كلمتها ، ومع ذلك فلم تغن عنه شيئا أمام الطوفان الفارسي الذي سرعان ما هاجمه في دياره ، واستولى على عاصمته «سارديس» في عام ٥٤٦ ق.م ، وأخذه أسيرا ، وبذلك أنتت نهايته على غير ما توقع لنفسه ، وعلى غير ما توقع الاغريق له (٦) .

ولم تمض سنون خمسة حتى أصبحت فارس تحتل المكانة الاولى في الشرق ، ثم سرعان ما مدت نفوذها حتى البحر المتوسط ، ومن ثم فقد أصبحت مدن الساحل الايوني تحت قبضة الحاكم الفارسي الذي تركها لتصرف قواده .

وأما عن «نبونيد» ملك بابل ، فيبدو أنه تظاهر بمخالفة الفرس ضد الميديين ، رغبة منه في استعادة مدينة «حاران» من الميديين ، وقد نجح في ذلك ، وجدد معبد المدينة الذي دمره الميديون والبابليون أثناء سقوط المدينة في عام ٦٠٩ ق.م ، بعد هزيمة «أشور أو بلط الثاني» في عام ٦٠٩ ق.م ، ثم سيطرة «كياكسارس» على ميزوبوتاميا الشمالية ، وربما أراد اتقاء خطر الميديين ، حلفاء بابل الاقدمين (٧) .

وأيا ما كان الامر ، فإن الملك البابلي «نبونيد» — كما رأينا من قبل — انما يتجه بد ذلك بقواته ، فيغزو شمال سورية حتى «حماة» ، ثم جنوبا

6) Herodotus, I, 129, 177 etc.

(٧) محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 273.

S. Smith, Babylonian Historical Texts, London, 1924, P. 27 F.

A. T. Olmstead, History of Assyria. P. 636.

G. Roux, Op. Cit., P. 355.

C. J. Gadd, The Fall Nineveh, London, 1923,.

حتى «أدوم» وغزة ، وأخيرا يتجه الى «تيماء»^(٨) ، حيث يقضى هناك عشر سنوات^(٩) ، ربما ليحيي أهميتها التجارية على الطريق التجاري بين ساحل البحر المتوسط وشمال غرب بلاد العرب وبين العراق ، وينتفع باقتصادياتها ، أو على أمل أن يستعين بها وبوسطها البدوي ، في تطعيم جيشه بقوات فتيّة ، يحيى بها مجد دولته ، ويستعد بها لمعركة قادمة بينه وبين الفرس ، ولكن خاب أمل الرجل في هذا كله ، وخابت سياسته مع تيماء وخيراتها ، اذا اشتد عليها ، وقتل ملكها^(١٠) .

على أن هناك اتجاهها آخر ، يذهب الى أن «نبونيد» انما كان هناك في المنفى ، وأنه لم يعد من هناك ، الا في عام ٥٤٦ ق.م ، عندما دعاه رعاياه الذين كان قد طال من قبل خلافهم معه^(١١) ، على أن هناك وجهها ثالثا للنظر يذهب الى أن «نبونيد» انما قد ذهب الى تيماء لأن هذا المكان هو المركز القديم لعبادة اله العمر «سين» ، الذي جعله «نبونيد» فوق «مردوك» ، وكل الالهة البابلية الاخرى^(١٢) .

(٢) الاحتلال الفارسي لبابل :

... وأيا ما كان الأمر ، فان الأحداث التي جرت في الامبراطورية البابلية انما كان لها دوى عظيم بين الشعوب الخاضعة لها ، والتي لديها من الاسباب ما يجعلها تأمل في انهيار محتمل الوقوع لسلطة بابل

8) G. Roux, Op. Cit., P. 356.

J. Lewy, HUCA, 1946, P. 434-450.

W. F. Albright, JRAS, 1925, P. 293 F.

(٩) يقترح البعض أن «نبونيد» ذهب الى تيماء في السنة الرابعة من حكمه ، وبقي هناك على الأقل حتى السنة الحادية عشرة

J. Lewy, HUCA, 19, 1945-1946, P. 434-450.

J. Finegan, Op. Cit., P. 228-229.

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٦١ .

11) A. H Gardiner, Op. Cit., P. 364.

12) J. Lewy, Op. Cit., P. 434-450.

J. Finegan, Op. Cit., P. 229.

الجديدة ، وتطلع اليهود الذين أبعدوا في بابل بأمل كبير الى كيروش
المقوى المنتصر ، وتنبأ أنبيأؤهم بسقوط بابل على يده (١٣) •

وفي هذه الاثناء كان كيروش قد صحت عزيمته على ضم بابل الى ملكه
في بداية تنفيذ مشروعه لغزو الهلال الخصيب كله ، بل ان هجومه على
المدينة العريقة انما جاء بعد فترة قصيرة جدا ، وبعد أن كان قد نجح في
مد سلطانه في اتجاهات مختلفة ، ولم يعد أمامه سوى الامبراطورية
البابلية الجديدة (اكادانية) بأملاكها في بلاد المرافدين وسورية وفلسطين
وأنه كان يعرف أن ذلك أبعد علوا في سلطته ، وأن كل ما يحتاج اليه
لمواجهتها هو الاطاحة بها بسرعة •

وفي نفس الوقت ، فلقد حاول «نبونيد» أن يعد العدة لالتقاء العاصفة
الوشيجة الوقوع ، فبذل جهدا أخيرا ، لاعادة أقدم صور العبادة البابلية،
ولكن الأرس — ينصرهم في ذلك كهنة مردوك — لم يتركوا له وقتا
لتحقيق ما يريد ، فضلا عن البلاد — ومدينة بابل بالذات — كانت تقاسى
الامرين ، من سوء الادارة ، وانتشار المجاعات بين أهلها (١٤) •

وفي عام ٥٤٧ قبل الميلاد ، بدأ كورثس غزو بابل ، وكان الجيش
البابلي وقت ذاك في حالة غير مرضية عسكريا ، ذلك لأن هذا الجيش قد
انشغل — بعد انتصارات نايونيد في سورية وفلسطين — ببناء معبد اله
المقر «سين» في حران ، تحقيقا لرغبة والدته نبونيد أو جدته الملكة
«أداد كوبى» (Adad-Quppi) ، وهكذا ، وفي ربيع عام ٥٤٧ ق.م ،
عبر كورثس (كيروش) دجله جنوب أربيل (ربما في مخمور) ، وضحى
بملك محلى على ضفاف هذا النهر ، وفي عام ٥٤٦ ق.م ، حاول الزحف
في اتجاه الجنوب ، قاصدا الخليج ، وفي هذا الاثناء جاءت قوات عيلامية

(١٣) اشعياء ٨/٤٤ ، ١/٤٥ ، ١/٤٧ — ١٥ ، وكذا

M. Noth, Op. Cit., P. 301.

14) G. G. Cameron, New Light in Ancient Persia, in JAOS, LII, 1932,
P. 304.

الى أكد ، وبدأ ملك عيلامى يحكم فى الوركاء ، وهذا يعنى أن بلاد بابل أصبحت بين فكى الكماشة •

وبدأ كيروش يسيطر على منطقة «جوتيوم» (Gutium) بين الزاب الاسفل ودجلة وجبال السليمانية — وهى منطقة كانت تحت حكم نبوخذ نصر ، وكانت «أرانجا» (كركوك) مركز ادارتها ، وعهد الى «جوبارو» (جوبرياس) (Gubaru-Gobryas) أن يتولى حكمها ، وهو حاكم بابلى فى الاصل ، ولكنه انحاز الى كيروش^(١٥) •

. وقرب بداية أكتوبر من عام ٥٣٩ قبل الميلاد ، قاد كيروش معركة فى «أوبيس» (Opis) على الدجلة ، على مقربة من المدائن — وأحرق أهل أكد بالنار ، وبهذه الطريقة الهيجية من الرعب البغيض ، أفقد كيروش خصومه شجاعتهم ، وفى ١١ أكتوبر استسلمت «سييار» دون قتال ، وحاول «نبونيد» الهرب الى الجنوب الغربى متجها الى الصحراء ، غير أن البدو من أنوان كيروش قطعوا عليه الطريق وأجبروه على العودة ، وفى ١٢ أو ١٣ أكتوبر عام ٥٣٩ ق.م ، دخل «جوبرياس» (Gobryas) محافظ «جوتيوم» الخائن ، مدينة بابل ، ومعه قوات كيروش ، دون معركة ، وان ظلت القلعة والقصر يقارمان فترة ، حتى ذهب البعض الى أن الغزاة لم يتغلبوا على الحامية المحاصرة الا بالحيلة ، وهكذا اسقطت امبرادورية «نبوخذ نصر» على يد أحد الضباط البابليين ، وفى ٢٩ أكتوبر عام ٥٣٩ ق.م ، بدأ الكتاب يؤرخون باسم العاهل الجديد «كيروش ملك العالم» •

وفى ٢٩ أكتوبر عام ٥٣٩ ق.م ، دخل كيروش نفسه مدينة بابل ، وفرشت الورد فى طريقه ، ورحب به كهنة مردوك ، الذين لم يكونوا راضين عن حكومة نبونيد ، وأعلن الغازى الجديد الامان لسكان بابل ،

(١٥) مؤيد سعيد : المرجع السابق ص ٢٣٦ - ٢٣٧ ، وكذا
G. Roux, Op. Cit., P. 357-358.

وأن يبعده الى منطقة نائية ، في «كرمانيا» ، ليصبح حاكما عليها ، أو لتكون منفى له ، وعلى أية حال ، فلقد قضى كيروش في عام ٥٢٩ ق.م (وربما ٥٣٠ ق.م) حين كان يهاجم الطورانيين عند حدوده الشمالية ، بعد أن نجح خلال ثلاثين عاما من أن يرتفع من بداية متواضعة ، لكي يصبح أقوى حاكم في عصره (١٨) .

ولعل من الاهمية بمكان الإشارة إلى أن سقوط بابل في عام ٥٣٩ قبل الميلاد ، ومن قبلها سقوط «نينوى» في عام ٦١٢ قبل الميلاد ، لا يعد أبدا كنهاية لتاريخ العراق القديم ، كدولة مستقلة فحسب ، وإنما الامر أكثر من هذا وأخطر ، ذلك لأنه في هذا الوقت ، وفي هذه المنطقة من مناطق الشرق الأدنى القديم ، انتهت سيادة العناصر السامية ، وبدأت سيادة العناصر «الهندو - أوربية» من «الفرس الاخمينيين» (٥٣٩ - ٣٣١ ق.م) و «الآغريق» ، بما في ذلك عصر الاسكندر الأكبر والسلوقيين (٣٣١ - ١٣٥ ق.م) ، حيث شيد «سلوقس الاول» - أحد قواد الاسكندر - مدينة «سلوقية» على نهر دجلة (وهي تل عمر الحالية على نهر دجلة ، مقابل طيسفون ، أي طاق كسرى). فكان ذلك ضربة قاضية على بابل ، حيث هجرها الناس ، وبدأ الخراب يعمها منذ ذلك الحين ، ثم «الفرس الفريثيين» (١٣٥ ق.م - ٢٢٦ م) ثم «الفرس الساسانيين» (٢٢٦ - ٦٣٧ م) وقد نقل الفرس الفريثيون العاصمة من «سلوقية» الى «طيسفون» - على مبعده ٧٠ كيلا من بابل - وتقع طيسفون على دجلة ، مقابل سلوقية ، وقد عرفت المدينتان (سلوقية وطيسفون) باسم «المدائن» والتي ظلت العاصمة حتى الفتح الاسلامي ، وعلى أية حال ، فيمكن أن نجعل مدة عهود الاحتلال الاجنبي ، قرابة اثني عشر قرنا متتالية (٥٣٩ ق.م - ٦٣٧ م) ، حتى جاء الاسلام الحنيف ، فحرر الارض والقوم من ذل الاستعمار ، ودنس الاستعباد ، فضلا عن تحرير العقول من وثنية الماضي ، وهكذا أصبح القوم في العراق - كما أصبحوا

18) A. H. Gardiner, Op. Cit, P. 364.

وعين المخائن «جوبرياس» واليا (ستراب = Satrap) على اقليم بابل الجديدة ، وأعيد الموظفون الى وظائفهم ، وأعلن كيروش أنه «الملك العظيم ، الملك القوى ، ملك بابل ، ملك سومر وأكد ، ملك كل أنحاء العالم» ، وهكذا انتقلت مقاليد الامور في الامبراطورية البابلية الجديدة الى كيروش ، وسرعان ما خضعت له بلاد النهرين بدون صعوبة ، واعترفت سورية وفلسطين بالغازي الجديد (١٦) .

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن تأسيس الامبراطورية الفارسية لم يكن مجرد تغيير في السيادة ، وانما كان تغييرا جوهريا في سياسة العواهل من آشور وبابل تجاه الشعوب الخاضعة لهم ، الذين كانوا يحاولون توطيد سلطانهم عن طريق وضع السكان الوطنيين في الاقاليم الخاضعة لهم تحت وصايتهم ، وترحيل الطبقات الاعلى مرتبة الى اقاليم أخرى ، هذا فضلا عن ادخال دين الامبراطورية الرسمي في عواصم الاقاليم ، الى جانب الاديان المحلية ، واستمر الفرس في سياسة تسامح نسبي ، وان احتفلوا تماما بالسلطة الفعلية ، والتي كانت مركزة في شخص الملك وكبار المرظفين في أيديهم (١٧) ، كما استعملوا القسوة عند الثورة ضدهم .

وأما ملك بابل «نبونيد» فلقد رأى كيروش أن يحفظ عليه حياته ،

(١٦) محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص ٣٤٢ - ٣٤٣ ، وكذا

Nalondus Charonicle, III, 12-22.

A. L. Oppenheim, ANET, 1966, P. 315-316.

R. W. Rogers, Cuneiform Parallels to The Old Testament, London 1912, P. 381.

A. T. Olmstead, History of The Persian Empire, Chicago, 1970, P. 50-51.

R. Ghirshman, Iran, (Penguin Books), 1954, P. 131-132.

R. A. Parker and W. H. Dubberstien, Babylonian Chronology, 626 B.C.-AD 45, 1942, P. 11.

17) M. Noth, Op. Cit., P. 302.

في غيره من بلاد الشرق الادنى القديم — يؤمنون بالله الواحد الاحد ،
الذى لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير •

وأخر دعوانا ، أن الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وجدنا
محمد رسول الله ، وعلى آله الطيبين الطاهرين
تم بحمد الله ، ،

الخصر رائط

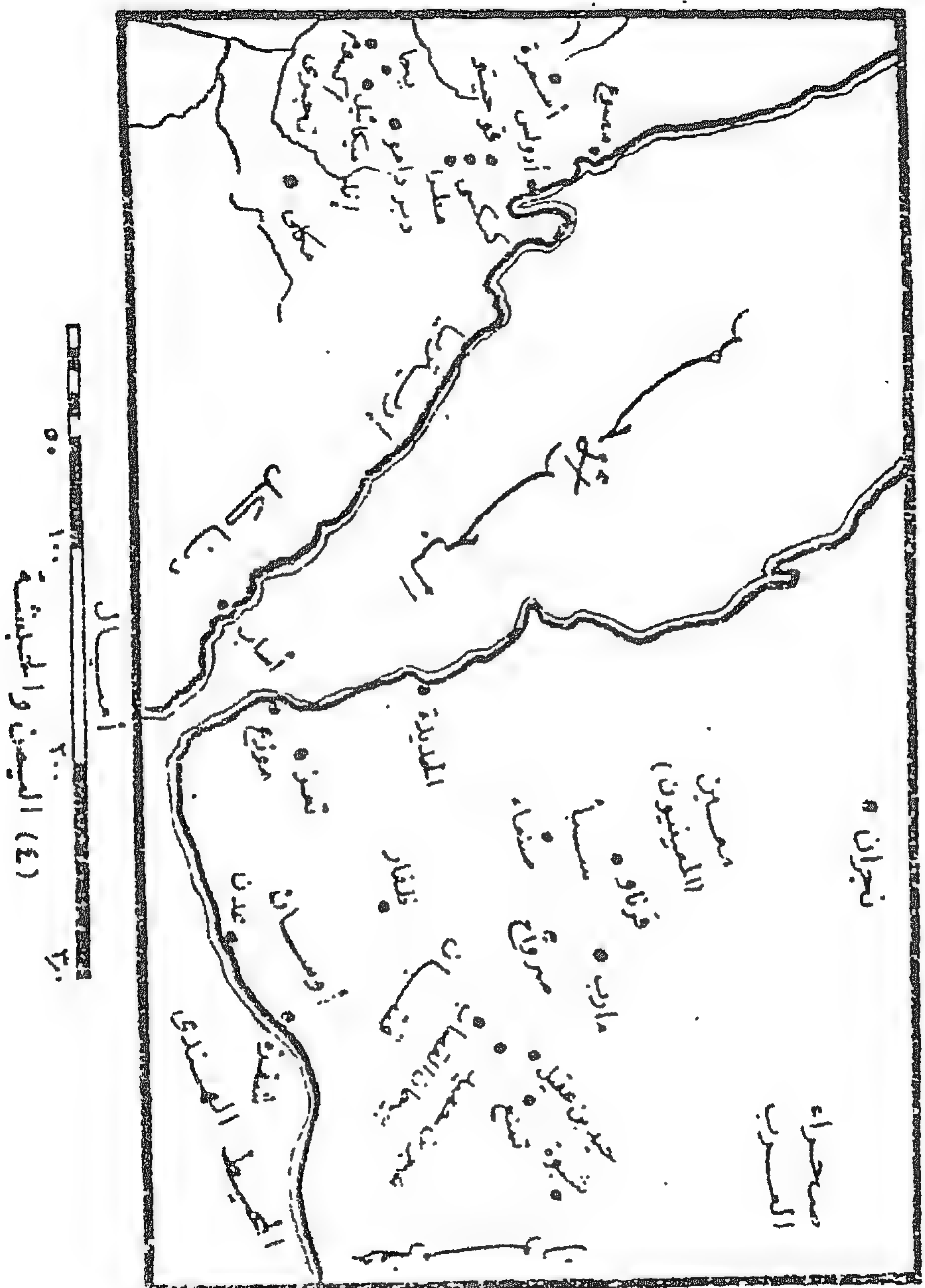


أميال
٥٠ ١٠٠ ٢٠٠ ٣٠٠ ٤٠٠ ٥٠٠

(١) المنطقة السامرية



أميال
 ٠ ١٠ ٢٠ ٤٠ ٥٠
 (٣) فلسطين



المراجع المختارة

أولا - المراجع العربية :

القرآن الكريم

التوراة

الدكتور أحمد أمين سليم

- ١ - دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم - بيروت ١٩٨٩ .
- ٢ - القيم الأخلاقية والسلوكية في العراق القديم - بيروت ١٩٨٤ .
- ٣ - دراسات في تاريخ إيران القديم وحضارتها - الجزء الأول - بيروت ١٩٨٨ .

الدكتور أحمد سوسة

- ١ - تاريخ حضارة وادي الرافدين (جزءان) - بغداد ١٩٨٦ .

الدكتور أحمد فخري

- ١ - دراسات في تاريخ الشرق القديم - القاهرة ١٩٦٣
- ٢ - مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٧١ .

الدكتور تقى الدين الدباغ

- ١ - العراق في عصور ما قبل التاريخ - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٢ - الثورة الزراعية والقرى الأولى - حضارة العراق - الجزء الأول - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور رشيد الناصوري

- ١ - جنوب غربى آسيا وشمال افريقيا - الكتاب الأول - بيروت ١٩٧٧

رضا جواد الهاشمي

- ١ - التجارة - القانون والأحوال الشخصية - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور سامي سعيد الاحمد

- ١ - الادارة ونظام الحكم - حضارة العراق - الجزء الثاني -
بغداد ١٩٨٥ .
- ٢ - الزراعة والرى - حضارة العراق - الجزء الثاني - بغداد
١٩٨٥ .
- ٣ - العصر البابلى القديم - العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٤ - سلالة بابل الحديثة - العراق فى التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٥ - الادب - حضارة العراق - الجزء الاول - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور سليمان حزين

- البيئة والانسان والحضارة فى وادى النيل - تاريخ الحضارة
المصرية - الجزء الاول - القاهرة ١٩٦٢ .

الدكتور طارق عبد الوهاب مظلوم

- النحت من عصر فجر السلالات حتى العصر البابلى الحديث -
من كتاب حضارة العراق القديم - الجزء الرابع - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور طه باقر

- ١ - مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة - القسم الثانى - تاريخ
العراق القديم - بغداد ١٩٥٥ .
- ٢ - مقدمة فى ادب العراق القديم - بغداد ١٩٧٦ .
- ٣ - ملحمة جلجاميش - بغداد ١٩٨٠ .
- ٤ - شرائع العراق القديمة - مجلة سومر - بغداد ١٩٤٧ .

الدكتور عامر سليمان

- ١ - العلاقات السياسية الخارجية - حضارة العراق - الجزء
الثانى - بغداد ١٩٨٥ .
- ٢ - العصر الاشورى - العراق فى التاريخ القديم - بغداد ١٩٨٣ .
- ٣ - جوانب من حضارة العراق القديم - العراق فى التاريخ -
بغداد ١٩٨٣ .
- ٤ - التراث اللغوى - حضارة العراق - الجزء الاول - بغداد
١٩٨٥ .

- ٥ - القانون في العراق القديم - الجزء الأول - الموصل ١٩٧٧ .

الدكتور عبد الحميد زايد

- ١ - مصر الخالدة - القاهرة ١٩٦٦ .
٢ - الشرق الخالد - القاهرة ١٩٦٦ .

الدكتور عبد العزيز صالح

- الشرق الأدنى القديم - الجزء الأول - مصر والعراق - القاهرة
١٩٦٧ .

عبد الكريم عبد الله

- ملاحم الوجود السامي في جنوب العراق قبل تأسيس الدولة
الأكدية - مجلة سومر - العدد ٣٠ - بغداد ١٩٧٤ .

الدكتور عبد المنعم أبو بكر

- ١ - كفاحنا ضد الغزاة - العصر الفرعوني - القاهرة ١٩٥٧ .
٢ - حضارة مصر والشرق القديم - العراق القديم - القاهرة .

الدكتور فاضل عبد الواحد على

- ١ - السومريون والاكديون - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
٢ - سلالة ايسين الثانية - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
٣ - حضارة بلاد وادي الرافدين - العراق في التاريخ - بغداد
١٩٨٣ .
٤ - عشتار ومأساة تموز - بغداد ١٩٧٣ .
٥ - الطوفان - بغداد ١٩٧٥ .

فرج بصمة جى :

- بحث في الفخار - صناعته وأنواعه في العراق القديم - مجلة
سومر - العدد ٢١ - بغداد ١٩٦٥ .

الدكتور فوزى رشيد

- ١ - الشرائع العراقية القديمة - بغداد ١٩٧٩ .

- ٢ - الجيش وال سلاح - حضارة العراق - الجزء الثانى - بغداد
١٩٨٥ .

الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور

- معالم تاريخ الشرق الادنى القديم - الاسكندرية ١٩٦٨ .
معالم حضارة الشرق الادنى القديم - الاسكندرية ١٩٦٩ .

الدكتور محمد بيومى مهران

- ١ - الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية - الاسكندرية
١٩٦٦ م .
٢ - مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث -
الاسكندرية ١٩٦٩ .
٣ - اخناتون : عصره ودعوته - الاسكندرية ١٩٧٩ .
٤ - الساميون والاكراء التى دارت حول موطنهم الاصلى -
الرياض ١٩٧٤ .
٥ - قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة - الرياض ١٩٧٥ .
٦ - العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة - الرياض
١٩٧٦ .
٧ - حركات التحرير فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦ .
٨ - تاريخ العرب القديم - الرياض ١٩٧٧ .
٩ - اسرائيل - التاريخ - (جزءان) - الاسكندرية ١٩٧٨ .
١٠ - اسرائيل - الحضارة - (جزءان) - الاسكندرية ١٩٧٩ .
١١ - دراسات تاريخية من القرآن الكريم - الجزء الرابع - فى
العراق - بيروت ١٩٨٨ .
١٢ - مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٣ - مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٤ - مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ .
١٥ - الحضارة المصرية - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٩ .
١٦ - الحضارة المصرية - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٩ .
١٧ - الحضارة العربية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٨ .

الدكتور محمد عبد اللطيف

- ١ - تاريخ العراق القديم - الاسكندرية ١٩٧٧ .
- ٢ - المراكز التجارية الآشورية في وسط آسيا الصغرى - الاسكندرية ١٩٨٤ .

الدكتور محمد عبد القادر محمد

- ١ - الساميون في العصور القديمة - القاهرة ١٩٦٨ .
- ٢ - قصة الطوفان في أدب بلاد الرافدين - القاهرة ١٩٦٥ .

الدكتور محمود الأمين

- قوانين حمورابي والقوانين البابلية الأخيرة : مجلة كلية الآداب -
عدد يناير ١٩٦١ - بغداد ١٩٦١ .

الدكتور مؤيد سعيد

- ١ - العراق خلال عصور الاحتلال - العراق في التاريخ - بغداد ١٩٨٣ .
- ٢ - العمارة من عصر فجر السلالات الى العصر البابلي الحديث - حضارة العراق - الجزء الثالث - بغداد ١٩٨٥ .

الدكتور نجيب ميخائيل

- مصر والشرق الأدنى القديم (٦ أجزاء) - الاسكندرية ١٩٦٣ -
١٩٦٦ .

هنري عبود

- معجم الحضارات السامية - بيروت ١٩٨٨ .

ثانيا : المراجع المترجمة الى اللغة العربية :

أندرية بارو :

بلاد آشور - ترجمة عيسى سلمان وسليم التكريتي - بغداد ١٩٨٠ .

ألويس موسسل :

شمال الحجاز - ترجمة عبد المحسن الحسيني - الاسكندرية ١٩٥٢

أنطون مورتجات

الفن في العراق القديم - ترجمة عيسى سليمان وسليم التكريتي -
بغداد ١٩٧٥ .

جورج سارتون :

تاريخ العلم - بلاد ما بين النهرين - ترجمة الدكتور طه باقر -
القاهرة ١٩٦٣ .

جورج كونتينو :

الحياة اليومية في بلاد بابل وآشور - ترجمة سليم طه التكريتي،
وبرهان عبد التكريتي - بغداد ١٩٨٦ .

جيمس فريزر :

الفلكلور في العهد القديم - ترجمة نبيلة ابراهيم - القاهرة ١٩٧٢

جيمس هنري برستد :

انتصار الحضارة - ترجمة الدكتور أحمد فخرى - القاهرة ١٩٦٦

سبتينو موسكاتي :

الحضارات السامية القديمة - ترجمه وزاد عليه - السيد يعقوب
بكر - القاهرة ١٩٦٨ .

صمويل نوح كريم

١ - أساطير العالم القديم - ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف ،
ومراجعة عبد المنعم أبو بكر - القاهرة ١٩٧٤ .

٢ - من ألواح سومر - ترجمة طه باقر ، ومراجعة أحمد فخرى
القاهرة ١٩٥٨ .

ل . ديلاپورت :

بلاد ما بين النهرين - ترجمة محرم كمال ومراجعة الدكتور
عبد المنعم أبو بكر - الالف كتاب (٣٥) - القاهرة .

ليو أوينهايم :

بلاد ما بين النهرين - ترجمة سعد فيضى - بغداد ١٩٨١ .

فيلب حتى :

١ - لبنان فى التاريخ - ترجمة أنيس فريضة ونقولا زيادة -
بيروت ١٩٥٩ .

٢ - تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين - ترجمة جورج حداد
وعبد الكريم رافق - بيروت ١٩٥٨ .

هورست كلنجل :

حمورابى ملك بابل وعصره - ترجمة غازى شريف - بغداد ١٩٨٧

ثالثا : المراجع الاجنبية

Abbot, (N.)

Pre-Islamic Arab Queens, in AJSL, 58, 1941.

Al-Adami, (K. A.)

Excavations at Tell-Es-Sawwan, in Sumer, 24, 1968.

Albright, (W. F.),

The Epic of The King of Battle, in JSOR, 7, 1923.

Ali, (F. A.)

New Text of Enannatum, I, in Sumer, 29, 1973.

Andrae, (W.),

Babylon, Berlin, 1952.

Baqir, (T.)

I - Tell-Harmal, in Sumer, II, 1946.

Baqir, (T.)

Excavations at Aqar-Quf, Iraq, Supplement, 1944-1945, Iraq, VIII, 1946, P. 73-92.

Barmaki, (D.)

Phoneici and The Phoenicians, Beirut, 1961.

Barton, (G. A.),

The Royal Inscriptions of Sumer and Akkad, London, 1929.

Bibby, (G.)

Looking for Dilmun, (Penguin Books) 1972.

Bohl, (F. M. T.)

King Hammurabi of Babylon in The Setting of his Time, Amsterdam, 1946.

Bottero, (J.)

1. Syria at The Time of The Kings of Agade, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
2. Syria During The Third Dynasty of Ur, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Bottero, (J.) and Others

The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

Branden, (A. Van den)

Les Textes Thamoudeens de Philby, II, Louvain, 1956.

Breasted, (J. H.)

1. La Conquete de la Civilisation, Payot-Paris, 1945.
2. A. History of Egypt, From The Earliest Times to The Persian Conquest, New York, 1946.
3. The Dawn of Conscience, New York, 1939.

Brinkman, (J. A.),

1. Materials and Studies for Kassite History. I, Chicago, 1976.
2. A. Political History of Past-Kassite Babylonia (1158-722 B. C.), Rome, 1968.

Budge, (E. A. W.)

The Babylonian Story of The Deluge and The Epic of Gilgamesh, New York, 1920.

Comeron, (G. G.)

1. History of Early Iran, 1936.

Deimel, (A.),

Codex Hammurabi, 1930 (3rd ed by E. Bergmann, 1953).

Dhorme, (E.),

Les religions de Babylonie et d' Assyrie, Paris, 1949.

Dossin, (G.)

Les Archives epistolaires du Palais de Mari, in Syria, 19, 1938.

Dougherty, (R. P.),

Nabonidus and Belshazzar, New-Haven, 1929.

Dougherty, (R. P.),

The Scaland of Ancient Arabia, New Haven, 1932.

Driver, (G. R.) and Miles, (J. C.).

1. The Assyrian Laws, Oxford, 1935.
2. The Babylonian Laws, 2 Vols, Oxford, 1952-1955.

Drower, (M. S.),

Syria Before 2200 B. C, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Dupont-Sommer, (A.),

Les Arameens, Paris 1949.

Edwards, (I-E.S.),

The Early Dynastic Period in Egypt, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Edzard, (D. O.), and Others

The Near East, The Early Civilizations, London, 1967.

Egami, (N.),

I—The Preliminary Report of Excavations at Telul Athal-
athat, in Sumer, 13, 1957.

2. New Light on Ancient Persia, in JAOS, LII, 1932.

Carter, (T. H.),

Studies in Cassite History and Archaeology, Bryn, 1962.

Childe, (V. G.),

New Light on The Most Ancient East, London, 1952.

Clark, (G.)

Prehistory of The World, Cambridge, 1962

Clay, (A. T.),

1. The Empire of The Amorites, New Haven, 1919.
2. Documents from The Temple Archives of Nippur dated in The Reigns of Cassite Rulers, 1926.

Cole, (S.),

The Neolithic Revolution, London, 1961.

Conteneau, (G.),

1. Everyday Life in Babylon and in Assyria, London, 1954.
2. Manuel d'archeologie Orientale, 3 Vols, Paris, 1927-1931.

Cook, (S. A.)

Israel and The Neighbouring States, in CAH, III, Cambridge, 1965.

Cooke, (G. A.)

A Text-Book of North-Semitic Inscriptions, Oxford, 1907.

Cronwall, (P. B.)

On The Location of Dilmun, in BASOR, 103, 1946.

Dabbagh, (T.),

1. Hassuna Pottery, in Sumer, 21, 1965.
2. Half Pottery, in Sumer, 22, 1966.

Egami, (N.) and Others

Brief Report of The Third Season's Excavations at Tell, II, of
Telul Eth-Thalathat and Some Observations, in Sumer, 22, 1966.

El-Wailly, (F.) and Ab es-Soof, (B.)

The Excavations at Tell es-Sawwan, First Preliminary Report,
1964, in Sumer, 21, 1965.

Eilers, (W.),

The Code of Hammurabi, in AO, 31, 1931.

Eissfeldet, (O.),

The Hebrew Kingdom, in CAH, II, Part, 2, Cambridge, 1975.

Fadhil, (A.A.),

Three Sumerian Letters, in Sumer, 26, 1970.

Feigin, (S. I.) and Landsberger, (B.)

The Date-List of The Babylonian King Samsu-ditana, in JNES,
14, 1955.

Fleisch, (H.),

Introduction a Etude des Langues Semitiques, Paris, 1947.

Finegan, (J.),

Light from The Ancient Past, The Archaeological Background
of Judaism and Christianity, Princeton, 1969.

Finkelstein, (J. J.),

1. The Laws of Ur-Nammu, in JCS, 22, 1968.

2. The Year-dates of Samsuditana, in JCS, 13, 1959.

Finkelstein, (J. J.),

Ammisaduqua's Edict and The Babylonian Lawcodes, in JCS, 15, 1961.

Frankfort, (H.),

1. Kingship and The Gods, Chicago, 1948.
2. The Art and Architecture of The Ancient Orient (Penguin Books), 1970.
3. The Last Predynastic Period in Babylonia, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1973.
4. Archaeology and The Sumerian Problem. London 1932.
5. The Birth of Civilization in The Near East, London, 1951.
6. Before Philosophy (Penguin Books), 1954.

Frankfort, (H.) and Jacobsen (Th.),

The Gimlîn Temple and The Palace of The Rulers at Tell-Asmar, in OIP, XLIII, 1940.

Gadd, (C. J.),

1. The Cities of Babylonia, in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
2. The Dynasty of Agade and Gutian Invasion, in CAH, I, Part, 2, 1971.
3. Babylonia C. 2120-1800 B. C., in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
4. The Fall of Nineveh, London, 1923.
5. The Harran Inscription of Nabonidus, Anatolian Studies, VII, 1958.

Gardiner, (A. H.),

Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961.

Garrod, (D. A. E.),

Primitive Man in Egypt, Weastern Asia and Europe in Palaeolithic Times, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970.

Gelb, (I.),

The Name of The Goddess Innin, JNES, 19, 1960.

Ghirshman, (R.),

Iran, (Penguin Books) 1954.

Ginsberg, (H. L.),

Aramaic Letters, in ANET, 1966.

Goetze, (A.),

1. The Laws of Ishnunna, New Haven, 1956.
2. The Laws of Ishnunna, in ANET, 1966.

Cray, (J.),

Near Eastern Mythology, New York, London, 1969 .

Gureny, (O. R.),

The Hittites, (Penguin Books) 1969.

Gyles, (M. F.),

Pharaonic Policies and Administration (663-323 B. C.) Carolina, 1959.

Hall, (H. R.),

The Ancient History of The Near East, London, 1963.

Hallo, (W. W.), and Simpson, (W. K.),

The Ancient Near East, A History, U. S. A., 1971.

Harden, (D. B.),

The Phoenicians, London, 1962.

Harper, (R. F.),

The Code of Hammurabi, London 1904.

Hartman, (F.),

L'Agriculture dans L'Ancienne Egypte, Paris, 1923.

Hastings, (J.),

Dictionary of The Bible, Edinburgh, 1936.

Heidel, (A.),

1. The Gilgamesh Epic and The Old Testament Parallels,
London, 1949.

2. The Babylonian Genesis, Chicago, 1951.

Hinz, (W.)

Persia C. 2400-1800 B. C. in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Hitti, (P. K.)

1. The Near East in History, Princeton, 1961.

2. History of Syria, London, 1951.

3. History of The Arabs, London, 1960.

Jacobsen, (T.)

1. Primitive Democracy in Ancient Mesopotamia, in JNES, 2,
1943.

2. A Survey of The Girsu, (Tello) Region, in Sumer, 25, 1969.

3. The Sumerian King List, in AS, II, 1939.

4. Towards The Image of Tammuz, JHR, I, 1961.

Jacobsen, (T.) and Kramer, (S. N.),

The Myth of Inanna and Bilulu, in JNES, 12, 1958.

James, (E. O.),

Mythes et Rites dans Le Proche-Orient Ancien, Paris, 1960.

Kramer, (S. N.),

Lipit-Ishtar Lawcode, in ANET, 1966.

Kramer, (S. N.) and Falkenstein (A.),

Ur-Nammu Law Code, *Orientalia*, 23, 1954.

Kundtson, (J. A.),

Die El-Amarna Tafeln, 2 Vols, Leipzig, 1908.

Kupper, (J. R.),

1. Archives Royal de Mari, 6, 1954.
2. Northern Mesopotamia and Syria, in CAH, Part, I, Cambridge, 1973.

Labat, (A.),

Elam and Western Persia, 1200-1000 B. C, CAH, Part, 2, A, Cambridge, 1980.

Laessoe, (J.),

The People of Ancient Assyria Translated from The Danish by, F. S. Leigh-Browne, London, 1963.

Lambert, (M.),

1. La Periode Presargonique, in Sumer, 8, 1952.
2. Les reforms d'urukagina, in Revue d'assyriologie, V. 1956.

Lambert, (W. G.),

1. Babylonian Wisdom Literature, Oxford, 1960.
2. Nabonidus in Arabia, Seminar for Arabian Studies, London, 1972.

Langdon, (S. H.),

Sumerian Origins and Racial Characteristics in Archaeologia, 1920.

Jawad, (A.),

The Eridu Material and its Implications in Sumer, 30, 1974.

Kramer, (S. N.), Baqir, (I.) and Levy, (S. J.),

Fragments of a diorite Statue of Kurigalzu in The Iraq Museum,
in Sumer, 4, 1948.

Keller, (W.)

The Bible As History, London, 1967.

Kenyon, (K. M.),

Archaeology in The Holy Land, London, 1970.

King (L. W.),

1. Legends of Babylon and Egypt in Relation to Hebrew Tradition, London, 1918.
2. History of Sumer and Akkad from Prehistoric Times to The Foundation of The Babylonian Monarchy, London, 1910.
3. History of Babylon from The Foundation of The Monarchy to The Persian Conquest, London, 1915.

Kitchen, (K. A.),

The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973.

Kraeling, (E. G.)

Aram and Israel, New York, 1918.

Kramer, (S. N.),

1. The Sumerians, Chicago, 1970.
2. The Deluge, in ANET, 1966.
3. Sumerian Mythology, Philadelphia, 1944
4. Dilmun, The Land of The Living, in BASOR, 96, 1944.
5. The Indus Civilization and Dilmun, The Sumerian Paradise Land Expedition, Philadelphia, 1964.

Layard, (A. H.),

Discoveries in Nineveh and Babylon, 1853.

Leemans, (W. F.),

1. Foreign Trade in The Old Babylonian Period, Leiden, 1960.
2. Ishtar of Lagash Leiden, 1952.

Lewy, (H.),

Assyria C 2600-1861 B. C., in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.

Lewy, (J.),

Amurritica, in HUCA, 32, 1961.

Lie, (A. G.)

The Inscriptions of Saigon, II, King of Assyria, Part, I, The Annals, Paris, 1929.

Lloyd, (S.) ,

1. Uruk Pottery, A Comparative Study in Relation to Recent Finds at Eridu, in Sumer, 4, 1948.
2. Foundations in The Dust, (Penguin Books), 1955

Lloyd, (S.) and Safar, (F.),

1. Tell-Uqair, in JNES, 2, 1943.
2. Tell-Hassuna, in JNES, 4, 1945.
3. Eridu, in Sumer, 4, 1948.

Lods, (A.)

Israel, From its Beginnings to The Middle of The Eighth Century, London, 1962

Loud, (G.)

Khorsabad, Chicago, 1936-1938.

Luckenbill, (D. D.),

Ancient Records of Assyria and Babylonia, I-II, Chicago, 1968.

Malamat, (A.),

1. The Last Wars of The Kingdom of Judah, in JNES, 9, 1950.
2. The Aramaeans in Aram Naharaim and The Rise of Their State, Jerusalem, 1952.

Mallowan, (M. E. L.),

1. Early Mesopotamia and Eran, London, 1965.
2. The Development of Cities from Al-Ubaid to The End of Uruk, 5, in CAH, I, Part, I, Cambridge, 1970.
3. The Early Dynastic Period in Mesopotamia in CAH, I, Part, 2, Cambridge, 1971.
4. Nimrud and its Remains, 2 Vols, London, 1966.
5. Twenty - Five Years of Mesopotamian Discovery, London, 1965.

Masry, (A. H.),

Prehistory in Northeastern Arabia, The Problem of Interregional Interaction, Miami, Florida, 1974.

Mccown, (D. E.),

Excavations at Nippur, in JNES, XI, 1962.

Meek, (T. J.),

1. The Code of Hammurabi, in ANET, 1966.
2. The Middle Assyrian Laws, in ANET, 1966.
3. The Neo-Babylonian Laws, in ANET, 1966.
4. Mesopotamian Legal Documents, in ANET, 1966.

2. The Northern Nejd, New York, 1928.
3. In The Arabia Desert, New York, 1930.

Noth, (M.)

The History of Israel, London, 1965.

Nougayral, (J.),

The Code of Hammurabi, in RA, XLV, 1955.

Oates, (J.)

1. First Preliminary Report on a Survey in The Region of Mandali and Badra, in Sumer, 22, 1966.
2. A Preliminary Report, The First Season's Excavations at Choga Mami, in Sumer. 25, 1969.

Olmstead, (A. T.),

1. History of Assyria, New York, 1923.
2. Weastern Asia in The Days of Sargon of Assyria(New York, 1908.
3. History of Palestine and Syria, Chicago, 1931.
4. History of The Persian Empire, Chicago, 1970.

Oppenheim, (A. L.),

1. The Archives of The Palace of Mari, in JNES, XI, 1952.
2. The Sumerian King List, in ANET, 1966.
3. Sargon of Agade, in ANET, 1966.
4. Gudea, Ensi of Lagash, in ANET, 1966.
- 5 The Sargon Chronicle, in ANET, 1966.
6. Naram-Sin in The Cedar Mountain, in ANET, 1966.
- 7 The City of Assur in 714 B C, in JCS, 19, 1960.

Pallis, (S. A.)

The Antiquity of Iraq, Copenhagen, 1956.

Mellaart, (J.),

1. Earliest Civilizations of The Near East, London, 1974.
2. The Earliest Settlements in Weastern Asia frim The Ninth to The End of The Fifth Millenium B. C, in CAH, I, Part, I, Cambridge 1970.

Mercer, (S. A. B.),

The Tell-El-Amarana Tablets, I-II, Toronto, 1939.

Millard, (A. R.) and Tadmor, (H.),

Adad-Nirari, III in Syria, Iraq, 35, 1973.

Mortgat, (S.) ,

Aegypten und Verderasien in Altertunl, Munchen, 1950.

Morgan, (J-de),

La Prehistoire Orientale, II, Paris, 1926.

Mortensen, (P.),

On The Chronology of Early Village Farming Communities in North Iraq, in Sumer, 18, 1962.

Moscatti, (S.)

1. Ancient Semitic Civilization, London, 1957.
2. The Face of The Ancient Orient, London, 1960.

Mougayrol, (J.) and Aynard, (J. M.)

La Mesopotamie, Paris, 1965.

Munn-Rankin, (J. M.),

Assyrian Military Power 1300-1200 B C, in CAH, II, Part, 2 A, Cambridge, 1980.

Musil, (A.)

1. The Northern Hegas, New York, 1926.

Parker, (R. A.), and Dabberstien, (W. H.),

Babylonian Chronology 626 B. C - A. D 45, London, 1942.

Parrot, (A.)

1. Mari, Paris, 1953.
2. Archeologie Mesopotamienne, Technique et Problemes, Paris, 1953.
3. Sumr, London, 1960.
4. Assur, (Gallimard, France, 1961).
5. Nineveh and Babylon, 1961.

Peake, (H. J. E.),

The Origines of Agriculture, London, 1928.

Place, (V.),

Ninive et l'Assyria, Paris, 1867-1870.

Poeble, (A.),

The Assyrian King List from Khorsbad, in JNES, I, 1942.

Roth, (C.),

A Short History of The Jewish People, London, 1969.

Roux, (G.),

Ancient Iraq, (Penguin Books), 1980.

Rogers, R. W.),

Cuneiform Parallels to The Old Testament, London, 1912.

Saggs, (H. W. F.),

The Greatness That Was Babylon, London, 1962

Sayce, (A. H.),

Menes and Narman-Sin, in JEA, 6, 1920.

Seidl, (U.),

Die Babylonischen Kudurru-Reliefs, in BM, 4, 1968.

Smith, (S.),

1. Early History of Assyria to 1000 B. C, London, 1928.
2. Events in Arabia in The 6th Century A. D, in BSOAS, 1954.

Smith, (W. S.),

Interconnection in The Ancient Near East, London, 1965.

Sollberger, (E.),

The Flood, London, 1962.

Spalinger, (A.),

Assurbanipal and Egypt, a Source Study, in JAOS, XCIV, 1974.

Speiser, (E. A.),

1. The Sumerian Problem Reviewed, in HUC, 23, 1950.
2. The Epic of Gilgamesh, in ANET, 1966.
3. The Legend of Sargon, in ANET, 1966.
4. Mushkenum, in Orientalia, XXVII, 1958.

Szlechter, (E.),

Le Code d'Ur-Nammu, in RA, XLIX, 1955.

Tadmor, (H.),

The Historical Inscriptions of Adad-Nurri, III, in Iraq, 35, 1973

Thureau - Danguin, (F.),

1. Textes de Mari, in BA, 33, 1936.
2. Une Relation de la Huitieme Campagne de Sargon, Paris, 1912.

Unger, (M. F.),

Unger's Bible Dictionary Chicago, 1970.

Ward, (W. A.),

Egypt and The East Mediterranean, From Predynastic Times to
The End of The Old Kingdom, in JESHO, VI, 1963.

Winckler, (H.),

The History of Babylonia and Assyria, New York, 1907.

Wiseman, (D. J.),

1. The Laws of Hammurabi again, in JSS, 7, 1962.
2. Assyria and Babylonia, I, 200-1000 B. C, in CAH, II, Part,
2, A, Cambridge, 1980.
3. A. New Stele of Assur-Nasir-Pal, in Iraq, 14, 1952.
4. Chronicles of Chaldaean Kings, London, 1956.

Woolley, Sir Leonard).

1. Excavations At Ur, London, 1963.
2. Ur of The Chaldees, London, 1965.
3. The Beginnings of Civilization, New York, 1965.

Yasin, (W.),

Excavations at Tell-Es-Sawwan, in Sumer, 26, 1970.

Yeivin, (G. E.),

The Sepulchers of The Kings of The Hous of David in JNES,
7, 1948.

Zeissl, (H. Von),

Athiopen und Assyrer in Agypten, Hamburg, 1944.

1. Encyclopaedia Biblica.
2. Encyclopaedia Britannica.
3. Encyclopaedia of Islam.
4. Encyclopaedia of Religion and Ethics.
5. The Jewish Encyclopaedia N. Y., 1903.

محتویات الكتاب

اهـ داء ز
 نقة ديم ط

الباب الاول

عصور ما قبل التاريخ

٣	الفصل الاول : في شمال العراق
٥	١ - العصر الحجري القديم
٦	٢ - العصر الحجري الاوسط
٨	٣ - العصر الحجري الحديث
٢٠	٤ - العصر الحجري النحاسي
٢٥	الفصل الثاني : في جنوب العراق
٢٨	١ - حضارة اريدو
٢٩	٢ - حضارة الحاج محمد
٣٠	٣ - حضارة العبيد
٣٨	٤ - حضارة الوركاء
٤٣	٥ - حضارة جمدة نصر

الباب الثاني

السومريون

٥٣	الفصل الاول : قصة الطوفان
٥٥	١ - تقديم
٥٣	أولا : قصة الطوفان السومرية
٦٨	ثانيا : قصة الطوفان البابلية
٦٨	١ - ملحمة جلجاميش
٧٦	٢ - قصة بيروسوس
٧٨	٣ - قصة اتراخاسيس

الفصل الثانى : السومريون ٨٣

- | | | | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|--|
| ٨٥ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ١ - تقديـم |
| ٨٧ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٢ - الموطن الاصلـى للسومريين |
| ٩٤ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٣ - دويلات المدن السومرية |
| ١٠٣ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٤ - أسرة لجش الاولى (٢٥٢٠ - ٢٣٧١ ق م) |
| ١١٢ | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ٥ - عهد لوجال زاجيرى وتوحيد المدن السومرية |

الباب الثالث

العصر الاكسدي

الفصل الاول : السياسة الداخلية ١١٧

- | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-------------------------------------|
| ١١٩ | ... | ... | ... | ١ - الساميون في جنوب العراق |
| ١٢٣ | ... | ... | ... | ٢ - سرجون الاول (٢٣٧٠ - ٢٣١٥ ق م) |
| ١٣٢ | ... | ... | ... | ٣ - ريموش (٢٣١٥ - ٢٣٠٧ ق م) |
| ١٣٣ | ... | ... | ... | ٤ - مانيشتوسو (٢٣٠٦ - ٢٢٩٢ ق م) |
| ١٣٤ | ... | ... | ... | ٥ - نارام - سن (٢٢٩١ - ٢٢٥٥ ق م) |
| ١٣٥ | ... | ... | ... | ٦ - شار كالي شاري (٢٢٥٤ - ٢٢٣٠ ق م) |

الفصل الثانى : السياسة الخارجية ١٣٧

- | | | | | | | | | | |
|---|---|---------------|-----|-----|-----|-----|-----|-----|-----|
| ۱ | - | سرجون الاول | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... |
| ۲ | - | ريمشوش | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... |
| ۳ | - | مانيشتوسو | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... |
| ۴ | - | نارام - سن | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... |
| ۵ | - | شار کالی شاری | ... | ... | ... | ... | ... | ... | ... |

الباب الرابع

العراق فيما بين نهاية أسرة أكد وقيام الدولة البابلية الاولى

الفصل الاول : العراق فيما بين نهاية أسرة أكد وقيام أسرة

اور الثالثة ۱۵۹

- ١ - الجوتيون (٢٢٣٠ - ٢١٢٠ ق م) ١٦١

- ٢ - أسرة لجش الثانية (٢٢٣٠ - ٢١١٣ ق.م) ... ١٦٣
- ٣ - أسرة الوركاء الخامسة (٢١٢٠ - ٢١١٣ ق.م) ... ١٦٧
- الفصل الثاني : أسرة أور الثالثة (٢١١٤ - ٢٠٠٦ ق.م) ... ١٧١
- ١ - أور - نامو (٢١١٣ - ٢٠٩٦ ق.م) ... ١٧٣
- ٢ - شولجي (٢٠٩٥ - ٢٠٤٨ ق.م) ... ١٧٨
- ٣ - امار - سين (٢٠٤٧ - ٢٠٣٩ ق.م) ... ١٨٣
- ٤ - شوسين (٢٠٣٨ - ٢٠٣٠ ق.م) ... ١٨٤
- ٥ - ايبي - سين (٢٠٢٩ - ٢٠٠٦ ق.م) ... ١٨٦
- الفصل الثالث : ايسين ولارسا واشنونا ... ١٩١
- ١ - أسرة ايسين ... ١٩٣
- ٢ - أسرة لارسا ... ٢٠٢
- ٣ - مملكة اشنونا ... ٢٠٥

الباب الخامس

البابليون

- الفصل الاول : أسرة بابل الاولى ... ٢١٤
- ١ - بابل ... ٢١٥
- ٢ - قيام الاسرة البابلية الاولى ... ٢١٨
- ٣ - حمورابي ... ٢١٠
- ٤ - قانون حمورابي ... ٢٢٨
- ٥ - خلفاء حمورابي ... ٢٨٥
- ٦ - نهاية أسرة بابل الاولى ... ٢٨٨
- الفصل الثاني : الاسرات البابلية من الثانية الى الرابعة ... ٢٩١
- أولا : أسرة بابل الثانية (أسرة القطر البحري الاولى) ... ٢٩٣
- ثانيا : أسرة بابل الثالثة - أو الدولة الكاشية ... ٢٩٦
- ثالثا : أسرة بابل الرابعة - أسرة ايسين الثانية ... ٣١٣

الباب السادس

الأشوريون

- الفصل الاول : الآشوريون فيما قبل عصر الامبراطورية ... ٣٢١
- (١) - الموقع والسكان ... ٣٢٣
- ٢ - العواصم الآشورية ... ٣٢٦
- ٣ - مراحل التاريخ الآشورى ... ٣٣٢
- أ (عصر التبعية السومرية - الأكديّة ... ٣٣٣
- ب (العصر الآشورى القديم ... ٣٣٥
- ج (العصر الآشورى الوسيط ... ٣٤٣
- د (التشريعات الآشورية ... ٣٥١
- الفصل الثانى : عصر الامبراطورية ... ٣٥٩
- أولا : عصر الامبراطورية الاولى ... ٣٦١
- ١ - اداد - نيرارى الثانى (٩١١ - ٨٩١ ق م) ... ٣٦١
- ٢ - توكلتى - نينورتا الثانى (٨٩٠ - ٨٨٤ ق م) ... ٣٦٢
- ٣ - آشور ناصر بال الثانى (٨٨٣ - ٨٥٩ ق م) ... ٣٦٣
- ٤ - شلمنصر الثالث (٨٥٨ - ٨٢٤ ق م) ... ٣٧٢
- ٥ - شمشى - اداد الخامس (٨٢٣ - ٨١١ ق م) ... ٣٧٨
- ثانيا : عصر الامبراطورية الثانية ... ٣٨١
- ١ - تجلات بلاسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧ ق م) ... ٣٨١
- ٢ - شلمنصر الخامس (٧٢٦ - ٧٢٢ ق م) ... ٣٨٩
- ٣ - سرجون الثانى (٧٢٢ - ٧٠٥ ق م) ... ٣٩١
- ٤ - سنحريب (٧٠٥ - ٦٨١ ق م) ... ٤٠٠
- ٥ - اسرحدون (٦٨١ - ٦٦٩ ق م) ... ٤١٠
- ٦ - آشور بانيبال (٦٦٨ - ٦٢٧ ق م) ... ٤١٩
- ٧ - نهاية الامبراطورية الآشورية ... ٤٢٩

مؤلفات

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

أولا - التاريخ المصرى القديم :

- ١ - الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية الاسكندرية ١٩٦٦
- ٢ - مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث الاسكندرية ١٩٦٩
- ٣ - حركات التحرير فى مصر القديمة القاهرة ١٩٧٦
- ٤ - اخناتون : عصره ودعوته القاهرة ١٩٧٩

ثانيا - فى تاريخ اليهود القديم :

- ٥ - التوراه (١) - مجلة الاسطول - العدد ٦٣ الاسكندرية ١٩٧٠
- ٦ - التوراه (٢) - مجلة الاسطول - العدد ٦٤ الاسكندرية ١٩٧٠
- ٧ - التوراه (٣) - مجلة الاسطول - العدد ٦٥ الاسكندرية ١٩٧٠
- ٨ - قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة
- مجلة الاسطول - العدد ٦٦ الاسكندرية ١٩٧١
- ٩ - النقاوة الجنسية عند اليهود - مجلة الاسطول -
العدد ٦٧ الاسكندرية ١٩٧١
- ١٠ - النقاوة الجنسية عند اليهود - مجلة الاسطول -
العدد ٦٨ الاسكندرية ١٩٧١
- ١١ - أخلاقيات الحرب عند اليهود - مجلة
الاسطول - العدد ٦٩ الاسكندرية ١٩٧١
- ١٢ - التلمود - مجلة الاسطول - العدد ٧٠ الاسكندرية ١٩٧٢
- ١٣ - اسرائيل - الجزء الاول - التاريخ الاسكندرية ١٩٧٨
- ١٤ - اسرائيل - الجزء الثانى - التاريخ الاسكندرية ١٩٧٨
- ١٥ - اسرائيل - الجزء الثالث - الحضارة الاسكندرية ١٩٧٩

- ١٦ - اسرائيل - الجزء الرابع - الحضارة الاسكندرية ١٩٧٩
١٧ - النبوة والانبياء عند بنى اسرائيل الاسكندرية ١٩٧٩

ثالثا - فى تاريخ العرب القديم :

- ١٨ - الساميون والآراء التى دارت حول موطنهم الاصلى الرياض ١٩٧٤
١٩ - العرب وعلاقاتهم الدولية فى العصور القديمة الرياض ١٩٧٦
٢٠ - مركز المرأة فى الحضارة العربية القديمة الرياض ١٩٧٧
٢١ - الديانة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٧٨
٢٢ - العرب والفرس فى العصور القديمة الاسكندرية ١٩٧٩
٢٢ - الفكر الجاهلى القاهرة ١٩٨٢

رابعا - فى تاريخ العراق القديم :

- ٢٤ - قصة الطوفان بين الآثار والكتب المقدسة الرياض ١٩٧٦
٢٥ - قانون حمورابى وأثره فى تشريعات التوراه الاسكندرية ١٩٧٩

خامسا - سلسلة دراسات تاريخية من القرآن الكريم :

- ٢٦ - الجزء الاول - فى بلاد العرب بيروت ١٩٨٨
٢٧ - الجزء الثانى - فى مصر بيروت ١٩٨٨
٢٨ - الجزء الثالث - فى بلاد الشام بيروت ١٩٨٨
٢٩ - الجزء الرابع - فى العراق بيروت ١٩٨٨

سادسا - سلسلة مصر والشرق الادنى القديم :

- ٣٠ - مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨
٣١ - مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨
٣٢ - مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨
٣٣ - الحضارة المصرية - الجزء الاول الاسكندرية ١٩٨٩
٣٤ - الحضارة المصرية - الجزء الثانى الاسكندرية ١٩٨٩
٣٥ - تاريخ العرب القديم الاسكندرية ١٩٨٨
٣٦ - الحضارة العربية القديمة الاسكندرية ١٩٨٨
٣٧ - بلاد الشام الاسكندرية ١٩٩٠

- ٣٨ - المغرب القديم الاسكندرية ١٩٩٠
- ٣٩ - العراق القديم الاسكندرية ١٩٩٠
- سابعاً - سلسلة : في رحاب النبي وآل بيته الطاهرين :
- ٤٠ - السيرة النبوية الشريفة - الجزء الاول - بيروت ١٩٩٠
- ٤١ - السيرة النبوية الشريفة - الجزء الثاني - بيروت ١٩٩٠
- ٤٢ - السيرة النبوية الشريفة - الجزء الثالث - بيروت ١٩٩٠
- ٤٣ - السيد فاطمة الزهراء - بيروت ١٩٩٠
- ٤٤ - الامام على بن أبى طالب (الجزء الاول) - بيروت ١٩٩٠
- ٤٥ - الامام على بن أبى طالب (الجزء الثاني) - بيروت ١٩٩٠
- ٤٦ - الامام الحسن بن على - بيروت ١٩٩٠
- ٤٧ - الامام الحسين بن على - بيروت ١٩٩٠
- ٤٨ - الامام على زين العابدين - بيروت ١٩٩٠

ثامناً - معجم البلدان الكبرى في مصر والشرق الادنى القديم :
(بالاشتراك مع الاستاذ الدكتور/محمد جمال الدين مختار) - تحت الطبع



المؤلف في سطور

دكتور

محمد بيومى مهران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

- ١ - ولد في البصيلية - مركز ادفو - محافظة أسوان .
- ٢ - حفظ القرآن الكريم ، ثم التحق بمعهد المعلمين بقنا ، حيث تخرج فيه عام ١٩٤٩ .
- ٣ - عمل مدرسا بوزارة التربية والتعليم (١٩٤٩ - ١٩٦٠) .
- ٤ - حصل على ليسانس الآداب بمرتبة الشرف من قسم التاريخ بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٠ م .
- ٥ - عين معيدا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦١ م .
- ٦ - حصل على درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف في التاريخ القديم من كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٩ م .
- ٧ - عين مدرسا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٦٩ م .
- ٨ - عين أستاذا مساعدا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٤ م .
- ٩ - عين أستاذا لتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية عام ١٩٧٩ م .
- ١٠ - أعير الى جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالرياض في الفترة ١٩٧٣ - ١٩٧٧ م .
- ١١ - عين عضوا في مجلس ادارة هيئة الآثار المصرية في عام ١٩٨٢ م .

- ١٢ - عين عضوا بلجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة في عام ١٩٨١م .
- ١٣ - أعير الى جامعة أم القرى بمكة المكرمة في الفترة ١٩٨٣-١٩٨٧م .
- ١٤ - عين رئيسا لقسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية في كلية الآداب جامعة الاسكندرية (١٩٨٧ - ١٩٨٨م) .
- ١٥ - أختير مقررًا للجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين في الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم (١٩٨٨ - ١٩٨٩م) .
- ١٦ - عين أستاذًا متفرغًا في كلية الآداب - جامعة الاسكندرية في عام ١٩٨٩م .
- ١٧ - عضو لجنة التراث الحضارى والأثرى بالمجالس القومية المتخصصة .
- ١٨ - عضو اللجنة الدائمة للآثار المصرية في هيئة الآثار .
- ١٩ - عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين في الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم .
- ٢٠ - عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة في الآثار الفرعونية وتاريخ مصر والشرق الأدنى القديم .
- ٢١ - عضو اللجنة العلمية الدائمة لترقية الاساتذة المساعدين في التاريخ .
- ٢٢ - أشرف وشارك في مناقشة أكثر من ٢٥ رسالة دكتوراه وماجستير في تاريخ وآثار وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم في الجاسعات المصرية والعربية .
- ٢٣ - أسس وأشرف على شعبة الآثار المصرية بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية منذ عام ١٩٨٢ .
- ٢٤ - شارك في حفائر كلية الآداب - جامعة الاسكندرية في الوقف - مركز دشنا - محافظة قنا ، (في عام ١٩٨٠/١٩٨١م) ، وفي «تل الفراعين» مركز دسوق - محافظة كفر الشيخ (في عام ١٩٨٣/٨٢) .

القضية للشباب والفتيات
٤٨ شارع حمودة - إسكندرية - الإسكندرية
تليفون ٨٠٢٢٥٠

